الجامعة التونسية

الكلية الزيتونية للشريعة
واصول الدين

أبو محمد عبد الله ابن ابي زيد القيرواني

حياته وآثاره

وكتاب النوادر والزيادات

بحث جامعي
تحت اشراف
الدكتور احمد بكير محمود

إعداد
الهادي الدرقاش

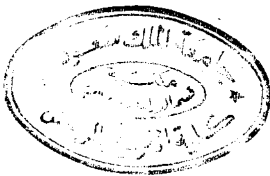
الجامعة التونسية

الكلية الزيتونية للشريعة
وأصول الدين

أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني

حياته وآثاره

وكتاب النوادر والزيادات



بحث جامعي

تحت اشراف

الدكتور احمد بكير محمود

إعداد

الهادي الدرقاش

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على رسولـــه

" المقدمـــة "

****

اختياراتنا الفكرية هي جزء من ذواتنا تنشأ معنا وتنمو بنمو مداركنا ، وتتضح بعمق تجاربنا وتتبلور بكثرة ممارستنا إذ قد يعتنق الفرد منا مبدأ من المبادئ او يؤمن بمثل من المثل او يميل الى رأي من الاراء في اية قضية من قضايا الحياة المتجددة والمتنوعة فيصبح هذا المبدأ او ذاك المثل او ذلك الرأي اختيارا ذاتيا يعبر عن موقف ذاتي من تلك القضايا المتجددة المتنوعة .

ومن هنا فاختلاف اراء الناس عائد أساسا الى اختلاف ذواتهم لاختلاف المؤثرات التي اثرت في هذه الذوات وشكلتها بالشكل المميز، وكما تختلف المؤثرات تتفاوت في تاثيرها ويعود ذلك الى تفاوت في التجربة والممارسة للشيء المؤثر في الاختيار الذاتي للكائن الحي العاقل .

ومن هنا فللمؤثرات الحياتية ــ داخلية ام خارجية ــ دور هام في اعطاء الشكل الفكري المميز لهذا او ذلك او تلك .

اذ قد يتاثر الانسان مثلا في حياته بشخصية معينة لها مقامها الاسنى في الفقه او الادب في الفلسفة او الاجتماع في السياسة او الاقتصاد مما يجعله اكثر نشاطا في استيعاب افكار تلك الشخصية في ميدان ابداعها وفي مجال اختصاصها واعظم قدرة من غيره على هضم افكارها واكثر كفاءة في فهم مواقفها وارائها ، ومن هنا فميلي الفطري للفقه وتاريخه هو الذي جعلني اتجه الى رحاب هذا الفرع من الثقافة الاسلامية وهو ما دفعني ايضا الى تتبع اساطين الفقه ممن اصبح الفقه عندهم ملكة وكانت شخصية ابي محمد عبدالله ابن ابي زيد من أكثر الشخصيات الفقهية قربا مني للعشرة القديمة التي كانت بيني وبينه ، هذه المعاشرة التي قوى اواصرها شيوخ اجلاء من الجامعة الزيتونية كانوا يدرسون لنا كتبه ويبسطون لنا أراءه ويوضحون لنا ترجيحاته .

وبتقدمي في السن والدراسة ازدادت هذه الرغبة الحاحا من اجل مزيد التعرف عن ابي محمد الفقيه وما تميزت به اراؤه من تجديد قد تصل الى حد التفرد وقد لمس احد الاصدقاء فيّ هذه الرغبة فاشار علي بالتفرغ لابي محمد والانفراد به لما له من دور هام في المحافظة على الشعائر السنية للمجتمع القيرواني وحمايته من الهجمة الرافضية التي كانت تود عدلته فكان هذا الرأي من الحوافز المهمة التي نشطتني للاكباب على هذا البحث ، وقد برز رأي هذا الصديق واضحا في ثنايا هذا البحث اذ ذكرت عدة مرات مواقف ابي محمد من مقاومة البدع الشيعية ما وضح منها وما اختفى .

....../....

ان مثل هذه المواقف قد جعلت منه فقيها من الفقهاء المرجحين الذين وان التزموا منهج الامام الذي يقلدونه الا أنهم اجتهدوا بداخل المذهب مراعاة للمصلحة ودرءا للمفسدة ان النزعة الاصلاحية التي تتجلى للباحث المنصف فيما تركه ابومحمد تعود اساسا الى عصره الذي فرض عليه استمرارية الحركة مع قوة الحجة وحضور البديهة وذلك لان عصره كان عصرا مضطربا لما حدث فيه من تحولات اجتماعية شملت السياسة والفكر والادب والفقه والعقائد وغيرها من قضايا الحياة للمجتمع القيرواني خاصة والمجتمع الاسلامي عامة .

ومع ذلك فقد اخذتني الرهبة وتملكتني الخشية من الدخول في حياة شيخ المالكية في القرن الرابع لطول باعه الفقهي وتنوع جوانب شخصيته وتعدد انشطته وثراء معارفه وكثرة اختصاصاته ، فهو اديب شاعر وهو فقيه اصولي وهو مفسر ومحدث له علم بالرواية ومعرفة بالدراية ، قد برز منهجه التجديدي في ميدان التربية والتعليم وفي ميادين الفقه والافتاء حتى اصبح الفقه عنده ملكة فطرية لذلك وصفه اهل عصره ومن جاء بعدهم بمالك الاصغر والذاب عن المذهب .

الان هذه الخشية زالت وهذا التردد ولى لما صح مني العزم واصبحت الرغبة مبدأ ومثلا الان هذه الرغبة تصطدم بقلة المصادر اوندرتها في اغلب الاحيان، لان اغلب هذه المصادر لم يبق منها الا الاسم الذي ذكرته كتب التراجم والتاريخ وما ظفرت به منها ، قد تعارضت فيه الاقوال وتنافرت فيه الروايات لاختلاف النزعات وتنوع الملل والنحل ، اما مؤلفات ابي محمد نفسه فقد اختفى اغلبها ولم يبق منها ، سوى كتابين احدهما تام مطبوع والاخر مخطوط لا نملك نسخة تامة منه الى حد الآن ، وهو كتاب النوادر والزيادات ، لكن ذلك لم يفل في عضدي وخاصة عندما شاءت الظروف السعيدة ان انتقل بحكم عملي الى بلدان لابي محمد فيها ذكر ولمؤلفاته بها صيت وخبر، فتوكلت على الله في جمع شتات المسائل ونتف الاخبار وصور الاحداث والوقائع لابني بها صرح هذا البحث الذي ارجو ان يكون جزاؤه من الله اكثر واعظم من كل جزاء .

وبهذه الصورة تجرأت على الدخول في حياة شيخي ابي محمد بن ابي زيد حيث حضرت حلقات درسه وتدريسه ومطالعة اثاره وتفهم اقواله واستنكناه ارائه ، وقد ساعدني على تقدم عملي في هذا الميدان الخبرة التي حصلت لي من خلال معاشرتي لفقيه من طبقته هو ابو يوسف القاضي تلميذ ابي حنيفة اذ كنت قد تتلمذت عليه بحكم الدراسة التي حررتها حول كتابة الخراج والحق يقال ان شخصية ابي محمد ابن ابي زيد القيرواني كانت بحق الشخصية الاكثر بريقا والاشد لمعانا والاخصب ارضا والاكثر عطاء فانقدت لها انقياد الضمآن لغدير ماء صاف لم تكدره الدلاء وان كثر وارده .

....../....

لقد اعتمدت في تحقيق بغيتي من هذا البحث وتجسيم هدفي في هذه الدراسة المنهج التاريخي محاولا استنطاق النصوص للظفر باصدافها دون قشورها وبلبها دون نواتها معتمدا في ذلك وبالدرجة الاولى على مصادر افريقية مغربية واندلسية عملا بالمثل السائر اهل مكة ادرى بشعابها مختارا في اغلب الاحيان اقوال من كان اقرب عهدا بعصر ابي محمد عبد الله ابن ابي زيد ككتاب تاريخ العلماء ورواه المعلم بالاندلس لابن الفرضي (403) وكرياض النفوس للمالكي (بعد سنة 453 هـ) بل كان من مصادر ي ماحبره شيوخ ابن ابي زيد كطبقات علماء افريقية وتونس لابي العرب التميمي (333 هـ) ومثله لابن الحارث الخشني (ت 361 هـ) ومن مصادري الاساسية ايضا ترتيب المدارك للقاضي عياض (544 هـ) الذي يعتبر مرجعا مهما في مجال تاريخ الفقه الاسلامي بافريقيا والمغرب والاندلس ومن مصادري ايضا معالم الايمان للدباغ (605 ــ 696) والديباج لابن فرحون (د 799 هـ) والمقدمة لابن خلدون (732 هـ ــ 808 هـ).

اما المصادر الحديثة فاذكر على سبيل المثال : القاضيان القيروانيان ابو محمد بن ابي زيد وابو الحسن القابسي، للمستشرق الهادي روجي ادريس، ومقدمة كتاب الجامع للمحققين الاستاذين ابو الاجفان وعثمان بطيخ .

وهناك غير ماذكرت من المصادر الحديثة والقديمة والكثير استفدت منها استفادة طيبة لاصحابها مني الشكر ولهم من الله المغفرة والاجر .

وعلى كل فالثمانون مصدرا ومرجعا والمدونة بقائمة المصادر والمراجع هي في الواقع منتقاة من عدد اكثر اعرضت عن ذكره اجتنابا للتظاهر بطول القائمات والتباهي بوفرة المراجع.

وبتوجيه من الاستاذ المشرف قسمت بحثي الى خمسة ابواب وقسمت كل باب الى فصول على النحو التالي :

الباب الاول :

تناولت فيه عصر ابي محمد وبيئته وقسمت ذلك الى فصلين فالاول تحدثت عن عصر ابي محمد من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية واقد اثبت الخصائص المميزة لهذا العصر وما شاهده من اضطرابات سياسية ومن تحولات اجتماعية ومن نهضة علمية، كان من اساطينها ابو محمد بن ابي زيد ومن دعائمها ابن الجزار الطبيب وغيرهما من العلماء في كل مجالات المعرفة .

اما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الحديث عن تاريخ المدارس الفقهية بالقيروان من اثرية واوزاعية وظاهرية وحنفية ومالكية لاثبت ان المادة الفقهية التي تلقاها ابومحمد لم تكن مادة لمذهب واحد بل كانت مادة متنوعة لتنوع المذاهب المتداولة في المجتمع القيرواني ومن هنا فثقافته الفقهية هي ثقافة متعددة الروافد متنوعة المصادر وهو ما مكنه فيما بعد من الحركية النشطة في مجالس الافتاء والتدريس والمناظرة ، فكان هذا الفصل في الواقع هو عبارة عن حلقة رابطة بين مالك الكبير ومالك الصغير اي بين النصف الثاني من القرن الثاني والقرن

الباب الثاني :

وقد جاء تحت عنوان : ابن ابي زيد من الميلاد الى ساعة التحمل والاداء وقد اشتمل على ثلاثة فصول جاءت مرتبة على النحو التالي :

الفصل الاول :

من الميلاد الى الدراسة ، تناولت فيه الحديث عن نسبه ومولده وطفولته وصباه وما تلقاه من المعارف في هذا الطور من حياته مما جعله اهلا لولوج حلقات الشيوخ العلماء فيما سيقبل من الزمن

الفصل الثاني :

شيوخ ابن ابي زيد وقد ترجمت لثلاثة وثلاثين منهم مقسما اياهم الى مجموعات تبعا لاختلاف امصارهم هادفا من وراء هذا التقسيم الى ابراز تنوع المناهج التعليمية التي كانت وراء تكوين شخصية ابن ابي زيد التربوية ونجاحه في مهنة التدريس واختياره لها دون غيرها من المهن ثم انهيت الفصل بالحديث عن نوعية العلاقات التي كانت تربطه بهولاء الشيوخ وبغيرهم من زملاء الدراسة الاقربين .

الفصل الثالث:

طلبة ابن ابي زيد بدأت هذا الفصل بالحديث عن منهجه التعليمي الذي حبب فيه التلاميذ حتى قلت كانما ولد معلما بفطرته وسليقته .

ثم ترجمت لتلاميذه مقسما اياهم الى مجموعات حسب امصارهم لابرز المدى الذي بلغه واشعاع ابي محمد العلمي فكان تعداد النبغاء منهم تسعة وسبعين طالبا وهذا العدد في الواقع لا يمثل الحقيقة في شيء وذلك لان ابا محمد قد عاش ستا وسبعين سنة منها اكثر من ستين سنة مدرسا فلا يعقل ان طوال هذه المدة لم يتخرج على يديه سوى هذا العدد ثم ما قول الباحثين اذا ما علموا ان تلاميذ الامام سحنون كانوا يعدون بالمئات اذ ورد ان عددهم سبعمائة طالب اولم يكن ابومحمد هو وارث علم سحنون ومركزه في التدريس بالقيروان .

وقد انهيت هذا الفصل بالحديث عن علاقاته بطلابه هذه العلاقات التي اتسمت بالود وتسربلت بالعطف وتضمخت بحسن التوجيه اذ كان ينفق على فقرائهم ويوجه من يحتاج منهم الى التوجيه .

الباب الثالث:

شخصية ابي محمد الاجتماعية والعلمية وقد اشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول مرتبة على النحو التالي :

الفصل الاول :

(ابو محمد ابن ابي زيد والمجتمع القيرواني) تناولت الحديث فيه عن سلوكه ازاء افراد اسرته وما كان يوليه لهم من شديد عنايته ومن سامي عطفه وما كان يخصه بناته من العطف الابوي العميق وقد اتت هذه العناية ثمرتها اذ تولى أحد ابنائه وهو ابوبكر احمد قضاء القيروان

سنة 5 3 ‌ هـ ثم تحدثت عن علاقاته بافراد مجتمعه اذ كان يشارك هذا المجتمع افراحه واحزانه حتى قلت ان من اخر اعماله الاجتماعية تكفينه للشيخ ابن قمرة وقد عاش بعده ابومحمد ثلاثة ايام فقط وعلى الرغم من شدة الرابطة التى كانت تربطه بمجتمعه الا انه كان كيسا ذكيا يربأ بنفسه عن السقوط فى هوة المحاور السياسية والشخصية وهى خاصية من خصائص العلماء الافذاذ الذين لا يخشون فى الحق لومة لائم وقد برز ذلك فى علاقاته برجالات عصره من العلماء والادباء واهل السياسة .

وقد انهيت هذا الفصل بالحديث عن مناقبه وشمائله التى كانت حديث الركبان وحلقات الدروس لما كان عليه من شجاعة وكرم وعفة وطهر .

الفصل الثانى :

اراء ابى محمد التجديدية فى هذا الفصل تعرضت لثقافته التى كاككككككككككككك تنوعت مصادرها وتعددت روافدها مما جعله بحق مؤهلا لان يكون مجدد المائة الرابعة وهو ماقاله غيري من الذين درسوا حياة ابن ابى زيد واثاره ومحصوا اراءه وموافقه من شتى القضايا ،فهو اذا ولج حلقات الكلام ابكت الخصوم واذا واجه اهل البدع فضح بدعهم وازال ترهاتهم واذا انتصب للفتوى والتدريس ابدع واقنع واذا امسك القلم احاط واصاب حتى غدت كتبه تباع بوزنها ذهبا ، انه شخصية علمية دفعت غزارة علمه اهل عصره الى تلقيبه بمالك الصغير والى نعته بعالم المائة الرابعة .

الفصل الثالث:

وفاة ابى محمد ابن ابى زيد القيروانى

الباب الرابع:

مؤلفات ابن ابى زيد القيروانى وقد اشتمل هذا الباب على فصلين وردا على النحوالتالي :

الفصل الاول :

الشيخ المؤلف : فى هذا الفصل تحدثت عن جملة مؤلفات ابن ابى زيد وقسمتها صنفين صنف الرسائل وعددها ثمانية وثلاثين رسالة وصنف الكتب الدراسية والموسوعات الفقهية وهى اربعة كتب فتكون جملة مؤلفاته حسبما ذكرته المصادر اثنين واربعين كتابا ورسالة الموجود منها قليل وقليل جدا ، وما طبع منها اقل .

الفصل الثانى :

موسوعات ابى محمد الفقهية :

ـ مختصر المدونة والذي اشتمل على خمسين الف مسالة وقد حقق جزءا من اجزائه فى السنوات الاخيرة استاذ ان من اساتذة هذه الكلية الماجدة تحت عنوان " الكتاب الجامع " وعسى ان ياتى غيرهما لواصل طريقهما حتى ترجع مختصر المدونة الى سالف اشعاعه وليس ذلك بعزيز اذا ما شحذت العزائم من اجل خدمة التراث .

ـ تهذيب العتبية للقرطبى المعروف بالعتبى " (255 هـ) اذ قام ابو محمد بتهذيب هذا الكتاب الا انه الآن فى حكم المفقود .

ـ الرسالة وهي باكورة انتاجه العلمي وقد لاقت من الاقبال والعناية ماجاء مفصلا في ثنايا هذا البحث

ـ النوادر والزيادات على ما في المدونة والامهات من مسائل مالك واصحابه والتي الفها ابو محمد قبيل سنة 363 هـ وقد كان حظها من هذا البحث الثلث حيث جاءت دراستها على النحو التالي :

* عرض عام للنوادر والزيادات
* شيوخ النوادر والزيادات
* مصادرها ؛
* مادتها الفقهية
* منهجها واسلوبها ؛
* وتعليقات حول ماجاء فيها من اراء ابي محمد وترجيحاته الفقهية

الباب الخامس:

من المدونة الى النوادر والزيادات وقد اشتمل هذا الباب على فصل وخاتمة جاء مرتبين عن النحو التالي :

الفصل الاول :

نصوص من المدونة والنوادر والزيادات :

نصوص ملخصة من النوادر والزيادات لابراز اراء ابي محمد وقد تناولت ابواب الطهارة ـ وضوء وتيمما وغسلا ـ والباب الاول من ابواب الصلاة .

وكان هدفي من وراء ذلك كله ابراز مدى تاثر ابي محمد بمدونة سحنون ومدى استفادته منها وما تفرد به من نوادر المسائل .

الخاتمة :

تلخص جملة ماورد من الاراء الهامة في ثنايا هذا البحث ورؤيا مستقبلية فيما يخص النهوض بالدراسات الفقهية واحياء التراث الضخم الذي اشتملت عليه مدرسة الفقه المالكي بالقيروان خاصة وبالعالم الاسلامي عامة .

وذيلت هذه الدراسة التي اريدها ان تكون خالصة لوجه الله والعلم بفهارس تناولت الاعلام والجماعات والقبائل والاماكن واسماء المساجد والجوامع والايات والاحاديث والاشعار وبالله التوفيق اولا واخرا ؛

عصر ابن أبي زيد وبيئته

الفصل الأول : القيروان في المائة الرابعة

=/=/=/=/=/=/=/=/=/=

تمهيد :

ليست الارقام التاريخية التي تحدد الازمنة وتؤرخ لاحداثها بقادرة على فصل هذه الاحداث عن نتائجها ولاعلى عزل الاسباب عن مسبباتها ، وذلك لان الحدث الذي قد يقع في القرن الاول قد يمتد تأثيره في لواحقه لمدة قد تطول وقد تقصر تبعا لاهميته التي تحددها البصمات التي تركها هذا الحدث على صفحة الحياة السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الفكرية لاية امة من الامم او لاي شعب من الشعوب.

ان حديثنا عن القيروان في القرن الرابع يدفعنا حتما الى الحديث عما سبقه من الازمنة التي قد تبعد عنه وقد تقترب منه، وذلك لان هذه السوابق هي الوعاء الحاوي لمسببات الاحداث التي جدت في هذا القرن ... ويدفعنا هذا اضطرارا الى الحديث عن الزمن الموالي الذى قد يطول او يقصر تبعا لاهمية الحدث. ومن هنا فحديثنا عن الشيعة الاسماعلية وعن دولتها في القرن الرابع يحتم علينا حتما ان نرجع القهقرى لنتعرف على تاريخ تكوينها كحزب سياسي اتخذ من الدين شعارًا ومن اهل البيت دثارًا ولنتعرف ايضا على الاسباب الكامنة وراء هذا البروز ثم الدوافع التي دفعت الدعاة الاولين الى مغادرة الاوطان الى هذه الاصقاع البعيدة عنها ، ثم نتحدث عن اعمالهم ومواقفهم وتأثيرهم وتأثرهم في ومن حولهم. ثم ماتركوه من بصمات على سير الحياة بعد انتقالهم وخمود ذكرهم. غير ان هذه النتائج لن تكون في القرن الرابع بل في غيره من القرون التى قد تطول وقد تقصر تبعا لقيمة العمل واهمية النتائج ومع ذلك فللقرن الرابع من حديثنا حصة الاسد ولغيره حصة الثعالة على اعتبار ان بالسابق الاسباب وباللاحق النتائج وبين تلك وهذه صلة لايمكن ان يفصمها رقم مؤرخ ولاتسلسل احداث.

ومن امتلك القيروان فقد امتلك افريقية والمغرب وانفتحت امامه ابواب بلاد الاندلس وبلدان غربي اروبا وقد انتبه الى خاصيتها هذه احد شيوخ بنى هلال اثناء زحفهم على افريقية فقد ورد ان مؤنس بن يحي المرداسي الهلالي دعا شيوخ بني هلال اثناء زحفهم على القيروان فقال لهم : (ليس المبادرة عندى برأى ؟ فقالوا : كيف تحب ان نصنع فأخذ بساطا فبسطه ثم قال لهم من يدخل الى وسط البساط من غيران يمشي عليه ؟ فقالوا : لانقدر على ذلك قال : فهكذا القيروان ... خذوا شيئا فشيئا حتى لايبقى الا القيروان

....../......

فخذوها حينئذ . فقالوا انت لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولسنا نقطع أمرا دونك) (1) .

ولم ينقص من روعة القيروان ولا من اشعاعها الحضاري انتقال السلطة العبيدية الى مدينة المهدية بعد تمصيرها (2) . بل بقيت القيروان دار السلام وعاصمة العلماء في كل مجالات المعارف ، . . . والكوكب المنير الذي تشدّ اليه الرحال من مشارق الارض الى مغاربها كيف لا . . . ؟ وهي نديدة بغداد وقرطبة . . . بل اقدم منهما تمصيرا . . . ! واعرق منهما حضارة . . . ! وكان القرنان الثالث والرابع هما القرنان اللذان تسابقت فيهما هذه العواصم الثلاثة على قيادة العالم الاسلامي سياسيا وحضاريا وخاصة بعد أن سلبت من بني العباس سلطتهم ولم يبق لهم منها الا الدعاء على المنابر (3) . . . . أما قرطبة فقد كانت في بداية هذه الخطوات اذ لم يكن الأمن بها مستتبا ولا الإستقرار بها متوفرا لكثرة اختلافات أهلها بسبب كثرة الطامعين منهم الى الحكم والقاب الامارة ، ولا ادل على ذلك من هذه المساجلة الشعرية التي جدت بين شاعرين من شعراء القيروان عند ما اقترح أحدهما على الآخر مغادرة القيروان الى الاندلس أثناء الزحف الهلالي وانخرام الامن بمدينة عقبة . والشاعران هما : ابن رشيق وابن شرف (4) . قال ابن رشيق (5) :

مما يبغضني في أرض اندلس — سماع مقتدر فيها ومعتضد

القاب مملكة في غير موضعها — كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

فأجابه ابن شرف (6) :

ان ترمك الغربة في معشر — قد جبل الطبع على بغضهم

فدارهم ما دمت في دارهم — وأرضهم ما دمت في أرضهم .

---

(1) الكامل لابن الاثير ج 9 ص 567 ط بيروت دار الصادر سنة 1966

(2) تاريخ ابن خلدون ج 4 ص : 38 ط 1391 ـ 1971

(3) الكامل لابن الاثير ج 8 ص 263 ـ 272 . وذلك اعتبارا من قيام دولة بني بويه سنة 324 هـ

(4) معالم الايمان 3 / 193 تحقيق محمد ماضور ط تونس 1978 نشر المكتبة العتيقة تونس

(5) ابن رشيق اديب قيرواني ولد بالمحمدية سنة 385 وقدم القيروان سنة 406 وفيها نبغ واشتهر . له كتاب العمدة وقراضة الذهب وغيرها . وتوفي بمازر سنة 463 على الارجح انظر الوافيات .

(6) ابن شرف هو محمد بن ابي سعيد ابن شرف الجذامي اديب وشاعر خرج من القيروان سنة 447 هـ عندما اشتد الضغط الهلالي عليها حيث نزل الاندلس له من الكتب اعلام الكلام ـ وابكار الافكار وتوفي بالاندلس سنة 462 قبل ابن رشيق صاحبه ـ المعالم ج 3 / 193

لقد كان ابن رشيق القيرواني صادقا في وصفه للأوضاع السياسية بالاندلس اذ لم تعرف قرطبة عزا اثيلا واشعاعا عظيما اكثر مما عرفته في عهد عبد الرحمان الناصر (350 هـ) (1) . وبانتهاء عهده رجعت اليها الانتقاضات وعمتها الاختلافات الى ان اصبحت كل مدينة من بلاد الاندلس دولة بذاتها ، وكان ما يعرف في التاريخ بملوك الطوائف (2) ، وكانت النهاية المحزنة والمأساة العميق جرحها في جسم الحضارة العربية الاسلامية ، وذلك عند ما استولى الاسبان على الاندلس وقضاؤهم على آخر امارة طائفية ممثلة في بني الاحمر بغرناطة [897 هـ] (3) وقد بكى شعراؤهم هذه المأساة بدموع حرّى تتمزق اوصال الافئدة لسماعها وتتفتت حناياها لوقعها من ذلك القصيدة النونية لابن الرندي ( ) . أورد بعض ابياتها كشاهد على نهاية البداية لأول مصر انشق على الخلافة الاسلامية .

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته ازمان
- يا راتعين وراء البحر في دعة
لكم بأوطانكم عز وسلطان
- أعندكم نبأ من اهل اندلس
وقد سرى بحديث القوم ركبان

---

(1) تاريخ ابن خلدون 4/46-47 - الكامل 8/535
(2) الكامل لابن الاثير 9/284-292
(3) مأساة انهيار الوجود العربي بالاندلس ص 464-468 ط الدار البيضاء سنة 1967

ونفس المصير الذى انتهت اليه الاندلس انتهت اليه الدولة العباسية سنة 656هـ على يد هولاكو (1) وهو نفس المصير الذى انتهت اليه القيروان قبلهما على يد بنى هلال سنة 449 (2) ، فى عهد المعز بن باديس الامير الصنهاجي ، ولكن خلال هذا الزمن كله لم تكن القيروان بالتى تقتنع بالدور الثانوى وهي عاصمة الممالك السنيين فى المغرب وافريقية مثلها فى ذلك مثل بغداد حيث تعددت فيهما المذاهب السنية وتنوعت فيهما الفرق الكلامية بتعدد عقائدها وتنوع مشاربها واهوائها . فاذا كانت بغداد قد سقطت تحت سنابك خيول اصحاب الملل والنحل وقرطبة قد صرعتها سيوف الطموحات الهوجاء . فان القيروان قد ثبتت على ارتعاشها امام الزحف الهلالي المبيت بليل ...

ان ما ساعد القيروان على هذا الصمود فى احلك الظروف التى مرت بها هو ارضيتها الاجتماعية الصلبة المتحدة فى النظرة الدينية فى مجاليها العقائدى والعملي بحيث كان المنهج الغالب على اهلها هو المنهج السنى عقيدة وسلوكا ، فكرا وممارسة . وهذا ما سوف نلمسه فى فصل لاحق من هذا البحث إن شاء الله (3) .

اننا مقيدون بحكم المجال الزمني لهذا البحث باعطاء صورة عن القيروان كعاصمة لافريقية والمغرب فى القرنين الثالث والرابع خاصة ثم النتائج التى تمخضت عنها احداث هذين القرنين والتى برزت فى النصف الاول من القرن الخامس للهجرة . لكن هذه النظرة التى نريدها صادقة وشاملة تضطرنى اضطرار المسلم الى التيمم عند فقدان الماء وحلول وقت الصلاة ، ان ابدأ هذا الحديث من أوله اعتمادا على المقولة القائلة بان كل حاضر هو نتيجة من نتائج الماضى وكل مستقبل هو نتيجة من نتائج الحاضر إذ لكل حاضر ماض ولكل حاضر مستقبل .

---

① تاريخ التشريع الاسلامي ط4 ص 235

② المعالم 3/190 ط. تونس وردفيه وقع خراب القيروان واستباحتها من طرف بني هلال في اول رمضان سنه 449هـ

③ المدارس الفقهيه ص50 - 58 من هذا البحث

ولئن نشأ شيخنا عبد الله بن أبي زيد في القرن الرابع فليس معنى ذلك أن احداث القرون الاولى الغابرة لم تتسرب الى القرن الذي عاش فيه كما لا يعني ذلك ان اثر القرن الذي عاش فيه قد توقف ولم يتجاوز حدوده الى ما بعده فان ادوار الحياة متداخلة متطورة يؤثر احدها في الآخر ويتطور احدها عن الآخر ان فلا بد لنا من ان نتذكر الادوار التي مرت على هذه البيئة حتى اتخذت شكلها الذي نحس بازائه واستقبلت فيه شيخنا متأثرا بها ومؤثرا فيها (1) .

وحتى تكون الحياة في افريقية القيروان في القرن الرابع واضحة المعالم بينة الصفات لا بد علينا من الاحاطة الواعية والدراسة المتعمقة لمجالاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ومن بعد ذلك يسهل علينا الحكم له او عليه ، لانه قد تأثر وأثر .

الحياة السياسية :

القيروان كما سميت (2) ... ومدينة عقبة كما عرفت (3) ... وعاصمة الاغالبة كما نعتت واشتهرت في عصرنا الحديث (4) ... وهي الى ذلك عاصمة افريقية والمغرب وثالث الامصار الاسلامية بناء وتمصيرا (5) ... وأول مصر للمسلمين بافريقية ومحط رحالهم ... ونقطة انطلاقهم وملجؤهم في كرهم وفرهم ومدهم وزجرهم منذ حركة الفتوحات الاولى على يد عبدالله بن أبي سرح سنة 27هـ . فيما يعرف بغزوة العبادلة السبعة في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان ذي النورين (6) ... لقد ادت هذه الفتوحات وما صاحبها من سياسة نبوية التزمها أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن تابعهم باحسان الى يوم الدين الى تعميق مبدأ وحدانية الله في الوجدان البربري ... فاطمأنت نفوس الافارقة بعد خوفها ... وآمنت المجموعات بعد ارتياعها وارتعابها من الداخلين افريقيتهم العذراء مغازلين اياها أولا ثم ناهبين لخيراتها أخيرا بعد ان يستقر بهم المقام ويلذ لهم العيش على اديمها وتحت سمائها الصافية دوما .

من القيروان فتحت الاندلس وبها وفيها تحضر البربر ونزلوا من جبالهم بعد ان كانوا رافضين التعامل مع كل وافد عليهم (7) ... جاعلين اصابعهم في آذانهم عن كل دعوة تصدر عنه معرضين عن كل منهج دعاهم للأخذ به في حياتهم ولهذا كان انتشار الاديان السابقة في أوساطهم قليلا (8) بل كانت الوثنية هي الغالبة على معتقداتهم لانها جزء من تراثهم وسمة من سمات وطنهم الذي احبوه أكثر من حبهم لأنفسهم .

---

(1) حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها د. عبدالرحمان ياغي ط، بيروت سنة 1961 ص 11 بتصرف

(2) واختلف في لغة العرب ولفظ القيروان فقيل هو موضع الناس والجيش وقيل محط اثقال الجيش نفسه والمعنى متقارب المعالم ج ص 3-4

(3) فتح العرب للمغرب حسين مؤنس ص 162 - طبقات علماء افريقية ط، دار الكتاب اللبناني ج ص 8

(3) معالم الايمان * 1 /47

(4) وسائل الاعلام يتردد على مدى الاستقلال كثيرا ما نعتت مدينة القيروان بعاصمة الاغالبة

(5) قبلها الكوفة والبصرة مصرتا في عهد عمر بن الخطاب سنة ....

(6) طبقات علماء افريقية ج ص 12 - المعالم 1 /33

(7) حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ص 26

(8) حضارة العرب د. غوستاف لوبون ط ج ترجمة عادل زعيتر ص 307 . حيث يذكر ان البربر قبل الفتح الاسلامي كانوا يعبدون آلهة قرطاجنة وكانوا يلحقون ببعض الدول تقربا لا لحكم الزمن (كوان) وكانوا يعبدون الدمار رغم التحللت ثابتة مثل اليهودية والاخرى النصرانية .

لقد شاهدت القيروان منذ تأسيسها والى سنة 440هـ (1) . أربعة انواع من الحكم اثنين منها يحكمانها باسم الخليفة، واثنين يحكمانها كل باسمه .

أ – عهد الولاة والذى يبتدئ بمعاوية بن حديج سنة 34هـ . وينتهى بعهد محمد بن مقاتل الكعبى سنة (183هـ) . فى عهد هارون الرشيد العباسى وقد امتد هذا العهد 149 سنة (2) .

ب – عهد الامارة الاغلبية والذى اشتمل على احد عشر اميرا بدايته ابراهيم بن الاغلب سنة 184هـ . ونهايته ابو مضر زيادة الله الاغلبي سنة 296هـ . وقد امتد هذا العهد 112 سنة (3) .

ج – عهد الدولة العبيدية بداية من 296هـ . والى سنة 440هـ . بالنسبة للوجود الفاطمي بافريقية حيث استقل العبيديون بحكمها طيلة هذه الفترة وهو الانفصال الثالث الذى حدث فى الاراضي التابعة للخلافة الاسلامية بعد انفصال الامويين بالاندلس واستقلال الادارسة بالمغرب (4) .

د – عهد الدولة الزيرية التى خلفت العبيديين وكانت فى فترتها الاولى من (362 – 440) . (5) . عبارة عن ولاية تابعة للعبيديين ثم استقلت عنهم بداية من سنة 440هـ . الى ان كانت نهايتها فى سنة 542 هـ . وطيلة هذه الفترة كان الزيريون يحكمون افريقية باسمهم مع الدعاء لخليفة بغداد على منابرهم. إن سنة 440هـ . تمثل تاريخ انفصال امارة بنى زيرى على الدولة العبيدية بالقاهرة المعزية وذلك عندما ابطل المعز بن باديس الصنهاجي ذكر اسم المستنصر العلوى من على منابر مساجد المهدية والقيروان وسائر حواضر افريقية وما عقب ذلك من رميه باعراب بنى هلال مما سيتحدث عنه كنتائج للأحداث السياسية التى كانت وليدة القرن الرابع والتى لا يمكن فصلها عنه، وما صاحب هذه الاحداث من عودة اهل السنة الى سالف عهودهم بعد مدة بلغت 143 سنة قضوها رازحين تحت حكم الروافض من الشيعة وان استمرت مع ذلك الدولة الفاطمية فى المشرق الى سنة 567هـ وذلك بتولى صلاح الدين الايوبى الحكم = م الحكم عندما شاخت وهرمت واصبح اكثر حكامها من الغلمان والموالي ووقع لها مثلما سوف يقع لدولة بنى العباس بعد هذا التاريخ بحوالى مائة سنة .

---

(1) وهى السنة التى أبطل فيها المعز بن باديس الدعوة للعبيديين من على المنابر - انظر الكامل 9/566

(2) تاريخ ابن خلدون 4/185 - 195

(3) " " 4/196 - 206

(4) الكامل لابن الاثير 8/49 . وما بعدها

(5) " " 8/566

وبما أن موضوعنا يتناول الاحداث التى سبقت انبعاث دولة العبيديين ٠٠ ثم ماجد فى فترقها الافريقية ، وما عقبها بعد رحيلها الى المشرق الى ان حدثت القطيعة بينها وبين ولاتها من بني زيري سنة 440هـ٠ وبذلك اكون مضطرا الى التعرض الى هذا كله وخاصة ان من نترجم له قد ولد فى بداية تركيز الدولة الفاطمية ومات بعد رحيلها الى مصر٠

لقد حققت نهاية القرن الثالث (296هـ) حلما داعب جفون الائمة من الطائفة الاسماعلية للشيعة منذ سنة 148هـ٠ عقب موت جعفر الصادق وانقسام الشيعة من اتباعه الى طائفتين اثنا عشرية واسماعلية كما سوف نبيئنه بحول الله ٠٠٠ لكن انتقال الفرق الشيعية الى افريقية يجعل الباحث يتساءل ويلح في السؤال ٠٠٠ ويبحث ويجد في البحث عن الدوافع التى دفعتهم الى الانتقال الى افريقية على الرغم من جهلهم بها وبطبيعة اهلها بالاضافة الى بعدها على المسرح الحقيقي للأحداث الذى شاهد ما لحق العلويين من قتل وتشريد والتي كان لهم فيها دخل كبير اذا لم نقل "جنت على نفسها براقش"٠

ذلك ان تصرفاتهم العادية والعقائد التى كانوا يبثونها والتى بلغت حد التطرف عند بعض فرقهم كانت من الاسباب التى عرضتهم الى النكبات المتتالية وبقدر ما لاقوه من نكبات بقدر ما انزلوه بغيرهم عند ما اصبح الامر بايديهم ولا ادل على ذلك مما لاقاه المجتمع السني بالقيروان عندما آل اليهم امره ٠

وارى لازما علينا قبل ان نتعرف على سبب انطلاقهم لافريقية وتحقيق حلمهم بها ان نتعرض الى حقيقة نسبهم الذى كثرت حول صحته الاقاويل منذ القرن الثاني ٠ اذ هناك من يجعلهم منحدرين من اصل يهودي او نصراني اوحتى مجوسي (1) ٠ وكان حكام بني العباس يعقدون الاجتماعات ويصدرون الفتاوى ويضعون المحاضر على حلية دمائهم لانهم كفرة لا ينتمون للاسلام بصلة كالفتوى التى اصدرها الحاكم العباسي المعروف بالقادر مشهدا على صحتها اعلام الائمة فى وقته ومثل ذلك ما ذكره صاحب المعالم بعدة بقرون (2) لكن بعض المؤرخين كابن خلدون وابن الاثير يشكان فى صحة هذه المزاعم التى زعمها بعض الفقهاء سواء عن اقتناع اوعن اكراه يقول ابن خلدون (ولا عبرة لمن انكر صحة هذا النسب من اهل القيروان وغيرهم ولا بالمحضر الذى كتب ببغداد ايام القادر بالطعن فى نسبهم وشهد فيه اعلام الائمة ٠٠٠ وظهور كلمتهم فى مكة والمدينة ادل شيئ على صحة نسبهم واما من يجعل نسبهم فى اليهوديه والنصرانيه ليعمول القدح وغيره فكفاه اثما وسفسطة ٠٠٠ الخ) (3) ٠

---

(1) تاريخ ابن خلدون 31/4

(2) معالم الايمان 3 / 150

(3) تاريخ ابن خلدون 31/4

أما ابن الاثير فقد لخص رأي الامير عبد العزيز صاحب كتاب تاريخ افريقيا والمغرب القائل بأن نسبهم مغرق في اليهودية ثم عمد الى التعليق على هذا الموقف بانه يتبرأ من هذا الذي يورده ولا دخل له الا في النقل ثم يقول (وسألت انا جماعة من العلويين في نسبة – عبيد الله المهدي – فلم يرتابوا في صحته وذهب غيرهم الى ان نسبه مدخول) (1) .

وعلى كل يمكن لنا ان نتجاوز هذه القضية تاركين القول فيها لغيرنا من ذوي الاختصاص وذلك لان موضوعها ليس لنا بموضوع ، ونتعداه الى ما هو اهم وهي الاحداث التي جدت بسبب حملهم هذا النسب الذي دفعهم بدوره الى المطالبة بامر كانوا يعتقدون انهم اولى الناس به .

والذي ما ظفروا به الا على اديم ارض افريقية والمغرب فنقول :

ان خروج العلويين على السلطة الحاكمة لم يهدأ له اوار منذ مقتل الخليفة الراشدي الرابع علي ابن أبي طالب – كرم الله وجهه – حيث قتل ابناءه الحسن مسموما والحسين مطعونا في واقعة كربلاء المشهورة ثم تواصلت مسيرة العذاب منتظمة الخطوات متصلة الحلقات الى بداية القرن الثاني ففي عهد هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي (سنة 105هـ – 125هـ) ثار زيد بن علي بن الحسين ونشبت الحرب بينه وبين يوسف بن عمر الثقفي والي العراق من قبل هشام بن عبد الملك الحاكم الاموي وانتهت بمقتل زيد ومما يذكر ان جماعة من الشيعة جاؤوا الى زيد اثناء المعركة وسألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر حيث قالوا له : اننا ننصرك على اعدائك بعد ان تحدثنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب فقال انى لا اقول فيهما الا خيرا ففارقوه فقال لهم "رفضتموني" (2) ومن يومها سموا رافضة ، وقد تطور مفهوم هذا الاطلاق حتى اصبح يدل على كل صاحب نحلة متطرف في نحلته مما دفع شعراءهم الى الرد عن ذلك حيث قال احدهم :

ان كان رفضا حب آل محمد   فليشهد الثقلان اني رافضي

أما من بقي مع زيد فهم المعروفون بالزيدية يقول ابن خلدون (ومنهم الزيدية القائلون بامامة بني فاطمة لفضل علي وبنيه على سائر الصحابة على شروطا يشترطونها وامامة الشيخين عندهم صحيحة وان كان علي الافضل وهذا مذهب زيد واصحابه وهم جمهور الشيعة وابعدهم على الغلو والانحراف) (3) . وقد نجحوا في تكوين دولة لهم في اليمن .

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/26
(2) تاريخ الدولة الفاطمية ص 29
(3) تاريخ ابن خلدون 3/4

أما الروافض المنشقون على زيد فقد انضموا بعد ذلك الى طائفة الامامية من انصار الامام جعفر الصادق وتوالت عليهم ... بعد وفاته الى فرقتين (1) .

أ ـ الامامية الاثنى عشرية وتعرف أيضا بالموسوية لتوليتها الامامة لابنه موسى الكاظم وتبوء الامامة في ابنائه وابناء ابنائه الى الامام الثاني عشر منهم ولهذا عرفوا بالامامية الاثني عشرية والامام الثاني عشر هو المسمى ابو القاسم محمد العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وهم يدعون بأنه اختفى بعيد وفاة والده سنة 260 هـ وسيظهر في آخر الزمان حيث ينتقم من الطغاة وينشر العدل والى الآن هم ينتظرون ظهوره .

2) الاسماعيلية وكذلك تسمى بالسبعية يقولون بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق واليه نسبوا . وكان اسماعيل هذا أكبر اولاد الامام جعفر الصادق ولما توفي في حياة والده فحولوا امامة اسماعيل الى ابنه محمد وهو عندهم الامام السابع ولذلك اطلق عليهم لقب السبعية تمييزا لهم عن الاثني عشريه (2) .

وكانت هذه الفرقة اكثر سعيا من الاخرى في الوصول الى الحكم ولهذا وضع دعاتها منهاجا لدعوتهم استطاعوا به تعبيئة قوى الجماهير ضد بني العباس والامارات التابعة لهم حيث تمكنوا من الاعلان عن ميلاد دولة الفواطم بافريقية سنة 296هـ . وعند ذلك ظهر امامهم عبيد الله المهدي وهو رأس دولتهم التى امتدت بعد تركيزها من الشام شرقا الى المحيط الاطلسي غربا (3) .

ذلك انه لما ضعفت الدولة الاموية واختل توازنها السياسي صغرت هيبتها في اعين المتربصين بها من خوارج وعباسيين وشيعة . فاجتمع آل البيت من الهواشم عباسين وعلويين وبايعوا سرا محمد ابن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي المعروف بالنفس الزكية وقد مثل العباسيين في هذا الاجتماع ابو جعفر المنصور نفسه والذى يعتبر رأس الدولة العباسية بعد ذلك . حيث بايع في جملة من بايع ولذلك اعتبر الامامان ابو حنيفة ومالك ان امامة النفس الزكية هي امامة صحيحة لحصول الاجماع حولها . وموقفهما هو الذي سبب لهما الكثير من المتاعب المعروفة في التاريخ على يد المنصور نفسه (4) .

ولما تم اعلان الدولة الجديدة في بني العباس سارع المنصور بوضع اقارب النفس الزكية في السجون خوفا منهم على دولته الناشئة مما عجل بخروج النفس الزكية عليه واعلن نفسه خليفة تحت لقب المهدى .

---

(1) تاريخ التشريع الاسلامي ط 9 ص 127

(2) تاريخ الدولة الفاطمية ص 29

(3) الكامل لابن الاثير 8/47 - 50

(4) تاريخ ابن خلدون 3/4 - 4

وكان ذلك بالمدينة المنورة سنة 145هـ . وباشرلتوه ما يقتضيه منصبه حيث بعث ولاته الى الكوفة والبصرة والاهواز والمدينة ومكة . ولما بلغ ذلك الى علم المنصور بعث له برسالة يدعوه الى طاعته والرجوع فيما ادعاه . فاجابه بمثل جوابه قائلا بان بني علي هم احق بالخلافة من بني العباس فما كان من المنصور الا ان بعث له برسالة أخرى فيها تهديد ووعيد (1) . مردفا اياها بجيش يقوده ابن عمه عيسى بن موسى حيث زحف به على المدينة وقتل النفس الزكية (2) في منتصف رمضان سنة 145 للهجرة (3) .

غير ان قتل النفس الزكية لم يزد الفتيل الا اشتعالا اذ تحول الخلاف حول الحكم من خلاف بين الاباعد الى خلاف بين الاقارب حيث نجد في سنة 169هـ . في عهد موسى الهادي خروج حسن الحسين بن علي بن حسن المثلث اخو النفس الزكية حيث ادعى بانه المهدي فبويع له بالخلافة ثم سار الى مكة المكرمة فبعث له موسى الهادي بجيش حيث نشبت الحرب بين الطرفين يوم التروية حيث انهزم الجيش العلوي وقتل حسن المثلث بمكان يعرف بفجه على بعد ثلاثة اميال من مكة وقيل ستة اميال (4) ولم ينج من هذه المذبحة غير عمه يحيى بن عبد الله صاحب الديلم واخوه ادريس. اما الاول فقد استنزله الرشيد بعد ذلك حيث قيل انه قتله غيلة بعد ذلك مسموما . وأما ادريس فقد انطلق الى المغرب ليؤسس هناك دولة الادارسة سنة 175هـ . والتي استمرت الى سنة 316هـ . حيث ستزول من طرف نزعة شيعية اخرى هي النزعة العبيدية الاسماعيلية (5) .

ان تكوين دولة الادارسة بالمغرب يعتبر ثاني انشطار للخلافة الاسلامية وبداية لاستقلال اطرافها بعد ان استقل عبد الرحمن الداخل بارض الاندلس عقب ما لاقاه العلويون الامويون من تعسف وظلم فظيعين من طرف بني عمومتهم بني العباس.

وقد حاول الرشيد القضاء على هذا الانشطار الادريسي الثاني وذلك بتكليف أحد صنائعه وهو سليمان بن حريز الشماخ الذي تمكن من اغتيال ادريس بغفر سم اعطاه اياه بعنوان دواء يداوي به اسنانه (6) . بالاضافة الى هذا فقد مكن الرشيد بني الاغلب من الاستقلال الداخلي بافريقية

---

(1) تاريخ ابن خلدون 4/3-6 حيث اورد نصوص الرسائل المتبادلة

(2) النفس الزكية هو محمد بن عبد الله بن الحسن من آل البيت خرج على ابي جعفر المنصور بعد ان حمل المنصور اهله الى العراق في مصفد بين. وكان محمد هذا من الذين بايعوا المنصور بالخلافة قبل تحويلها الى العباسيين. ولما بلغ المنصور امر خروج محمد بعث له بجيش بقيادة عيسى بن محمد. ودارت المعركة بين النفس الزكية وجيش المنصور بالمدينة. حيث انهزم النفس الزكية وقتل يوم الاثنين 17 رمضان 145 - انظر البداية والنهاية الجزء العاشر ص 42 بيروت.

(3) تاريخ ابن خلدون 4/7

(4) " " "

(5) " " 4/12-18

(6) تاريخ ابن خلدون 4/8

على ان يدفعوا من خراجها قدرا معلوما لخزينة الدولة ببغداد وبذلك أوجد حاجزا بشريا بينه وبين الادارسة حيث غدت افريقية الاغلبية عبارة عن شرطي حدود يحمي الحدود الغربية للدولة العباسية وهو نفس المنهج السياسي الذي سلكه مع الدولة الاموية بالاندلس حيث ارتبط بعلاقات جدا ممتازة مع ملك الغال شارلمان . اذن هناك دولة علوية بالمغرب اصبحت في عداء مستمر مع امارة سنية بافريقية الا ان السؤال الذي يلح كثيرا هو كيف تم للعلويين ازاحة امارة الاغالبة حتى أصبحت افريقية والمغرب ارضا يسار اهلها من طرف الشيعة بقطع النظر عن نحلهم وفرقهم بعد ان عجز الادارسة على الامتداد شرقا . وانقسام دولتهم الى امارات صغيرة وزعت بين الابناء والاحفاد لذا يكون لزاما علينا أن نرجع القهقرى لنتعرف على الميلاد السياسي للعبيديين بعد ان عرفنا ميلاد هم العقائدي بميلاد النحلة الاسماعلية في النصف الثاني من القرن الثاني والتي كانت قبل ذلك ضمن الفرقة الزيديه التي اسست دولة اليمن وبالنظر للروابط التاريخية والعقائديه التي تربط بين الزيدية والاسماعلية فقد وجدت هذة الاخيرة في اليمن خير مكان وآمنه لتهيئة كوادر الدعاة وأطر الفرقه حيث جعلت لنفسها هنالك دار هجرة ومنها انطلق الدعاة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . وتذكر لنا المصادر التاريخية ان اول بعثة دعائيه شيعية قد وصلت افريقية تألفت من شخصين هما الحلواني وابو سفيان وكان ذلك سنة 145هـ. أي قبيل انتشار الزيدية حيث قالوا للداعيين : ان المغرب ارض بور فاذهبا فاحرثا حتى يجيء صاحب البذر فنزل احدهما بارض كتامه ببلدة تسمى : مرمجنه : والآخر ببلدة تسمى " بسوق الحمار " حيث لانت قلوب تلك النواحي اليهما الى ان ماتا (1) . وبذلك نرى ان المجتمع المغربي قد عرف الدعوة الشيعية وكذلك دعوة الخوارج منذ النصف الاول من القرن الثاني . ثم تواصل وفود الوافدين من آل البيت على ارض افريقية وخاصة بعد ان اصبح بالمغرب دولة يلتقون واياها في الكثير من المبادئ . الا ان وجود مثل هذه الدولة لم يقنع الكثيرين من الشيعة وخاصة الاسماعليين منهم ولذلك نجد ان اباعبد الله الشيعي لما = اتصل بامام الشيعة الاسماعلية وكان قبل هذا الاتصال معتنقا لمذهب الامامية الاثنى عشرية ، قلت لما اتصل ابوعبد الله الشيعي بالامام الاسماعيلي اعجب هذا الاخير بالامكانيات العلمية التي كان عليها ابوعبد الله وآنس منه كفاية وذكاء فاوفده الى اليمن وهوابنها واليها ينسب حيث تلقبه بعض المصادر تارة بالشيعي وأخرى بالصنعاني . فوصلها سنة 278هـ. حيث اتصل برئيس الدعاة هناك وهو ابن حوشب النجار فصحبه بعدن الى ان صار من اكبر أصحابه وخاصته ولما وثق ابن حوشب من علم ابي عبد الله وفهمه وذكائه ومكره ودهائه قال لابي عبد الله الصنعاني (ان ارض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وابو سفيان وقد ماتا وليس لها غير فبادر فانها موطأة وممهدة) (2) .

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/ 30 - 31

(2) " " " 8/ 31

فخرج ابوعبد الله إلى افريقية بعد خروج البعثة الاولى بما قدره 143هـ. سنة حيث ذهب الى الحج والتقى هناك برجال من كتامة واستعمل معهم ذكاءه وحيلته الى ان فاز بثقتهم وحبهم فانطلق معهم الى افريقية متخذين الصحراء طريقا احتنا بالعيون الاغالبة التي كان لهم علم بمقدمه حيث وصل إلى أرض كتامة في شهر ربيع الاول من سنة 288هـ. (1) انها عشر سنوات قضاها ابوعبد الله الشيعي في التهيؤ من اجل بلوغ هذا الهدف وبذلك نرى مدى عناية الاسماعلية بتكوين الدعاة ضمانا لنجاح الدعوة. وكاد اهل كتامه وافخاذها ان يتقاتلوا من اجل الفوز بمساكنة ابي عبد الله لهم وخاصة لما اظهره من تقوى ومن علم وفصاحة لسان وبعد نظر لما شاهد الصنعاني ما يحدث بين افخاذ كتامة استعمل ذكاءه لحسم النزاع اذ سألهم عن فج الاخيار فقالوا له عند بني سليمان فقال اليه نقصد ثم نأتي كل قوم فيهم في ديارهم فارضى الجميع (2) وتخلص من انفصام صفهم الذي يدخر وحدته الى يوم ات قريب.

والى حد الآن لم يكشف عن هويته ولا عن غرضه. ثم سار بعد هذا الى في الاخيار الواقع بجبل انجلان وعند وصوله قال مخاطبا كتامة " هذا في الاخيار وما سمي الابهم وقد جاء في الاثار ان للمهدي هجرة تنبوعن الاوطان ينصره فيهم الاخيار من اهل هذا الزمان قوم إسمهم مشتق من الكتمان فانتم كتامة.." (3).

ولم يكتف بهذا بل عمد الى اظهار كثير من الحيل التي تعلمها واعدها لمثل هذه المواقف وانتشر هذا الصنيع في القبائل البربرية انتشار النار في الهشيم لسبب مرده تعلق البربر بالخرافة وخوارق العادات لبدائية تفكيرهم اذ ليس من طبيعة الفكر البدائي مناقشة ما يقع امامه بل يكتفي بتصديق الخوارق التي تحدث امامه ولهذا كان الفكر البربري عاجزا عن فهم الابعاد الفكرية والفلسفية التي اقيمت على أساسها الدعوة الاسماعلية وانما الذي فهمه اغلب البرابرة من كتامة وغيرها ان هذا الذي امامهم هو رجل ليس كغيره من الناس بل اعطي علما وبركة يجب عليهم بسببهما ان يأخذوا بيده وينصروا دعوته ويشدوا ازره، وبالاضافة الى هذا فان لبربر افريقية تعلقا بآل البيت وعطفا عليهم منذ النصف الاول من القرن الثاني هـ اذا لم نقل منذ الفتوحات الاولى على اساس ان صاحب الرسالة هو الذي ينتسب اليه هؤلاء فنصرتهم لهم هي نصرة له ومن ينصر الرسول صلى الله عليه وسلم فقد نصر الله. كل هذه العوامل وغيرها مجتمعة ساعدت ابا عبد الله الشيعي على الانتصار في المعركة النفسية مما هيأ له جنودا اقوياء في القتال قد التزموا بالدعاوته وآمنوا بصدق مزاعمه وصدقوا بصحة أرجازه وحيله ولا ادل على ذلك من تقاتلهم فيما بينهم من أجل الفوز بشرف مجاورته ومساكنته. حتى غدا أبوعبد المشرقي كما يسمونه هناك (4) درة عقدهم

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/32

(2) " " " "

(3) " " " 33/

(4) " " " "

لم يقف ترديد اسمه عند حدود بلاد البربر بل وصل الى القيروان وبلغ
الى اميرها ابراهيم بن احمد بن الاغلب (261ه/289) فاهتم لهذا الامر وبعث الى واليه على ميلة
فسأله عن امر المشرقي هذا فصغره من شأنه (1) وثم كان مخطئا في هذا التصغير. وعند هذا
الحد بدأ ابوعبد الله الشيعي في تطوير دعوته وأخذ يكشف عن حقيقتها شيئا فشيئا حيث سمى
نفسه بصاحب البذر اشارة الى ما وصيت به البعثة الاولى "فاذهبا فاحرثا حتى يجيء صاحب
البذر" (2) وعندئذ اختلفت القبائل بين مصدقة له ومكذبة به وكاد أن يلاقي حتفه لولا ان أخذه
عنده الحسن بن هارون من اكابر كتامة حيث انتقل به الى مدينة ناصرون (3) ومنها بدأ الاعداد
للحرب حيث جعل مجيره الكتامي الحسن بن هارون قائدا لجيشه وبذلك دخل مرحلة أخرى من مراحل
الدعوة وهي المرحلة الحاسمة فيها بعد ان ضمن اغلبية كبرى معه فكانت اولى عملياته الحربية استلائه
على مدينة "ميلة" التابعة لامارة الاغالبة غير انه لم يطل بها مقامه اذ سرعان ما انهزم امام الجيش
الاغلبي بقيادة الاحول عم ابي مضر زيادة الله الاغلبي بن ابراهيم بن أحمد وفي هذا الظرف العصيب
يموت ابراهيم بن أحمد الاغلبي فيخلفه ابنه ابو العباس الذي يقتل غيلة من طرف ابنه زيادة الله
لشدته معه وسجنه من أجل ادمانه على الخمر ولم يكتف زيادة الله بقتل ابيه بل قتل عمه الاحول وكل
اقاربه الذين يخشى منهم على ملكه . ولما بلغ صنيعه هذا الى أبو عبد الله الشيعي فرح كثيرا
لأنه كان يعرف ان الذي يحول بينه وبين القيروان هو جيش الاغالبة بقيادة الاحول الاغلبي وقد جاءته
هذه الاخبار السارة وهو معتصم بجبل انكجان حيث ابتنى به دارا للهجرة . وكان اعتصامه هذا
اثر هزيمته امام الاحول في مدينة "ميلة" (4) .

وبالاضافة الى ما حل بعائلة بني الاغلب من تشتت على يد اميرها . فقد كان لبعض وزراء بني الاغلب
ميولات شيعية جعلت منهم عيونا لابي عبد الله الشيعي يرصدون له كل اعمال الدولة اذ يسرهم
انهزام الاغالبة وانتصار العبيديين . فاذا اضفنا الى هذا كله الانحطاط الخلقي لزيادة الله عرفنا
الحالة النفسية العالية التي كان عليها ابوعبد الله الشيعي وجيشه حيث خرج من معتصمه بجبل انكجان
وجعل يهاجم اطراف الامارة الاغلبية فتساقطت امام جيشه مدنها تساقط اوراق الشجر في فصل الخريف .

(1) الكامل لابن الاثير 33/8

(2) " " "

(3) " " 34/8

(4) " " 35-34/8

مكتفا في الآن نفسه حربه النفسية حيث صار يقول (المهدي يخرج في هذه الايام ويملك الارض فيا طوبى لمن هاجر الي واطاعني) (1) وكان يغري الناس بابي مضر ويعيبه . ولما وصلت سنة 291 هـ حتى أصبحت الشيعة هي صاحبة الكلمة العليا في كل الاراضي الواقعة غرب القيروان (2) وهذا يفسره لنا دعوة أبي عبد الله الشيعي لامامة عبيد الله المهدي باللحاق به في افريقية، وفعلا حزم عبيد الله المهدي متاعه الى افريقية بعد ان أشاع بين الناس بحضران وجهته اليمن وذلك كله من أجل الافلات من قبضة بني العباس وقد صاحبه في رحلته هذه جمع من اصحابه وابنه ابو القاسم وابو العباس اخو ابي عبد الله الشيعي وبعد مسيرة مضنية مرعبة مخيفة تمكن من الوصول الى سجلماسة، (3) وقد افصحت مسيرته هذه عن ذكاء سياسي منقطع النظير اذ سلك الطريق الصحراوي متعدا بقدر الامكان عن الطريق المعتادة المسلك خوفا من الوقوع في قبضة الاغالبة حيث مر بقسطيلية ولم يمكث بها ومنها كما قلنا الى سجلماسة ولمزيد التغطية بعث بابي العباس الى القيروان في زي تاجر من التجار حيث تم القبض عليه واودع السجن ولم يخرج منه الا بعد استيلاء أبي عبد الله الشيعي على القيروان . وقلنا دخل عبيد الله المهدي سجلماسة سنة 292 هـ . وكان صاحبها هو اليسع بن مدرار فاهدى له المهدي فقربه اليسع وأمنه الى ان وصلته رسالة من زيادة الله الاغلبي حيث حذره فيها من المشرقي الوافد عليه وانه الرجل الذي يدعو له ابو عبد الله الصنعاني عندئذ قبض عليه واودعه السجن مع ابنه ابي القاسم ولم يخرجا منه الا بعد أن فك اغلالهما ابو عبد الله الشيعي (4) .

أما بالنسبة للشيعي فقد واصل هجوماته المظفرة وكثف من حروبه النفسية بواسطة دعاة اكفاء ينقلون تعليماته انطلاقا من دار الهجرة بايكجان في حين كان امر زيادة الله في تراجع ونجمه في أفول بل اكثر من الشرب حتى بلغ حد الادمان ومن نوادره في هذا المجال انه اصابه غم كبير ذات يوم فقال له مضحكه : ياموﻻنا لقد عملت لك بيت شعر فعسى تجعل من يحسن يلحنه وتشرب عليه واترك هذا الحزن فقال ما هو ؟ فقال المضحك :

غنوا شعرا كذا وكذا وقولوا بعد كل بيت

اشرب واسقينا من القرن يكفينا .

فلما غنوا طرب زيادة الله وشرب وانهمك في الاكل والشرب والشهوات ولما رأى ذلك اصحابه ساعدوه على مراده (5) : ترى ان هذه النادرة تعبر بكل صدق عما وصل اليه امر البيت الاغلبي من ارتخاء امام الزحف الشيعي الذي بدأ يدق ابواب القيروان . اذن نرى عدوين متحاربين

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/35

(2) تاريخ الدولة الفاطمية ص 50

(3) الكامل لابن الاثير 8/36 - 39

(4) " " 8/39

(5) " " 8/42 - 43

احد هما يسعى للنصر والآخر يسعى للهزيمة احد هما جاء شريدا طريدا الى هذه الاصقاع حيث اصبح في سنوات معدودة الرجل الذى ترتعد لذكر اسمه الفرائص والآخر اصيل القيروان لكن ما ان يذكر اسمه حتى تنطلق النكات على سفاسفه انها النهاية لدولة طال عمرها الذى تجاوز المائة سنة بل زاد عليها اثنى عشر عاما . وفعلا ما ان حل آخر جمادى الآخرة من سنة 296هـ . حتى انهزم الجيش الاغلبي بقيادة ابراهيم بن أبو الاغلب هزيمة نكراء حيث يعود بفلوله الى القيروان فيجد زيادة الله قد غادرها على عجل فارا باهله وامواله الى مصر ليموت بعد ذلك في الرملة بارض فلسطين (1) .

وقد حاول ابراهيم بن ابى الاغلب ان يثبت لكن أهل القيروان طردوه شر طرده فالتحق بابن عمه الذى حاول قتله في الطريق الا انه فر منه ليوقع بينه وبين صاحب مصر من قبل بني العباس .

ولما بلغ خبر فرار زيادة الله الى أبو عبد الله الشيعي الذى كان عندئذ بسبيبه اسرع الخطو الى القيروان التى خرجت لاستقباله فامنهم . ثم دخل رقادة يوم السبت غرة رجب سنة 296 (2) . ونادى بالامان ولما كانت الجمعة امر خطباء المساجد برقادة والقيروان ان يخطبوا ولا يذكروا أحدا انه الذكاء السياسي الذى جعل من هذا الشريد الطريد رجل الساعة في القيروان في ذلك الوقت . ثم ضرب السكة وبعث الولاة الى الجهات واقبل على تركيز اسس الدولة واقامة هياكلها (3) . ولما تم له ذلك استخلف اخاه ابا العباس وأبا زاكي عليها حيث فعلا الاعاجيب بعلماء أهل السنة اما هو فقد انطلق الى سجلماسة لتحرير سيده عبيد الله المهدى من ربق السجن وكان ذلك في رمضان من سنة 296هـ . وقد لاطف اليسع مرارا خوفا على حياة عبيد الله وابنه ولما لم يجد ذلك نفعا هجم على سجلماسة حيث تمكن من تحرير المسجونين . بعد ان فر اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة السني وبذلك تم القضاء على امارة بني مدرار التى عمرت 130 سنة وفي نفس الفترة زال ملك بني رستم من تاهرت بعد ان عمر 160 سنة وهي إمارة خارجية (4) . وبذلك تمكن ابو عبد الله الشيعي من تخليص المسجونين حيث عادوا جميعا الى افريقية فوصلوا رقاده في العشر الاخيرة من ربيع الآخر سنة 297هـ .

وكانت اولى اعمال عبيد الله العلوى ان امر بذكر اسمه على المنابر حيث تلقب بالمهدى امير المؤمنين ثم جلس بعد اداء الجمعة ومعه الدعاة واحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم الى اعتناق مذهبهم الشيعي فمن اجاب احسن اليه ومن ابى حبس فلم يدخل في مذهبهم الا بعض الناس وقتل كثير ممن لم يوافقهم على قولهم (5) .

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/22-23

(2) " " 46/8

(3) " " 47/8

(4) " " 49/8

(5) " " 43/8

وقد كان رد علماء القيروان عنيفا مثل العنف الذى مارسه عبيد الله مع من رفض الدخول فى نحلته فقد ذكروا ان جبله بن حمود (ت 297 هـ) قد حضر اول جمعة خطب فيها عبيد الله المهدى فى القيروان فلما سمع خطبته نهض قائما وكشف عن رأسه حتى رآه الناس وخرج يمشى الى آخر الجامع وهو يقول قطعوها قطعهم الله فما حضرها احد من أهل العلم بعد ذلك (1) : وورد أيضا انه لما بلغه نزول عبيد الله المهدى رقادة ترك سكنى الرباط ونزل القيروان فكلم فى ذلك فقال : كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر والآن حل العدو بساحتنا وهو اشد علينا من ذلك فكان اذا أصبح وصلى الصبح خرج الى طرف القيروان من ناحية رقادة مع سيفه وترسه وفرسه وسهامه وجلس محاذيا لرقادة الى غروب الشمس ثم يرجع الى داره ويقول " احرس عورات المسلمين منهم فاذا رأيت شيئا حركت المسلمين عليهم " (2) وكان يقول جهاد هؤلاء افضل من جهاد الشرك (3) .

بل وبلغه ان من جملة الخارجين لاستقبال عبيد الله حماس بن مروان القاضى فقال اللهم لا تسلم من خرج يسلم عليه واغتم لذلك غما شديدا فلما انتهوا الى وادي ابى كريب جردوا وأخذت ثيابهم فلما عرفوا جبله بذلك . قال ما يغمني الا رجل واحد فيه خير لا لثيابه والرجل هو حماس بن مروان القاضى " (4) .

ونفس المواقف التى وقفها جبله بن حمود وقفها اغلب علماء القيروان حتى ان بعضهم قد وقع اعدامه كما هو الحال بالنسبة لابن البرذون وابن هذيل الفقيهين القيروانيين فقد ذكرانه : لما وصل عبيد الله الى رقادة أرسل الى القيروان من أتاه بابن البرذون وابن هذيل فلما وصلا اليه وجداه على سرير ملكه وعن يمينه ابو عبد الله الشيعي وعن يساره ابو العباس أخوه فلما وقفا بين يديه قال لهما ابو عبد الله وابو العباس : اشهدا ان هذا رسول الله – واشار الى عبيد الله – فقال جميعا بلفظ واحد والذى لا اله الا هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان انه رسول الله ما قلنا انه رسول الله صلى الله وسلم . فأمر عبيد الله بذبحهما جميعا وامر بربطهما الى اذناب البغال (5) .

(1) معالم الايمان ج 2/ 273
(2) " " ج 2/ 272
(3) " " ج 2/ 273
(4) " " ج 2/ 273
(5) " " ج 2/ 263

ولم يقتصر هذا الارهاب على أهل السنة من القيروانيين بل تجاوزهم الى الولايات الاخرى في داخل افريقية فقد "أكره اهل طرابلس على التشيع وحملوا عليه حملا (1) . غير ان هذا التعسف لم يزد أهل السنة الا ثباتا على عقيدتهم بل دفعهم الى الخروج على بني عبيد عدة مرات بالاضافة الى مقاطعة مساجدهم ورفض الصلاة على موتاهم مما يضيق المجال هنا على ذكره (2) ". وكانت من أوليات اعماله بعد تركيز دولته أمره باغتيال ابي عبد الله الشيعي وأخيه ابي العباس عندما ظهرت منهما بوادر تدل على تآمرهما عليه وكان ذلك في جمادى سنة 298هـ ولاقى ابو زاكي نفس المصير في نفس السنة وذلك بطرابلس حيث عينه واليا الا انه بعث سرا لوالي طرابلس يأمره بقتل ابي زاكي وهكذا يقع لابي عبيد الله الشيعي نفس ما وقع لابي مسلم الخرساني (3) ومما يذكر ان القاتلين هما حماس وعروبه ابنا يوسف ويقال ان ابا عبد الله الشيعي لما هم عروبه بن يوسف بقتله قال له : لا تفعل يابني فقال له ان الذى امرتنا بطاعته امرنا بقتلك (4) . غير ان هذه العملية لم تمر بسلام ان ثارت كتامة مما اضطر عبيد الله الى بعث ابنه ابي القاسم لا خماد ثورتها وثارت عليه صقلية وتهارت الا انه في كل مرة كان ينتصر . وقد عرفت السنوات مابين 300 و 315 نشاطا عسكريا مكثفا وحثيثا امتد من مصر شرقا الى بلاد المغرب وكانت اغلب هذه الحملات تحت قيادة ابنه الحسن أبي القاسم كما شاهدت هذه الفترة تمصير مدينة المهديه كعاصمة للفواطم حيث ابتدأ في بنائها سنة 303هـ . ويوما قال بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار" وانتهى من بنائها سنة 306هـ ويومها قال اليوم آمنت على الفواطم " (5) .

وبحلول سنة 322هـ . يتوفى الله عبيد الله المهدى ويوصى بالامر بعده الى ابنه ابي القاسم نزار الذى يلقب بالقائم بامر الله (322هـ - 334هـ) (6) . ويواصل اعمال ابيه في دعم هياكل الدولة وتوسيع اطرافها حيث وصلت جيوشه الى مصر والمغرب الا ان في عهده يبرز على المسرح السياسي ابو يزيد الخارجي الملقب بصاحب الحمار وهو ابو يزيد مخلد بن كيداد من اهل قسطيلية من ضواحي مدينة توزر الآن ولد بالسودان لام هوارية اذ كانت لابيه تجارة هناك ثم جاء به الى قسطيلية حيث حفظ القرآن ودرس علوم عصره وخالط هناك طائفة النكارية وهي من طوائف الصفرية من الخوارج فمال الى مذهبهم ثم ارتحل الى تهارت عاصمة الخوارج التي كان يحكمها بنو رستم حيث اشتغل في تعليم القرآن وكان ذلك سنة 296هـ في زمن وصول ابي عبيد الله الشيعي الى سجلماسه لفك اعتقال المهدى وابنه من سجن سجلماسه ثم انتقل الى تقيوس حيث اشترى ضيعة واستمر في تعليم القرآن هناك " (7) .

---

(1) معالم الايمان 2/265

(2) " " 2/274

(3) الكامل لابن الاثير 8/52

(4) " " 8/52-53

(5) " " 8/34 - تاريخ ابن خلدون 4/38

(6) " " 8/284

(7) " " 8/422 - تاريخ ابن خلدون 4/40-44

وكغيره من الخوارج كان مذهبه يقوم على تكفير من خالفهم من المسلمين واستباحة أموالهم واعراضهم وبحكم مهنته واتصاله بالناس فقد اشتهر ووجد من الناس من يثق به ويقلده في ارائه وذلك منذ ايام المهدى سنة 316هـ . ولم يزل كذلك الى ان قوي أمره في عهد القائم بأمر الله حيث بدأ في تطبيق فرضيات نحلته فاكثر من الغارات فافسد البلاد . ثم وصلت به الجرأة الى مهاجمة عاصمة العبيد يين مرات عديدة خاصة في السنتين 333 ـ 334 ثم دخل القيروان عدة مرات ودخل تونس ورقادة وباجه وغيرها من امصار افريقية العبيدية، وكاد أن يقضي على دولة العبيديين وهي لاتزال في خطواتها الاولى . وقد استمال اليه شيوخ القيروان من الفقهاء والعلماء حيث شاركوه في هجومه على المهدية سنة 333 هـ . الا أنه خذلهم عند ماتركهم وجها لوجه مع قوات العبيديين حيث استشهد منهم في يوم واحد 85 فقيها زيادة على العامة . يقول ابن الاثير عند استعراضه لاحداث سنة 333هـ . (فلما رأى شدة قتال اصحاب القائم كتب الى عامل القيروان يأمره بارسال مقاتله اهلها اليه ففعل ذلك فلما وصلوا اليه فزحف بهم آخر رجب فجرى قتال شديد انهزم فيه ابو يزيد هزيمة منكرة وقتل فيه جماعة من اصحابه واكثر اهل القيروان) (1) .

وهذه الواقعة سوف نتعرف عليها اكثر عند ما نترجم لشيوخ ابن ابي زيد وخاصة شيوخه الممسي وربيع القطان وابن اسحاق السبائي وابن اللباد وغيرهم كثيرون .

وقد ذكرت مراجع اخرى خيانة ابي يزيد الخارجي لمقاتلة أهل القيروان من فقهاء وعامه فقال صاحب المعالم : (قال ابو الحسن القابسي ـ عن شيوخه الذين ادركهم ـ ان الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله الى الآن اربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح ولذلك يقول سهل الوراق :

واحل دار البحر من اغلاله ✻ من كان ذا تقوى وذا صلوات .

(قلت) وكان القيروانيون غلبوا من كان بالمهدية وطمعوا في اخذها فمكر بهم ابو يزيد الخارجي فقال لجيشه : القيروانيون اذا حكموا على بني عمنا واستاصلوهم يرجعون علينا فلا نقدر عليهم فاذا كان من الغد والتحم الناس في القتال انعزلوا عنهم حتى تقع الكسرة عليهم فنرتاح من شوكتهم او نحو هذا الكلام ففعلوا ذلك فوقعت الهزيمة عليهم لما سبق في سابق علم الله تعالى باستشهاد من استشهد كأبي الفضل الممسي وربيع القطان) (2) .

وبقدر ماكان ابو يزيد الخارجي غير صادق مع أهل القيروان كان هؤلاء صادقين معه لان نحلته على مافيها لاتصل الى حد عبادة الاشخاص وتنزيههم مثل ماهو الحال بالنسبة للنحلة الاسماعلية المتطرفة ولهذا نجد احد الشيوخ الشهداء وهو ابو الفضل الممسي يرى (أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لان الخوارج من أهل القبلة لايزول عنهم الاسلام ويرثون ويورثون و بنوعبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلايتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم (3) .

---

(1) الكامل لابن الاثير 428/8

(2) معالم الايمان 34/3

(3) " " 28/3

وعلى كل فان الله ليس بغافل عما يفعل ابو يزيد ولا غيره اذ لم يذهب دم العلماء بوادى المالح هدرا حيث انتقم الله من ابو يزيد انتقاما فظيعا سواء فى هزيمته بالمهدية او فى قتله بصورة فظيعة (1) بعد ذلك وفى هذا الزمن بالذات كان عمر الشيخ ابن أبي زيد ثلاث وعشرين سنة وهو طور حياتي يمثل قمة التحصيل العلمي وقد ذكر بعض المصادر ان ابن ابي زيد كان فى شغل عن أبي يزيد وحروبه بتحصيله العلمي فقد ورد فى ترجمة ابن اخو هشام (ر) (وكان شيخ الفقهاء وامام أهل العفة والورع لم يكن عنده رياء ولاتصنع وكان يجتمع هو وابو الازهر بن معتب وابو محمد بن أبي زيد وابن شبلون وابن التبان والقابسي وجماعة ذكرناهم ونذكرهم في جامع القيروان للتفقه عندما ظهر ابو يزيد على بني عبيد) (2)

وبذلك نرى ان اوائل الثلاثيات بعد الثلاثمائة كانت سنوات الرعب والخوف التي عاشتها القيروان وغيرها من امصار افريقية الاغلبية بل كانت سنوات الدمار العمراني حتى قيل ان من الاسباب التي شتت جيش صاحب الحمار هو ان جنده لم يعد يجد ما ينهب ففضل العودة الى قراه باعالي الجبال (3) ... وما فشل فيه القائم بالله نجح فيه ابنه المنصور الذي تولى الحكم فى سنة 334هـ حيث استطاع بشجاعته وجرأته وحنكته السياسية ان يلحق هزيمة نكراء بابي يزيد الخارجي ويتركه يموت من جراحه ثم يأمر بسلخ جلده واملائه تبنا ووضعه في قفص اعد لذلك مع قردين نكاية فيه وتشويها لسمعته وارها بًا لغيره من المتربصين بالغواطم وكان ذلك سنة 336هـ بقلعة كتامة (4) .

وبالتخلص من أبي يزيد الخارجي بدأ العلويون استعداداتهم للانتقال الى مصر وهذا ما وقع بعد موت المنصور العلوي سنة 341هـ . حيث خلفه ابنه المعز لدين الله الفاطمي (5) . الذي صالح البربر واحسن اليهم فجاؤوه طائعين ومن اعماله انه هاجم المرية من ارض الاندلس سنة 344هـ . مما دفع عبد الرحمان الناصر (ت 350) الى مهاجمة سوسة وتخريب مينائها سنة 345 (6) . وبعد ما دانت له افريقية والمغرب حول اهتمامه بالمشرق فوجه جيشه بقيادة جوهر الصقلي الى مصر فدخلها يوم 17 شعبان سنة 356هـ حيث اقام الدعوة للمعز فى شهر شوال من نفس السنة بالجامع العتيق ، وفى جمادى الاولى من سنة 359هـ سار جوهر الى جامع ابن طولون وامر المؤذن بان يضيف الى الاذان "حي على خير العمل" ثم امر ببدء بناء القاهرة المعزية (7) ثم تنطلق جيوشه لتستولى على دمشق وغيرها من بلاد الشام .

---

(1) الكامل لابن الاثير 441/3

(2) الديباج ص 114

(3) الكامل لابن الاثير حوادث سنة 334

(4) الكامل لابن الاثير 441/8 تاريخ ابن خلدون 40/4

(5) " " 497/8

(6) تاريخ ابن خلدون 46/4

(7) الكامل لابن الاثير 590/8

ولما بلغت هذه الانتصارات الى المعز بالمهديه فرح لذلك فرحا شديدا وقد سجل لنا ذلك ابن هانى فى قصيدة طويلة منها :

يقول بنو العباس قد فتحت مصر   فقل لبنى العباس قد قضي الامر (1) ·

ويعظم فرح المعز بانتصار جيشه بقيادة يوسف بن بلكين بن زيري 360 على محمد بن الحسن الزناتي لانه كان من اشد الخارجين عنه مراسا واشدهم خطرا على اطراف دولته ولهذا ما ان حل آخر شوال من سنة 361 حتى كان المعز لدين الله فى طريقه الى مصر حاملا معه اموال القيروان وخيرات افريقية الخضراء حتى قيل انه سبك الدنانير على شكل طواحين وحمل كل اثنتين منها على بعير واستعمل على افريقيا يوسف بن بلكين بن زيري الصنهاجي الحميري جد الدولة الصنهاجية بعد ذلك (2) ودخل المعز القاهرة فى يوم مشهود وكان ذلك يوم الخامس من رمضان سنة 362هـ (3) · وعلى الرغم من سياسة المعز التى أخذت بأخذ اللين الا ان عقيدته كانت مثل غيره من الروافض ولا ادل على ذلك مما قيل امامه من شعر ناطقا بالكفر متحديا للمشاعر السنية · وقد حوى ديوان ابن هانى قصائد كثيرة لا يمكن عند سماعها الا طلب المغفره لقائلها من ذلك قوله : (4) :

ما شئت لاما شاءت الاقدار   فاحكم فانت الواحد القهار

فكانما أنت الرسول محمد   وكانما انصارك الانصار ·

أو قوله :

حل برقادة المسيح   حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذو المعالى   فكل شيء سواه ريح ·

وبانتقال الفواطم الى مصر خف الضغط الرافضى على افريقيه الا ان حياة المعز لم تدم طويلا بمصر بل مات سنة 365هـ فخلفه ابنه العزيز الذى بدأت افريقية فى عهده تتحرك وخاصة ان قادتها الجدد هم من البربر وهم ابعد الناس على فهم عقائد الروافض التى هي عبارة عن خليط من الاراء الهندية والفارسية والعقائد اليهودية والتثليث المسيحي والافلاطونية اليونانية ولذلك فعقولهم الصافية لا تقنعها مثل هذه السفسطات ولذلك فهم اقرب الى أهل السنة بفطرتهم منهم الى غيرهم ، ولهذا نرى افريقية تزدهر على عهد بنى زيري لذا فلما احس العزيز العلوي ببوادر هذه النهضة اراد ان يغتالها بليل وان يضربها من خلف حيث بعث سنة 377هـ داعيا الى كتامة يقال له أبو الفهم حسن بن نصر دعاهم الى طاعته وهدفه من وراء ذلك استمالة كتامة خاصة والبربر عامة اليه والخروج على المنصور الصنهاجي وبذلك يضعف العزيز الطرفين البربريين وعندئذ تكون افريقية طوع بنانه · ولما بلغ ذلك الى المنصور الصنهاجي بعث يعلم العزيز بذلك فكان رده بان لا يتعرض لكتامة ولا لابى الفهم وكان ذلك بواسطة

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/559

(2) " " " 8/627

(3) " " " 8/622

(4) " " " 8/621

رسولين جاءاه خصيصا من مصر. فاغتاظ المنصور من هذا التصرف فحبس الرسولين طيلة شعبان عامة ورمضان ولم يتركهما يتصلان بغيره ثم اقبل يتجهز لحرب كتامة وابو الفهم وبعيد عيد الاضحى انطلق الى مدينة سطيف عاصمة كتامة فقاتلهم وهزمهم هزيمة شنعاء وقبض على ابي الفهم فضربه ثم قتله وسلخه واكلت صنهاجة وعبيد المنصور لحمه. كما قتل جماعة الدعاة ورد الرسولين الى العزيز بمصر فاخبراه بفعل المنصور الصنهاجي وقالا له: جئنا من عند شياطين يأكلون الناس: فارسل العزيز الى المنصور يطيب خاطره وارسل له هدية ولم يذكر له أبا الفهم (1) وفي سنة 386هـ يتوفى العزيز العلوى ومنصور الصنهاجي فيخلف الاول ابنه الحاكم بامر الله ويخلف الثاني ابنه باديس. ثم يعود الهدوء والاطمئنان الى الربوع الافريقية وفي سنة 406 يموت باديس ويخلفه ابنه المعز والذي راى عهده عودة مذهب أهل السنة الى ما كان عليه قبل العبيديين ففي شهر محرم في سنة 407 بينما كان المعز بن باديس مارا في موكبه بالقيروان اذ شاهد جماعة فسأل عنهم فقيل له هؤلاء رافضة يسبون ابا بكر وعمر فقال رضي الله على ابي بكر وعمر فاعتبر العامة قوله هذا اذنا لهم بتصفية بقايا الروافض من القيروان ومن غيرها من امصار افريقية فلا حقوهم قتلا وذبحا حتى من احتمى منهم بالمساجد ولم ينج منهم الا من عبر الحدود لاحقا ببني عبيد بمصر (2). وبذلك تخلصت القيروان من نحلة مدمرة للقيم والاخلاق العالية التي جاء الاسلام اليها داعيا وبها آمرا. وكانت هذه الحادثة قد حدثت في عهد الحاكم بامر الله (386هـ ـ 411هـ) ولا بد انها تركت شرخا في العلاقات بين الامارة الصنهاجية والدولة العبيدية بالقاهرة مما دفع المعز الى زيادة الالتحام باهل افريقية استعدادا لما يخفيه له بنوعبيد. ثم يموت الحاكم سنة 411هـ ويتولى بعده الظاهر (411ـ 427هـ). ثم يموت هو أيضا فيخلفه المستنصر معد ابوتميم (427هـ ـ487هـ) والذى في عهده ازداد الشرخ اتساعا بين الدولة والامارة. ولادل على ذلك من أمر المعز بن باديس بقطع الخطبه على المنابر باسم المستنصر العلوى وخطب للقائم العباسي وكان ذلك سنة 440هـ (3). ولما علم المستنصر العلوى بذلك بعث للمعز يهدده ويتوعده فاغلظ له المعز في الجواب وعندئذ لم يجد العلوى ما ينتقم به من افريقية السنية سوى ان يرميها ببني هلال حيث يحاصرون القيروان سنة 446هـ. وعلى الرغم من ان المعز قد احسن اليهم ومما يقال ان وزير المستنصر العلوى الذى كانت بينه وبين المعز عداوة قد كتب رسالة الى المعز قبيل وصول بني هلال الى افريقية جاء فيها (اما بعد: فقد ارسلنا اليكم خيولا وحملنا عليها رجالا فحولا ليقضي الله امرا كان مفعولا) (4). وان انتصر بنو هلال على جيش المعز الا ان ذلك لم ينقص من بطولته ولم يمس من كرامته مصداق ذلك ما قاله احد شعراء ذلك الزمان (5):

وان ابن باديس لافضل مالك	ولكن لعمرى ما لديه رجال
ثلاثون الفا منهم غلبتهم	ثلاثة آلاف ان ذا لمحال.

---

(1) الكامل لابن الاثير 9/54

(2) " " 9/294

(3) " " 9/566

(4) " " 9/566

(5) " " 9/568

هذه صورة موجزة لما كانت عليه افريقية طوال القرنين الثالث والرابع بقطع النظر عما سبق سنة 296هـ من احداث وما جاء بعد القرن الرابع من احداث لانه كما قلت : اذا كان السابق اساسا للحاضر فان اللاحق هو نتيجة للحاضر. وعلى كل فان حالة الاضطراب هذه لم تكن خاصة بافريقية بل كانت عامة في جميع انحاء العالم الاسلامي وتكاثر الانفصال عن الدولة العباسية اذ بالاضافة الى انفصال الاندلس والادارسة قديما انفصلت اراضي ماوراء النهر حيث تأسست الدولة السامانية اما في غرب بغداد فكانت الامارة الحمدانية وبمصر الاخشيديون وبافريقية والمغرب العبيديون كما هناك امارات اقل قيمة من السابقة كامارة بني مدرار السنية بسجلماسة وامارة بني رستم الخارجية في تهارت .. الى بل في وقت لاحق من القرن الرابع يتنصب بنو بويه في بغداد ولم يعد للحاكم العباسي سوى الدعاء على المنابر وهكذا اصبحت الحالة سيئة في كل هذه الامارات ما عدا دولة الفواطم التي كانت اقواهم حيث منعت من ذكر اسم الحاكم العباسي على منابر حواضر افريقيا منذ 297هـ . ثم منعته بعد ذلك في مصر والشام وغيرها من الاراضي التي استولت عليها هذا بالاضافة الى انقطاع الروابط السياسية بين الاقاليم الاسلامية التي انقلبت الى كيانات هزيلة متضاربه متطاحنه مما جرأ الروم وغيرهم عليها يقول الاستاذ الخضري " في هذا الدور انقطعت الروابط السياسية بين الاقاليم الاسلامية فاذا ابتدأت بالمغرب وجدت في الاندلس بني امية يقودهم عبد الرحمن الناصر (350هـ) تسمى بامير المؤمنين لما احس بضعف الدولة العباسية وفي شمال افريقيا وجدت الشيعة الاسماعيلية قد اسسوا لهم دولة باسم الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي الفاطمي الذي تسمى بامير المؤمنين وجعل مقره مدينة المهدية التي اسسها بالقرب من تونس ووجدت بمصر محمد الاخشيد يدعو لبني العباس ووجدت باليمن الشيعة الزيدية قد رسخت اقدامهم فيها ووجدت في بغداد دولة الديلم المعروفة بدولة بني بويه صاحبة السلطان الفعلي ولبني العباس مجرد الاسم ووجدت بالمشرق الدولة السامانية قاعدتها بخارى لما وراء النهر) (1) وهكذا كان العالم الاسلامي قد اشتعلت ارضه بنار الفتن وحمي وطيسها خاصة بين بني العباس الذين كانوا يحلمون بامجاد ابي جعفر المنصور والرشيد والمأمون وبين الفواطم الذين لم يغفروا لاجدادبني عمومتهم مجزرة الفجة بمكة ومقتلة المدينة وغيرهما كثير .

هذه صورة موجزة عن الاوضاع السياسية خلال قرون طويلة بدأتها باوائل القرن الثاني مركزا على اهم الاحداث وتعمقت في احداث القرن الرابع ونهاية الثالث ثم انهيتها باحداث النصف الاول من القرن الخامس وكنت مضطرا الى ذلك لان الحدث التاريخي لايموت بفواته زمن وقوعه بل قد يكون له تاثير على ما ياتي بعده . وهذا ما لاحظناه في الاسباب التي ترتبت عنها انبعاث دولة الفواطم وغيرها من الدول والامارات . يقول الاستاذ د . عبد الرحمن ياغي (واما الزمان فاهميته ليست تقوم بتلك الحدود التي رسمتها لنا الارقام السنوية وانما تتضح لنا بما يقع فيها من احداث وما يجرى فيها من شؤون تتصل بحياة الافراد وتؤثر في حياة الجماعات وتتناول الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والادبية (2) . وبذلك نكون قد المعنا بايجاز بالاحداث السياسية التي لها تاثير كبير على مجالات أخرى من الحياة .

---

(1) تاريخ التشريع الاسلامي ص 232 . الخضري المكتبة

(2) حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ص 11

ب : الحياة الاقتصادية والاجتماعية :

ليس هناك خلاف حول الحياة السياسية من تاثير عميق فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية اذ بقدر مايعم الاستقرار السياسى بقدرما يتوفر الاطمئنان الاجتماعى ويزداد النماء الاقتصادى ذلك ان المجتمع البشرى اذا ما احس بالسلم اندفع فطريا الى بناء اقتصاده بتنمية موارده و تحقيق ضروريات المعاش وكماليات الحياة على حد السواء .

اننا لو طبقنا هذا المذهب على الحياة الاجتماعية والاقتصادية بافريقية العبيدية وجدنا انفسنا اننا غير مجانبين للصواب فى الذى قلنا واليه ذهبنا وبصحته اعتقدنا .

أ :

1 : الحياة الاجتماعية :

لم يكن المجتمع بافريقية والمغرب مجتمعا منعزلا عن غيره من المجتمعات ما قرب منها له وما بعد منها عنه . اذ كانت له مع الشرق علاقات سببتها العقيدة الاسلامية المشتركة و متنتها حركة الفتوحات بما اوجدته من اخوة فى السلاح ألم تكن اغلبية الجند الفاتحين للاندلس وصقلية من البربر؟ وقد شهرتها الرحلات العلمية المتبادلة بين المغرب والمشرق حتى قيل ان امام دار الهجرة عرض على ابن غانم تزويجه ابنته (1) . اولم يكن من بين علماء القيروان وتونس مشارقة من خرسان وفارس كاسد بن الفرات (213هـ) وعلى بن زياد (135هـ) وعبد الله بن فروخ الفارسى (176هـ) . بل كان سكانها العرب من اليمن والانصار، وقوتها التجارة التى لم تكن حركتها تعرف الانقطاع . وبمرور الزمن انصهر المجتمع الافريقى البربرى والمجتمع الاسلامى المشرقى فى بوتقة واحدة لغتها العربية ودينها الاسلام . مصداق ذلك ما ورد (ان العامل الهام فى تغيير الجنس كان غزوة بنى هلال ثم بنى سليم حتى أصبح من المستحيل التمييز بين قبائل العرب وقبائل البربر حتى ان اللهجات البربرية أخذت تختفى (2) .

ومثل ما كان لهذا المجتمع علاقات متينة مع المشرق الاسلامى كانت له علاقات اخوية مع بلاد الاندلس متنتها القوافل التجارية ودعمتها الرحلة فى طلب العلم او نشره وحافظت على استمراريتها وحدة العقيدة ووحدة الجنس ووحدة المدرسة الفقهية اذ كان الجميع موالك وكان الغالب عليهم العقيدة الاشعرية السنية .

هذه العلاقة المتينة يفسرها انتقال اغلب أهل الاندلس الى بلاد افريقية والمغرب عند ما اخرجوا من ارضهم إبان ماساة فقدان الاندلس .

(1) معالم الايمان 1/304

(2) دائرة المعارف الاسلامية م3/ 172 - ترجمة احمد ثابت الفندي وجماعة

وكانت لهم أيضا علاقات اجتماعية مع جيرانهم فى الشمال منذ اقدم العصور وقد دعم هذه العلاقات الفتح الاسلامى لصقلية وجنوب ايطاليا فكان التبادل التجارى وكان التعاون العلمي وكان ما ينتج عن هذا التبادل والتعاون من علاقات ودية بين الافراد والجماعات وقد ترك العرب الافارقة بصماتهم على مجتمع جنوب ايطاليا حيث لا زالت آثارها واضحة للعيان حتى فى عصرنا الحديث (1) .

أما فى الجنوب فقد ارتبط مجتمع افريقية والمغرب بعلاقات حميمة مع دول ما وراء الصحراء غربها وشرقها اذ كانت هذه المناطق مصدرا لثروات عظيمة وتجارات رابحة كتجارة العبيد والملح والذهب وغيرها من المنتوجات وكانت لبلاد سجلماسة وأودغست وبلاد السودان علاقات اجتماعية وثيقة مع مجتمع افريقية والمغرب من ذلك ما ورد فى ترجمة ابي يزيد الخارجي من كونه وُلد بالسودان لجارية هوارية اذ كان ابوه يختلف للتجارة الى هذه البلاد (2) . وما وجود العنصر الاسود بافريقية الا اثر من اثار هذا الترابط الاجتماعي .

ومما قوّى هذه الروابط الاجتماعية بين افريقية وما جاورها بعيدا كان او قريبا موقع القيروان كنقطة لقاء ومحط رحال قوافل الحجيج والتجار المشارقة او المغربة العابرة للبحر او القادمة من الصحراء .

أما اذا القينا نظرة فاحصة على الحياة الاجتماعية داخل المجتمع نفسه ونوعية العلاقات التى تربط بين افراده من ناحية ثم بينهم وبين السلطة الحاكمة من ناحية أخرى نجد : ان للحياة الاجتماعية هناك نفس السمة التى اتّسمت بها الحياة الاجتماعية فى المجتمعات الاسلامية العربية الاخرى . فقد قامت حلقات الجدل والمناظرة بين الفرق الاسلامية من معتزلة وخوارج وسنة وشيعة اذ هناك من جلة من العلماء لما قامت قضية خلق القرآن وهناك من تولى الرد على مزاعم المعتزلة كما فعل ابو محمد عبد الله بن ابي زيد القيروانى فى رده على رسالة المعتزلي (3) . ومثل ذلك خلافهم حول هل يجوز ان يقول الانسان انا مؤمن ان شاء الله ام لا ؟ وقد اختلف فى ذلك ابن عبدوس وابن سحنون ثم وقع الخلاف فى زمن هذا الشيخ — محمد بن التبان — وهو هل يجوز ان يقول انا مؤمن عند الله ام لا ؟ فجوزه محمد بن التبان وقال بقوله جماعة وخالفه ابو محمد بن ابي زيد وانكر عليه ذلك وقال انما يقال ان كانت سريرتك مثل علانيتك فانت مؤمن ووافقه على ذلك اكثر القرويين) (4) .

وكان الخلاف بين الخوارج واهل السنة ، وكان الجدال العنيف بين السنة والشيعة ، مما سنتعرض اليه عند الحديث عن سمات الحياة الفكرية للمجتمع القيروانى (5) . وكان هناك خلاف اقل حدة من سابقه هو الخلاف بين المدارس الفقهية من مالكية واحناف وهو خلاف ناتج عن تنوع المدارس

---

(1) حياة القيروان ص 71 - 72 - نقلا عن العرب والروم تاليف : فازيليف ترجمة د. شعيرة دار الفكر العربي ص 24 - 26

(2) الكامل لابن الاثير 8 / 424-426 . انظر ايضا كتاب الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب الاسلامي فى القرنين الثالث والرابع للدكتور الحبيب الجنحاني ط تونس 1978 . حيث تحدث عن اهم المراكز التجارية .

(3) ترتيب المدارك 4 / 494

(4) معالم الايمان 3 / 95

(5) هذا البحث ص : 31 - 49 .

والتكوين لطلبة القيروان حتى اننا واجدون في ترجمة الامام سحنون انه كان اول من فرق أهل البدع من المساجد واول من ابتنى بيتا في المسجد ليحكم فيها بين المتخاصمين وقلده في ذلك قضاة المالكية الذين جاؤوا بعده اما اذا تولى قاضي حنفي فانه يقوم بهدمها (1) وكذلك ما نجده في ترجمة جبلة ابن حمود والتقائه بابن عبدون القاضي الحنفي (2) الى غير ذلك من علاقات تنم عن خلافات غير حادة الا انها موجودة ، وقد تأخذ العلاقات الاجتماعية في بعض الاحيان طابع العنف شكلا كما حدث في ثورة الفقهاء سنة 333هـ. (3) اوفي ثورة العامة سنة 296هـ. (4) اثناء نهبهم لقصور رقادة الاغلبية بعد مغادرة زيادة الله لها اوفي مجزرة الشيعة سنة 407هـ. (5) . ان كل هذه الاحداث وغيرها كلقاءات العلماء بمسجد السبت وغيره من مساجد القيروان للمذاكرة العلمية ولدراسة الاوضاع الاجتماعية مما أوجست منه السلطة الشيعية خيفة حينكانت ترصد مثل هذه التنقلات وتتابع احداثها اولا بأول ، ومثل ذلك سعي القضاة والعلماء بدفع من العامة التي لا يغيب عنها شيء الى الحد من امتلاك القواد والموظفين الكبار للعبيد والاماء وغيرها من الاموال وحياة سحنون القاضي وحماس القاضي وجبلة ابن حمود (6) لاكبر دليل على ان المجتمع القيرواني كان مجتمعا متقدما فكريا ناضجا اجتماعيا مطلعا على خفايا الامور مما جعله يمتلك ثقافة سياسية عميقة وواضحة الرؤيا ، هذا بالاضافة الى تماسك اغلبيته لاشتراكهم في العقيدة السنية واتحادهم في المذهب الفقهي السني .

لهذا كله حق للدكتور باغي ان يقول (كل هذه العوامل كانت لبنات في حياة القوم الاجتماعية والحضارية اثرت في حياتهم الاقتصادية واثرت في اللغة والادب واثرت في المرأة واثرت في غير ذلك من شؤون الحياة اثرا خفيا حينا وظاهرا احيانا أخرى (7) .

---

(1) معالم الايمان 2/77-78 . انظر ترجمة الامام سحنون في هذا البحث ص:

(2) " " 2/274

(3) " " 3/33-34

(4) الكامل لابن الاثير 8/46

(5) " " 9/294

(6) ترتيب المدارك 3/247-254

(7) حياة القيروان ص 73-74

2) الحياة الاقتصاديــــة :

لقد سبق ان قلت ان النط الاقتصادى يقتضى وجوبا وجود الاطمئنان الاجتماعي والامن داخل البنية الاجتماعية وذلك لان الانسان هو المحرك للاقتصاد اذلا رغيف بدون فلاح ولا محراث بدون حداد ولا بضاعة بدون تاجر، ولهذا فتطور الاقتصاد متوقف على هدى توفر السلم الاجتماعية وذلك لان الفلاح والصانع والتاجر هم لبنات مهمة فى بنية المجتمع. فاذا سلمنا بهذا يكون لزاما علينا ان ندرس مصادر الاقتصاد ببلاد افريقية والمغرب حتى نعرف اهميـــة مواردها ومدى قدرتها على توفير الامن الغذائى لاهلها ومدى عدالة حكامها فى توزيع الثروة الاقتصادية على افراد هذا المجتمع فنقول يقوم الاقتصاد بافريقية والمغرب على مصدرين هاميــن وموردين اساسيين وهما الزراعة وما تبعها من تصنيع للانتاج الفلاحى، وكذلك التجـــارة وما يترتب عنها من ترويج للبضائع فلاحية كانت او صناعية. أما فيما يخص المجال الفلاحى فقــد ساعد على ازدهاره مناخ معتدل وثروة مائية قادرة على ارواء اراضى شاسعة صالحة للانتـــاج الفلاحى ومراع خصبة وفرت لهذا القطر ثروة حيوانية مهمة ولقد عرفت سهول تونس وماجاورها شمالا وجنوبا بالخضرة الدائمة منذ اقدم العصور حتى نعتها قدماء الروما ن بمطمورة رومـــة ومثل ذلك سهول القيروان وماكانت تزخر به من انتاج فلاحى وماكان متوفرا فيها من مياه يجرى بها نهرا هازرود ومرق الليل وقد وصف خصوبتها المؤرخون القدامى من امثال ابن حوقـــل ومن بعده البكري والادريسى بانها مناطق عامرة ذات انتاج زراعى جيد وغزير حتى قال البكـرى فى حديثه عن سهول القيروان الغربية المعروفة بفحص الدرارة انها تنبت فى بعض الاحيان ~~فاتى~~ مائة ضعف ما يبذرفيها (1) اما لوانطلقنا جنوبا فاننا سوف نصل الى واحات الجريد ونفـزاوة وماكانت تزخر به تلك الواحات من انتاج غزير لمادة التمور وغيرها من البقول والخضروات فـــى بساتين لاتخترقها اشعة الشمس لتشابك اغصان اشجارها، حتى قال البكرى أيضا ان الفحص مـــن التمور يخرج منها يوميا (2). اما اذا ما اتجهنا شرق الجريد فاننا سوف نصل الى غابـــات الزياتين من ارض صفاقس وماحولها وهى غابات عرفت منذ القديم بغزارة انتاجها وجودتــه مثلها فى ذلك مثل منطقة الساحل الشرقي، حتى قيل ان سفن المسلمين والنصارى كانت تزدحـــم فى مياه ميناء صفاقس لاشتراء الزيوت والاتجار فيه مع البلدان الاخرى مثل ايطاليا وغيرها بل يقال ان أهل بيزة قد جعلوا لانفسهم فندقا بصفاقس لاشتراء الزيت وغيره من البضائع مما يدل علـــى وجود علاقات تجارية نشطة بينهم وبين احدى حواضر افريقية القيروان (3). ولم يتناقص هـــذا الانتاج الزراعى من زيت الزيتون بصفاقس الابعد تخريبة بنى هلال الذين عاثوا فى تلك الغـابـات فســـادا.

---

(1) المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك للبكرى ص 222

(2) " " " " " " ص 48

(3) حياة القيروان ص 76

وقد ارتبط بالانتاج الزراعي صناعة متطورة ومتقنة وجيدة الصنع هي صناعة الزرابي والبسط والثياب الصوفية والقطنية والحريرية . وكانت تونس والقيروان والمنصورية وبلاد الجريد وصفاقس وسوسه والمهدية من اهم حواضر افريقية القيروان في هذه الصناعة التي اشتهرت شهرة عالمية ولازالت الى الآن حتى غدا الطابع القيرواني على الزربية دليل الجودة والاتقان .

كما كانت مدن الشواطئ الافريقية مصدرا مهما في تجارة الاسماك والانتاج البحري مثل بنزرت وتونس والمهدية وصفاقس وقابس وجربة ... الخ. ذكر المؤرخون ان مدينة بنزرت مثلا كانت مدينة تجارية جميلة وان تجارة الاسماك بها كانت تجارة لها رواج (1) .

ان هذه النهضة الاقتصادية من تجارة وصناعة وفلاحة قد استفاد منها أولا وبالذات الامير الحاكم ومن دار في فلكه بسبب كثرة الضرائب وارتفاع مقاديرها ، وتنوع المكوس والشدة في جمعها يضاف الى ذلك المصادرات العشوائية لاموال الناس حتى قيل ان جباة الضرايب العبيديين قد اغتصبوا اربعمائة ألف دينار من سكان مدينتي المنصورية والقيروان في مدة واحدة (2) .

ويذكر البكري ان المكوس التي كانت تجبى عند باب المنصورية قد بلغت ستة وعشرين ألف درهم في اليوم (3) . ولا استبعد ان تكون مثل هذه التصرفات من قبل السلطة الحاكمة العبيدية وغيرها هي التي عمقت كراهية الافارقة للفواطم بصفة خاصة ولمن جاء بعدهم من دون بصفة عامة ولهذا رأينا عديد الثورات والانتفاضات في العهد العبيدي ثم توجت ذلك كله انتفاضة 407هـ حيث اشفوا غليلهم ممن بقي من شيعة الروافض بالقيروان في تلك المذبحة المعروفة .

نعم لقد احب الافارقة ارضهم حبا جعلهم يبدعون في تفجير خيراتها ويتفننون في مضاعفة انتاجها حتى اصبحت الزراعة علما مارسه العلماء ودونوا فيه الكتب والرسائل الم يكن الامام سحنون زراعا لا يشغله الدرس عن خدمة الارض حتى كان بعض تلاميذه يقوم مقامه في حراثة الارض على ان يجلس الشيخ ويتفرغ لمريدي علمه من الطلبه والدارسين (4) ، وقصّة مع يحي بن عمر لهي اقوى حجة على ما نقول (5) . فاذا كان علماء القيروان – وهم القدوة – هذا هو موقفهم من الزراعة فما عسى موقف العامة منها وهم الذين يشعرون بالنفس والنفير الاقتداء بالعالم الفقيه ، ولم يكن علماء القيروان بمبتدعين بل كانوا لسنة رسول صلى الله عليه وسلم ملتزمين وبها آخذين في اقبالهم على فلاحة الارض واستخراج خيراتها (6) .

---

① الادريسي : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس - مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق ص 115 ط. ليدن

② حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ص 72

③ المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب . ص 28 . ط ليدن .

④ ترتيب المدارك 594/2

⑤ = = 610/2

⑥ صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الرابع [كتاب المساقاة والمزارعة] الاحاديث من 1 - 15 . ص 61 - 62 . ط دار الشعب - مصر

وبالاضافة الى هذا كله فقد كانت بافريقية حركة تجارية نشطة بالنظر لموقعها على طريق القوافل مهما كانت وجهتها ومهما تنوع مرامها ومقصدها بالاضافة الى كثرة موانيها وطول شواطئها وقربها من بلاد اروبا التي كانت في ذلك الوقت اقل منها نماء وتحضرا . وكانت القيروان من الامصار الاسلامية التي يحلو فيها العيش بحكم طيب هوائها وقربها من كل بلاد العالم ولهذا كانت اسواق حواضرها زاخرة بالبضائع مكتظة بالسلع مما وفر لاهلها ثروة هائلة الامر الذي دفعهم الى مزيد الانفاق ومزيد الابداع في الهندسة المعمارية لدورهم ومساجدهم ومؤسساتهم العامة ، والى مزيد الاتقان في صناعاتهم والى مزيد الجودة في انتاجهم مصداق ذلك الثروة الطائلة التي جمعها المعز لدين الله الفاطمي حتى قيل انه يوم مغادرته افريقية الى مصر سبك الدنانير الذهبية وصنع منها طواحين حمل كل اثنتين منها على بعير، ولا ادل على ذلك أيضا من بناء الاغالبة مدينة رقادة وما فيها من قصور وكذلك اقامتهم للفسقيه المعروفه باسمهم بالاضافة الى ما حمله معه زيادة الله الاغلبي يوم ان غادر القيروان من اموال وجوار وما تركه كان اكثر بكثير سلمه بعد ذلك ابو عبد الله الشيعي الى عبيد الله المهدي راس الدولة العبيدية بافريقية (1) .

وخلاصة القول ان موقع افريقية القيروان من العالم جعلها ارضا منتجة زراعيا وموقع القيروان من المسالك التجارية وطرقها جعلها مصرا تؤمه القوافل وتناخ في بطاحه وتفرغ ما اثقل كواهلها من السلع والبضائع لتغادره بعد ذلك محمله بالانتاج الفلاحي مثقلة بالانتاج الصناعي ولهذا يقول د . عبد الرحمن ياغي (وتقرأ الى جانب هذا كله للاستاذ آدم متز عن تلك الطرق التي كانت تمر بهذا القطر كالطريق الممتد بين مصر السفلى والسوس الادنى على المحيط الاطلسي والطريق الموصل بين الاندلس والشرق والطريق المتجه للسودان فتتبين لنا الحركة التجارية والغلات الزراعية والنشاط الذي كان يقوم به أهل القطر مما جعل الرخاء المادي ييسر لهم سبل الحياة ويعينهم على قيام حضارة رخية) (2) .

ان ما فعله الاغالبة وخاصة آخر امرائهم زيادة الله ابو مضر الاغلبي وما فعله من بعده المعز لدين الله الفاطمي لهو الصورة الحقيقية للحالة الاقتصادية في افريقية من حيث النماء ولهو ايضا الصورة الحقيقية لتصرف الحاكم ازاء الثروة الوطنية اذ كان لا يرضى الا بنصيب الاسد منها مشركا في ذلك معه من دار في فلكه فنعمت حياته وحياتهم وغاصوا في الترف وغرقوا في وحله حيث اقبل كما اقبلوا على طيب المأكل وجمال الملبس ورفاهية المركب وفتنة المسكن، وقد حوت كتب التاريخ والتراجم ما فيه الغنية والكفاية على ما كانوا فيه ينعمون وبه كلفون وعليه حريصون من ذلك انه كان لابي الفتوح بلكين بن زيري اربعمائة جارية حتى بشر في يوم واحد بميلاد سبعة عشر ولدا من صلبه ، وهذا يحي بن تميم بن المعز يقوم الى مجلس الطعام متكئا على احدى جواريه الكثيرات (3) بل كان لبعض مشاهير الفقهاء بعض ما لمشاهير السياسة من ذلك انه كان لمحمد بن سحنون تسع أسرة لكل سرير سرية يتمتع بها (4) . وما قاله ابن ابي زيد لأحد طلبته عند ما زوجه من جاريته لاقوى دليل على ان هناك من الفقهاء من كان يعيش في بحبوحة العيش من العيش فقد ورد ان ابا محمد قال لطالبه ، لما راى ما عليه من الخوف والارتباك : يابني انما جئتك معتذرا عن تقصيري في حقك انك لم أتم بحمي ماتحتاج اليه وذلك انو لم افتقد انك تحتال الى

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/49

(2) حياة القيروان ص 77

(3) وفيات الاعيان ج 6 ص 212 - ترجمة يحي بن تميم

(4) ترتيب المدارك 3/114

النساء فانك شاب وها انا شيخ احتاج الى الزيادة من ذلك فكيف انت ؟ واما الصبية التى رايتها خارجة من الحمام فانى ربيتها صغيرة لنفسى ...) (1) وفى هذا الشأن نذكر ما كان يغدقه من عطاء على طلبته وما كان يعين به اصحابه وما كان يبعث به الى شيوخ المالكية من اموال وهدايا مما سنفصل فيه القول فى مكانه من هذا البحث بحول الله (2) .

وليس خريبا والحالة الاقتصادية بافريقية كما ذكرنا ان يغرق الحكام ومن دار في فلكهم في الترف اغراقا مريعا بلغ الى حد ان يعقد المعز لدين الله المباريات بين الشعراء فى وصف ساق بها زغب ووصف طعام حفلت به مائدته ... (3) . وكما بالغ هو وغيره فى هذا التبذير بالغ شعراؤه في مدحه حتى كادوا ان يؤلهوه وديوان ابن هانى لا قوى دليل على مانقول ... وكان لهذا الترف ردة فعل اختلف باختلاف الفصائل الاجتماعية منها طائفة مقبلة عليه فرحة به معتبرة اياه من قبيل النعمة متبجحة فى رب انعمت فزد متخذة في الفوز بالمزيد منه المداهنة شعارا والنفاق منهجا وطريقا ويمثل هؤلاء اغلبية من الشعراء وحاشية الامراء واقلية من الفقهاء . اما اغلبية العلماء والفقهاء فقد رفضوه واعتبروه عملا من اعمال الشيطان حيث انبروا المقاومة المترفين حتى ان بعض القضاة قدابوا اخذ مخصصاتهم من خزينه الدولة هروبا من وقوعهم تحت رحمة الحكام . ولا ادل على ذلك من المواقف التى سجلها التاريخ لقضاة أمثال ابى كريب وسحنون ، وحماس القاضى وغيرهم بل هناك من الفقهاء من رفض تولى القضاء رفضا باتا للامر نفسه امثال على بن زياد وعبد الله بن فروخ وجبلة بن حمود ويحي بن عمر وغيرهم ، حتى غدت هذه الفصيلة الرافضة عبارة عن جبهة معارضة قوية الجانب صعبة المراس لم يثنها عن موقفها وعد ولا وعيد ولا ترغيب ولا ترهيب ولذلك كان السلطان يخشاها لتاثيرها فى اوساط الجماهير يقول د . ياغى " وكان لعنف هذه الطبقة من الفقهاء وقوة معارضتهم سلطان على نفوس الناس لانهم لم يكونوا يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم انما كانوا يصدرون عن قلوب صادقة ويتخذون لانفسهم منهجا فى الحياة لا يتعارض وما يومنون به فهم يحيون ما يقولون به ويقولون بما يحيون دون ان يجد العامة منهم تناقضا او رياء او مداهنة) (4) .

ان من يطالع كتب التراجم ليجدها طافحة بمواقف تحدوا فيها ارباب السلطه من ذلك مواقف ابن اللباد وابى العرب وابى الفضل الممسى وقبلهم سعيد الحداد وبعدهم ابو اسحاق السبائى الذى جاءه فى احدى المرات رسول الامير العبيدى فقال الشيخ من هذا؟ فقال انا فلان قال ادخل يا شيطان ما يريد الشيطان؟ اخو الشيطان فلم يكلمه الا بالشيطان " (5) .

---

(1) معالم الايمان 3/114

(2) " " 3/114

(3) البدائع 1/221 ــــــــ حياه القيروان ص78

(4) حياه القيروان دموقف ابن رشيق منها ص80

(5) معالم الايمان ج 3/73

وكذلك محمد ابن التبان الذى كان لسانه على امراء بنى عبيد أشد من وقع السيف المهند والقائمة طويلة والمواقف الشجاعة والرافضة للظلم السياسي والتمايز الاجتماعي أكثر من ان تقع الاحاطة بها في مقدمة لبحث لانها نفسها تقتضي بحثا مستقلا يعطي صورة حقيقية لجهاد هؤلاء الاتقياء الصادقين الذين لايخشون الا الله .

الى هذا الحد مارأينا الا الصورة الباسمة لافريقية المتطورة اجتماعيا والناهضة اقتصاديا ولكن لا يمنع ذلك من رؤية صور أخرى قاتمة حزينة نتيجة للارتجاجات الاجتماعية والكساد الاقتصادي دفعت باهلها الى مغادرة ارضها والهجرة الى غيرها من البلدان والولايات المجاورة . من ذلك ما شاهدته المهدية اثناء محاصرة ابي يزيد الخارجي لها من قلة في الطعام وندرة في وسائل العيش حتى ان اهلها تركوها الى طرابلس وصقلية وغيرهما من البلدان واضطر اميرها العلوي عندئذ الى اشهار ما كان مدخرا من المؤن وتوزيعها ~~ضمن حوادث~~ على اهل عاصمته الجياع ويذكر لنا المؤرخان ابن الاثير والدباغ اخبارا عن هذا الكساد الاقتصادي ضمن حوادث 395هـ . فقد ذكر الاول أن غلاء شديدا قد انتاب افريقية في هذه السنة ادى الى تعطيل المخابز وغلق الحمامات وذهبت الاموال وهلك الناس وكثر الوباء وانتشرت الامراض حتى كان عدد الموتى يصل يوميا مابين 500 و 700 نفس (1) .

أما الدباغ فيقول (ثم دخلت سنة 395هـ . فكان في هذه السنة قحط شديد وموت ذريع حتى خلت البوادي واكثر الحواضر وخلت الاسواق والمساجد وعدمت البهائم فمات في هذه السنة عدد كثير من العلماء والصلحاء . قلت : زاد غيره وتحول كثير من وجوه الناس فضلا عن عامتهم وسوقتهم وأهل البوادي الى جزيرة صقلية لرخاء سعرها وامن سبيلها وعدل سلطانها) (2) .

وعلى كل فلا تخلو الحياة في بلاد افريقية والمغرب من المتناقضات اذ شاهدت الامن والرعب والسلم والاضطراب وكان فيها الترف والتبذير والاملاق وقلة ذات اليد ومرت بها سنوات سمان وأخرى عجاف وعرفت الغنى وذاقت الفقر وشاهدت الزهد والتقيد والمروق والعصيان ، وحكمها أهل العدل وأهل الطغيان هذا التناقض هو الذى اعطى للحياة الاجتماعية صفتها المميزة وهو الذي مد الحياة الاقتصادية . بمقومات جعلتها قادرة في بعض الاحيان على توفير الرخاء للمجتمع وعاجزة احيانا أخرى ذات بايجاز قد يكون مختصرا لما كانت عليه الحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر الذي يعاش فيه شيخنا ابو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني .

---

(1) الكامل لابن الاثير حوادث 395 .

(2) معالم الايمان 3/127

ج ـ الحياة الفكرية :

وان كانت الحياة الفكرية اولى بالتقديم عن غيرها باعتبارها المؤثر الاول في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية على اساس ان دور العلماء في ذلك يعتبر حجر الزاوية في كل استقرار سياسي وعدل اجتماعي ونهضة اقتصادية ولذلك حاولت فيما سبق ان لا امر بدون ان اشير الى هذا الدور في الاحداث السياسية والتململات الاجتماعية ومظاهر النماء والكساد الاقتصادي . وانما اخرت الحديث عنها الى هذا الموقع من البحث حتى يسهل علينا ربطها بشخصية العالم المفكر والمقصود ببحثنا هذا .

وعلى كل فان دراسة الحياة الفكرية في بلاد افريقية والمغرب وابراز ملامحها يقتضي التركيز على دراسة ما كان يعلّم في دور العلم من معارف وما كان منتشرا في الوسط الاجتماعي من النماذج والانماط الثقافية والتي كان يستوي في الاقبال عليها العالم والمثقف والمعلم وما دون هؤلاء من العامة .

وحتى يمكن لنا ان نكوّن فكرة عن هذا كله لابد ان نستعرض ما كان فائزا باقبالهم وحائزا على رضاهم وجالبا لانتباههم . الا ان هذا الفائز والحائز والجالب شيء كثير يتجاوز ما هو مطلوب من مقدمة وضعت لابراز ملامح دون الغوص الى في اعماق الحياة الفكرية والتي تقتضي وحدها مؤلفا مستقلا . وحتى تجتنب هذه المقدمة السطحية وتبتعد عن الاطالة عمدت الى استعراض ملامح الحياة الفكرية من خلال الحديث عن كل فن داخل الاطار العلمي الذي ينتمي اليه . مكتفيا بمشاهير العلماء دون غيرهم ذاكرا مناهجهم ونظرياتهم وآثارهم التي دونوا فيها هذه النظريات وبرز من خلالها مناهجهم . فوجدت اولى بالتقديم العلوم العقلية من علم كلام وفلسفة ورياضيات ثم العلوم الانسانية من لغة وتاريخ وتراجم ثم العلوم التطبيقية من طب وصيدلة ثم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وقد أخرتها بغرض ربطها بما بعدها والذي يعتبر بوابة للبحث .

1) العلوم العقلية

ان من اهم العلوم العقلية التي اختصت بها الحضارة الاسلامية وتميزت بها عن غيرها

أ ـ علم الكلام :

وهو علم الكلام والذي يعتبر وليد البيئة الاسلامية منذ بداية العهد الاول عند ما اختلف الناس حول الامامة، ومجال البحث فيه يبدأ بايمان الباحث بالقضية المطروحة على بساط البحث ثم ينطلق مدعما ايمانه بها بالادلة والبراهين العقلية مستعملا في ذلك منهجا يبدأ بالمحسوس ثم شبهه ثم المجرد وقد رأى هذا العلم تطورا على ايدي المعتزلة عندما اختلف واصل بن عطاء مع الحسن البصري حول مرتكب الكبيرة الذي اثبتت له المعتزلة المنزلة بين المنزلتين، ويزداد مجال هذا العلم عمقا عند ما ترجمت الفلسفة اليونانية ومنطقها الصوري . ثم بمرور الزمن وتكاثر الاحداث التي شاهدتها ساحة المجتمع الاسلامي منذ قتل عثمان ذي النورين وما وقع من خلاف بين علي ومعاوية تكاثرت الفرق الكلامية التي هي في حقيقتها احزاب سياسية تسربلت بسربال الدين وطفقت كل فرقة تبحث في الكتاب والسنة مستخرجة النصوص التي تدعم مذهبها مستعملة في السرد اثناء الجدال والمناظرة المنطق الصوري كنهج وقد غالت المعتزلة في الاعتماد على العقل الى درجة ان قالت بالحسن والقبح العقليين فيما يخص افعال العباد ... وسلطت العقل على الصفات الالهية كالعدل والقدرة والكلام الى آخر ما هو مبسوط في كتب الملل والنحل . والذي يهمنا هو ان بلاد افريقية والمغرب قد كان لها علم بهذه الخلافات بل ومارسها مجتمعها في حلقات الجدل والمناظرة منذ ان وطئت اقدام بعض الدعاة من اصحاب الملل والنحل أرضها وكانت الخوارج من اقدم الفرق وجودا في هذه الديار

ثم تلتها المعتزلة التي دعمت في بعض الاحيان من طرف الاغالبة ثم كانت الشيعة الاسماعلية . الا ان الاشاعرة كانوا هم المنتصرون دائما وان كان يعتريهم الضعف عند ما تتدخل السلطة الى جانب كل فرقة من الفرق المذكورة والتي عادة ما تكون محمية من طرف من له سلطان على الارض الافريقية كبني رستم في تهارت او ابي يزيد الخارجي بالنسبة لفرق الخوارج وكبعض امراء بني الاغلب بالنسبة للمعتزلة وكالدولة العبيدية بالنسبة للشيعة الاسماعلية .

والذي يجدر بنا التنبيه اليه ان الوضع الاجتماعي بافريقية كان يختلف تماما على ما هو عليه بالمشرق ولذلك فان دور هذه الفرق دورا ثانويا وكان تاثيرها الفكري باهتا اذ لم يترك بصماته على الصفحة الفكرية والاجتماعية لافارقة ، والحق اعتقد ان ذلك يعود في اكثره الى الاثر الفكري الذي تركه اوائل الفاتحين من صحابة وتابعين في العقل الافريقي المغربي هذا من ناحية ومن أخرى الى ما تركه أيضا فقهاء التابعين العشرة وتلاميذهم من أثر في توجيه الفكر العقائدي من حيث تمسكه بالاسلام النقي كما جاء في القرآن والسنة .

وعلى كل فقد كان للخوارج وجود فكري بالقيروان ومدى بحواضرها وخاصة في جبال البربر حتى وصل بهم الامر الى تكوين دولة بني رستم والتي عمرت اكثر من 160 سنة وكانت لهم أيضا ثورة بقيادة أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار والتي كادت ان تدك صرح دولة بني عبيد الناشئة . وقبل هذا النشأة بمائة عام تقريبا نجد الجدال مشتدا بين المجتمع القيرواني السني والخوارج الذين لم يتوانوا بعضهم من استعمال السيف ضد الاغالبة من ذلك ثورة القويبع على محمد بن الاغلب والظاهر انها كانت ثورة شديدة حتى أشار بعض القواد على الامير الاغلبي بالاستعانة بالامام سحنون لانه صاحب الكلمة المسموعة لدى العامة فقد ورد : ان قال بعض القواد : اليوم يستمكن من سحنون اما يخسر دينه أو دنياه فقالوا للامير سحنون داعيه مطاع فأمره يتصرك على هذا الخارجي فبعث فيه الامير واعلمه بالامر واستشاره في قتاله وان يعلم الناس بفرض ذلك عليهم فقال سحنون غضب من كل على هذا متى كانت القضاة تشاور الملوك في صلاح سلطانها ؟ ونهض من عنده) (1) . والظاهر ان سحنون لم يشأ ان يتورط في هذه القضية بالنظر الى تباين المواقف العقائدية بينه وبين الاغالبة لانهم كانوا معتزلة حتى انهم ابوا الصلاة عليه لما توفي لانه كان يكفرهم فقد جاء (واستعفى رجال ابن الاغلب في الصلاة عليه وقالوا قد علمت مابيننا وبينه وانه كان يكفرنا ونكفره لان اكثرهم كانوا معتزلة وانما خرجنا طاعة لك فان صلينا عليه راى الناس انا رضينا حاله فاعفاهم وتقدم فصلى في عبيده وعامة اهل السنة وصلاة المسلمين (2

---

(1) تراجم اغلبية ص 109

(2) ترتيب المدارك 2/624

ومع ذلك فقد كان الامام سحنون من اشد قضاة اهل السنة على اهل الصفرية البدع والضلالات اذ ورد انه (اول القضاة فرق حلق اهل البدع وشرد اهل الاهواء منه وكانوا فيه حلقا من الصفرية والاباضية المغيرية وكانوا منه حلقا يتناظرون فيه ـ الجامع ـ ويظهرون زيغهم وعزلهم ان يكونوا ائمة المسلمين او معلمين لصبيانهم ، او مؤذنين وامرهم ان لا يجتمعوا وادب جماعة منهم بعد هذا .

خالفوا امره وأطافهم وتوب جماعة منهم فكان يقيم من اظهر التوبة منهم على البسوا (كذا ...) وغيره فيعلن بتوبته عن بدعته) (1) .

اما طائفة أهل الاعتزال فقد عرفتها القيروان منذ النصف الاول من القرن الثاني فقد ورد ان المعتزلة كانت تدعي ان ابن فروخ منها غير انه لما سئل عن ذلك لعنهم ولما قال له سائله : وفيهم قوم صالحون فقال له ويحك وهل فيهم رجل صالح (2) . وورد أيضا ان ابن فروخ كتب الى مالك يخبره : ان بلدنا كثير البدع وأنه الف لهم كلاما في الرد عليهم فكتب اليه مالك : ان ظننت ذلك بنفسك خفت ان تزل وتهلك لا يرد عليهم الا من كان ضابطا عارفا بما يقول لهم ولا يقدرون ان يعرجوا عليه فهذا لا بأس به اما غير ذلك فاني أخاف ان يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطائه او يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك) (3) .

وتشاهد افريقية ما يعرف في تاريخ علم العقائد والكلام بقضية خلق القرآن والتي ذهب ضحيتها علماء كثيرون وبلغت اصداء هذه المحنة مدينة القيروان من ذلك ان سحنون سئل : يقولون ان اسدا قال بخلق القرآن فقال والله ما قاله) (4) . وقال داود بن يحي (رايت اسدا يعرض التفسير فتلا هذه الآية : فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدوني) فقال اسد ويح اهل البدع هلكت هوالكهم يزعمون ان الله خلق العدو كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق انني انا الله ... الاية قال يحي بن سلام حدث اسد يوما بحديث الدومة وسليمان البراء المعتزلي في آخر المجلس فانكر فسمع أسد فقام حتى اليه وجمع بين طوقيه ولحيته واستقبله بنعله فضربه حتى أدماه وطرده من مجلسه وقيل بل كان يقرأ عليه في تفسير المسيب بن شريك [وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة] وسليمان حاضر فقال من الانتظار يا ابا عبد الله فأخذ اسد بتلابيبه ونعلا غليظة بيده الاخرى وقال يازنديق لتقولنها او لا تبصر بها عينيك فقال سليمان نعم تنظر) (5) .

وتذكر لنا كتب التراجم انه في زمن الواثق العباسي امتحن اهل القيروان بمحنة خلق القرآن حتى عزم محمد ابن الاغلب على قتل محمد بن سعيد (6) . وهذا موسى الصمادحي (...226هـ) . يمتحنه قاضي القيروان ابن ابي الجواد المعتزلي فسأله عن القرآن فقال له موسى سمعت فلانا وفلانا وذكر جماعة من اهل العلم يقولون لمن قال القرآن مخلوق فهو كافر . فقال له ابن ابي الجواد لقد اعمى الله قلبك كما اعمى بصرك (7) .

---

(1) ترتيب المدارك 3/600
(2) " " 1/345-346
(3) " " 1/345 - تراجم اغلبيه ص 48
(4) " " 2/473
(5) " " 2/474
(6) معالم الايمان 1/25
(7) ترتيب المدارك 3/7 - 8

ولم يقف القاضي ابن ابي الجواد عند موسى الصمادحي بل تعداه الى سحنون فقد ذكران سحنون حضر جنازة فتقدم ابن ابي الجواد الذي كان قاضيا قبله وكان يذهب الى راى الكوفيين ويقول بالمخلوق فصلى عليها فرجع سحنون ولم يصل خلفه فبلغ ذلك الامير زيادة الله . فامر بان يوجه الى عامل القيروان يضرب سحنون خمسمائة سوط ويحلق رأسه ولحيته فبلغ ذلك وزيره علي بن حميد فامر الوزير البريد ان يتوقف ولطف حتى دخل على الامير وقت القائلة وقد نام ، فقال له ماشيء بلغني في كذا ،قال : لاتفعل فان العكي انما هلك في ضربه للبهلول بن راشد فقال : وهذا مثل البهلول قال : نعم وقد حبست البريد شفقة على الامير فشكره ولم ينفذ امره) (1) .

وورد أيضا (ولما ولي احمد بن الاغلب الامارة وأخذ الناس بالمحنة وخطب به بالقيروان توجه سحنون الى عبد الرحيم الزاهد بقصر زياد فارا فكان عنده فوجه في طلبه الى هناك رجل يقال له ابن السلطان وكان مبغضا في سحنون فظا غليظا اختاره في ذلك فيخيل وجهها معه فلما وصل الى سحنون قال له ابن سلطان - وجهني الامير اليك وقصدني فيك لبغضي فيك لابلغ منك وقد حالت بغيتي عن ذلك وانا ابذل دمي دونك دمك فاذهب حيث شئت من البلاد اواقم فانا معك ،فشكره سحنون وقال له ماكنت اعرضك لهذا . بل اذهب معك وخرج فشيعه أصحابه فقال عبد الرحيم للرسول : قل للأمير اوحشتنا من صاحبنا وأخفينا في هذا الشهر العظيم وكان شهر رمضان سلبك الله ما انت فيه واوحشك منه وفي رواية عرضتني في ضيفي فوالله لاعرضنك على رب العالمين فلما وصل الامير جمع له قواده وقاضيه ابن ابي الجواد وغيره وسأله عن القرآن فقال سحنون اما شيء ابديته في نفسي فلا ولكن سمعت من تعلمت منهم واخذت عنهم كلهم يقولون كلام الله غير مخلوق : فقال ابن ابي الجواد كفى فاقتله ودمه في عنقي وقال غيره مثله ممن يرى رأيه) (2) .الا ان الله نجى سحنون من هذه المحنة برحمة منه .

أما في عهد الدولة العبيدية فقد اكتظت حلقات الجدل واشتدت المناظرات وحمى وطيسها بين أهل السنة والشيعة الروافض وكان اغلب مواضيعها تدور حول افضلية علي عليه غيره من الخلفاء الراشدين واحقهم بالخلافة وقد ارهب الحكام الشيعيون جماهير القيروان وعلماءها من أجل تشريقهم (3) . ولقد سبق ان راينا أنموذجا من هذا الحوار الساخن في اول جمعة صلاها عبيد الله المهدي بالقيروان ورأينا انه تم قتل شيخين من شيوخ اهل السنة في سنة 297هـ. من طرف عبيد الله المهدي وهما ابن البردون (4) . وابن هذيل (5) ويذكران سبب قتل ابن البردون انه كان يقول " كان علي بن ابي طالب رضي الله يقيم الحدود بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعينه على أموره فلو لم يكن عنده امام هدى مستحقا للتقدمة مافعل (6) .

---

(1) ترتيب المدارك 609/2

(2) " " 611-610/2

(3) معالم الايمان 91/3

(4) هو ابو اسحاق ابن حسين الضبي الشهيد المعروف بابن البردون سمع من رجال سحنون كابن مسكين ويحيى بن عمر وكان فقيها يذهب مذهب ابن الحداد في مناظرة الروافض فرماه القاضي الصديني الذي كان يصرح بخلق القرآن فقتله عبيد الله المهدي [297هـ] ترجم له : المعالم 261/2-265 - الديباج ص266-267.

(5) هو ابو بكر ابن هذيل الفقيه سمع من رجال سحنون كيحيى بن عمر وابن حماد وابن مسكين كان زاهدا يعيش من غزل زوجته وسعى به القاضي المروذي الى بني عبيد فقتلوه مع ابن البردون في نفس اليوم . انظر ترجمته في المعالم ج2 ص266-269 الديباج ص267

(6) معالم الايمان 262/2

وكان من اشد علماء القيروان على الشيعة جبله بن حمود وابو الفضل الممسي وربيع القطان وابو اسحاق السبائي وكان من اقواهم حجة ابو عثمان سعيد بن الحداد وابو محمد بن التبان ولولا خشية الاطالة لاوردنا نصوص مناظرات (1) ابن الحداد . وابن التبان (2) . وهي مناظرات اتسمت بدقة التعبير وقوة الحجة وعمق الايمان .

وكان ابو محمد عبد الله بن ابي زيد من العلماء الذين شاركوا في الرد على الفرق الضالة فقد رد على رسالة المعتزلي برسالة عنوانها رسالة في الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي (3) . ورد على البدع الشيعية في منعهم قيام رمضان برسالة عنوانها كتاب في فضل قيام رمضان والاعتكاف (4) . كما رد على الزنادقة من امثال بن مسرة رسالة في الرد عن ابن مسرة المارق (5) . كذلك رد على المتصوفة القائلين بامكانية رؤية الله في الدنيا وما الى ذلك مما لم يأت نص باثباته وكتب في ذلك رسالتين رسالة : كتاب الاستظهار في الرد على البكرية ، وكتاب كشف التلبيس (6) .

وقد سبق ان عرفنا موقفه من قضية هل يجوز ان يقول الانسان انا مؤمن عند الله (7) . وقد اورد محمد ابن الحارث الخشني في كتابه طبقات علماء افريقية بابا سماه : باب تسمية من انتحل النظر وتحلى بالجدل من أهل السنه) (8) . وترجم في هذا الباب لتسعة عشر عالما من ابرزهم محمد بن سحنون وسعيد ابن محمد بن الحداد الذي اورد له اربع مجالس من مناظراته وكذلك ذكر عباس بن عيسى الممسي وقد بدأ بالترجمة لمحمد بن نصر بن حضرم وختم بابه هذا بالترجمة لمحمد المعروف بابن أحد الشركاء ثم علق على ذلك قائلا (هذه تسمية من علمته ينهض في المناظرة والنظر من اهل السنة بالقيروان مما علمته بالخبر وامتحنته بالمشاهدة ممن قد مات او كان حيا) (9) .

ولقد لخص صاحب المعالم ما شاهدته القيروان من ويلات الفرق وما عاشته من رعب وظلم بسبب تعنت الامراء الذين حكموها فيقول (وبالجملة فالذي كان اهل القيروان عليه قديما من قوة الايمان بالله والانتصار للحق والصبر على الاذى في الله والجهاد لاعزاز الدين والقيام بالرد على اهل الاهواء بالدلائل القاطعة والحجج الدامغة لتثبيت عقائد عامة الموحدين فقد ناضلوا بالسيف وجادلوا باللسان في تقرير الدين وتثبيت قواعد اليقين فذلك كله شيء لا يسعه ديوان ولا يمليه لسان قد امتحنوا باستيلاء الخوارج عليهم من الصفرية والاباضية ، وكذلك امتحنوا بخلق القرآن في زمن الواثق وعزم محمد بن

---

(1) طبقات علماء افريقية للخشني 197/6 - 212 - معالم الايمان 298/2 - 309
(2) معالم الايمان 91/3 - 93
(3) ترتيب المدارك 494/4
(4) معالم الايمان 111/3
(5) هداية العارفين المجلد الاول ص 448
(6) ترتيب المدارك 494/4
(7) " " 116/3
(8) طبقات علماء افريقيه 197/6 - 219
(9) " " 219/6

الأغلب على قتل محمد بن سعيد فمازالوا على اعتقاد اهل السنة وصبروا على الاذى فى دين الله وما زادهم الا يقينا وبصيرة فى دينهم ولما استولى العبيديون على افريقية وانضافت اليهم طوائف كثيرة من أهل الشيع الغالية قدموا عليهم من البلاد متوسلين اليهم بحب اهل البيت والتعصب لهم حتى أولوهم الولايات ورفعوا منازلهم ثم اظهروا مذهبهم الفاسد فى سب الصحابة رضوان الله عليهم – وتبديل الشرائع والاضرار باهل السنة مثل محمد بن عمر المروزي لعنه الله وعبد الله بن محمد الكاتب ومحمد بن ابى سعيد حتى كشف الله استارهم فقتلوا بالعذاب .

وبعد ذلك هجم اهل القيروان على هؤلاء الاشرار بعد ما تولى المعز بن باديس فقتلوهم عن آخرهم وطهروا القيروان من رجسهم والحمد لله رب العالمين . ولم يزل أهل القيروان فى جهاد الفرق الضالة والفئة المارقة ولم يزل الشيخ الاوحد ابوعثمان سعيد بن الحداد وابو محمد عبد الله بن اسحاق بن التبان يناظران على مذهب اهل السنة ويرون ذلك من اعظم الجهاد حتى أخمد الله نارهم وقطع عددهم وظهر حزب الحق واعلى الله كلمته والحمد لله رب العالمين)(1) .

2) العلـــوم الانســـانيـــة

1) اللغـــة وآدابهـــا :

لقد كان لهذا الميدان علماء اجلاء فى اللغة وادابها وفى النحو ومدارسه وفى البلاغة مجازها وبيانها وبديعها ، وفى النقد الادبي ومعاهده . وفى التاريخ الادبي مغربيه ومشرقيه ... وكان لهذا الميدان أيضا شعراؤه الفطاحل وناثروه المبدعون . وقد ترك هؤلاء جميعا بصماتهم الظاهرة على الحياة الادبية لا فى القيروان وحدها بل فى كل ارجاء العالم الاسلامى وحواضره وأمصاره ، وذلك بما عرفوا به من دراسات لغوية عميقة من شعر جيد ومن نثر بديع ضارع فى جماله ومتانة اسلوبه ما عرف عند المشارقة فى هذا المجال . وحتى نبدأ كلامنا من اوله علينا ان نتحدث عن مجال الدراسات اللغويه فنقول :

لقد كان للمجتمع القيروانى عامة وعلمائه خاصة عناية شديدة بالدراسات اللغوية دفعهم اليها حرصهم على فهم النصوص الدينية وشعورهم بالانتماء الى امتهم العربية حتى اننا واجدون ان البهلول بن راشد (2) الفقيه العابد يقيم مأدبة عشاء لعلماء القيروان ولما سئل على ذلك اخبر بانه تحقق اليوم من نسبه العربى بواسطة علماء الانساب ، وهي حادثه تنم على مدى تعلق اهل القيروان بالانتماء الى الامة العربية هذا الانتماء جعلهم يتشبثون بهذه اللغة ويضعون فيها المعاجم بعد ان وعوا وحفظوا ما كتبه غيرهم من اخوتهم المشارقة فى هذا المجال ككتاب العين للخليل بن احمد ، والمصنف لابى عبيدة وغيرهما من كتب اللغة المتحجرة (3) .. وعلى سبيل المثال والانموذج فى هذا الميدان آخذ محمد بن جعفر القزاز (412هـ) شيخ اللغة فى المغرب (4) وكان الغالب عليه النحو واللغة والافتنان فى التاليف (5) . واشهر كتاب له فى اللغة : الجامع فى اللغة ، قيل ان العزيز العلوى (الذى حكم من 365-386) قد طلب من الشيخ القزاز أن يولف كتابا يجمع فيه سائر الحروف وان يقصد فى تاليفه الى ذكر الحرف الذي جاء لمعنى .

(1) معالم الايمان 1/24-25

(2) ترتيب المدارك 1/332

(3) حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ص93

(4) " " " ص94

(5) [illegible] ابو شعيشع طبعة 1965 ص 174 - 183 .

وان يجري ما ألفه في ذلك على حروف المعجم ، وقال ابن الجزار ما علمت ان نحويا الف شيئا من النحو على هذا التأليف وقيل انه جمع المفترق من الكتب النفيسه في هذا المعنى على اقصد سبيل واقرب مأخذ واوضح طريق فبلغ جملة الكتاب ألف ورقة ذكر ذلك كله الامير المختار المعروف بالمسبحي في تاريخه الكبير، كما له كتاب التعريض ذكر فيه ما دار بين الناس من المعاريض في كلامهم ، ويذكر له غيره كتبا أخرى مثل التصريح والمعراب الدريديه . . . .

وما أخذ عن المتنبي والضاد والظاء كما يذكر له ادب السلطان والتأدب له في عشرة مجلدات وشرح رسالة البلاغة في عدة مجلدات واثبات معان من شعر المتنبي كما يذكر انه صنف كتاب العشرات في اللغة ذكر منه اللفظة ومعانيها المترادفة ويزيد في بعضها على العشرة وقال في آخره: وعقيبها اجهز كتاب المثلثات (1) . وهناك غير ابو عبد الله القزاز من العلماء الاجلاء الذين برعوا في هذا الميدان مما جعل السوق اللغوية رائجة في افريقية والمغرب تركت الحديث عنه خشية الاطالة .

كما هناك من العلماء من انتحى في الدراسات اللغوية منحى آخر وهو منحى النحو وهو العلم الذي يحفظ اللسان ويستقيم به معنى الكلام وخاصة لما كثر الداخلون الى الاسلام من الامم الاخرى والذين لم تكن لهم دراية باللغة العربية وعلومها . وعلينا ان نتصفح كتب تاريخ الدراسات اللغوية لنتعرف على طبقات النحويين من اهل افريقية والمغرب فنجد ان الزبيدي في طبقاته (2) ذكر ثمانية وعشرين منهم موزعا اياهم على اربع طبقات وكان اشهر هولاء النحاة ابن الوزان . الذي يمثل انتاجه في هذا المجال ما كان عليه علم النحو في النصف الاول من القرن الرابع فقد ذكر كل من الزبيدي في طبقاته المشار اليها والقفطي في انباه رواته ان ابن الوزان حفظ كتبا لغوية كثيرة ككتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي والمصنف لابي عبيدة واصلاح المنطق لابن سكيت والكتاب لسيبويه وكتاب الفراء وغيرها من كتب اللغة وكان ذاميل الى مذهب البصريين في النحو مع احاطته بمذهب اهل الكوفه في نفس الميدان . وكان يفضل المازني في النحو وابن السكيت في اللغة (3) . قال فيه ابو علي بن ابو سعيد (ولو ان قائلا قال انه اعلم من المبرد وثعلب لصدقه من وقف على علمه ونفاذه وسمعت جماعة من جالس ابن النحاس المصري من اهل بلدنا واهل المشرق ثم جالس ابا القاسم بن الوزان يزعمون انه اعلم من ابن النحاس واكمل منظرا وكان من اضبط خلق الله وهو مع ذلك حسن الاستخراج ولقد كان يستخرج من مسائل النحو والعربية امورا لم يتقدمه فيها أحد وكان غاية في استخراج المعمى وقد توفي سنة 346 (4) .

وغير هذا كثيرون وما اظن ان واحدا منهم يصل الى الفهم الدقيق للنصوص الشرعية ولا يكون عارفا بالنحو عالما بفنونه وقواعده من ذلك ما ورد ان الكانشي (347هـ) . وهو احد شيوخ ابن ابي زيد كان عالما بالعربية وعلومها (5) ومنهم أيضا ابو الحسن المؤدب (342) الذي يقول فيه صاحب المعالم : انه كان عالما باختلاف العلماء واتفاقهم مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن (6) ومنهم أيضا ابو عثمان سعيد بن الحداد الذي كان غاية في علم النحو ويحفظ كتاب سيبويه ولم يكن بافريقية اعلم

---

(1) الوافي بالوفيات للصفدي 304/2 . ورقات ج 183/2

(2) حياة القيروان ص 93 نقلا عن طبقات الزبيدي مخطوط عدد 3237 مكتبة القاهرة

(3) انباء الرواة للقفطي تحقيق ابي الفضل ابراهيم 172/2 حياة القيروان ص 93
" 147/2 " " ص 94

(4)

(5) ترتيب المدارك 368/3

50/3

منه بالنحو (1) . وتقرأ في ترجمة ابن ابو زيد (336هـ) ما يلـي :
(... وعذوبة الفاظ وملاحة ايراد وجزالة معان ضربت اليه الاكباد من سائر البلدان ... وورد ايضا فصيح اللسان ذا بيان ومعرفه بط يقوله (2) .
وقد علق الدكتور باغي عن هذه النهضة اللغوية بقوله (وهكذا تعرف الثقافة اللغوية والاتجاه اللغوي والمناهج اللغوية التي كانت تصدر عن امثال هؤلاء من النحويين اللغويين القيروانيين ، ومن تراجمهم يتبين لنا ان معظمهم كانوا شعراء الى جانب علمهم بالنحو واللغة وان بعضا منهم كانوا يقومون بتعليم اولاد السلاطين ورجال السلطان (3) .
اما اذا انتقلنا من هذا الميدان الى ميدان الشعر فانه تصادفنا كثرة كبيرة من الشعراء ولا ادل على ذلك من كثرة الانتاج الشعري في هذه الفترة والذى حفلت به كتب تاريخ الادب العربي بالقيروان بل قد وصل بعض شعراء هذا العصر الى قمة الابداع الفني من حيث عمق المعاني وجزالة الالفاظ وجمال التعبير ويتصدر هؤلاء شاعر العبيديين ابن هاني الاندلسي (362هـ) بل كان الشعراء من الكثرة لا يعدون حتى قيل ان عدد القصائد التي رثي بها محمد بن سحنون (4) (256)هـ . بلغت ثلاثمائة قصيدة وان احدى هذه القصائد بلغت ثلاثمائة بيت وهي للشاعر احمد بن ابي سليمان (5) والتي مطلعها :

الا فابك للاسلام ان كنت باكيا لحزن من الاسلام امسى واهيا .

وكان ابن ابى زيد قد رثى جل شيوخه كاللباد وابي الفضل الممسي (6) بشعر جيد حتى جاء في ترجمته (يقول الشعر ويجيده)(7).
وقد رثاه تلاميذه بمراث كثيرة ذكرت بعضها في موقعها من هذا البحث (8) يقول صاحب المعالم قبل ان يورد مرثيه تلميذه الشقراطسي له . وقد رثي بمراث كثيرة تركتها لشرط الاختصار منها مرثية أبو زكريا يحي بن علي الفقيه الشقراطسي يقول فيها (9) :

خطب الم فعم السهل والجبلا وحادث جل انسى الحادث الجللا
ناع نعى ابن ابي زيد فقلت له اشمسنا كسفت ام بدرنا افلا .

ونفس الحال بالنسبة لقرينه ابي الحسن القابسي حتى ورد (ورثاه الشعراء بنحو مائة مرثية واقيم المبيت على قبره وانشدت المراثي سنة كاملة) (10) .

---

(1) تراجم اغلبية ص 352
(2) معالم الايمان 3 / 110
(3) حياة القيروان ص/96
(4) معالم الايمان ج / 135
(5) ترتيب المدارك 3 / 118
(6) انظر نماذج من ذلك في تراجم شيوخه بهذا البحث
(7) معالم الايمان 3 / 110
(8) انظر فصل : مابن ابي زيد ... ص 302 309
(9) معالم الايمان 3 / 112
(10) " " 3 / 142

والى جانب شعر المراثى هذا هناك الشعر الصوفى ، المعروف عندهم بالرقائق ينشدونه فى مجالسهم وفى رباطاتهم يناجون به خالقهم مما يذكرنا بشعر ابى العتاهية (1) . وذكرت كتب التراجم نماذج من هذا الشعر الروحانى عند ما ترجمت لهؤلاء العلماء العباد المتصوفين من ذلك ما ذكر فى ترجمة ابى عبد الله محمد بن سهل الصوفى (2) (333هـ) . قال ودخل يوما ـ ابن سهل ـ على ابى جعفر بن ابى خالد بالقصر الكبير بالمنستير قال : فقال لى يا ابا عبد الله هات من رقائقك فانشدته :

يا من اذاب فؤادي فى محبته	واحزم النار فى قلبي واحشائى
ما ان ذكرتك الاكنت فى كبدى	بموضع الماء من قلبي واعضائى
ولا ذكرتك فى قوم اسر بهم	الا وجدت لهيبا بين احشائى .

فقام احمد بن أبى خالد يصيح وينوح وقد أخذ بيده وقام معه وهو يقول هكذا قلوب المؤمنين فلما مال تلت ـ يعنى باثر ذلك :

ولا هممت بشرب الماء من عطش	الا وجدت خيالا منك فى الماء
فصاح احمد بن ابى خالد :لالالا	الا وذكرت اروى لي من الماء .

قلت : زاد غيره ووقع احمد بن ابى خالد مغشيا عليه ولم يبق فى وجهه نقطة دم (3) " .
وجاء أيضا فى ترجمة ابى بكر محمد بن سعدون التميمى (4) (268 هـ ـ 344هـ) مايلى : قال ابو الحسن الزعفرانى حضرت مسجد السبت (4) ومعنا فيه ابو بكر بن اللباد الفقيه وابو بكر بن سعدون الامام فقال بعض القوّاله :

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل	فاذا فعلت فان حبك باطل .

فتحرك بن ابى سهل الصوفى وكان خيّرا واستغرق الحال فما بقى احد بالمسجد الا بكى لصدقه فى حركته ونظرت الى ابى بكر ابن اللباد وان دموعه لتنحدر على لحيته والى ابن سعدون وقد علا نحيبه) . (5) .
وفى ترجمة ابن قمرة (6) قال ابو بكر التجيبى شهدت بمسجد السبت وقد قال بعض القراء .

أمن بعد ستين تبكى الطلولا	وتندب ربعا يبابا محيلا
وقد ضحك الشيب فى عارضيك	وجعل على مفرقيك الذيولا .

فقام ـ ابن قمرة ـ وهو مستغرق فى حاله ثم قال من لم يصلح الماضى بالاتى اخذ بالوقتين (7) .
واغرموا بالشعر حتى كتبوه على الاضرحة واعظين مرشدين الاحياء منبهين الى عذاب القبر الذى ينتظر الطارفين من ذلك هذه الابيات التى كتبت على قبر ابى حفص عمر العطار (8) :

(1) حياة القيروان ص 97
(2) معالم الايمان 3/21
(3) " "
(4) انظر ترجمته بالمعالم 3/52-53
(5) مساجد القيروان 1 مسجد الانصار خطه رويفع الانصاري صاحب رسول الله ـ ص ـ سنه 47 2 مسجد الزيتونه 3 مسجد ابي ميسرة 4 ـ مسجد الجبلي 5 مسجد حنش الصنعاني 6 مسجد علي بن رباح اللخمي 7 مسجد السبت ... 8 مسجد عبد الله . انظر المعالم 1/27 ـ 32 . وعلى الرغم من ان الدباغ ذكر انها سبعة الا انه عند الحديث عنها تحدث عن تسعة
(6) معالم الايمان 3/53 ـ 54
(7) ترجمته بمعالم الايمان 3/108 ـ 109
(8) معالم الايمان 3/108 ـ 109
(9) ترجمته بمعالم الايمان 3/164 ـ 165

الموت بحر عامق موجه	تحار فيه حيلة السابح
يا نفس اني واعظ فاسمعي	مقالة من مشفق ناصح
ما يصحب الميت في قبره	غير التقي والعمل الصالح (1) .

وعرفوا أيضا شعر المعاتبات التي تقع عادة بين الاحبة من ذلك المعاتبة التي وقعت بين ابن الرائس (ت 344) والفقيه ابي العباس الابياني ( ) حيث قال ابن الرائس في ذلك : (2) :

وأشد ما القى واخفى للحشا	عدم الوفاء وجفوة الاخوان
اما الزمان فواعظ لي صرفه	لو كنت متعظا بصرف زمان
هذا ابو العباس واحد عصره	وفقيهها والفايت الاقران
انبت به اخلاقه عن وصلنا	وسلامنا في السر والاعلان .
اني اتيتك شاكيا ومخبرا	أشكو اليك حوادث الازمان

وله أيضا في هذا المجال :

بلغ الوشاة على حيث اراد وا	والله يسألهم وما قد كادوا
والله يعلم انني ما قلت ما ..	قد قال الوشاة تافكا واعتادوا
فهب الوشاة اتوا بأمر بين	ابن الكرام ابدلوا ام عادوا
عفوا لملوك عن الذنوب مدائح	مدحوا لها في نفسهم واجادوا .

ولم يقتصر شعرهم على الرثاء والمدح والتصوف والمعاتبة بل تجاوز هذه المجالات والاغراض الى غيرها مما هو معروف .

ما حسن منها وما سفل وما عمق منها وما ضحل حيث قالوا في الملح والنوادر كقصيد الديك لعبيد الله بن الجراوي (3) . وقالوا في الخمر والعشق وفي الغلمان ووصفوا العود يتمايل في حضن الضارب عليه بل وصفوا السفن الجاريات في البحر كالاعلام ، وقلدوا فحول الشعراء ويزوهم ، وارخوا للحوادث التي شاهدتها بلادهم وحتى الصيف وصفوه وحتى الزغب على الساق تحدثوا عنه وخصوه بالنظم ووصفوا الاطعمة ومجالسها . حتى غدا شعرهم مرآة لعصرهم (4) .

ويكفي ان نعرف ان عدد الشعراء الذين ذكرهم ابن الرشيق ستة وسبعين شاعرا من الفحول النبغاء في هذا الفن من الادب (5) .

ونزداد يقينا لما كان للشعر في هذا العصر من دور في الحياة السياسية والفكرية بفضل الشعراء العظام الذين أبدعوا امثال ابن هاني الاندلسي (362 هـ) وابن رشيق وابن شرف والحصري وغيرهم كثيرون .

ولم تكن هذه النهضة المباركة والحركة النشطة متوقفة على اللغة وعلومها وعلى الشعر وفنونه بل تجاوزتهما الى النثر الفني والنقد الادبي وقد بلغت كتبهم الذروة في هذا الميدان ككتاب العمدة لابن رشيق ورسالة قراضة الذهب له أيضا ، وكرسائل ابن شرف صاحب رسائل الانتقاد اواعلام الكلام وكتاب زهر الاداب لابي اسحاق الحصري صاحب القصيدة المشهورة (6) .

---

(1) معالم الايمان 3/165

(2) " " 3/56

(3) حياة القيروان ص 98-100 ، وما بعدها

(4) " " ص 98

(5) " " ص 101

(6) " " ص 102-103

يا ليل الصب متى غـــــد ه ‏ ‏ ‏ أقيام الساعة موعـــــد ه .

ويكفي ان نقرأ في تراجم بعض مشيخة القيروان انهم لم يكونوا بمنأى عن ميدان اللغة كيف لا وهم القادة والعلماء الذين يدرسون كتاب الله وسنة رسوله من ذلك ماورد في ترجمة ابن اللباد (333هـ) «وكان لاتنظير له في علم القرآن قراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصر باسماء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابل» (1) . وهذا زميله ربيع القطان (333هـ) كان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والرقائق» (2) ومن شعره (3) :

اذا انقطع الصديق بغير عذر	فزاد الله خلته انقطاعا
الى يوم التناد بلا رجـــوع	وان رام الرجوع فلا استطاعا
اذا ولى اخوك فول عنـــه	ورده وراء ما ولاك باعـــا
وناد وراءه يارب تمـــم	ولا تجعل لفرقتنا اجتماعا .

ويعلق الاستاذ ياغي على هذه النهضة الشعرية بقوله : وبذلك نستطيع ان نتصور ولوع القوم بالشعر حتى كتاب الخراج منهم ومن كانوا يكتبون للحكام وكيف يدفعون انفسهم الى قوله في شتى المناسبات (4) .

2) التاريـــخ والتراجـــم :

ومن العلوم الانسانية التي حظيت بعناية علماء القيروان علم التاريخ والتراجم والتي ألف فيها الكثيرون من علماء القيروان فقد ألف ابو العرب التميمي الفقيه المؤرخ كتبا كثيرة لم يصلنا منها الا كتابه طبقات علماء افريقية (5) . يقول فيه صاحب المعالم (6) وهو رافع لواء التاريخ بافريقيـــــة) ومن كتبه التي لم تصلنا في هذا الفن كتاب التاريخ سبعة عشرا جزءا (7) . ومن المؤرخين أيضا ابـن الحارث الخشني (364هـ) (8) . له من كتب التاريخ : تاريخ علماء الاندلس وتاريخ قضاة الاندلـــس .

(1) معالم الايمان 22/3
(2) " " 30/3
(3) " " 35/3
(4) حياة القيروان ص 98
(5) مطبوع - دار الكتاب اللبناني - وحقق من طرف الدكتور علي الشابي وطبع طبعة جيدة منفردة عن غيره.
(6) معالم الايمان 36/3
(7) " " 37/3
(8) انظر ترجمته بالمعالم 3/81-83

وتاريخ الافريقيين وهو نفسه كتاب تاريخ علماء افريقية المطبوع مع كتاب ابى العرب (1) ·
ومنهم أيضا ابو القاسم بن رشيق المؤرخ الذى كانت له تآليف كثيرة فى التاريخ والتراجم والسير والذى يقال انه حي سنة 370هـ (2) ·
ومنهم أيضا ابنا الاجدابى وهما من تلاميذ ابن ابي زيد فقد كان لهما ميل للدراسات التاريخية حتى ان ابا عبد الله الحسين الاجدابى (432هـ) كان شيخا لابى بكر المالكى صاحب رياض النفوس (3) ·
ومنهم أيضا ابو بكر المالكي (بعد 453هـ) الفقيه المؤرخ له طبقات علماء افريقية وزهادها (4) ·
ويذكر ياقوت انه شاهد لابن الجزار القيروانى كتابا فى التاريخ فى عشر مجلدات اسمه التاريخ الصحيح (5) وغير هؤلاء كثيرون مما يضيق المقام بذكرهم ·
وخلاصة القول ان علماء القيروان كانت لهم عناية بالتاريخ عميقة مما اهلت مجتمعهم بعد ذلك الى ان يكون المجتمع الذى انجب ابن خلدون وغيره ·

علم الطب والرياضيات :

وكانت الحركة نشطة فى ميدان هذين العلمين ففى مجال الطب كان لاسحاق بن عمران البغدادي الذى قدم القيروان زمن زيادة الله الاغلبي دور كبير فى ارساء قواعد هذا العلم (6) وقد رزق تلاميذ نجباء امثال اسحاق بن سليمان الاسرائيلى الذى بالاضافة الى اتقانه الطب كصناعة وعلم كان بصيرا بالمنطق متبحرا فى علوم كثيرة وقد ساعده على هذا الانتاج الغزير وهذه الشهرة الفائقة عمره المديد اذ خدم الاغالبة والعبيديين ومات سنة 320هـ (7) · وقد تتلمذ عليه تلاميذ كثيرون من ابناء القيروان وكان من أشهرهم على الاطلاق : أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزار القيروانى وقد برع فى الطب وطور وسائل العلاج ونظم العلاقة بين الطبيب والمريض وكان يكتب له الوصفات ولا يتقاضى الاجر منه مباشرة بل يأمره بدفعه الى عون له بالباب مثل ما يفعل الاطباء فى عصرنا هذا (8) ·
وكما برع فى تطوير وسائل العلاج برع فى التاليف اذ له رسائل فى علم النفس وله أيضا مولفات أخرى وضعها خصيصا للمعالجة منها زاد المسافر كما خص الأدوية بالتاليف اذ وضع فى المفردة منها كتابه : الاعتماد " ووضع فى المركبة منها كتابه : البغية " · وله أيضا كتاب طب الفقراء والمساكين وآخر فى الدّم والتحذير من اخراج الدم لغير حاجة وله أيضا كتاب سياسة الصبيان و . تدبيرهم ويقول الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ان علماء أروبا من القديم قد عنوا بتآليفه وقدروها حق قدرها فترجموا جانبا وافرا منها الى اللغة اللاتينية وغيرها لاهمية ما احتوت عليه من الافادات الجمة) · (9) ·

---

(1) معالم الايمان 3/82-83
(2) " " 3/186
(3) " " 3/170
(4) " " 3/190
(5) معجم الادباء 4/136
(6) حياة القيروان ص 105
(7) " "
(8) ورقات ح.ح عبد الوهاب 2/307 - طونس 1965
(9) " " " 2/313 - 314 وما بعدها.

غير انه ليس بتاريخ الطب بالقيروان ابن الجزار فقط بل هناك منهم عشرات الاطباء من ذلك ما ذكره ابن ابي زيد في ترجمة ابي اسحاق السبائي من قوله : كان السبائي مستجاب الدعاء وذلك انه كانت لي بنت أصابها في عينها شيء فكرهت المسير بها الى ابن اعين الطبيب فاخبرت الشيخ بذلك فقال لي اتركيها وانا ارقيها من ها هنا فمازال يرقيها وهو في داره حتى ذهب ما كان في بصرها) (1) . وقد أوردت هذه القصة حتى نعلم ان القيروان كانت تعج بالاطباء البارعين في كل الاختصاصات من امثال طب العيون . وطب الاطفال - وطب النساء ... الخ .

ونفس النهضة شاهدتها العلوم الرياضية وما يمت اليها بصلة وكان من ابرز علماء هذا العصر ابو الطبيب عبد المنعم الكندي القيرواني ت 435هـ . وكما كان اماما في العلوم الشرعية كان اماما في العلوم الرياضية حتى قيل انه فك نظرية اقليدس بذهنه (2) . وقد رثاه تلميذه ابو محمد عبد الله بن ابي زكريا يحي الشقراطسي التوزري (466هـ) بقصيدة منها (3) :

ومن العبارات الغوامض بعده … اذا شيب منها ما تجن الغوامض

اذا شكلت اشكال اقليدس انبرى … لها منه حبر بارع الفهم ثاقب .

ويذكر عياض في المدارك : وكان له خط في الحساب والهندسة في العلوم القديمة ويحكى انه دبر جلب ماء البحرين من ساحل تونس الى القيروان وسوقه خليجا من هناك ينظر هندسي ظهر له . فاخترم قبل نفاذ رأيه فيه وظهور ما دبره منه) (4) .

العلـــوم الشرعيـــة :

لقد أخرت الحديث في هذا المجال من النهضة الفكرية بالقيروان لاهميته ولربطه من ناحية ثانية بما يستقبل من هذا البحث . وقد تنوعت العلوم الشرعية بتنوع اهتمامات العلماء وتعدد اختصاصاتهم وقد حظي القرآن الكريم بالجانب الاوفر من هذه الاهتمامات وبالقدر الاكبر من الجهد منذ اوائل القرن الثالث حين وضع يحي بن سلام كتابه في التفسير (5) والذي يعتبر الحلقة الرابطة بين التفسيرين الاثري والعقلي وكان هذا الكتاب من اهم المصادر التي استفاد منها محمد بن جرير الطبري في القرن الرابع اذ توفي سنة 310هـ) (6) . وكان ابن اللباد من العلماء البارعين في ميدان القرآن وعلومه اذ ورد في ترجمته (وكان لا نظير له في علم القرآن قراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصر باسماء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابل " (7) . وكان لابي محمد عبد الله بن ابي زيد اهتمام بالدراسات القرآنية اذ له فيها كتاب البيان في اعجاز القرآن (8) . وكذلك الحال بالنسبة لاحد تلاميذه وهو ابو طالب المكي (437هـ) احد المبدعين في الدراسات القرآنية اذ له فيها تآليف كثيرة فقد ورد في ترجمته (وصنف تصانيف جليلة في علوم القرآن وغير ذلك ومن اشهر تصانيفه كتاب الهداية في التفسير وكتاب الكشف في القراءات

---

(1) معالم الايمان 3/67

(2) عنوان الاريب 1/42-43

(3) " " "

(4) ترتيب المدارك 4/371

(5) معالم الايمان 1/326

(6) التفسير ورجاله : محاضرة ابو طاهر الطبري .

(7) معالم الايمان 3/22

(8) ترتيب المدارك 4/494

وكتاب اعراب القرآن وكتاب الايضاح في ناسخه ومنسوخه وهو كتاب حسن) (1) .

أما ثاني علم اعتنى به أهل القيروان وكثر اقبالهم عليه هو علم السنة دراية ورواية وكان موضع ذلك الى كثرة من دخل من صحابة رسول الله - ص - والتابعين ارض افريقية من امثال عبد الله بن عباس حبر الامة وابي ذر الغفاري وعبد الله بن عمر وغيرهم كثيرون ولذلك كان حظ القيروان من السنة عظيما وزادها وافرا حتى لنا نشر ان الفقه الذي انتشر في افريقية الى دخول المذهب المالكي كان فقه السنن ، هذا بالاضافة الى الرحلات الشيقة لطلبة القيروان وعلمائها الى المنابع الاصيلة للسنة بالحجاز ولهذا كانوا اشد تعلقا بالمذهب المالكي من اهل العراق الذين هم اقرب الى الحجاز منهم وما ذلك الا بسبب ما كان لاهل القيروان من وفرة في الزاد السني وما كان لاهل العراق من قلة فيه ، ولهذا وجد الافارقة في مذهب مالك بغيتهم لكونه مذهبا ثريا بما يملكونه ويحفظونه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذلك كانوا اول من نشر كتاب الموطأ شرقا وغربا فقد اخذه ابو يوسف القاضي عن اسد بن الفرات (2) . كما اخذه عنه غيره ممن التقوا بهم من التلاميذ العراقيين وقام علي بن زياد تبعه بنشره في افريقية والمغرب . وكانت لمشيخة القيروان معرفة بعلوم الحديث وفنونه ودراية بصحيحه وحسنه وضعيفه اذ لا تخلو ترجمة من تراجمهم من ذكر معرفتهم بالسنة حتى ان كتاب الرسالة لابن ابي زيد يقال انه يشتمل على اربعة آلاف اثر من الاثار السنية (3) ونحن واجدون في ترجمة يحي بن سلام ان مالك بن انس اخذ عنه اربعة وعشرين حديثا (4) . ووصفت كتب التراجم شيوخ القيروان عامة بالثقة في التحمل والاداء وقد سبق ان عرفنا ذلك فيما وصف به ابن اللباد واما شيخنا ابو محمد بن ابي زيد فقد وصف بانه كان اماما في السنة دراية ورواية " وغير هولاء كثيرون . ولا ادل على هذه الثقه من اخراج البخاري لبعضهم ~~بالسنة تمسكا شديدا حتى ان بعضهم رفض كل المذاهب~~ كابن غانم (5) . وابن زياد وابن فروخ وكذلك فعل غيره من اصحاب كتب السنة المعتبرة .

وكان تمسك اهل القيروان بالسنة تمسكا شديدا حتى ان بعضهم رفض كل المذاهب بما فيها المذهب المالكي لانه يرى فيها اجتهادات قد تدفع المسلم الى العمل بها وترك السنة من ذلك ما ورد في ترجمة اسد بن الفرات (ولما احرق عباس الفارسي كتب المدونة وغيرها من كتب المدنيين ضربه اسد دررا فحنقه رجل من اصحابه في ذلك فقال انما ... نحيته بضربي هذا من القتل فيه أمرني الامير لحرقه كتبا فيها العلم وفيها ذكر الله فقلت ايها الامير دعني أضربه وأشهره فهو ابلغ له فاستنقذته بذلك من القتل وكان عباس هذا محدثا يبغض اهل الفقه والرأي ويقع في اسد وابن القاسم وسحنون فيقال ان ابن القاسم دعا الله عليه ان يشهره في بلده وانه تشكى منه الاسد) (6) .

اما قصة البهلول والخيط الذي وضعه في ابهامه انما تدل في أبعادها على مدى تمسك اهل القيروان بالسنة

---

(1) وفيات الاعيان ج5 ص 275 - 276

(2) ترتيب المدارك 3 / 465

(3) كتاب الجامع ص 22 - تعليق حاشية الأجهوري على الرسالة 1 / 15 ب

(4) معالم الايمان 1 / 322

(5) ترتيب المدارك 1 / 316

(6) ترتيب المدارك 2 / 473

فى كل ما ياتونه من قول او عمل فقد ورد مايلى (خرج البهلول بن راشد ذات يوم مع اصحابه وقد غطى خنصره بكفه فاقبل على رجل من اصحابه فاسر اليه كلاما دون سائر اهل المجلس ثم انصرف الرجل ثم عاد اليه فكلمه فيما بينه وبينه فازال البهلول كفه من خنصره وجعل يقول : الحمد لله الذى لم يجعلني ممن ابتدع بدعة فى الاسلام ثم اقبل على الرجل فقال حدث القوم بما بيني وبينك فقال الرجل ارسلني الى عبد الله بن فروخ اساله هل كان احد من السلف - اذا وصى بحاجة - ربط فى خنصره خيطا ؟ فتوجهت الى عبد الله بن فروخ فسألته عن ذلك فقال نعم كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يفعله فقال البهلول عند ذلك ان اهلي سألوني فى قضاء حاجة فربطت فى خنصري خيطا لاذكر حاجتهم ثم خفت ان اكون ابتدعت بدعة فى الاسلام) (1) . ولذلك الح حق البهلول ان يقال فيه : (ما كان لهذا البلد أحد اقوم بالسنة من رجلين البهلول بن راشد فى وقته وسحنون بن سعيد فى وقته) (2)

هذا بعض من كل ونقطة من بحر مما بذله الافارقة من جهد فى سبيل العناية بالسنة رواية ودراية تحملا واداء . وهو موضوع يحتاج الى بحث منفرد قد يستغرق العمر كله ، وحتى احيط بالجوانب دون الخوض فى الاعماق عمدت الى التلميح والعرض خشية الاطالة التى قد تخرج بنا على ما نهدف اليه من وراء استعراض الحياة الفكرية من كل جوانبها بافريقية القيروان .

اما فى ميدان علم الفقه فحدث عن البحر ولا حرج اذ يكفى ان تطالع طبقات علماء افريقية وتونس لابى العرب التميمي (333هـ) . وطبقات علماء افريقية لابن الحارث الخشني (364هـ) . ورياض النفوس للمالكي (بعد 453هـ) والمدارك للقاضي عياض (544هـ) . ومعالم الايمان للدباغ (699) والديباج لابن فرحون (719-799) وشجرة النور الزكية لمخلوف (   ) وغيرها مما لم اذكر من كتب التاريخ والتراجم حتى تدرك ما كانت تعج به القيروان من فقهاء وعلماء ومدرسين شدت الى قيروانهم الرحال وضربت الى ارضهم اكباد الابل كيف لا والمذهب المالكي لم يحظ بالتدوين الرسمي الاعلى ايدى الافارقة من امثال أسد فى أسديته وسحنون فى مدونته وابن ابى زيد فى رسالته ونوادره وزياداته والبراذعي فى تهذيبه والقائمة طويلة يصعب بها واسماء مؤلفيها ، حتى قيل ان جملة طلبة سحنون قد بلغ سبعمائة طالب منهم من بلغ حد الاجتهاد ومنهم من بلغت مؤلفاته من الكثرة لا تعد كابن سحنون ، وحتى تزداد يقينا من كثرة علماء القيروان فانه عنينا ان نتصفح كتاب المعالم بادئين بترجمة أسد على اعتباره انه اول من وضع موسوعة فى الفقه المالكي الى اخر احفاد عبد الله بن ابى زيد وهو ابو الطيب عبد المنعم بن عمر بن ابى محمد بن ابي زيد (495هـ) وبعبارة اخرى لو بدأنا من بداية القرن الثالث الى نهاية الخامس لوجدنا ان جملة من ترجم لهم صاحب المعالم تبلغ عددهم (235 عالما) وهو عدد مبارك ترتب عنه عدد اكثر من تلاميذ القرون الموالية اما لو رجعنا القهقرى الى ما قبل القرن الثالث فانه يصادفنا النص التالي (ان عمر بن غانم سأل بعض جلسائه يوم الجمعة بقوله هل حضرت الجامع اليوم ؟ قال نعم ، قال من رايت به قال رأيت سبعين قلنسوة يستحقون القضاء ورايت ثلاثمائة قلنسوة فقيه فاسترجع ابن غانم عند ما سمع ذلك وقال ذهب الناس فاسترجاعه يدل على ان علماء زمانه اقل مما كان عليه العلماء فى القديم من الكثرة و ما زالت البركة فيها) (3) .

---

(1) معالم الايمان 1/246-247

(2) " " 1/266

(3) " " 1/310



ومادمنا نتحدث عن هذه الفترة المباركة فيكفي ان نشير الى ماأوردته المراجع التاريخية في واقعة الوادي المالح بالقرب من المهدية ساعة ثورة ابي يزيد الخارجي من استشهاد خمسة وثمانين فقيها دفعة واحدة (1) . على اسوار المهدية . تلك الفترة المباركة هي التى اعطت للحياة الفكرية بالقيروان طوال قرون عديدة حركية لاتتوقف عن عطائها الخير المدرار، وخاصة ان الله وهبها علماء صادقين من ذوي الكفاءات العالية والنظر البعيد مع قدرة على الابداع ومقدرة على التنظيم .

وقد كان الامام سحنون من هولاء العلماء الموهوبين الاكفاء وذلك بما استنه في القضاء من مناهج واضحة المعالم ادت الى المحافظة على حقوق الناس وضمنت كرامة العلماء وحققت تنظيم شوون الحياة المختلفة ورتبت العلاقة بين افراد المجتمع من ناحية وبين السلطه الحاكمة من ناحية اخرى، ولذلك كان على سحنون معولهم في الفقه والقضاء وفي تسيير الشوون العامة وبانضباط القضاة والعلماء والفقهاء الى أحكام الشريعة خشاهم السلطان لمالهم من تاثير في العامة وكان من ابرز الفقهاء الذين ورثوا علم سحنون وسلوكه ومجده ابو محمد عبد الله بن ابي زيد (336هـ) صاحب النوادر والزيادات وكتاب الرسالة والذي لعلمه اطلقوا عليه لقب : مالك الصغير (2) وعالم المغرب (3) . وغيرها من الاوصاف التي تدل على بلوغه اعلى درجات العرفان والصلاح ،وعنه وبه اخذ وتفقه علماء القرن الخامس ولا في كتابه الرسالة انه مالم يلقه كتاب آخر عدا الموطأ والمدونة . وكان بينه وبين مالك علماء كثيرون ابلغوا له علم مالك وكان بينه وبين علماء القرون التالية تلاميذه العلماء الذين تحملوا منه وادوا عنه فكانوا خير المتحملين واصدق المؤدين ولعل خير ما نختم به هذه المقدمة تلك الرسالة التى كتبها ابوعلي بن الرّبيب (430 (4) من أهل القيروان حيث بعث بها الى الوزير الكاتب ابي المغيرة عبد الوهاب بن حزم في قرطبة وفيها مقارنة بين مظاهر الحياة الفكرية بكل من الاندلس والقيروان

---

(1) معالم الايمان 3/34

(2) طبقات الفقهاء للشيرازي ص160

(3) النجوم الزاهرة ص ... - شذرات الذهب 3/131

(4) ابن الربيب هو ابوعلي الحسن بن محمد بن أحمد التميمي المعروف بابن الربيب ويعرف ايضا بالقاضي التاهرتي لولايته برهة من الزمان مدينة تاهرت أخذ العلم عن علماء القيروان وعاصر الفزاز كبيرة التاة الافارقة كان ابن الربيب عالما باللغة وشاعرا وناثرا توفي بالقيروان وقد جاوز الخمسين انظر مجمل تاريخ تونس ح-ح-ع ص 121 - ط المنار 1968

يقول ابن الربيب القيرواني (1)

اني فكرت في بلدكم اهل الاندلس اذ كان قرارة كل فضل ومقصد كل طرفة ومورد كل تحفة ان بارت تجارة او صناعة فاليكم تجلب وان كسدت فعندكم تنفق مع كثرة علمائها ووفور ادبائها وجلالة ملوكه ومحبتهم للعلم واهله ورفعهم من رفع ادبهم وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته وعظمت في الحروب نكايته فتشجع عندكم بذلك الجبان واقدم الهيبان ونبه الخامل وعلم الجاهل ونداق العيي وشعر البكي واستنسر البغاث وتثعبن الحفاث وتنافس الناس في العلوم ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط من اجل علماء الامصار دونوا فضائل اعيانهم وقلدوا الكتب مآثر اقطارهم واخبار الملوك والامراء والكتاب والوزراء والقضاة والعلماء فابقوا لهم ذكرا في الغابرين ولسان صدق في الاخرين وعلماؤهم مع استظهارهم على العلوم كل امرئ قائم في ظله لايبرح وثابت على كعبه لايتزحزح يخاف ان صنف ان يعنف او تخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق لم يتعب نفسا احدا منهم بمناقب كتابه ووزرائه.

---

1) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام المجلد الاول القسم الاول ص 133 ـ 135 تحقيق د . احسان عباس نشر الدار العربية للكتاب ليبيا تونس .

ولاسود قرطاسا بمحاسين قضائه وعلمائه على انه لو اطلق ماعقل الاغفال من لسانه وبسط ماقبل الاهمال من بيانه لوجد للقول مساغا ولم تضق عليه المسالك هنالك ولكن هم كل واحد منهم ان يطلب يد من تقدمه من رؤساء العلماء ليجوز قصب السبق ويفوز بقدح ابن مقبل ويأخذ بكظم دعبل ويصير شجى في حلق ابي العميثل فاذا ادرك تلك البغية وجاءته بعد المنية دفن علمه معه ومات ذكره وانقطع خبره ومن قدمنا ذكره من علماء الامصار احتالوا لبقاء ذكرهم فالقوا دواوين يبقى لهم بها ذكر يتجدد كل الابد .

ثم يقول ....فان قلت انه كان ذلك من علمائكم والقوا كتبا لكتابا لم تصل الينافخذه دعوى لم يصحبها تحقيق انه ليس بيننا وبينكم الا روحة راكب او دلجة قارب لو نفذ ببلدكم مصدور لاسمع ببلدنا من في القبور فضلا عمن في الدور والقصور وتلقوا قوله بالقبول كما تلقوا ديوان ابن عبد ربه منكم الذي سماه ب (العقد) على انه يلحقه فيه بعض اللوم اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه لكنه اكثر وحول واخذا المفصل واطال الهز بسيف غير مفصل وقعد به ماقعد باصحابه من ترك مايعنيهم واغفال مايهمهم فارشد اخاك ارشدك الله ان كان عندك في ذلك الجلية وبيدك القضية ان شاء الله.

الفصل الثاني المدارس الفقهية بالقيروان :

يقول صاحب المعالم في ترجمة الصحابي ابي زمعة البلوي (فاذا كان بريدة قائد أهل المشرق لكونه مات بمرو نابو زمعة قائد أهل المغرب اذ لم يدفن بالمغرب وافريقية من الصحابة سواه) (1) ٠

ان في هذا القول مجانبة للحقيقة ومبالغة ترفضها كثرة الفتوحات التي شاهدتها ارض افريقية ذلك انه بداية من سنة سبعة وعشرين للهجرة والى غاية سنة تسعة وستين للهجرة أيضا لم تهدأ حركة الفتوحات ولم يتوقف سيل الجيش الاسلامي من المشرق فاذا كانت البداية بعبد الله بن سعد بن أبي سرح فيما يعرف بغزوة العبادلة السبع كانت النهاية بتركيز الراية الاسلامية على ذرى افريقية سنة 69 على يد حسان بن النعمان (2) ٠ وكان في كل جيش من هذه الجيوش جمهرة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وابي ذر الغفاري وعبد الله بن عمر وغيرهم كثيرون مما هو مذكور في كتب التاريخ ٠ وممن عساها ان تكون اغلبية هذا الجيش الذي يخرج في عهد ثالث عهد ثالث الخلفاء الراشدين وبعد سبع عشرة سنة من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ٠ ان هذه الاغلبية ولاشك من الصحابة ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة العبادلة السبع وقلنا انه استمر ورود الصحابة مع ما بعدها من الغزوات والحملات فجيش عقبة قبيل الفتح يشتمل ، قيل انه كان يشتمل على خمسة وعشرين صحابيا وذلك في سنة 50هـ ٠ عندما جمعهم لتخطيط القيروان والدعوة لها (3) ٠ والذي يجب ملاحظته ان مقولة الدباغ التي تصدرت هذا الجزء من البحث لم تقنع ابن ناجي حيث قال (قلت في هذا نظر وذلك انه لما وليت قضاء قابس وجدتهم يزورون قبرا في بيت لطيف داخل مسجد خارج البلد في غربيها يسمى مسجد ابي لبابة وفي الحائط عند راس القبر لوح مكتوب فيه هذا قبر أبي لبابة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع من بقابس وسائر عملها يقولون ذلك وينقلونه نقلا متواترا حرهم وعبدهم ويعده الناس كثيرا ويقوم بذلك المكان رجل يصح له من وعدات الناس ما يكفيه هو وعياله برفاهية نقلت لهم ان المؤرخين قالوا لم يدفن في ارض افريقية من الصحابة غير أبي زمعة البلوي بالقيروان فقالوا ما رأينا احدًا تردد فيما ذكرناه لك ثم لما وصلت الى تونس بعد ذلك سألت شيخنا ابا القاسم البرزلي فقال لي لما حججت زرت قبره ونقلهم فيه متواتر مما ذكره المؤرخون انما هو فيما علموه وذلك يدل على ان غيرهم علم خلاف ما لم يعلموه فالعمل على ما ذكره أهل قابس ولاقادح يقدح في نقلهم) (4) ٠

لذا فليس من المستبعد احتواء ارض افريقية على رفات غير هؤلاء من الصحابة غفل المؤرخون عن ذكرها وخاصة بعد ان علمنا ان عددهم كان كبيرا جاء على دفعات بدأت في السنة السابعة والعشرين للهجرة واستمرت في القدوم مع الغزوات اللاحقة حتى اننا قد رأينا خمسة وعشرين منهم يحضرون تخطيط القيروان والدعاء لها مع عقبة بن نافع سنة (50هـ) ٠

---

(1) معالم الايمان 12/1

(2) 〃 〃 60/1

(3) 〃 〃 7/1

(4) 〃 〃 13/1



وقد ذكرت هذا كله لاصل من ورائه الى ان الافارقة القدامى قد تلقوا التعاليم الاسلامية السمحاء على ايدى تلاميذ الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كابن عباس وابن الزبير وابى ذر وابن انيس الجهني وغيرهم . وقد استعرض صاحب المعالم هؤلاء المعلمين الاوائل من الصحابة كبيرهم وصغيرهم ممن دخلوا افريقية الخير فكان تعدادهم يربو على اثنين واربعين صحابيا (1) .

وعن هؤلاء تخرج فوج جديد من المعلمين الذين انتصبوا منذ اواسط القرن الاول لنشر الاسلام وتفقيه الناس وتعليمهم اصول دينهم حسب ما جاء فى القرآن وما ورد فى السنة المطهرة من عمل وقول وتقرير حيث كان الافريقي الذى آمن حديثا يؤدى عبادته تبعا لما لقنه اياه الصحابي . ان كان من الذين حضروا الفتوحات . والتقى بالصحابة اثناءها ، وعن التابعي اذا كان من الذين لم يسعفهم الحظ بان يلتقوا بالصحابة وتداورد صاحب المعالم قائمة فى اسماء بعض التابعين من اهل افريقية مقتصرا على ذكر علمائهم وفضلائهم وقد اشتملت على ما يفوق سبعة وعشرين شيخا تابعيا (2) .

وتتواصل المسيرة الخيرة فى تثبيت دعائم الاسلام باقامة مجتمع على اسس من الحق والعدل الى خلافة عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشدي الخامس حيث يبعث فقهاء يعرفون بالفقهاء التابعين العشرة واما سبب ذلك فان اهل افريقية لم يكونوا قد أحاطوا علما بالحلال والحرام . فرأى عمر بثاقب نظره انه لابد من تفريغ جمهرة خيرة من العلماء العارفين بافريقية ليعلموا اهلها ما يجب وما يمنع وما هو حلال وما هو حرام ثم كيف يؤدون عباداتهم ويقيمون الحدود عندهم مصداق ذلك ما ورد (حدثني جبلة بن حمود عن سحنون عن معاوية الصمادحي عن عبد الرحمان بن زياد ان الخمر كانت عند أهل افريقية حلالا حتى بعث عمر بن عبد العزيز هؤلاء الفقهاء فعرفوا انها حرمت ثم انها لما دخلت المسودة – يعنى الجند – فشا ذكرها انها حرام وانتشر مع اهل المشرق) (3) .

اما هؤلاء الفقهاء التابعون العشرة فهم :

1) ابو مسعود سعد بن مسعود التجيبي (4) .
2) ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافرى الافريقي الحبلي (ت 100هـ) (5) .
3) اسماعيل بن عبيد الله الانصارى المعروف بتاجر الله (6) . (107هـ) .
4) ابو جهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي (7) . (ت 113 هـ) .
5) ابو سعيد جعثل بن هاعان ابن عمر الرعيني ت (115هـ) . (8) .

---

(1) معالم الايمان 1/ 71 - 178
(2) " " 1/ 43 - 68
(3) طبقات علماء افريقية لابي العرب 1/ 21
(4) ابن مسعود التجيبي سكن القيروان ونشر بها علما كثيرا كان معروفا بالصلاح وعدم خشية الحكام روى عن ابي الدرداء معالم الايمان 1/ 184 - 186
(5) المعافرى الافريقي [100هـ] من فقهاء التابعين العشرة الافارقة شهد فتح الاندلس ثم استقر بالقيروان يروي عن ابي أيوب الانصاري وعبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد الانصاري وعقبة بن عامر – معالم الايمان 1/ 180 - 184
(6) تاجر الله [107هـ] وهو باني جامع الزيتونة بالقيروان [91] روى عن ابن عباس وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر مات غريقا سنة [107هـ] – معالم الايمان 1/ 191 - 192
(7) التنوخي [113هـ] وهو اول قاض بالقيروان بعد بنائها اذ ولاه موسى بن نصير القضاء سنة [80هـ] يروى عن عبد الله ابن العاص – معالم الايمان 1/ 198
(8) الرعيني [115هـ] ولاه هشام بن عبد الملك قضاء جند افريقية يروى عن ابي تميم عبد الله بن مالك الجيشاني روى عنه ابن سوادة وعبد الله بن زحر وابن انعم – معالم الايمان 1/ 202

6) اسماعيل بن عبيد الله بن ابى مهاجر المخزومي (1) (ت 122 أو 132هـ).
7) حبان بن ابى جبله القرشى (2)، (ت 125 هـ).
8) موهب بن حبى المعافرى (3).
9) طلق بن جابان الفارسى (4).
10) بكر بن سوادة الجذامى (5). (ت 123هـ). (6).

هؤلاء الفقهاء يمثلون مدرسة فقه السنن أى الفقه الذى يعتمد اساسا ما جاء به النص الشرعي من قرآن وسنة قولية او فعلية او تقريرية.

ومن هذا الفقه الاثرى السنى قد عرفت افريقية القيروان نوعا آخر من الفقه السنى المعروف بالفقه الاوزاعي نسبة الى إمام الآثار الشامية الامام الاوزاعي (88 هـ ـ 157) (7). وهو من المذاهب البائدة التى لم ينشط اصحابها فى تقنينها ونشرها بين الناس ومثلها من ذلك مذهب سفيان الثورى (8) بالكوفة والليث بن سعد (9) بمصر واسحاق بن راهويه (10). بنيسابور وداود الظاهرى (11). وابن جرير الطبرى (12) ببغداد فى حين ان مذاهب اهل السنة الاربعة الباقية انما يرجع بقاؤها الى ما بذله تلاميذ ائمتها من جهد فى سبيل تركيزها ونشرها (13).

وبما ان الاوزاعية من المذاهب التى كان لها وجود بافريقية ولو على نطاق ضيق ولفترة وجيزة فاني ارتأيت من تمام الفائدة ان اشير الى اهم معالمها التى لا تبعد عن ملامح فقه السنن السائدة بافريقية قبل انتشار المذاهب الاخرى وخاصة المذهب المالكى. فاقول: كان للامام الاوزاعى مذهبه الخاص فى الاستنباط خالف به بقية الائمة فهو لا يتوسع فى استخدام الراى كمدرسة الراى بالعراق، وهو لا يرى فى عمل أهل المدينة حجة كما هو مذهب مدرسة أهل الحجاز ولكنه يميل الى مدرسة الحديث فى الوقوف مع السنة وعدم العمل بالراى الا عند الضرورة القصوى فقد روى عنه انه قال: اذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث فاياك ان تقول بغيره فانه كان مبلغا عن الله وقال أيضا = تدور مع السنة حيث دارت ولهذا قال صاحب الفكر السامي: ان الاوزاعى كان يكره القياس ويقف مع السنة.

(1) المخزومي [122 أو 132] تولى قضاء افريقية سنة 99هـ من قبل عمر بن عبد العزيز يروى عن ابن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد الانصاري وروى عنه الاوزاعي وابن انعم - معالم الايمان 1/203-206
(2) القرشي [125هـ] سكن القيروان وانتفع الناس بعلمه روى عن ابن عباس وعمرو بن العاص وولده. المعالم 1/209
(3) ابن حبى المعافري - سكن القيروان وعلم بها روى عن ابن عباس - المعالم 1/213
(4) احد الفقهاء العشرة الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز الى القيروان روى عنه موسى بن على وابن أنعم - المعالم 1/215 - 216
(5) الجذامي [128هـ] سكن القيروان ونشر بها علمًا روى عن ابن عمرو وعقبة بن عامر وغيرهما - المعالم 1/211 - 213
(6) معالم الايمان 1/180 - 213 - طبقات علماء افريقية 1/20
(7) مقدمة تحقيق المدارك 1/8 د. احمد بكير
(8) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ابو عبد الله الكوفى الامام الجليل (161هـ)
(9) الليث بن سعد من اتراب مالك وكانت بينهما مراسلات وخاصة في تقديم عمل اهل المدينة توفى سنة 175هـ
(10) ابن راهويه
(11) داود بن علي بن خلف الاصبهاني ابو سليمان المعروف بالظاهري الامام الزاهد المفكر (270هـ)
(12) ابن جرير الطبري [310هـ] المؤرخ المفسر المعروف
(13) الفكر السامي 2/110

وقال الشافعي من قبله (ما رايت احدًا اشبه فقهه بحديثه من الاوزاعي (1) .

ويقول عبد الله الجبوري : لقد نشأ مذهب الاوزاعي بالشام وانتقل مع تلاميذه والرواة عنه الى العراق ومصر وانتشر بالشام والاندلس والمغرب (2) . مستندا في هذا على ماقاله النويري كان أهل المغرب على مذهب الاوزاعي قبل انتقالهم الى مذهب مالك (3) . الا ان الاوزاعية بالمغرب لم يكن لها مسرون القدم كمثل حالها بالاندلس اذ بقيت هي المذهب الغالب اكثر من اربعين سنة بفضل جهد صعصعة بن سلام الاندلسي الدمشقي تلميذ الاوزاعي وخطيب قرطبة . ولذلك قال عياض (واما أهل الاندلس فكان رايهم منذ فتحت على راي الاوزاعي الى ان رحل الى مالك زياد بن عبد الرحمان ـ المعروف بابن شبطون ـ وقرعوس بن العباس والغازي بن قيس ومن بعدهم فجاؤوا بعلمه وأبانوا للناس فضله واقتداء الامة به فعرف حقه ودرس مذهبه (4) . وذلك في زمن الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل سنة (171 ـ 180هـ) . والملفت للنظر ان بلاد أفريقية القيروان ـ والاندلس كانتا دائما متحدتين في المذاهب العقائدية والفقهية فاي مذهب وجد في احداهما لابد ان نجد له وجودًا في الاخرى اذ كان منهما كان اشعريًا العقيدة سني المذهب الفقهي . وليس ذلك بغريب عن مجتمع اتحدت فيه الاجناس وتقاربت فيه المناهج الفكرية والمسالك الحياتية . وقد شاهدت بلاد افريقية والمغرب مذاهب أخرى غير فقه السنن والاوزاعية كالحنفية والشافعية والظاهرية يقول عياض وكان بالقيروان قوم قلة في القديم اخذوا بمذهب الشافعي ودخلها شيء من مذهب داود ولكن الغالب عليها الإذاك مذهب المدينة والكوفة وكان الظهور في دولة عبيد لمذهب الكوفيين لموافقتهم اياهم في مسألة التفضيل فكان فيهم القضاء والرياسة وتشرف قوم منهم لمسرتهم واصطيادا لدنياهم واخرجوا ضغائنهم فجرت على المالكية في تلك المدة محن) (5) .

وخلاصة القول ان بلاد افريقية والمغرب قد عرفت في النصف الاول من القرن الثاني فقه السنن على نطاق واسع وفقه الاوزاعي على نطاق ضيق ثم في النصف الثاني من القرن الثاني وخاصة في عهد بني الاغلب قد عرفت مذهب الاحناف ، وفي القرن الثالث عرفت الشافعية والظاهرية وان كانتا في نطاق محدود جدا (6) . يقابل هذه المحدودية انتشارية للمذهب المالكي بداية من النصف الثاني من القرن الثاني عقب عودة طلائع الطلاب الافارقة الذين جلسوا الى مالك ورووا عنه موطأه ونشروا اقواله لا بافريقية فحسب بل بغيرها من بلاد العالم الاسلامي التي وطئتها ارجلهم .

---

(1) فقه الامام الاوزاعي 1/ 62

(2) " " " 1/ 64

(3) " " " 1/ 66 - 67

(4) ترتيب المدارك 1/ 55

(5) " " 1/ 54 - 55

(6) " " 1/ 54

بقي علينا قبل مواصلة السير مع مدرسة المالك بافريقية ارى لازما علي ان اثبت امرين . اولهما : ان الامام الاوزاعي (88 ـ 157) كان احد التلاميذ (1) الذين أخذوا عن بعض فقهاء التابعين العشرة وهو سعيد بن عبد الله بن أبي مهاجر المخزومي (ت 122 هـ) ولذلك قلت ان الاوزاعية وان وجدت بافريقية فهي لا تتنافى ومدرسة فقه السنن بل هي ممتزجة بها ولهذا كانت ملاحظة الاوزاعية كمذهب فقهي بالنسبة للاندلس اوضح وابين لعدم وجود غيرها من المدارس الفقهية .

أما الملاحظة الثانية فان علم فقهاء التابعين العشرة قد تجمع كله عند الفقيه عبد الرحمن بن زياد بن انعم المعافري (2) . (95 ـ 156 هـ) على الارجح فهو ومالك انداد واتراب وتوفي قبل مالك بثلاثة وعشرين سنة .

وبوفاة عبد الرحمن بن زياد بن انعم تبرز ملامح مدرسة فقهية جديدة هي مدرسة اهل الحجاز ممثلة في المذهب المالكي بفضل جهد الطلائع الاولى من الطلاب الافارقة من القيروان وتونس الذين التقوا بمالك واخذوا عنه الموطأ وقاموا بنشره في ربوع بلاد افريقية والمغرب مزاحمين في ذلك ما كان منتشرا من فقه أهل الكوفة يقول عياض (واما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فاخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو الى ان جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في اصحابه فشاع في تلك الاقطار الى وقتنا هذا) (3) .

اننا لو القينا نظرة على مجموعات هذه الطلائع الاولى التي جلست الى مالك واخذت عنه موطأه واقواله الفقهية لوجدناها على النحو التالي تقريبا .

مجموعة اشتهر منها علي بن زياد (183 هـ) حيث التقى بمالك واخذ عنه الموطأ وهو اول من ادخله افريقية وكان من طبقته عبد الرحيم بن أشرس ابو مسعود التونسي (4) .

وعن علي بن زياد أخذ البهلول بن راشد واسد بن الفرات وسحنون . يقول الامام سحنون : كان علي ابن زياد خير أهل افريقية في الضبط للعلم وكان ابن اشرس احفظ للرواية (5) . وقال ابو العرب وبلغني عن أسد بن الفرات انه قال اني لادعو الله لعلي بن زياد مع والدي لانه اول من تعلمت منه العلم قال ابو العرب ولم يكن سحنون يقدم عليه احدا من أهل افريقية فاما سماع البهلول بن راشد عن علي بن زياد عن سفيان الثوري بجامع سفيان الكثير الاثار (6) .

---

(1) معالم الايمان 1 / 203
(2) " " 1 / 230 - 237
(3) ترتيب المدارك 1 / 54
(4) طبقات علماء افريقية 7 / 221 - 225
(5) " " 7 / 253
(6) " " 7 / 251

وهناك مجموعة أخرى انطلقت الى مالك بعيد ان بلغها شهرة اسمه في مجال الدراسات الفقهية وميادين السنة النبوية وكان من اشهر افراد هذه المجموعة من أهل القيروان مثل: عبد الله بن فروخ (115هـ 176م) والبهلول بن راشد (128هـ 183م) وعبد الله بن عمر بن غانم القاضي (128هـ 190م) وجمهرة أخرى من التلاميذ مثل صقلاب بن زياد الهمداني وحفص بن عمارة وابو عثمان حاتم بن عثمان المعافري واخيه ابو أخيه ابو طالب وابن خارجه عنبسة بن خارجه الغافقي ...

الا ان الذين يهمنا امر هم اكثر من هذه المجموعة هم ثلاثتهم الاول الذلم تقف رحلتهم عند حدود المدنية بل ذهبوا الى العراق وغيرها من حواضر المشرق الاسلامي وتفقهوا بفقه الاحناف واطلعوا على اقوالهم مقارنين اياها بما سمعوا عند مالك وخاصة اولهم عبد الله بن فروخ الذي كان ناظر زمر (1) تلميذ ابي حنيفة وانتصر عليه وجالس ابا حنيفة واخذ عنه عديد المسائل التي قيل انها بلغت عشرة الاف مسألة (2) والظاهر ان هذه الرحلة هي الرحلة الاولى وكان فيها ابن فروخ مسنا بالنظر لزميليه ولاشك ان وقوعها قبيل وفاة ابي حنيفة قال ابو العرب (عبد الله بن فروخ كان من شيوخ اهل افريقية وكان مسنا ممن رحل في طلب العلم فلقي مالك بن انس وسفيان الثوري وقد لقي أيضا ابا حنيفة). (3).

كما كانت لابن فروخ رحلة ثانية الى مالك سنة 175 الا انه توفي بمصر اثر عودته منها سنة 176 (4) اما بالنسبة لزميله عبد الله بن غانم الذي كان مالك يجله ويعظمه حتى قيل انه عرض عليه تزويجه من ابنته فاطمة (5) فبعد أن غرف من علم مالك انطلق مع صحبه الى العراق فأعجب به ابو يوسف القاضي الذي يقال انه قد خل له لدى الرشيد لتعيينه كقاضي بافريقية إذ جاء في ترجمة بهلول (روى انه دخل على مالك بن انس هو وعبد الله بن غانم وعبد الله بن فروخ فقال مالك للبهلول هذا عابد بلده وقال لعبد الله بن عمر بن غانم هذا قاضي بلده وقال لابن فروخ هذا فقيه بلده) (6). وصدق مالك ان كان البهلول احد العباد الاربعة في العالم الاسلامي في وقته (7). وصدق حدس مالك اذ كان ابن غانم قاضي القيروان طيلة عشرين سنة من 171هـ 190هـ سنة وفاته (8). وصدق مالك اذ كان ابن فروخ الفقيه الذي نذر نفسه للهو للشرع واجتنب القضاء وفر منه (9).

---

(1) ترتيب المدارك 1/251

(2) " " 1/344

(3) طبقات علماء افريقيا 1/33

(4) معالم الايمان 1/248

(5) ترتيب المدارك 1/317

(6) معالم الايمان 1/265

(7) طبقات علماء افريقيه 2/55

(8) " " " 2/23

(9) معالم الايمان 1/244

وكان اميل الثلاثة الى فقه مالك هو البهلول بن راشد نظرا لشدة تمسكه بالسنة حيث وجد فى المذهب المالكي بغيتة مصداق ذلك قوله : مارأيت أنزع باية من كتاب الله من مالك بن انس مع معرفته بالصحيح والسقيم والمعمول به من الحديث والمتروك وميزة الرجال وصحة حفظه وكثرة نقده الى مايؤثر عنه من الكلام فى غير ذلك من العلوم كرسالته الى ابن وهب فى الرد على أهل القدر وكونه جالست ابن هرمز ثلاث عشرة سنة ويروى ستة عشرة سنة فى علم لم ابثه لاحد من الناس قال وكان من اعلم الناس بالرد على أهل الاهواء وبما اختلف فيه الناس (1) .

غير ان الصلة بين ابن فروخ وابن غانم من جهة ومالك من جهة ثانية لم تنقطع طوال حياة مالك اذ كان ابن فروخ يبعث لمالك يستفتيه فى بعض القضايا ويأخذ رايه فى وضع المولفات للرد على اصحاب الاهواء وكان بن غانم يبعث له تارة مباشرة وتارة عن طريق كاتبه (2) حيث يطرح عليه بعض القضايا التى تعترضه فى مهنته .

وهناك مجموعة أخرى انطلقت بعيد هذه بها اسد بن الفرات (145 ـ 213هـ) وصحبه فيها جماعة منهم حارث بن أسد القفضي وغالب بن مهدى وعمار بن الوليد الفارسى (3) قال أسد (دخلت انا وحارث بن اسد القفضى وغالب بن مهدى على مالك بن انس لا ودعه فتقدم اليه صاحباى فقالا له اوصنا يرحمك الله) فاوصاهما ثم قال لي اوصيك بتقوى الله تعالى والقرآن والنصيحة لهذه الامة فلما خرجنا من عنده قال لى صاحباى : زادك والله علينا يا ابا عبد الله) . (4) .

والغالب على الظن ان رحلة اسد وصحبه الى مالك كانت فى آخر عمر مالك اذ يقال ان اسدا ارتحل الى مالك سنة 172هـ(5) . فأخذ عنه الموطا وكتب عليه سماعات فى فقه المسائل وكان كثيرا لاسئلة ملحاحا فيها ولما فرغ اسد من سماعه للموطأ قال لمالك (زدنويا ابا عبد الله وكانه استحق الموطأ فقال له مالك حسبك ماللناس) (6) . فانطلق الى العراق حيث اخذ عنه ابو يوسف القاضى (182هـ) موطأ مالك والتحق بابن الحسن الشيباني فاخذ عنه فقه الاحناف مقارنا اياه بسماعاته عن مالك ولما بلغته وفاة مالك قال قولته الشهيرة (ان ان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم اصحابه (7) .

---

(1) ترتيب المدارك 1/90

(2) معالم الايمان 1/298

(3) طبقات علماء افريقيه 7/254

(4) معالم الايمان 2/6

(5) رياض النفوس 1/173 - 174

(6) معالم الايمان 2/5

(7) المدارك ج1 - ق3 /245

وفي مصر جلس الى ابن القاسم (191هـ) تلميذ مالك وزميله في حلقته وانكب على تصحيح سماعاته وارجاعها الى اصولها حتى دون ستين كتابا وسماها الاسديه (1) وهي ثمرة نضال علمي مدته تسع سنوات اذ عاد الى افريقية القيروان سنة 181هـ (2) والاسدية اول كتاب افريقي دون فيه مذهب مالك. ومجموعه اسد تعتبر آخر مجموعة التقت بمالك واما من رحل بعدها فقد التقوا بكبار تلاميذ مالك من امثال ابن وهب وابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم وغيرهم، وبتتبعي لكتاب طبقات علماء افريقية (3). لابي العرب التميمي وجدت ان عدد من جلس الى مالك من طلبة افريقية قد تجاوز الثلاثين وقد سرد اسماءهم في الجزء الاول والثاني والثالث بداية من الصفحة 34 ـ الى ص 100 اما في الجزء السابع المخصص لعلماء تونس فقد ذكر ثلاثة منهم علي بن زياد وابن اشرس وعباس بن الوليد الفارسي (4).

وقد اورد صاحب الحلل السندسية عن ابن الحارث قوله : كانت افريقية قبل رحلة سحنون قد غمرها مذهب مالك بن انس لانه رحل منها اكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقي مالك بن انس وسمع منه وان ان الفقه والفتيا انما كان في القليل منهم كما كان ذلك في علماء البلاد (5).

وبعد هذه المجموعة كانت هناك مجموعة أخرى اخذت عن كبار تلاميذ مالك، ويمثل هذه المجموعة الامام سحنون ومن اصحابه في هذه الرحلة ابن رشيد، وكان سحنون قد اخذ عن علي بن زياد واسد والبهلول بن راشد وابن غانم ومعاوية الصمادحي وابن فروخ وكلهم تلاميذ لمالك الا انه بعد ان أخذ علمهم التحق بالمشرق سنة 188هـ فسمع هنالك من المصريين من تلاميذ مالك الا ان معوله كان على عبد الرحمن بن القاسم العتقي (191هـ) وعليه صحح الاسديه ثم عاد بها الى افريقية ومعه كتاب من ابن القاسم الى اسد يطلب منه فيه تصحيح اسديته على المدونة فرفض ذلك (6). والمدونه تعتبر الكتاب الثاني يدون في المذهب المالكي، فاعتني به المؤلف اختصارا وشرحا وتهذيبا وكان الصدر الذى استمدت منه الكتب المؤلفة بعده كالمجموعة لابن عبدوس وغيرها من الكتب.

(1) معالم الايمان ج/ 12 ـ 13
(2) طبقات علماء افريقية ج/ 83
(3) " " ج/ 34 ـ 100
(4) طبقات علماء افريقية الخشني ص 251 ـ 253. ط دار الكتاب اللبناني
(5) الحلل السندسية ج 3 ص/ 774
(6) معالم الايمان ج/ 78

اما فى القرن الرابع فكانت رسالة بن ابى زيد القيرواني وكتابه النوادر والزيادات على المدونه وكتابه مختصر المدونه وكانت النوادر والزيادات لابى محمد من اكثر الكتب احاطة بالمذهب المالكي اذ حوت زيادة عما جاء فى المدونة ما جاء فى غيرها وما بلغ الى مؤلفها من اقوال شيوخه وشيوخهم .

وقد كتب لسفريه الرسالة والنوادر والزيادات لسعة الانتشار شرقا وغربا حتى كانت الرسالة تقرأ فى ان واحد بالابرة ازبنداد وفى غرب افريقية من بلاد الملثمين (1) وكانت هذه الكتب عنوانا على ما بلغه شيخنا ابو محمد من علم وصلاح حتى قيل : وكتبه تشهد له بذلك (2) بل بفضلها لقب بمالك الصغير (3) . وهذا ما سنفصل فيه القول بحول الله فيما يستقبل من هذا البحث .

(1) ذكرلي ذلك العلامة المرابط مختار بن حامد

(2) ترتيب المدارك 4/492

(3) الديباج /135

ابن أبي زيد من الميلاد الى ساعة التحمل والاداء

الفصل الأول . من الميلاد الى الدراسة

تمهيد :

لقد رأينا عند حديثنا عن مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية بالقيروان في القرن الرابع للهجرة ما لفقهاء افريقية وما لعلمائها من دور بارز وفعال في تشكيل احداث تلك الحياة بشكل يجعل منها حياة ثرية بانتاجها الفكري غنية بانتاجها الاقتصادي متزنة في تحركها الاجتماعي .

ولا أرى لهذه الخاصية من سبب سوى تمسك الاغلبية العظمى من اهلها -عالمهم وعاميهم- بمذهب واحد فقها وعقيدة . لقد هيأت هذه الوحدة الفكرية للعلماء الباحثين مناخا طيبا ساعدهم على تعميق دراساتهم وتوضيح مناهجهم وبلورة ارائهم ودعم اجتهاداتهم . مما مكنهم من البروز مؤثرين ومتأثرين ومثرين للانتاج الفقهي خاصة وللتشريع الاسلامي عامة . حتى غدا تاريخ القيروان العلمي تاريخا حافلا بجهابذة العلماء عطرا باستدراكاتهم عمن سبقهم عبقا باجتهاداتهم المستمدة من النصوص احيانا ومن القياس احيانا أخرى . وكان أهل القيروان كغيرهم من ساكني الامصار الاسلامية منهم المتشبث بحرفية النص ... ومنهم المتطرف في تعلقه بالرأي ومنهم من يجمع بينهما فهو نصوصي عند توفر النص الصحيح وهو عقلاني عند انعدام النص الصحيح وهذا المنهج الاخير هو الغالب على تفكيرهم ولذلك كان انتشار فقه مدرسة الرأي بينهم قليلا على الرغم من دعم السلطة له في عهد الاغالبة وغيرهم ، وكذلك الحال بالنسبة للظاهرية الرافضة للقياس اذ كان عدد القيروانيين الاخذين بها قليلا وقليلا جدا (1) .

ان وقفة متأملة في تاريخ تدوين الاسدية بداية من سنة 172 هـ . والى غاية 181 هـ . وهي السنة التي عاد فيها أسد الى افريقية حاملا معه اول كتاب يدوّن في الفقه المالكي بافريقية لتثبت لنا اثباتا قطعيا حرص هذا المدون على الجمع بين النص والرأي اذ قد بدأ كتابه بتدوين سماعاته على مالك ثم ارتحل الى العراق لاثراء هذه السماعات الاثرية بالاراء العقلية وقد اختار لهذا الاثراء اسد تلاميذ مالك لانه اكثر أهلية من غيره في تحقيق بغيته (*) . ثم يرتحل الى مصر للتحقق من صحة ما أخذ في العراق . واعتقد انه لو طال العمر بمالك لعاد اليه ولم يذهب الى غيره . ألم يقل عندما بلغته وفاة مالك (ان كان فاتني لزوم مالك فلا يفوتني لزوم اصحابه)؟ (2) . ولم يكن هذا الموقف خاصا باسد بن الفرات بل نجد مثله لابن فروخ قبله اذ كانت له رحلتان التقى في اولاهما بمالك وبابي حنيفه ثم عاد ثانية الى مالك سنة 175 هـ . ولا ارى لذلك من سبب سوى شدة تمسك اهل القيروان بهذا المنهج الجامع بين النص والعقل .

(*) انظر قائمة مصادر البحث حيث ترجمت له كلها

(1) ترتيب المدارك 1/54

(2) " " 2/469

ان يفضل مثل هؤلاء التلاميذ المخلصين الاكفاء من أهل القيروان فمكن للمذهب المالكي من الانتشار من بغداد شرقا الى المحيط الاطلسي غربا بل عبر العدوة واخترق الصحراء واصلا بين مجاهل افريقية وغاباتها وثلوج اروبا ومرتفعاتها ثم ليخترق بعد ذلك النهرين والبحرين حيث تلتحم باختراقه هذا القارات الثلاث بحبل الله ... ولا حبل لله سوى الاسلام .

وبذلك ترى ان دور القيروان قد تجاوز دور المحطة التى يسترجع فيها الجنود الانفاس ويجنّون فيها القوى ويشحذون فيها العزائم لمواصلة مسيرة الخير... بل كانت مدينة عقبة معلما حضاريا فاض هدى وتقوى واشع نورا وضياء وسطع علما ومعرفة ،وما ذلك الا بسبب ما انجبته تربتها الطاهرة من فحول العلماء وجهابذة الباحثين فى شتى المعارف والعلوم ولذلك اكتظت صفحات كتب التاريخ والتراجم بالاسماء وطفحت صفحات دوائر المعارف بالالقاب وأثريت اوراق كتب المعاجم والطبقات بالاراء والنظريات،وتعددت بتعدد العلماء الاثار والصنفات فى مجالات علمية كثيرة من فقه الى تاريخ ومن علم كلام الى فلسفه ومن حساب الى طب ومن طبيعة الى كمياء ..الخ الا انى فى هذه الدراسة سارتكز بحثى فى فرع من فروع هذه الحضارة التى تحمل فى طياتها بذرة الخلود والبقاء مادام هناك قرآن يرتل ... ومادامت هناك " الله اكبر " بها تستقبل تباشير انفجر وعلى معانيها القدسية يودع الليل .

ان الحديث عن جزء من تاريخ الفقه الاسلامي بهذه الربوع يجرنا حتما الى الحديث عن عالم ملأ الدنيا بعلمه وشغل الناس بشجاعته فاقبلوا على قيروانه طالبين علما باحثين عن معرفة. وقد وجدوا علما غزيرا وصادفوا معرفة واسعة وعميقة فلقبوه بمالك الصغير وعالم المغرب،وكانوا نعما اطلقوه عليه من القاب ونعوت لصادقين اذ انه : اشهر علماء المالكية فى المائة الرابعة (1) . وليس هناك اشهر من ابى محمد عبد الله بن أبى زيد النفزاوى القيروانى .

فمن هو ؟ ... وما هو موقعه فى تاريخ التشريع الاسلامى ...؟ وما هي اشهر اعماله التى جعلت منه مالك الاصغر وعالم المغرب ...؟ .

نسبـــه :

هو أبو محمد عبد الله بن أبى زيد عبد الرحمان النفزاوى القيروانى هو لدا ومنشأ ومدفنا (2) . وقد شك بروكلمان فى اسمه فقال هو عبد الله (أو عبيد الله) (3) وقد نقل اخرون هذا الشك عنه (4) . غير أن الذى عليه المعول ان اسمه هو عبد الله وهو ما اتفقت على ذكره كتب التراجم المعتبرة قديمها وحديثها على حد سواء .

---

(1) تاريخ الادب العربي كارل بروكلمان 286/3

(2) معالم الايمان 109/3 ط. تونس 1978

(3) تاريخ الادب العربي بروكلمان 286/3

(4) دائرة المعارف للبستاني المجلد الثانى ص312 ط بيروت 1958

وكما اختلف في اسمه اختلف في اسم والده فقيل هو بلال بن عبد الرحمان بن اسحاق (1) وقيل هو ابو زيد بن عبد الرحمان، الا ان هذا الخلاف ليس له اساس من الصحة اذ من الممكن انه راجع الى خطأ النساخ وذلك ان كل كتب التراجم التى ألفت قريبا من عصره تتفق على ان اسم والده هو عبد الرحمن. واسرة ابى زيد عبد الرحمان اصيلة مدينة القيروان غير اننا لا نعرف متى وفدت عليها ولا استبعد ان يكون وفودها قديما جدا حتى غدا لا يعرف لها بلد سوى القيروان حيث نسبت اليه فقيل القيرواني.

الا ان لابى محمد نسبة أخرى تسبق نسبته الى القيروان وهي: النفزاوي" وهذه النسبة قد تعطينا فكرة عن الموطن الاصلي القديم جدا لهذه الاسرة. واين يقع؟ هل بداخل ارض افريقية والمغرب ام ..... بخارجها؟ وبالعودة الى كتب الرحالة والجغرافيين نجد: ان اسم نفزة موجود بكل من الاندلس وافريقية ففى الاندلس توجد نفزة بمنطقة" جانيفا (2) " أما بافريقية فهناك موضعان احدهما فى الشمال حيث نجد فى سهول باجة قرية تسمى نفزة، والاخرى بالجنوب الغربي حيث نجد جنوب شط الجريد منطقة تتألف من قرى عديدة اسمها نفزاوة (3).

ونظرا لهذا اختلفت الاراء حول مكان نفزة او نفزاوه التى انتقلت منها عائلة ابن ابى زيد الى القيروان فقد ذهب ياقوت في معجم البلدان (4). الى ان الموطن الاصلى لهذه القبيلة هي منطقة" شاطبة" بالاندلس بل ان لها فخذين هناك وبذلك فان ابا محمد الذى لا شك فى انحداره من هذه القبيلة هو اصيل الاندلس وانما استقرت عائلته بالقيروان عقب هجرة القبيلة او بعضها اليها. وهذا ما أخذ به أحد المؤرخين التونسيين (5) وتابعته في ذلك دائرة المعالم الاسلامية (6).

وهناك طائفة اخرى من المؤرخين يرجعون نسبته الى قبيلة نفزاوه المستقرة بالجنوب التونسي من ذلك ما ذهب اليه الشيخان التتائى و زروق من ان نفزاوه قبيله من قبائل افريقية تقع شرق شط الجريد واليها ينسب عبد الله بن أبى زيد (7)..

---

(1) دعوة الحق عدد 3 سنه 21 ص 52

(2) DEUX JURISTES KAIROUanais de l'EPOQUE ZIRIDE H.R.IDRIS R 125

(3) معالم الايمان 3/109. يقول المحقق فى تعليقه على لقب النفزاوي: النفزي ولا سواء بينهما لانه يوجد بالقطر التونسي شمالا نفزة وجنوبا نفزاوة. والاكثر القول النفزي.

(4) معجم البلدان لياقوت الحموي 4/799 b ليبزيغ 1869

(5) دعوة الحق عدد 3 سنه 21 ص 52

(6) دائرة المعارف الاسلاميه. 80 b، ليسبر 1933

(7) مقدمة شرح الرسالة 1/5.

أما الاستاذ الباحثة الهادي ادريس فقد علق على مازعمه يقوت قائلا ينبغي ان نفهم من اسم الجنس نفزي - ان اباه منحدر من قبيلة نفزه المستقرة بنفزاوه شرقي شط الجريد واذا كان يقوت قد أشار الى وجود فخذين لهذه القبيلة بمنطقة : جانيقا واكد ان ابن أبي زيد كان نفزيا فهذا ليس معناه انه ينبغي ارجاعه الى اصل اندلسي او القول انه ولد بالاندلس وان كان من المحتمل ان تكون قبائل نفزة بالاندلس يعود اصلها الى افريقية وبصفة عامة فلو كان من اصل اندلسي للقب او كني احيانا بالاندلسي وهذا لم يقع البتة (1) .

و عند وضع الرأيين على بساط البحث نجد ان ثانيهما هو اقرب الى الحقيقة والمنطق التاريخي ذلك ان قبيلة نفزاوه الواقعة اراضيها شرقي شط الجريد وجنوب غربي قابس هي عبارة عن اراض مترامية الاطراف يغطيها شجر النخيل و تنتشر فيها القرى الوديعة داخل واحات ملتفة حول نفسها مما جعلها رباطات صحراوية تحمي الواجهة البحرية لارض افريقية حيث تشكل العمق الاستراتيجي لها . وخط الرجعة لهذه الواجهة اذا ما اشتد ضغط الغزاة عليها بالاضافة الى ذلك فان الاغلبية العظمى من سكانها هم من العرب الذين توافدوا على افريقية منذ حركة الفتوحات الاولى حيث استقروا هناك بعائلاتهم و مواشيهم وعبيدهم وهذا ما يفسره كثرة وجود الزنوج هناك . وقد وجدوا في هذه المنطقة ما تعودوا عليه من مناخ صحراوي جاف في موطنهم الاصلي . وتبعا لهذه الخصائص فقد عرفت أهل هذه المنطقة بتعلقهم باللغة العربية حتى بعض لهجات عروشهم تكاد تكون لغة بدو الجزيرة العربية في عصرها الجاهلي . يضاف الى هذا التعلق تعلقا ثانيا وهو تعلقهم بتحفيظ القرآن لصبيانهم وتدريس علوم الشريعة منذ اقدم العصور مما هيأ هذه المنطقة ان تكون موطنا لكثير من العلماء اذ لقب النفزاوي والمعافري والقابسي والجمني والمرزوقي والمطماطي تتردد كثيرا في كتب التراجم . فقرى جمنه وتوجان والحامة والمرازيق وقبلي وغيرها من القرى التي كان يحفظ فيها القرآن وتدرس فيها علوم الشريعة والعربية وادابها وعند ما يتهيأ للطالب حفظ القرآن واكتساب ملكات في علمي المقاصد والوسائل فان نفسه تشتاق الى المزيد وليس أمامه سوى الرحيل الى احدى حواضر افريقية وكانت القيروان حاضرة الحواضر ببلاد افريقية والمغرب وعاصمة العلماء والنبع الذي استقى منه علماء الواحة ومؤدبوها علما نافعا ومعرفة عميقة ولذا فلا استعبد ان يكون أحد اجداد ابن أبي زيد قد ارتحل الى القيروان لهذا الغرض فوجد هنالك ما ارتاحت اليه نفسه فاستقر بها وكون فيما عرف من بعد باسرة النفزاوي اولا وبالقيرواني ثانيا وهذا ما تدعمه الرابطة الدموية التي يقال انها موجودة بين ابي الحسن القابسي وابن ابي زيد النفزاوي (2) . اذ من المعروف والى وقتنا الحاضر ان النازحين الى الحواضر كثيرا ما يفضلون السكن في حي واحد ، وبحكم هذه المساكنة صاهر كل من جدي النفزاوي والقابسي الى عائلة واحدة . فكان من بنتي هذه العائلة نسلهما بالقيروان .

DEUX JURISTES KAIROUANAIS, H.R. IDRIS P 125 (1)

(2) NOTE SUR L'identification du dédicataire de la RISÂLA d'IBN ABÎ ZAID AL-QAIRAWÂNI. les cahiers de Tunisie. Année 1953 Tome 1. P 63. H R IDRIS

مولـــــده :

ولد ابو محمد عبد الله بن أبي زيد سنة 310هـ /922م بالقيروان بعيد ثلاث عشرة سنة من قيام دولة الفواطم الشيعية بالقيروان على انقاذ امارة الاغالبة السنية (1) ومن خلال تتبعي لتاريخ ميلاده المحدد بسنة (310هـ / 922م) والذى ذكره اغلب من ترجم له وجدت ان هناك شبه اجماع على هذا التاريخ من امثال البغدادى فى هدايته (2) والدباغ فى معالمه (3) ومخلوف فى شجرته (4) وقد سار على منوالهم فى عصرنا هذا الزركلى فى اعلامه (5) وكحاله فى معجمه (6) ، دائرة المعارف الاسلامية (7) . اما الشيخان النفزاوى و زروق فقد ذكرا ان ميلاده (8) كان سنة (316هـ/928م) وهو ما أخذ به برو كلمان فى تاريخه للادب العربى (9) . اما البستانى فى دائرة معارفه (10) فانه ذكر التاريخين لكنه اسبق الثانى بلفظ قيل مما يشعر القارى بان الاول أصح واقرب الى الحقيقة .

غير اننا لا نملك من الحجج المادية ما ترجح به مذهب احدى المجموعتين على الاخرى بحكم ان تواريخ ميلاد اهل العلماء لا يحتاج اليها الا بعد ان يشتهر صاحبها ولكن مع ذلك فقد وجد ما يمكن ان يجعلنا نطمئن الى راى المجموعة الاولى دون راى المجموعة الثانية يقول الاستاذ احمد سحنون (و ذكر الشيخ زروق انه ولد سنة 316هـ فاذا قابلناه على اجماع مؤرخيه بانه صنف رسالته فى الفقه سنة 327هـ . كان عمره يومئذ على قول زروق احدى عشرة سنة و هذا بعيد) (11) . يضاف الى هذا انى اعتبر ان اكثر المؤرخين عناية به و بترجمته هو المؤرخ ابن ناجي اذ له زيادات كثيرة على الترجمة التى وضعها له الدباغ فى المعالم ولهذا فلو كان لديه اى ريب فيما يخص تاريخ ميلاده لاورده على غرار ما فعله فى كل ما يتصل بحياته من قريب او من بعيد (12) .

---

(1) الكامل لابن الاثير 8/ احداث 296هـ.

(2) هداية العارفين فى اسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادى 1/447-448. ط. استنبول 1951

(3) معالم الايمان للدباغ 3/118. ط. تونس 1978

(4) شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ط. القاهرة 1348هـ ص96 ترجمة عدد 227

(5) الاعلام للزركلي 4/230

(6) معجم المؤلفين لكحالة 6/73

(7) دائرة المعارف الاسلامية ط. ديسمبر 1933 / 80

(8) دعوة الحق العدد [3] السنة [21] ص 52

(9) تاريخ الادب العربي لبروكلمان ط مصر 1962 . 3/286

(10) دائرة المعارف للبستاني المجلد الثاني ص 312 ط بيروت 1958

(11) دعوة الحق العدد الثالث السنة 21 ص 52 - الرباط - وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

(12) معالم الايمان 3/ 109 - 121

طفولتــــه :

ليست لدينا اية معلومات عن طفولة ابي محمد عبد الله بن ابي زيد النفزاوي القيروانـــي سوى ما يمكن ان يقال بالنسبة لغيره من اطفال عصره وما تعوروف عليه بين الاسر القيروانية من حيث أخذ اطفالهم الى الكتاتيب العامة او الخاصة لتحفيظهم القرآن وتعليمهم أصول الكتابة . ثم التدرج معهم في علوم الوسائل والمقاصد اعدادًا لما يستقبل من الدراسات العلمية الواسعة على أيدي قطاحلة العلماء القيروانيين . في مساجد القيروان ودور العلماء او باحدى الرباطات وما اكثر الرباطـات بافريقية ... وتظهر عناية أهل القيروان بتعليم اطفالهم خاصة وبالمجال التربوي عامة المؤلفـات التي وضعت في هذا الميدان مثل ذلك احكام المعلمين والمتعلمين (1) لابن ابي زيد ومثله للقابسي وهو المعروف بالرسالة المفصلة لاحوال المعلمين والمتعلمين (2) ولابن الجزار القيرواني كتاب سياسة الصبيان (3) وقد الف قبل هؤلاء جميعا محمد بن سحنون (5) كتاب المعلمين (4) . ومن خلال بحثي عن بعض صور لطفولته وجدت النص التالي : (بالقيروان نشأ وتربى ولم تذكر المصادر شيئا عن اسرته ولا عن ماضي حياته الاولى وكيف تلقى دراسته الاولية الا ما هو معروف عن طرق التعليم في عصره وبيئته فحفظ القرآن الكريم اولا في الكتاب وكان مؤدبه الشيخ محرز بن خلف ... ثم انتقل الى دراسة علـوم الاسلام والعربية وظهر نبوغه مبكرا حيث تذكر المصادر انه الف الرسالة سنة 327هـ وهو اذ ذاك ابن سبع عشرة سنة) (5) . في هذا النص حقيقة تاريخية لا مجال للشك فيها وهي المتمثلة في النبوغ المبكر لابي محمد عبد الله بن ابي زيد وفيه ايضا خطأ تاريخي فظيع احتمل في اعتبار الشيخ محرز بن خلف المؤدب (6) بتونس مؤدبا لابن ابي زيد القيرواني في حين اننا لو عدنا لتاريخ ميلادهما لوجدنا ان ابا محمد هو اقدم من الشيخ محرز ميلادا .

ان جعل امام تونس معلما لابي محمد بن أبي زيد هو أمر ليس من السهل التسليم بصحته بالاضافة الى انه لم يرد نص واحد يتضمن انتقال ابي محمد الى تونس في حياته لاخذ العلم بها . والذي اعتقده جازما ان ما ورد في هذا النص لا يعدو ان يكون اسطورة ليس لها ما يدعمها منطقا وتاريخا ويظهر لي ان قائله قد اغتنم شهرة الشيخ محرز في تحفيظ القرآن ثم القرابة الرابطة بينه وبين ابي محمد ونسج من هذا كله اسطورته هذه .

دراستــــــه :

ليس من قبيل الرجم بالغيب عند ما نعين العلوم التي تلقاها ابو محمد اثناء دراسته الى ساعة تصدره للفتيا والتدريس وذلك من خلال معرفتنا بما كان يدرس في المعاهد العلمية بالقيروان في القرن الرابع الذي عاش فيه هذا الطالب القيرواني الذي سيصبح بعد تخرجه عالم المائة الرابعـــة بـلا منـــازع .

لقد بدأ ابن ابي زيد كغيره من تلاميذ عصره بحفظ القرآن الا اننا لا نعلم هل حفظه بالكتاب العام أم على يد مؤدب خاص لان التاريخ قد سكت عن القاء اضوائه عن حالة اسرته . وذلك لان من عادة الاسر الغنيـــة ان تخصص لاطفالها مؤدبا خاصة يقوم على تحفيظهـــم وتعليمهم اصول الكتابة والمبادئ الاولى لعلوم

(1) المقدمة ص 1043 ط 3 دار الكتاب بيروت سنة 1967
(2) معالم الايمان 3/136 ط. تونس 1978
(3) مختصر تاريخ تونس ح ح عبد الوهاب ص 107 ط. تونس 1976
(4) الديباج لابن فرحون ص 235 - 236
(5) دعوة الحق عدد 3 السنة 21 ص 60
(6) انظر ترجمة الشيخ محرز بن خلف ص من هذا البحث . 127 - 129

الوسائل والمقاصد بمكان خاص بمنزل العائلة ، وهو نفس المسلك الذى سلكه ابن ابى زيد مع اطفاله ونجد مثله لسحنون مع ابنه محمد وغيرهما كثيرون من العوائل القيروانية .

ان غاية ما بلغ الى علمنا انه حفظ القرآن (واجاد حفظه وتعلم اصول الكتابة واتقنها واستفاد من المبادئ الاولية للعلوم استفادة مكنته بعد ذلك من الجلوس الى حلقات الشيوخ العلماء . ويبقى امر واحد ثابت لدينا ثبوت الشمس فى رابعة النهار وهو جدية ابى محمد فى دراسته ومواظبته على هذه الدراسة حتى ابان حالات الاضطراب والخوف التى مرت بالقيروان . ان انعام النظر فيما روته كتب التراجم لتجعلنا نتيقن من هذا السلوك المدرسي الجاد وهذه المثابرة التى لم تعرف انقطاعا ولا تكاسلا من ذلك " انه لما سجن شيخه ابن اللباد من طرف بنى عبيد اياما ثم اطلق سراحه ومنع من الفتوى والاسماع كان ابو محمد ابن ابى زيد وابو محمد ابن التبان يأتيان اليه فى خفية وربط جعل الكتب فى اوساطهما وحجزتهما حتى تبتل باعراقهما خوفا من بنى عبيد ان يسألوهم بمكروه (1) . بل نجده مقبلا على دروسه حاضرا مجالس شيوخه حتى ابان الفتن الكبرى من ذلك ما ذكرته لنا كتب التراجم من انه كان زمن احتلال القيروان من طرف ابى يزيد الخارجي من الطلبة الذين لم ترهبهم تلك الجيوش وتثنى من عزائمهم عن اخذ العلم اذ ورد فى ترجمة شيخها المعروف بابن اخى هشام (وكان يجتمع أى شيخه - هو وابو الازهر بن معتب وابو محمد بن ابى زيد وابن شبلون وابن التبان والقابسى وجماعة ذكرناهم ونذكرهم فى جامع القيروان للتفقه عندما ظهر ابو يزيد على بنى عبيد) (2) . وفى نفس الوقت كان يجلس الى حلقات الشيوخ الاخرين من امثال ابى اسحاق السبائى وكثيرا ما كانت السلط العبيدية تهاجم هذه الحلقات وكثيرا ما كان ابو محمد يفر مع الفارين ، من ذلك ما ورد أيضا فى ترجمة أبى اسحاق السبائى (واستأذن عليه - أى السبائى - يوما صاحب المحرس فهرب كل من كان معه - ومنهم ابو محمد بن أبى زيد - ولم يبق معه غير القابسى فقال الشيخ من هذا فقال انا فلان قال ادخل يا شيطان ما يريد الشيطان اخو الشيطان فلم يكلمه يومئذ الا بالشيطان فلما خرج رجع من هرب فقال لهم : ما هذا حق الصحبة تهربون وتتركونى ؟ ولا مهم على فعلهم) (3) . والذى يظهر من هروب ابى محمد وزملائه من حلقه الشيخ انما كان بسبب خوفهم من حملهم على التشيع حملا بدليل نص آخر ورد فى المعالم بين ذلك اذ ورد : كان عبد الله المعروف بالمختان صاحب القيروان شدد فى طلب العلماء ليشرقهم (4) فطلب الشيخ ابا سعيد بن اخي هشام وابا محمد بن التبان وابا القاسم بن شبلون وابا محمد بن أبى زيد وابا الحسن القابسي فاجتمعوا فى مسجد اللجام - وسمعت شيخنا ابا الفضل البرزلى ينقل غير مامرة ان اجتماعهم كان بدار أبى محمد بن أبى زيد - فقال لهم ابن التبان انا أمضى واكفيكم مؤونة الاجتماع به ويكون كل واحد منكم فى داره ويقال انهم ارادوا المسير اليه فقال لهم انا امضى اليه ابيع روحي من الله دونكم لانه ان أتي عليكم وقع على الاسلام وهن) (5) ..

---

(1) معالم الايمان 3/ 45

(2) الديباج المذهب فى معرفة اعيان علماء المذهب لابن فرحون ص ٢٦١ ط مصر ١٣٥١ هـ

(3) معالم الايمان 3/73

(4) المراد بما يظهر التحمل على مذهب المشارقة وهو التشيع (التعليق لما ورد معالم الايمان 3/ 91)

(5) معالم الايمان 3/ 91

وبالاضافة الى هذا الاقبال على حضور حلقات الدروس عند العديد من الشيوخ كان يقضي ساعات فراغه في المذاكرة مع زملائه تارة على انفراد وطورا بحضور شيخ من شيوخهم لحسم ما قد يقع بينهم من خلاف علمي وكان ابو محمد هو الذي يتولى قراءة المختصات وفصول الكتب وتوجيه النقاشحول المسائل المعروضة، من ذلك ماورد في ترجمة السبائي : (وتذاكر العلماء بحضرته ــ السبائي ــ وفي مجلسه ابن ابي زيد ــ وهو الحذق عليهم ــ وابو القاسم بن شبلون وابو الحسن القابسي وسعيد بن ابراهيم وغيرهم كل من يعرف مسالة كان يحضر مجلسه وذلك لما منعوا من المواعيد والفتوى فاذا تنازعوا فصل بينهم بامر يرجعون كلهم اليه) (1) . وليس هناك اقوى حجة على نبوغه ابان تلمذه من تتلمذه في ارائه من طرف بعض شيوخه كابي اسحاق السبائي وغيره ممن هم دونه سنا وعلما (2) .

وقد تابع هذا الطالب الذكي معاملة شيوخه له باحسن منها اذ كان بارا بهم محترما لهم مرتادا لمجالسهم حتى وان وضعوا تحت الاقامة الجبرية باكيا عليهم بدموع حرى ابان موتهم او استشهادهم ، متشبها بهم في سلوكهم متمسكا باخلاقهم وتصرفاتهم مدافعا عن ارائهم واختياراتهم واصفا اياهم باحسن الاوصاف مضيفا اليهم اطيب النعوت ملحقا بهم خير الخصال وازكى الشمائل ، من ذلك ماورد في ترجمة أبي الفضل الممسي (جمع الفقه البارع والورع الحاجز والسمت الحسن، وحسن الاشارة والهدى والسكينه وحكي ان مشيته كانت تشبه مشية عمر بن عبد العزيز وبه كان ابو محمد بن ابي زيد يتشبه في احواله) (3) .

وبالاضافة الى هذا التشبه بهم فقد كان عارفا باقدارهم محترما لعلمهم حتى قال في بعض المرات واصفا ابا اسحاق السبائي (وكان ابو محمد بن أبي زيد يصفهُ بكثرة العلم والعقل ويقول : ماهذا الذي نحن فيه الا ببركته) (4) .

ان جدية هذا الطالب القيرواني وشدة مثابرته في الاخذ توضحها كثرة العلماء الذين جلس اليهم شرقا وغربا حتى ان أحد الباحثين في العصر الحديث قد ترجم لاكثر من أربعين منهم وهو مع ذلك لم يترجم لكل شيوخه لان المصادر التي ارخت لحياة ابي محمد التعليمية في عصور متأخرة لم يبلغها العدد الكلي لهؤلاء الشيوخ (5) . وحتى اعطي فكرة عن عددهم واسمائهم اقوم بايراد نص من كتابين من كتب التراجم ذكرت جملة من هؤلاء الشيوخ على ان اضيف غيرهم لهم ساعة الترجمة الفرديه لكل واحد منهم ممن اجد له ترجمة .

ففي كتاب المدارك للقاضي عياض (6) . (544هـ) ورد قوله عند الحديث عن شيوخ ابي محمد بن أبي زيد القيرواني (وسمع من شيوخه وعول على ابي بكر اللباد وابي الفضل الممسي وأخذ أيضا عن محمد بن مسرور العسال وعبد الله بن مسرور الحجام والقطان والابياني وزياد بن موسى وسعدون الخولاني

(1) معالم الايمان 64/3

(2) " " " "

(3) " " 27/3

(4) " " 63/3

(5) DEUX JURISTES KAIROUANAIS H.R IDRIS P 125

(6) ترتيب المدارك 493/4 تحقيق د. بكير ط. بيروت 1967

وابو العرب واحمد بن أبي سعيد وحبيب مولى بن ابي سليمان وآخرين . ورحل فحج وسمع من ابن الاعرابي وابراهيم بن محمد بن المنذر وابي علي بن ابي هلال واحمد بن ابراهيم بن حماد القاضي والحسن بن نصر السوسي ، ودراس بن اسماعيل وعثمان بن سعيد الغرابلي وحبيب بن أبي حبيب الجزولي ـ وغيرهم واستجاز ابن شعبان والابهري والمروزي وسمع منه خلق كثير) (1) .

اما لو تصفحنا كتاب المعالم للدباغ (605هـ ـ 696هـ) لوجدنا قوله عند استعراضه لشيوخ ابي ابي زيد : (سمع بافريقية من ابي بكر محمد بن محمد بن اللباد وعليه كان اعتماده في الفقه وسمع من عبيد الله بن مسرور الحجام وابو عبد الله محمد بن العسال وحبيب بن الربيع ودراس بن اسماعيل الفاسي الجراوي والحسن بن نصر القوزري وابي الحسن علي بن محمد الخولاني ، وابي الفضل العباس بن المسي وابي ميسره احمد بن نزار وابي العرب محمد بن أحمد بن تميم وعبد الله بن سعيد الحداد والحسن بن بدر وحبيب بن ابي حبيب الجزولي ـ ومحمد بن موسى القطان وسعدون الخولاني وابي الحسن الكناني (2) وابي عبد الله محمد بن الفتح المرحي ، وعثمان بن سعيد الغرابلي وابي بكر بن سعدون واجازه من أهل المشرق ابو سعيد بن الاعرابي وابراهيم بن أبي بكر بن المنذر عن أبيه ، وابو بكر الابهري وجماعة من البغداديين) (3) . هذان النصان لا يدعيان انهما أحاطا بذكر كل الشيوخ الذين أخذ عنهم بل يعترفان ان ماذكراه منهم هو جزء من كل وليس كلا من كل ، بدليل قول عياض في نصه السابق عقب ذكره كل مجموعة : وآخرين ثم قال بعد ان ذكر مجموعة أخرى " وغيرهم : ومثل ذلك ماقاله الدباغ عقب ذكر الشيوخ " وجماعة من البغداديين " وهذا هو الذي قد دفعني الى القول بان كثرة شيوخه دفعت بالذين ترجموا له الى اضافة كل واحد منهم جماعة من هؤلاء الشيوخ الى ماذكره غيره وقد يزيد وقد ينقص عن هذا الغير ، مما دفعني الى جمع شتاتهم من كتب متعددة ، وهو نفس ما فعله من سبقني في هذا الموضوع ، ويعود سبب ذلك الى ان ابا محمد أخذ عن غير واحد وفي امكنة متعددة سواء داخل حواضر افريقية ورباطاتها الكثيرة او خارج افريقية بمصر والمدينة ومكة اثناء ادائه لفريضة الحج وكذلك اخذ عن بعضهم عن طريق الاجازة ، ومنهم من كان افريقيا ومنهم من كان حجازيا ومنهم من كان بغداديا ومنهم من كان مصريا ومنهم من كان اندلسيا ، ومنهم من أخذ عنه الفقه ومنهم من اخذ عنه علم الكلام ومنهم من أخذ عنه السنة والقرآن ومنهم من أخذ عنه العربية وغيرها ، ولذلك سوف نسلك نفس المنهج الذي سلكه غيرنا بغرض الاحاطة باغلبية الشيوخ حيث نقوم باستعراضهم على أساس أمصارهم بقطع النظر عن المكان الذي اخذ فيه عنهم ابو محمد بن أبي زيد .

وقبل ان أقوم بذلك ارتأيت من تمام الفائدة الاشارة الى أهم شيوخه في اهم مادة عرف بها وانتج فيها انتاجا كثيرا وثريا وهي مادة الفقه ، اذ ان شدة اعجابه بشيوخه في هذا العلم دفعته لاشك الى

---

(1) الديباج ص 136 ـ 137 أعاد نص المدارك

(2) المعالم يسميه الكنايسي [3 / 109] نقلا عن المصادر الاخرى التي تسميه الكانشي

(3) معالم الايمان 3 / 109

الاقبال على مسائله والتعمق في دراستها حتى امتلك من وراء ذلك ملكة قوية فيه جعلت منه بحرا يزخر اصدافا تلمع على سطحه السائل لمعان اليواقيت في هذه الاصداف ان من اشهر الشيوخ الذين عول عليهم في هذا العلم هما : ابن اللباد والممسي مصداق ذلك قول الداودي : وكان سريع الانقياد الى الحق تفقه بفقهاء بلده وسمع من شيوخه وعول على ابي بكر اللباد وابي الفضل الممسي " (1) وقال الشيرازي (393 - 476هـ) وهو اقدم وفاة من عياض : (وتفقه بابي الفضل الممسي وبابي بكر اللباد) ويذكر الدباغ (وسمع بافريقية من ابي بكر محمد بن محمد بن اللباد وعليه كان اعتماده في التفقه) . وهكذا ترى اجماع المصادر القديمة على تعويله على هذين الشيخين في المادة التي كان فيها نبوغه وهذا لا ينفي نبوغه في مواد اخرى على يديهما أيضا . وعلى غيرهما من الشيوخ وحتى نعرف القيمة العلمية لهذين الشيخين علينا ان نقرأ ما وصفا به في هذا الميدان . حيث نجد ان ابن اللباد قد وصفه الدباغ عند ما ترجم له بقوله (2) (وكان لا نظير له في علم القرآن وقراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصير باسماء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابل) . ونقرأ في ترجمة ابي الفضل الممسي (333هـ) قوله (3) (قال الشيخ ابو اسحاق السبائي حفظ القرآن ابو الفضل الممسي وهو ابن ثماني سنين وحفظ الموطأ وهو ابن خمس عشرة سنة (قال) جمع الفقه البارع والورع الحاضر والسمت الحسن وحسن الاشارة والهدي والسكينة) . وتقرأ في ترجمة شيخه ربيع القطان (4) . (333هـ) انه كان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والرقائق) كما أخذ عن ابي العرب التميمي (5) . (333هـ) علم الاثار وكيفية ضبطها وروايتها كما مده بعلم التراجم وخاصة تراجم علماء مدرسة سحنون واما شيخه ابو ميسرة بن نزار (6) فقد تأثر به ابو محمد وخاصة في المجال العقائدي اذ كان هذا الشيخ رافضا لبعض مذاهب المتصوفة القائلة بامكانية رؤية الله في الدنيا وقصته مع ابليس سيأتي ذكرها في موقعها ولهذا نجد ابا محمد يقف موقفا شديدا من مثل هذه الاقوال للمتصوفة ويجد مقاومة عنيفة ايضا . ونجد شيخه ابن الحجام (7) . (259 - 346هـ) يوصي له بثلث مكتبته لما لمسه فيه من اقبال على الأخذ ومواظبة على الدرس وذكاء فطري يجعله قادرا على الإستفادة والافادة من هذه الوصية التي لا تقدر بثمن ، وكان شيخه الكلشي (8) (239هـ - 347هـ) نزيل المستير من الشيوخ الادباء ومن اكثرهم دراية بالعربية وعلومها شعرها ونثرها ولعل ابا محمد قد تأثر به في هذا الميدان

---

(1) ترتيب المدارك 4/493 . ط. بيروت 1967 تحقيق د. بكير

(2) معالم الايمان 3/22 . ط. تونس 1978 تحقيق ماضور

(3) " " 3/27 " " " "

(4) " " 3/30 " " " "

(5) الديباج المذهب ص 250 ط. القاهرة 1351هـ

(6) معالم الايمان 3/41

(7) " " 3/58

(8) الديباج المذهب ص 194

انه كان من المبدعين فى النثر والشعر فى مرحلة اداء لماتحمله على هؤلاء الشيوخ وكتبه وشعره لشاهدة له على هذا الابداع . وكما كان ابو محمد يزور بشوسه والمستنير للاخذ والعلم كان يزور مرقاق لاخذ العلم . . عن شيخه الابياني (261 _ 352هـ) الذى كان يدرس الواضحة لابن حبيب الاندلسي (1) .
وكان للابياني راى حسن في ابي محمد فقد سئل عن علماء القيروان فذكر ابن اخي هشام ثم قال (واما الثاني من الاثنين فاني رايت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له عبد الله بن أبي زيد) (2) . وما دمنا في ذكر الفقه المالكي بالاندلس فقد اخذ ايضا الواضحة والمستخرجة والموازية على يدي دراس الفارسي (357هـ) الذى وقد على القيروان واستقر عند ابو محمد (3) مدة اقامته هناك كما أخذ هذا الفقه أيضا على الاصيلي (4) عند وفوده على القيروان . واخذ اصول الفقه والقضاء والنوازل على شيخه ابن اخي ابى الازهر (5) (371هـ) وكان ابو محمد شديد الاعجاب بهذا الشيخ حتى قال فيه (ما بافريقية افقه من أبي الازهر بن معتب وانما قطع به لقلة دنياه) . وكان قد وجد في شيخه ابن اخي هشام (297 _ 373هـ) خير من أخذ عنه وخير من وجهه ابان احتلال القيروان من طرف . . أبي يزيد الخارجي وبعده (6) . فقد ورد (انه دخل يوما على ابى سعيد بن اخي هشام يزوره فوجد مجلسه محتفلا فقال له بلغني انك ألفت كتبا فقال له نعم اصلحك الله فقال له اسمع مسألة . . ؟ قال له ابو محمد اذكر اصلحك الله فان أصبت اخبرتنا وان اخطأت علمتنا فسكت ابو سعيد ولم يعاوده) (7) .
كما عمق معرفته بالعقيدة الاشعرية على يد ابي بكر بن عبد المومن تلميذ ابن مجاهد البصري الذى هو بدوره تلميذ أبي الحسن الاشعرى ، فقد انتقل ابو بكر بن عبد المومن الى القيروان وسكنها وزامن ابو محمد فيها فاخذ عنه وقتئذ ماعمق به معرفته بالعقيدة الاشعرية التي لاشك انه اطلع عليها ابان حجة ممن التقى بهم من شيوخ الاشاعرة (8) .
وهناك شيوخ مشارقة قد اجازوه لما بلغهم عنه من علم ومعرفة كابن شعبان المصري وابي سعيد بن الاعرابي وابي بكر الابهري والمروزي وغيرهم من البغداديين (9) .

---

(1) الديباج المذهب ص 136

(2) معالم الايمان 3/100

DEUX JURISTES KAIROUANAIS. H.R.IDRIS. P 134

(3)

(4) " " " " : R 136

(5) الديباج المذهب 167

(6) الديباج ص : ١١٠ - ١١٨

(7) ترتيب المدارك 4/497 .

(8) DEUX JURISTES KAIROUANAIS. H.R.IDRIS P 139

(9) معالم الايمان 3/109

فاذا كان هؤلاء الشيوخ هم بعض من شارك في تكوين شخصية ابي محمد بن ابي زيد علميا فما هي ابرز العلوم التي تلقاها ؟ ان ابرز العلوم التي درسها ابن ابي زيد هي : علوم القرآن اذ بعد ان تهيأ له حفظه اخذ عن شيوخه علوم القرآن ما يساعده على فهمه وتفسيره وتدبره باعتباره المصدر الاول من مصادر التشريع الاسلامي وبفضل هذه الدراسة العميقة المتأنية المتثبتة امكن له الابداع في علوم اخرى كالعربية وعلومها والفقه ومذاهبه واقواله معبرا عن ذلك باسلوب سهل سلس حتى غدت كتبه الفقهية تضاهيه في اسلوبها ولغتها باسلوب ولغة كتب الادب والنقد ، وبفضل هذه الدراسة الجادة للقرآن امكن له فيما بعد ان يضع كتاب البيان في اعجاز القرآن وهو من الفنون التي كان علماء القرن الرابع يتبارون في التاليف فيها . ومع عنايته بالقرآن أعتنى بالسنة النبوية دراية ورواية ورحل في طلب نصوصها داخليا وخارجيا وكيف لا يبرع فيها ومن شيوخه ابن اللباد (1) (333) وابو العرب التميمي (2) وهما أشهر من اعتنى بدراسة علوم السنة ومن اكثر شيوخ القيروان ضبطا وتحقيقا الا ان العلم الذي اخذ بمجامع قلبه هو علم الفقه الذي امتلك فيه بفضل دراسته الجادة ملكة قوية تمكن بها من وضع المؤلفات وهو لم يخط خطوات مرحلة الشباب الاولى .

ان الاحاطة الدقيقة بالمناهج التعليمية وبموادها في القرن الرابع تقتضي من الباحث سفرا منفردا حتى يمكن له ان ياتي على هذه المناهج ويلم بتلك العلوم وبكيفية تدريسها وبالمبرزين فيهـــا . الا ان ابداعه العلمي في هذه العلوم سنخصص له فصلا عند ما نضع ابي محمد كعالم في الميزان فيما سيتقبل من هذا البحث ويكفي ان نورد هنا قول عياض (وكان واسع العلم كثير الحفظ والروايـــة وكتبه تشهد له بذلك) (3) .

---

(1) معالم الايمان 3/22 ط, تونس 1978

(2) " " 36/3 " " "

(3) ترتيب المدارك 4/492 ط, بيروت 1967 تحقيق دكتور بكير

شيوخ ابن ابي زيد القيروانــي

أ ـ شيوخه الافارقة .

1 ـ عبد الله بن الحداد (... بعد 320هـ/941م)

هو ابو محمد عبد الله بن أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحداد . كان أبوه سعيد من العلماء المشهورين في مجال المناظرات التي وقعت بين الشيعة واهل السنة في بداية الدولة العبيدية (1) سمع ابو محمد من أبيه واحمد بن يزيد وغيرهما (2) وأخذ عنه ابو محمد بن أبي زيد وغيره من طلبة القيروان يقول : الهادي ادريس (قد مدّ ابو محمد تلميذه ابن أبي زيد بعلم والده الذي كان منهجه يقوم على النظر والقياس والاجتهاد اذ لم يكن يقبل طريقة مدرسة الاثر القائمة على النقل دون استعمال العقل وهذه الطريقة كان يرى فيها علامة من علامات ضعف التفكير وقد تأثر ابن ابي زيد بهذا المنهج السليم حتى غدا ابن الحداد بمثابة الابن الروحي له (3) . وقال محمد بن الحارث (وكان ابوعثمان آنس الفقهاء مجلسا واغزرهم خبرا وهذه صفة ولده عبد الله الى اليوم ما رايت آنس منه مجلسا اذا قعد مقعدا لم يطمع احد في القول ولا في الحديث) (4) . ووصفه عياض بالعقل والحصافة وعلو الهمة ثم قال وكان مليح المجلس كثير الحكاية توفي بعد العشرين وثلاثمائة (5) .

---

* : ترجمته بترتيب المدارك 3/340 . ط بيروت 1967 . تحقيق د. بكير

1 معالم الايمان 2/295 ـ 315

2 ترتيب المدارك 3/340 .

3 DEUX Juristes Kairouanais - P. 128

4 طبقات علماء افريقيه الخشني 4/151

5 ترتيب المدارك 3/340



2) سعدون الخولاني * (224هـ ... 324هـ)

هو ابو عثمان سعدون بن احمد الخولاني (1) سمع من محمد بن سحنون و من ابي عمران المقداد و من غيره من شيوخ القيروان (2) .

وسمع منه ابن حارث وعبد الله بن أبي زيد وغيرهما من طلبة القيروان (3) . يقول ابن حارث الخشني لقيته سنة عشر و ثلاث مائة وكتبت عنه حديثا كثيرا في غير مافن وقال لي رأيت سحنونا في مجلس قضائه في مسجد القيروان ولكن لم يسمع منه شيئا) (4) . وقد عاش كثيرا و مات صحيح العقل والبصر وقد عرف طوال حياته بالورع والتقوى وقضى قدرا كبيرا منها مرابطا بالمنستير (5) .

يقول ابن حارث (وكان ابو عثمان هذا قد عمر قال لي سنة عشر و ثلاث مائة انا ابن خمس او سبع وتسعين وخرجت انا من افريقية و هو حي ولا ادري أي سنة مات رحمه الله) (6) .

---

* ترجمته بطبقات علماء افريقيه للخشني 5/166 . شجرة النور الزكية ص 82 .
- تراجم اغلبيه ص405 - 408 .

(1) دعوة الحق ع 3 . س 21 . ص 53

(2) طبقات علماء افريقيه 5/166

(3) - Deux Juristes Kairouanais P. 127

(4) طبقات علماء افريقية 5/166

(5) شجرة النور الزكيه ص 82

(6) طبقات علماء افريقيه 5/166

3) ابــن اللبـــاد :☼ (250 هـ ـ 333هـ)

هو محمد ابو بكر بن اللباد بن محمد بن وشاح مولى الاقرع(1) مولى موسى بن اللخمي وقد غلب عليه لقب ابن اللباد فعُرف به دون غيره ولد سنة 250هـ وتوفي يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة 333هـ . وهو ابن ثلاث وثمانين سنة (2) .

سمع من علماء كثيرين مثل يحي بن عمر الذي كان عليه اعتماده ومن اخيه محمد بن عمر وحمد بن القطان وابن طالب القاضي وعبد الجبار بن خالد وحماس بن مروان وسعيد بن الحداد (3) . وتخرج على يديه علماء كثيرون منهم ابن التبان وعبد الله بن ابي زيد الذي كان اعتماده عليه في الفقه والاثار وغيرهم (4) . قال ابو العرب التميمي فيه (كان فقيها جليل القدر عالما باختلاف أهل المدينة واجتماعهم مهيبا مطاعا دينا ورعا زاهدا من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين) (5) .

وقال فيه الدباغ: (كان من أهل الحفظ والذكاء والفهم بحرا من بحور العلم وكان كثير له في علم القرآن قراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصير باسماء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابل " (6) .

وكانت له تاليف كثيرة حتى قيل (شغله اسماع الكتب عن التكلم في الفقه وكانت مذاكرته تعسر لضيق في خلقه وكان آخر شيوخ وقته) (7) ومن تاليفه كتاب الطهارة ،وكتاب اثبات الحجة في اثبات العصمة وكتاب فضائل مالك ابن انس وكتاب الاثار والفوائد في عشرة اجزاء وكتاب الحكاية في عشرة أجزاء أيضا (8) . وكتاب عصمة النبيين (9) .

وقد كان مناوئا للعبيديين ناكرا عليهم ضلالاتهم ما تخلف قط عن خارج عليهم او عن ناقد لهم ورغم ذلك فقد حاولوا استمالته الا انه لم يمل اليهم من ذلك انه دخل عليه عبيد الله المهدي فقال له (يا محمد انتملا ذ بلدك في كم من العيال انت ... ؟ قال : نفرض لك في بيت المال ما يكفيك من النفقة والكسوة وغيرهما فقال قبلت ولكن اترك ذلك في بيت المال حتى نحتاج اليه) (10) يعلق ابن ناجي عن هذه القصة بقوله : هذه سياسة حسنة ومحاولة برفق اذ هو خير من رده بلا محاولة محاولة (11) . وحاول العبيديون استمالته عن طريق توليته القضاء فاعتذر وقال : صرت في حد لو كنت على القضاء لوجب التأخر السني

☼ ترجمته بمعالم الايمان 3/21-27 , الديباج ص 249-250 - طبقات علماء افريقيه للخشني 6/232
ترتيب المدارك 3/304 . تقات قرطبه وعلماء افريقيه لابي رث الخشني - تحقيق عزت العطار ط الخانجي بطرابلس مدا سنة 1372

(1) طبقات علماء افريقية 2/77 ط بيروت دار الكتاب اللبناني

(2) معالم الايمان 3/26

(3) الديباج ص 249

(4) معالم الايمان 3/21 . الديباج ص 249 . وقد درس للمهدوي ابن ابي زيد كتاب المستخرجة للعتبي انظر مقدمة النوادر .

(5) الديباج ص 249 ..

(6) المعالم ص ... 3/22

(7) معالم الايمان 3/21 - الديباج ص 249

(8) الديباج ص 249 - المعالم 3/22

(9) الديباج ص 250

(10) المعالم 22/3

(11) المعالم 3/22

فكيف ابتدائي وقد كبرسني ودخلتني زمانه؟ فاعفاه (1) عبيد الله المهدي . وبقدر ما تهرب من اتراك العبيديين بقدر ما تقرب من المناوئين لهم والخارجين عنهم . من ذلك انه كان من المواظبين على حضور المجالس الاسبوعية التي كانت تعقد بمجسد السبت: ولقد كان يصل اليه وهو يخوض في الطين والمطر ولقد لقيه رجل ذات يوم وهو يخوض في الطين متوجها اليه فسلم عليه وقال اصلحك الله في هذا الطين؟ يعمز على يحيي بن عمر لوراك فقال له ابو بكر ليس انا غلام ابن عمر قال الله تعالى (ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين)•. وحضور هذا المسجد يغيظ بني عبيد ... فكان جميع الشيخة يبيحون حضوره ويحضره من يحضره معهم من الصالحين والزهاد واهل الخير من يوم السبت الاثلاثة يحيي بن عمر في زمانه والقابسي وابو عمران في زمانهما) (2).

وأما سبب خوف بني عبيد من حضور العلماء لمثل هذه المجالس انما يعود الى خوفهم من اجتماع الفئة النيرة في المجتمع الذي يحكمونه مما قد يمس بوجودهم كحاكمين . ولهذا كان العلماء مراقبين من طرف السلطة الحاكمة يقول ابن الحارث الخشني (ودارت على ابن اللباد دائرة في حين تغريم الناس فحبس وضرب على يد أبي زيد الشاهدي) (3) . أما صاحب المعالم فقد قام بتوضيح سبب هذا الضرب والسجن فقال (كان اصل محنته انه صلى على جنازة استوذن لها وقد حضر ابن ابي منهال القاضي بجنازة أخرى كلم عليها وصلى ابو بكر وصلى وراءه ابن ابي منهال ثم قدمت الجنازة الاخرى وصلى عليها ابن ابي منهال فجلس ابو بكر ومد رجليه واستدبر القبلة ولم يصل وراءه فشق ذلك على ابن ابي منهال فبعث وراءه ودار بينهما كلام في ذلك فامر بسجنه فجاء الغلام لياخذ بيده فانتهره وقال: دع اشهدكم اني مسجون ومضى الى السجن فذهب محمد بن أخيه الى المهدية فاخبر بذلك البغدادي وكان يحبه فسعى له عند عبيد الله حتى أمره ان يكتب الى ابن أبو المنهال باخراجه من السجن على ان لا يفتي ولا يجتمع اليه أحد ولا يفتي الا بمذهب السلطان وكتب في رقعة داخل الكتاب ما هذا الذي فعلت؟ عمدت الى عمدة بلده فاحدثت فيه هذه الاحدوثة وهذا مما كرهه امير المؤمنين فلا تعد الى مثل هذا فلما وصل الكتاب اخرجه وقال له هذا كتاب امير المومنين نجد فيه ان لا تفتي ولا يجتمع اليك أحد وان مرضت فلا تعاد فقال ابو بكر هذه مسالة لم تزل بعد وبقي ابو بكر لا يسمع الا خفية فاذا اجتمعوا فتحت لهم الخادم الباب فيدخلون وتغلق عليهم فيقرأون وكان منهم ابو محمد بن أبي زيد وابو محمد بن التبان (4).

وقد وصف صاحب المعالم دخولهما خفية فقال: وربط جعل الكتب في اوساطهما وحجزتهما حتى تبتل باعراقهما خوفا من بني عبيد ان ينالوهم بمكروه) (5).

• التوبة آ 120

(1) معالم الايمان 23/3

(2) " " 24-25/3

(3) طبقات علماء افريقية للخشني 232/6

(4) معالم الايمان 26/3

(5) " 25/3

ومن ابتلائه بني عبيد ابتلاه الله بزوجة سيئة اللسان حتى قال له طلبته ذات يوم طلقها ونحن نؤدي صداقها فقال لهم انها حفظتها من اجر والدها وذلك لانه خطبت اليه جماعة من الناس فردوني وقالوا لاترون صاحب محبرة وقلم ثم خطبت الى ابي هذه فزوجني ابنته لله عز وجل وكان يفعل معي جميلا ويرفقني بما قدر عليه أفأكون من مكافاتي له طلاق ابنته" (1) وقيل غير ذلك .

هذا الشيخ الاول لامامنا ابي محمد بن ابي زيد والذي كان عليه معوله في الفقه يصاب بالفالج سنة 330هـ فيقعده الفراش ويحكي انه مد ذات يوم رجليه ثم نظرا اليهما وقد انتفختا فبكى وجرت دموعه على شيبه ثم قال اللهم ثبتهما على جواز الصراط يوم تزل الاقدام انت العالم بهما والشاهد عليهما انهما ما مشيا لي في معصية وبعد ثلاث سنوات من ملازمة فراش المرض يتوفاه ربه يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة 333هـ(2) . وقد اوصى ان يصلي عليه محمد بن أبي الفتح المرجي ، وكان له من العمر ثلاث وثمانون سنة (3) ، ودفن بباب السلم . وقد رثاه تلميذه محمد بن أبي زيد بقصيدة منها (4) :

يا طول شوقي الى من غاب منظره | وذكره في جوى الاحشاء قد سكنا
لهفي على ميت مات به سبب | قد كان أحيا رسوم الدين والسننا
كم محنة طرقته في البلاء فلم | يحزن لذلك اذ في ربه امتحنا

ومنها أيضا :

حتى استنار به الاسلام في بلد | لولاه مات به الاسلام واندفنا
الفقه حلته والعلم حليته | والدين زينته والله شاهدنا
اب لا صغرنا كهف لاكبرنا | وفي النوازل ملجانا ومفزعنا .

4) أبو الفضل المُمْسي (... - 333 هـ 944م) :

هو ابو الفضل عباس بن عيسى بن محمد بن عيسى الممسي نسبه الى قرية ممس(5) .
عالم من علماء القيروان المجاهدين الزهاد وشيخ من شيوخ الفقه بها . أخذ عن موسى القطان وجبلة بن حمود واحمد بن سليمان وسمع الحديث اثناء رحلة حجه سنة 317هـ من علماء كثيرين منهم جعفر بن أحمد بن عبد السلام بمصر وابي بكر الحضرمي وابي عبيد الله بن الربيع الجيزي وابي الحسين بن المنتاب بمكة (6) . وكان ذا حافظة قوية اذ حفظ القرآن ابن ثماني سنين وموطأ مالك بن خمس عشرة سنة (7) له مولفات كثيرة منها : كتاب تحريم الخمر عارض به كتاب الطحاوي وله كتاب في أصول الاعمال

(1) معالم الايمان 25/3
(2) الديباج ص 250 - معالم الايمان 26/3
(3) معالم الايمان 26/3
(4) " " 27/3
(5) ضبطها ق ٫ م : بضم الميم الاولى وفي (ن) بسكون الثانية فتكون النسبة اليها مُمْسي انظر التعليق . المعالم 27/3
(6) الديباج ص 217
(7) معالم الايمان 27/3

* ترجمته بترتيب المدارك 3/ 313 معالم الايمان 3/ 27 - 30 . الديباج ص 27 . طبقات علماء افريقيه للخشني 1/5

ومختصر كتاب الموازية (1) وصفه ابن فرحون بقوله : كان يتكلم في علم مالك كلاما عاليا ويفهم علم الوثائق فهما جيدا ويناظر في الجدل وفي مذاهب أهل النظر على رسم المتكلمين والفقهاء مناظرة حسنة وكان لسانه مبينا وقلمه بليغا مع حصافة العقل وذكاء الفهم وكان في المناظرة والفقه انزل منه في علم الكلام وكان من أهل المروءة والانقباض والصيانة لم يكن في طبقته افقه منه ولا أصون وعني بالنظر والخلاف والف الاجدابي في فضائله) (2) اما الدباغ فيقول فيه (جمع الفقه البارع والورع الحاجز والسمت الحسن وحسن الاشارة والهدي والسكينة وحتى ان مشيته كانت تشبه مشية عمر بن عبد العزيز وبه كان ابو محمد بن أبي زيد يتشبه في احواله) (3) . وسمع منه ابو محمد بن أبي زيد وكان عليه وعلى ابن اللباد اعتماده في الفقه وسمع منه أيضا ابن الحارث وابو الحسن بن الخلاف وابو الازهر بن منيث وآخرون (4) .

وبعد عودته من الحج سنة 313هـ اجتنب مباهج الحياة واقبل على العبادة ومجاهدة الروافض العبيديين ولهذا كان كما قال ابن الحارث الخشني : والناس فيه فرقتان فرقة تبرأ منه وتشنعه وتمقت اخلاقه وفرقة تحبه وتواليه وتذب عنه) (5) . ولا استبعد ان يكون المناوئون له من الشيعة ومن دار في فلكهم وان المدافعين عنه هم اهل السنة من شيوخه وتلاميذه عامة وذلك لان عصره كان عصر خلافات بين الشيعة الحاكمة والسنة المحكومة حتى وصلت هذه الخلافات الى حد استعمال السيف وذلك ابان ثورة الخوارج بقيادة صاحب الحمار فقد ورد : ان ابا الفضل ممن خرج لقتال بني عبيد مع اهل القيروان لما كان يعتقد من كفرهم (قلت) قال ابو بكر المالكي راى ان الخروج مع ابي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لان الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام . ويرثون ويورثون . وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم) (6) وقد استشهد في هذه الواقعة وذلك سنة 333هـ بالوادي المالح قرب المهدية ولم توجد له جثة وقيل ان بعض اقاربه وجده في القتلى وبه رمق فقال له : يابني حول وجهي الى المهدية لئلا أموت وانا مولي ظهري الى هؤلاء القوم فلما مات هدم عليه جرف فاخفاه عنهم [redacted] وكانوا في غاية الطلب لرأسه) (7) وبذلك حماه الله من شر العبيد بين حيا وميتا . ويذكر ابنه محمد (كان ابي لا يدخل أحد مرحاضه سواه وفيه آنيته وجميع ما يحتاج اليه ومفتاحه معه فيوم قتل سمعنا آنية انكسرت فيه ولها جلبة فقالت الوالدة أعطانا الله خيرها فاذا بها الساعة التي استشهد فيها رحمه الله (8) .

وكان استشهاده يوم الاثنين لثمان بقين من رجب سنة 333هـ (9) وقد رثاه تلميذه

---

(1) الديباج ص 217

(2) " " "

(3) معالم الايمان 27/3

(4) معالم الايمان 27/3 - الديباج ص 217

(5) طبقات علماء افريقية للخشني 179/5

(6) معالم الايمان 29/3

(7) " " "

(8) الديباج ص 217

(9) معالم الايمان 30/3

ابو محمد عبد الله بن ابي زيد بمرثية جدا مؤثرة منها (1) .

يا ناصر الدين قمت مسارعا — وبذلت نفسك مخلصا ومريدا
وذببت عن دين الاله مجاهدا — وبعت بيعا رابحا محمودا
وعهدى به بين الاسنة لم يكن — لله عند لقاء العدو كنودا
حتى يخيره الجليل لداره وانا — له حورا بها وخلـــودا
فعليك ابك يا ابن عيسى ما بكت — قمرية او فردت تغريـــدا
يا لوعة طرقت فؤادى اذاتى ناع — ينعيك وقد قعدت شهيدا
كانت حياتك طاعة وعبادة — سعدت في المحي ومت شهيدا
لله من شهدت له احوالـــه — وعلت مناقبة فعاش سعيـــدا
يا قرة للناظرين وعصمة للمسلمين — وعـــدة وعديـــــدا
يا ايها المحسود في اخلاقــه — وفعالة لالمت فيك حســودا

---

1) رياض النفوس نظير مصور من نسخة باريس عدد 20386 المكتبة لوطنية

هو محمد بن احمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي وكان جده ابوجهم تميم بن تمام من امراء افريقية وكان ابوه احمد ممن سمع من سحنون وسليمان بن عمران وبكر بن حماد (1)

وبذلك نرى ان ابا العرب هو من عائلة امارة وعلم ولذلك فليس غريبا ان يقتدي الولد بالوالد وقد حدثنا هو نفسه عن بداية دراسته فقال (اتيت يوما وانا حدث الى دار محمد بن يحي بن سلام فرأيت عنده الطلبة ورأيت امرا اعجبني وركنت اليه نفسي فعاودت الموضع وكنت آتي اليه والطرطور على رأسي ونعلي احمر في رجلي في زى ابناء السلاطين وكان الطلبة ينقبضون من اجل ذلك الزى فقال لي رجل - يوما بجواري - لاتتزى بهذا الزي فليس هو زي طلبة العلم واهله ، وزهدني فرجعت الى امي فقلت نلبس الرداء وثيابا تشكل كبار اهل العلم والتجار فابت علـــــى وقالت : انما تكون مثل ابائك واعمامك ، فاحتلت حتى اشتريت ثيابا عند صياغ في باب ابي الربيع فكنت اذا اتيت من القصر القديم اتيت بذلك الزى الذى تحب امي ووالدى فاذا وصلت الى باب ابي الربيع ودخلت حانوت الصباغ خلعتها ولبست الثياب الاخرى فكنت كلما ترددت فعلت ذلك ثم قال لي رجل من اصحابي يا راك تأتي هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولاتكتب شيئا مما تسمع يكون عندك ما هذا حقيقة طالب العلم فقلت له والدى راغب عن هذا وعن المعونة عليه وما مكنني من شيء اشترى به الرق فقال لي انا اعطيك جلدا تكتب لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه فرضيت له بذلك فكنت اكتب لنفسي ما شئت واكتب له في جلوده ما يحب حتى يسر الله عز وجل ما اشتريت به الرق وما قويت به على طلب العلم) (2)

هكذا بدأ هذا الشيخ الجليل حياته التعليمية الجادة اذ لم يكن يبلغه خبر عن شيخ من الشيوخ حتى يذهب اليه وينضم الى حلقته حتى بلغ عدد شيوخه مائة وعشرين ونيفا (3) من ابرزهم عيسى بن مسكين ويحي بن عمر وابن طالب القاضي وسعيد بن الحداد وحمديس القطان [illegible]

---

* ترجم له : الديباج ص250 - 251 معالم الايمان ج 3 ص36-33 طبقات علماء افريقية للخشني ص 173

1) معالم الايمان ج 3 ص 36-37

2) 33-37

3) الديباج ص 250 اما صاحب المعالم ج 3 ص36 فيذكر عددهم هو 125 شيخا

~~ومحمد بن عمر وابن طالب التاجر ويحيى بن الحداد وحمديس القطان~~ وجبله بن حمود الصدفي وغيرهم (1) . وأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم عبد الله بن أبي زيد وابو الحسن بن زياد والخراط وامم لايحصون (2) .

قال فيه ابن فرحون (كان رجلا صالحا ثقة عالما بالسنن والرجال من ابصر أهل وقته بها كثير الكتب حسن التقييد كريم النفس والخلق كتب بخطه كثيرا في الحديث والفقه) (3) . وقال الدباغ (كان فقيها صالحا متواضعا كثير الاثار من عشر ثقة ثبتا صحيح التقييد ضابط الرواية كثير التاليف والمشائخ ، وقال غيره كان ابو العرب امام عصره وواحد دهره داب في طلب العلم وبرع فيه براعة فاق فيها من تقدمه من رجال افريقية) (4) . وقبل هؤلاء قال ابن الحارث (تغلب عليه الرواية والجمع) (5) . وهو بالاضافة الى ذلك فقد كان شاعرا عالما بالعربية وبيانها من ذلك قوله (6) :

اذا ولو الصديق بغير عـــذر ... فرد الله خلتــه انقطـــاعـــا
الى يوم التناد بلا رجــــوع ... فان رام الرجوع فلا استطاعـــا
اذا ولو اخوك قفاه عنـــك ... فول قفـاك عنه وزده بـــاعـا
وناد وراءه يارب تـمـــم ... ولا تجعـل لفرقتـه اجتماعـــا

ومن شعره أيضا (7) :

ضعفت حيلتي وقل اصطبـــارى ... والى الله اشكو كـل مابــــي
وهن العظم بعدماكان صلـــبا ... وفقدت الشباب أى شبـــابـــي .

ويعتبر ابو العرب من رافعي لواء التاليف في التاريخ بافريقية حتى ذكر انه كتب بيده ثلاثة آلاف كتاب وخمسمائة . والتي منها طبقات علماء افريقية (8) . وكتاب عباد افريقية ومسند حديث مالك وكتاب التاريخ سبعة اجزاء وكتاب مناقب بني تميم وجزأين في موت العلماء وكتاب المحسن وكتاب فضائل مالك وكتاب فضائل سحنون وكتاب الوضوء والطهارة وكتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر وكتاب عوالي حديثه وكتاب في الصلاة وغير ذلك (9) .

---

(1) الديباج ص 250 - طبقات علماء افريقية 173/5

(2) معالم الايمان 36/3

(3) الديباج ص 250

(4) معالم الايمان 36/3

(5) طبقات علماء افريقية الخشني 173/5

(6) ترتيب المدارك 336/1 - الديباج ص 251

(7) الديباج ص 251

(8) مطبوع مع غيره ط دار الكتاب اللبناني بدون تاريخ - كما حققه د. على الشابي واليافي ط تونس 1968

(9) الديباج ص 250 - معالم الايمان 36/3-37

وقد شارك ابو العرب في ثورة الفقهاء حيث خرج مع جملة من خرج منهم (1) وفي اثناء هذه الخرجه اسمع الناس كتابي الامامة لمحمد بن سحنون وكان يقول : والله لسماع هذين الكتابين علي هنا افضل من كل ما كتبت " (2) لكثرة من سمعهما منه من العلماء والعامة من الثائرين على بني عبيد . وقد امتحن من الشيعي حبسه وقيده مع ابنه مدة بسبب بني الاغلب " "(3) . واستمر ابو العرب يجاهد باللسان والقلم وبالسيف احيانا الى ان توفاه خالقه في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وصلى عليه اسحاق بن ابو الوليد ودفن بباب السلم (4) .

6) الغـــرابلـي الســوسـي (... 333هـ)

هو موسى بن أحمد الغرابلي السوسي (5) سمع من ابو الغصن نفيس الغرابلي السوسي (214هـ - 309هـ) (6) ويحي بن عمر ومحمد بن بسطام وعيسى (7) .

كان رجلا صالحا فقيها ثقة ذا ورع وسكينة صفر اللون طويل اللحية توفي بسوسة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وقيل 336هـ

7) ربيـــع القطـــان ☼ (... 334 هـ / 946) :

هو ابو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله ينتسبون الى قريش رحل سنة 324هـ فاخذ عن ابي الحسن الديثوري بمصر وعن ابي يعقوب الجوهري وابي سعيد بن الاعرابي وابي علي بن الكاتب بمكة . وعن ابي بكر بن اللباد وابي العرب بالقيروان ، وكانت له حلقة بالمسجد الجامع بالقيروان يحضرها عدد كبير من الطلبة منهم أحمد بن نصر وابو محمد بن أبي زيد وابو القاسم بن شبلون وكان ذلك ايام امتلاك ابي يزيد الخارجي للقيروان (3) . ويذكر ابن حارث الخشني [ان ربيع بن سليمان القطان صاحبي في كل مجلس ومساعدي في كل علم طلبت وديوان درست حتى سنة 324هـ وأنحرف عن كل ما كان عليه وذهب الى العلم الباطن والى اهل ذلك الفن وصار داعية اليه فتيل لي وكتب الي انه نفع الله به خلقا كثيرا ويكاتبني الى الاندلس كثيرا يدعوني الى البراء من الدنيا والتخلي عنها والاجابة له في كل ما دعا اليه من الزهادة في الدنيا) (9) .

---

1 معالم الايمان 37/3
2 " " "
3 الديباج ص250 - 251
4 معالم الايمان 38/3
5 ترجم له عياض في ترتيب المدارك 358/3 . ويذكر في مدارك 493/4 أيضا انه من شيوخ ابن ابي زيد : عثمان بن سعيد الغرابلي ونقله عنه ايضا الديباج ص 137 . وصاحب المعالم 159/3 . وبالبحث وجدت شيخين من شيوخ سوسة يحملان نفس اللقب الغرابلي هما ابو الغصن نفيس الغرابلي (214هـ - 309هـ) وموسى بن احمد الغرابلي [333هـ] وهو تعقيد الاول والذي يمكن ان يكون شيخ ابن ابي زيد . يبقى الاختلاف في الاسم ممكن ارجاعه الى التصحيف اذ ليس الغرابلي بالشيخ السوسي الوحيد لابن ابي زيد
6 تراجم اغلبية ص386 - 390 ترجمة عدد 143
7 ترتيب المدارك 358/3
☼ ترجمته بترتيب المدارك 323/3 - 332 ، معالم الايمان 30/3 - 36 ، طبقات علماء افريقية 179/5
8 معالم الايمان 30/3
9 طبقات علماء افريقية 179/5

يقول ابن ناجي وكان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والرقائق (1) . وكان قد جعل على نفسه عهدا ان لا يشبع من طعام او نوم حتى تنقطع دولة بني عبيد . قال ابوبكر المالكي وعوتب ربيع في خروجه مع ابي يزيد الى حرب بني عبيد : فقال : وكيف لا افعل وقد سمعت الكفر بإذني ؟ فمن ذلك اني حضرت اشهادا وكان فيه جمع كثير من اهل سنة ومشارقه وكان بالقرب مني ابو قضاعة الداعي فاتى رجل مشرقي من أهل المشرق ومن أعظم المشارقة فقام اليه رجل مشرقي وقال له الى هاهنا ياسيدي الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني ابا قضاعة الداعي ويشير بيده اليه - فما انكر احد شيئا من ذلك فكيف ينبغي ان اترك القيام عليهم (2) . ولذلك كان ربيع هو الذي خرج لانتداب الناس للخروج على بني عبيد ... وكان لربيع ثلاثة بنود وحده ولكل من أبي الفضل الممسي ومروان العابد بندان اثنان وواحد لابراهيم بن الحبشا واجتمع الناس للصلاة بامامة أحمد بن أبي الوليد الامام الخطيب البليغ والذي اشار اليه ابو الفضل الممسي ، وخرجوا يوم السبت الى المهديه حيث وقعت المعركة بالقرب منها بمكان يعرف بالوادي المالح . وفي هذه المعركة نال ربيع وصحبة الشهادة الا ان أهل التاريخ يختلفون في تاريخ استشهاده فمن قائل انه استشهد في شهر صفر سنة 334 هـ ومن قائل انه استشهد في رجب سنة 333 هـ بل قيل انه استشهد هو وابو الفضل الممسي في يوم واحد ... ولما استشهد قطعوا رأسه واتوا به الى الحاكم العلوي في طست فلما كشف عنه فتح الرأس عينيه وفمه فقال : بعدوه عني ، ويقال ان يومها استشهد خمسة وثمانون عالما من علماء القيروان (3) .

ومما يروى عنه انه كان متضلعًا في الحديث والتفسير الا انه بعد حجه قال الخشني نسلك طريق التصوف من ذلك انه كان ذات يوم ممسكًا بالمدونة فقال لقد ابعدتني هذه كثيرا عن الله . لكن هذا لم يمنعه من مواصلة عمله التجاري المتمثل في بيع القطن في دكانه . ولذلك فالتصوف عنده لا يقعد الانسان عن ممارسة اعماله الدنيوية .

---

[1] معالم الايمان 3/ 30

[2] " " 3/ 32

[3] " " 3/ 34

8) محمـــــد المرجـــــو : (946/334...)

هو محمد بن الفتح المرجو المؤدب (1) قال العوانو المعروف بالصــواف والمكنى بابى بكر. وقال المالكى هو ابوعبد الله محمد بن الفتح سمع من يحيى بن عمر واحمد بـــن يزيد ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم، وأخذ عنه ابوبكر بن اللباد وابن زياد وابو محمد بـــن أبى زيد وغيرهم. كان ثقة اماما عالما عابدا ولادن على ذلك من صلاة عيسى بن مسكين ورآه. وكان من جملة الائمة الذين خرجوا على بنى عبيد الا. انه لم يشارك فى انتفاضتهم المسلحة لضعفه وكبـــر منه وكان يخرج الى مقبرة سلم فيستتر بحائطها حيث يجلس ليدرس لتلامذته وذلك يوم ان منع بنو عبيد العلماء من التدريس والافتاء واستمرت هذه حالته الى ان توفاه ربه سنة اربع وثلاثيـــــن وثلاثمائة وقيل بل توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ودفن بباب سلم.

9) أبو ميســـرة بـــن نـــزار (337هـ) :

هو ابو ميسرة احمد بن نزار سمع من أحمد بن أبى سليمان وفرات بن محمد وحمديس القطان وابى الغصن السوسى وغيرهم، وأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم ابن ابى زيد وحسن الخراط واللبيدى وابن الحذاء، وعرف بتبحره فى الفقه وبمجافاته لاهل الاهواء والنحل من عقيدة راسخـة من ذلك انه كان ذات ليلة مستغرقا فى تهجده وقد اتى على صلاته واذا بنور عظيم قد خرج له من حائط البيت كانه محراب ثم قال له تملا من وجهى يا ابا ميسرة فانا ربك الاعلى فبصق فى وجهه وقال اذهـب يا ملعون فعليك لعنة الله فطفى وذلك النور من ساعته كسراب بقيعة واذا به ابليس اراد ان يفتنه فنجاه الله منه (2). ان اشتهاره بالورع والفقه جعل انظار السلطة تتجه اليه فى توليته امر القضاء الا انه رفض ذلك قائلا : كيف يلى القضاء رجل اعمى يبول تحته ؟ فقال له الحاكم منذ كم عميت اصلحك الله... ؟ فقال منذ ثمانى عشرة سنة ؟ (3). ثم قال : اللهم انت تعلم انى انقطعت اليك وانا ابن ثمانى عشـــرة سنة فلا تمكنهم منى. فما جاء العصر الا وهو من اهل الآخرة وكان ذلك يوم السبت منتصف ربيع الآخره سنـــة 337هـ حيث دفن ببـــاب لسلـــم (4).

---

(1) معالم الايمان 3/38-39

(2) معالم الايمان 3/41. كما هناك نوادر اخرى ذكرتها المعالم بترجمته [3/41-44] تركتها إقتنابا للاطالة

(3) معالم الايمان 3/43

(4) " " 3/44

10) حبيب بن الربيع (... 339 هـ) :

هو ابو القاسم (1) وقيل ابو نصر حبيب بن الربيع مولى احمد بن سليمان الفتيه (291هـ) الذي كان من ابرز تلاميذ الامام سحنون . سمع حبيب من مولاه أحمد، ومن يحيى ابن عمر وأخيه محمد والمغامي وحماس وابن الحداد وابن بسطام، وابي عياش وغيرهم (2) وأخذ عنه ابن ابي زيد وابن ادريس وعلي بن اسحاق وغيرهم (3) .

قال فيه مولاه أحمد (1= الذي خسرته في ابني ربحته في حبيب) (4) وكان حبيب يقول : قال لي مولاي احمد (تخلق بخلقي الا في الدينار والدرهم ـ لسعة يده ـ قال حبيب فتخلقت بخلقه في كل شيء الا في الدينار والدرهم) (5) . وذكر ابو علي البصري في كتاب المعرب من اخبار المغرب كان حبيب هذا فتيها وهو الذي عناه مولاه أحمد رحمه الله في شعره (6) :

تسمع ياحبيبي هديت قولي	تنل بسماعه خيرا كثيرا
سمعتك تذكر الشعراء طرا	وتنشد شعرهم جمعا كثيرا
وليس مؤلف قولا حليما	كآخر قائل افكا وزورا .

يقول عياض وكان حبيب هذا أيضا شاعرا وهو القائل (7) :

ان الزمان وان أتى بصروفه	فانا له من اعظمي رجاله
ما ان تغير حاله من حاله	الا سمت همي على أحواله
ولقد أتيت وما لصاحب نعمة	من ماله قبلي ولا افضاله
واصدق ما يذل امرؤ من وجهه	لصديقه اوغيره لسؤاله
ان الصديق وان تغير حاله	لم يجد ذا العمر من افعاله
وصفحت عنه حافظا لمحبتي	ووصلت حبلي ان نأى بحباله .

قال عياض (ووقفت على جزء من مسائله مما ساله عنه مولاه وابن الحداد وعبد الرحمن بن الورقة وابن بطريقة) (8) . قال بن فرحون (كان فقيها عالما يميل الى الحجة عالما بكتبه حسن الاخلاق بهيا بارا سمحا) (9) . وقد افتى فيمن دفن فاكله السبع ان كفنه لورثته وقال غيره لا يورث ممن لا وارث له (10)

قال عياض توفي سنة تسع وثلثين وثلاثمائة (11) .وقال ابن فرحون وهو ابن نيف وثمانين سنة وهو معدود من الطبقة الخامسة من أهل افريقية (12) .

---

* ترجمته بترتيب المدارك 3/343-344 . الديباج ص 106
1. عبارة المدارك : كناه ابو الوليد الباجي بابي القاسم وغيره بابي نصر ، ترتيب المدارك 3/343
2. الديباج ص 106 ـ ترتيب المدارك 3/343
3. " " " " " "
4. ترتيب المدارك 3/343
5. " " 3/344
6. " " 3/344
7. " " " "
8. " " " "
9. الديباج ص 106
10. ترتيب المدارك 3/344 ـ الديباج ص106
11. " " " "

حبيب بن نصر *

هو أيضا مولى من موالي احمد بن سليمان الفتيه (1ـ2 هـ) سمع من مولاه ويحيى بن عمر وغيرهما (1) . وعني بالمسائل والمناظرة فيها . وكان منقضبا (2) .

11) حسن بن نصر * (270 هـ / 341 هـ) :

هو ابو علي الحسن بن نصر السوسي كان مولى امراة من اهل قسطيلية ومنها أصله (3) . ثم ارتحل الى سوسه . وسمع من شيوخ افريقية القيروان كالمغامي ويحي بن عمرو الب نصر واحمد بن يزيد وعبد الرحمن الورقه وابي الغصن وغيرهم . وبعد ان اشتهر تعظمه بافريقية عزم على الارتحال الى مصر للاخذ عن محمد بن عبد الحكم الا انه بلغته وفاته فاغتم لذلك غما شديدا حيث قال ما اغتممت لشيء مثل غمي لذلك (4) . وأخذ عنه عمر بن محمد وابن ابو زيد (5) وابن نبطون وغيرهم من أهل القيروان (6) .

وقد تولى ابن نصر السوسي خطة محتسب بسوسه وذلك ايام زيادة الله الاغلبي عند ما كان حماس قاضيا على القيروان (7) . ويذكر عياض ذلك فيقول (كان قد ولى احكام سوسه لحماس بن مروان ايام زيادة الله وعرض عليه بنو عبيد قضاءها ورجع الى القيروان فامتنع ولم يلبث يسيرا حتى مات) (8) .

ومما يذكر انه لم يتقاض اجرا ولا صلة لما كان حاكما لحماس، وقد التزم العدل في احكامه مع اجتنابه الشبهات في سلوكه . اذ ورد انه نهر احدهم عند ما اهدى لابنته الصغيرة مزهرية لتلعب بها حيث مزقها وزجره (9) . بل امر ببيع قمحه لما ارتفع ثمنه بسوسه حتى يشارك مجتمعه ازمة الغلاء التي يمر بها (10)

(وكان لا يضمن صاحب الحمام بسوسة ما تلف عنده والزمه الثمن على مشهور النص فكثر مشتكوه فلم يحكم عليه بالضمان لما حدث به يحيى بن عمر عن الحارث بن وهب عن مالك في تضمين صاحب الحمام قال فما اشتكى اليه احد بعد . وكتب اليه حماس في امر نظر فيه الحسن بن نصر ان يلتزم فيه الرفق والتوءدة والمداراة فكتب اليه الحسن . بالتشديد في اقامته وكان عنوان الكتاب : من الحاكم ابن نصر : فلما رأى حماس الكتاب رمى به وقال من الحاكم ؟ وكانه عز عليه ذلك وكان حماس لا يكتب من القاضي الا في الاحكام ثم نظر في الكتاب وراى فيه من صرامته في الحق ما اعجبه وكان فيه من ~~القاضي~~ قد انفذت الحق كما يجب وما كان لله فلا مراء فيه فسكن عنه ما كان به ثم قال : نعم يا ابا علي من الحاكم وان شئت اكتب من القاضي فانت أهل لذلك ! (11) .

---

* ترجم له عياض بترتيب المدارك 3/344

1) ترتيب المدارك 3/344

2) " " "

* ترجمته بترتيب المدارك 3/363 . 367

3) ترتيب المدارك 3/363

4) " " "

5) Deux Juristes Kairouanais P 130

6) ترتيب المدارك 3/363

7) " " 3/365

8) " " "

9) " " 3/366

10) " " 3/364

11) " " 3/366

وكان مع عدله في احكامه عابدا حتى روى ابنه قال : قال لي ابي ليلة من الليالي في مرضه الـذي توفي فيه : وابني اربط لي حبلا في السقف لعلي اقدر استوي قائما ففعلت . وحملناه حتى وقف وغلب ولم يستطع القيام فبكى وقال واحزناه حيل بيني وبين طاعة ربي فذكرت له الصلاة جالسا فقال ايا بني العمر قصير والعمل قليل وانا اردت ان اعمر اكثر مما عملت" (1) .

لهذا العبادة الصادقة وهذا العدل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم . استحق ثناء علماء عصره من ذلك ان ابا الفضل الممسي كان يجله كثيرا (2) حيث ورد ان الممسي "يشرب قدر الحسن بن نصر بسوسه وحمود بن سهلون بالساحل وحمود بقابس" (3) . قال فيه الخراط : كان شيخا صالحا فاضلا ثقة ورعا زاهدا فقيها عدلا في احكامه صادقا في الحق لا يهاب سلطانا مشهورا بالعلم صحيح الكتب وكان مع ذلك كثير الاجتهاد في العبادة على قيام الليل وصيام النهار وتلاوة كتاب الله تعالى كثير الخشوع والتواضع (4) . ولما طال به المرض قال لزوجته : قد توليت مني خيرا فاصبري فما اشك أن أجلي قد اقترب فاني سمعت هاتفا من هذا الحائط يقول احسن غدا صلاة الظهر يفرق عنك فمات في ذلك الوقت (وكان ذلك في صفر سنة أحدى واربعين وثلاثمائة وقد جاوز السبعين (5) .

12) سحنـون بن أحمـد (؟ . . 343 هـ) :

هو سحنون بن أحمد التنوخي من أهل قسطيلية حاضرة بلاد الجريد قديما . واحد علمائها الافذاذ (7) .

سمع من ابيه احمد التنوخي وغيره من علماء افريقية (8) . واخذ عنه ابو محمد عبد الله بن أبي زيد وابو محمد بن هاشم القاضي (363 هـ) وغيرهما من طلبة القيروان (9) . وكان ابو الفضل الممسي الشهيد (333 هـ) يكبر فيه العلم والصلاح اذ كان يقول (انما في نواحي افريقية اربعة رجال احدهم سحنون هذا بقسطيلية وذكر من فضله وورعه) (10) . أما ابو بكر المالكي فكان يقول (كان شيخا صالحا فاضلا فقيها ورعا مشهورا وكان صعبا في الاجازة) (11) .

توفي سنـة ثلاث واربعيـن وثلا ثمائـــة (12) .

---

(1) ترتيب المدارك 3/367
(2) DEUX Juristes Kairouanais P130
(3) ترتيب المدارك 3/364
(4) " " 3/363-364
(5) " " 3/367
(6) " " 3/367
(؟) ترجمته بترتيب المدارك 3/375
(7) ترتيب المدارك 3/375
(8) " " "
(9) " " "
(10) " " "
(11) " " "
(12) " " "

13) أبو بكر بن سعدون (... 268 هـ 344هـ/ 955م)

هو أبو بكر محمد بن سعدون التميمي امام الجامع بالقيروان أخذ عن شيوخ عصره مثل جبله بن حمود وغيره واثناء حجه الذي تكرر عدة مرات لقي ابن عبد السلام البزار وغيره . وسمع منه طلبة القيروان منهم ابو محمد بن أبي زيد وغيره .

وقد قضى عمره كله بين التدريس والمرابطة حيث كان يقضي ثلاثة أشهر من كل سنة بقصر أبو الجعد كما كان يحضر لقاءات العلماء الاسبوعية بمسجد السبت . قال ابو الحسن الزعفراني حضرت مسجد السبت ومعنا فيه أبو بكر بن اللباد الفقيه وابو بكر بن سعدون الامام فقال بخفض القوائل :

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل فاذا فعلت فان حبك باطل .

فتحرك محمد بن أبي سهل الصوفي وكان خيرا واستغرقه الحال فما بقي احد بالمسجد الا بكى لصدقه في حركته ونظرت الى ابو بكر بن اللباد وان دموعه لتنحدر على لحيته والى ابن سعدون وقد علا نحيبه (1) .

قال فيه الدباغ كان ... وكان فقيها صالحا عابدا ذا حج ورباط وسياحة كريم الاخلاق له مروءة وتواضع طلب العلم وجود القراءات وكتب الحديث ولقي الناس بالمشرق والمغرب (2) .

ومما يذكر ان والده سعدون كان رجلا صالحا غزا سردانية حيث استشهد هنالك .

واستمر ابو بكر بن سعدون في حياته مجاهدا بالقلم واللسان مرابطا على ثغور المسلمين الى ان توفاه ربه سنة 344هـ وقيل سنة 345هـ وهو ابن ست وسبعين سنة حيث دفن بباب سلم (3) .

---

* ترجمته بمعالم الايمان 3/ 52 - 54

(1) معالم الايمان 3/ 53

(2) " " " "

(3) " " " "

14) ابن مسرور العسال ☀ (250 هـ ـ 346/ 957 م):

هو ابو عبد الله محمد بن مسرور العسال الفقيه العابد سمع من يحيى بن عمر وأحمد بن معتب وعبد الجبار بن خالد ومن اخيه عمر العسال.

ثم ارتحل الى المشرق لطلب العلم فلقي علي بن عبد العزيز المديني وغيره (1). وأخذ عنه تلاميذ كثيرون منهم ابن أبي زيد وابو الحسن القابسي وغيرهما وقد أخذ عنه ابن ابي زيد مشافهة كتب عبد الله بن عبد الحكم (214هـ) (2).

وكان صالحا متعبدا صبورا على المحن منها لما ابتلي بموت ابنه أبي حفص عمر (343؟) لم يزد على قوله (رحمك الله يا ولدي فلقد كنت صواما قواما حافظا لكتاب الله ولقد طمعت ان اكون في صحيفتك فالحمد لله الذي كنت في صحيفتي ثم اقبل على القراءة) (3). ولم يكن هذا الصبر وهذه العبادة بمقتصرة عليه وحده بل كان كل افراد اسرته مثله من ذلك مارواه ابو الحسن القابسي: (باع الشيخ خادما اعجمية فهربت من دار مشتريها اليه وقالت بعتني من قوم لا يصلون بالليل و اظنهم يهودا (4).

وتوفي ابوعبد الله ليلة السبت لثلاث بقين من ذي القعدة سنة 346 هـ وهو ابن ست وتسعين سنة وصلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب الربيع (5).

☀ ترجمته بمعالم الايمان 3/ 59-60.

(1) معالم الايمان 3/ 59

(2) DEUX Juristes Kairouanais P 131

(3) معالم الايمان 3/ 52

(4) " " 3/ 59

(5) " " 3/ 60

15) ابـن الحجـــام : (259هـ - 345)

هو أبو محمد عبد الله بن قاسم (1) بن مسرور التجيبي المعروف بابن الحجام مولى بني عبيدة التجيبيين . الذى شغله طلب العلم ثم نشره عن الزواج وتكوين أسرة سمع من محمد بن سحنون (256 هـ) وعيسى بن مسكين ومحمد بن أبي سليمان ومحمد بن بسطام وسعيد بن اسحاق وفرات بن محمد وحمديس القطان والمغامي وغيرهم (2) .

ثم ارتحل الى المشرق فلقي بمصر وغيرها جماعة منهم : ابراهيم بن جميع وابن الاعرابي وابن ابي مطر وحسب المعالم فانه اخذ عنه جماعة من أهل الاندلس وافريقية وطرابلس والاسكندرية ومصر منهم ابو محمد بن أبي زيد وابو الحسن القابسي ومحمد بن ادريس وابو عبد الله الصدفي (3) .

وبالاضافة الى اشتهاره بالتدريس فقد وضع مؤلفات كثيرة بلغ وزنها تسعة قناطير قال ابو الحسن القابسي ترك ابو محمد هذا تسعة قناطير كتب كلها بخط يده الا كتابين فكان لا يحتمل ان يراهما لأجل انهما ليسا بخطه (4) والظاهر من هذه الرواية انه كان يعمد الى نسخ كتب العلماء التي تصل الى يده . مما مكنه من تكوين مكتبة عظيمة أثرية . بدليل ان صاحب المعالم يذكر : انه اقتنى كتبا كثيرة من جميع العلـــوم وزنها سبع قناطير كلها بخط يده حاشا كتابين) (5) . اما مؤلفاته فقد ذكر انها أيضا كانت كثيرة في شتى العلوم منها كتاب المواقيت ومعرفة النجوم والازمان ، ويقول صاحب المعالم في هذا الموضوع (6) (وله تأليف في انواع العلوم) (7) .

هذه المكتبة العظيمة كانت مهددة باستيلاء العبيديين عليه لان ابن الحجام لم يكن له وارث لعدم زواجه فاشاروا عليه بتوزيعها اثلاثا على تلامذته وفعلا اعطى ثلثها الى أبي محمد بن أبي زيد والثلثيـــن الباقيين الى غيره . ثم لما أصبح قال ما نمت البارحة لما فقدت كتبي ردوها علي فردوا عنه الثلثين ولم يبق الا ما أخذه منه ابن أبي زيد وأخذ الامير الثلثين اللذين كانا عنده حين موته (8) .

---

* ترجمته بمعالم الايمان 3/57-59 - الديباج ص135 - 136 - دعوة الحق ع 3 س 12 ص 53

(1) معالم الايمان 3/57 : هو ابو محمد عبد الله بن قاسم . الديباج ص135 : هو ابو محمد عبد الله بن هاشم . اوظن ان لا تعليق ما ذكر هو اسم والده ولقبه بمعالم الايمان 3/57

(2) معالم الايمان 3/57 - الديباج ص135

(3) " " " " ص136

(4) الديباج ص135

(5) معالم الايمان 3/58

(6) الديباج ص135

(7) معالم الايمان 3/58

(8) " " "

وروى ان بعض اخوانه اشترى له جارية وادخلوها عليه فلما كان في الليل اخذ في الكتب فكتب الليل كله ولم يلتفت اليها ثم كذا نحوا من شهر فلما طال ذلك عليها قالت له [ان كنت لا تصل الي وليس لك في غرض فبعني فقال : من انت قالت جاريتك فلانة فقال لها انا ما اشتريت جارية ولكن اخوالي الذين اشتروك يبيعونك ففعلت] (1) . وقيل أيضا انه لم يتزوج ولم يتسرح حتى مات (2) .

قال فيه ابن فرحون : وغلب عليه الجمع والرواية يقال اكثر سماعه من ابن مسكين اجازة كان شيخا عالما ورعا ستتا خاشعا رقيق القلب غزير الدمعة مهيبا في نفسه لا يكاد أحد ينطق في مجلسه بغير الصواب يشبه في اموره يحيى بن عمر وحمديس القطان حسن التقييد صحيح الكتاب وكانت كتبه كلها بخطه كان كثير التصنيف في انواع العلوم وكثير الكتب (3) .

وحدث ان غضب على بعض تلاميذه فأخذ سجلا وكتب فيه : يشهد من يتسمى في هذا الكتاب ان عبدالله ابن مسرور اشهدهم ان فلانا وفلانا كانوا ياخذون عني شيئا من العلم وسألوني ان اجيزلهم كتبي ففعلت فاشهدوا علي اني رجعت فيما رووا عني وعن اجازتي لهم كتبي لما ظهر فيهم من سوء حالهم وكذ وكذا (4) ،

وتوفي ليلة الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة سنة ست واربعين وثلاثمائة (5) وسنه سبع وثمانون سنة ومولده سنة 273هـ (6) والاصح ان يقول ومولده سنة 259هـ حتى يكون قد توفي على سن تقدر بـ 87 سنة وهذا ما اعتمدته في تعيين سنه ولادته . وكان سبب موته انه اصطلى فنعس فالتهبت النار في ثيابه فاحترق الاموضع سجوده (7) . وقد دفن بباب سلم بالقيروان (8) .

---

(1) معالم الايمان 57/3

(2) » »

(3) الديباج ص : 135

(4) معالم الايمان 58/3

(5) » » 59/3

(6) الديباج ص 136

(7) » »

(8) معالم الايمان 59/3

16 أبو الحسن الكانشي ☀ (239 هـ 347هـ)

هو ابو الحسن حسن بن محمد بن حسن الخولاني الكانشي من الطبقة الخامسة من أهل افريقية ومن رابط (1) بالمنستير كان عالما زاهدا سمع من عيسى بن مسكين وكان عليه معوله . ويحيى بن عمر واحمد ابن زيد وابي اسحاق بن شعبان (2) .

وأخذ عنه ابو محمد بن ابي زيد وابو القاسم بن شبلون وابو الحسن القابسي وغيرهم كثيرون (3) .

وكان بالاضافة الى تبحره في العلوم الشرعية كان يحسن العربية والنحو واللغة وشعر العرب (4) .

قال فيه تلميذه ابو الحسن القابسي (ما رأيت اخير من ابي الحسن وكان اذا اعجبه شيء من صاحبه قال والله لا شكرنك في نفسك فيقال له بماذا فيقول بحسن الثناء عليك فقيل له فاين الحديث في ذلك احثوا التراب في وجوه المداحين فيقول قال ابن عباس رضي الله عنهما انما اذا مدح الرجل في وجهه بما ليس فيه والا فواجب مدح الرجل في وجهه بما يجري من حسن افعاله) (5) .

ووصفه ابن فرحون بقوله (رجل صالح فاضل فقيه مشهور بالعلم ومتعبد مجتهد ورع خائف رقيق القلب كثير النياحة والبكاء سمح كثير المعروف باع ضياعه كلها وتصدق بها صرم في مذهبه مجانبا لا هل الاهواء ومن يخالف اهل المدينة) (6) . وكان الابياني اذا ذكره قال : ذلك العالم حقا كان من العالمين بالله . ويقول ابن فرحون أيضا : واعتماده في روايته على عيسى بن مسكين اجتمع على فضله المؤالف والمخالف (7) : وكان كثيرا ما ينشد (8) :

يارب كن لي وليا بالصنع حتى اطيعك	لئن ذممت صنيعي
لقد حمدت صنيعك ان كنت اعصيك فاني	احب فيك مطيعك .

توفي رحمه الله بالمنستير سنة سبع واربعين وثلاثمائة وهو ابن مائة وثمانين سنين (9) . ولهذا قيل ومات بالمنستير عن سن متقدمة جدا (10) .

☀ ذكره صاحب المعالم 3/ تحت اسم الكانشي . ترجم له ابن فرحون في الديباج ص : 104

(1) معالم الايمان 60/3

(2) الديباج ص 104

(3) .. .. المعالم 109/3

(4) .. .. ..

(5) .. .. ..

(6) .. .. ..

(7) .. .. ..

(8) .. .. ..

(9) .. .. ..

(10) DEUX du [illegible] Kairouanais P. 132

17) أبوعبد الله البـــزاز * (355 هـ/ 965م)

هوابوعبد الله محمد بن نظيف البـزاز:

ويعتبر من اشهر اصحاب ابن اللباد . وبسبب ظلم العبيديين هاجرالى مصربعد ان سبقته اليهـــا شهرته العلمية وفيها توفاه ربـه .

ومن اشهر تلاميذه ابو محمد بن أبى زيد القيروانى الذى قال فيه (لوكان ابوعبد الله بن نظيـــف البزاز بالقيروان لما وصلت الى المرتبة التى انا فيها الآن لانه اولى منى بها في حفظه وفهمه وفقهـــه ودينه وورعــه (1) .

وقد روى عياض فى مداركه (ان اصحاب بن اللباد يقارنون باصحاب مالك وهكذا فقد ســورن البزاز بابن القاسم وابن ابى زيد باشهب وابن اخى هشام بابن نافع وابن التبان بابن بكير) (2) .

وذكره ابوالطيب بن خلدون فى بعض كتبه فقال كان اماما فاضلا ولما نزل مصرلازم بها ابا اسحـــاق ابن شعبان وابا الذكر وبعد هما النعالى وغيرهم (3) .

---

* ترجمته بالمدارك 3/ 484-485

(1) المدارك 3/ 485

(2) " "

(3) " "



18) ابو اسحــــاق السبــــائي ☼ (270/356 هـ)

هو ابو اسحاق ابراهيم بن أحمد السبائي الفقيه الزاهد سمع من أبي جعفر احمد ابن عبد الرحمن القصري وعليه كان اعتماده ومن مطر التونسي ومن احمد بن نصر وغيرهم وسمع منـــه ابن ابي زيد والقابسي وابن التيان وابن شبلون وسعيد بن ابراهيم وغيرهم (1) ٠

ولئن كان ابو اسحاق قد اشتهر في كتب التراجم بالزاهد الا انه كان أيضا عالما فحلا من ذلك قـول الاجد ابي : بلغني على بعض العلماء انه كان يقول رجلان بالقيروان يدعى كل واحد منهما باسم صاحبه وهما ابو الحسن الدباغ وابو اسحاق السبائي يقولون ان الد[باغ] عالم [و]هو اولى بان يسمى عابـــــدا لكثرة حنانه وسمته وسكوته ولينه وورطائه وعلمه وابو اسحاق يسمى عابدا وهو اولى بان يسمى عالمـــا لانه كان يدري العلم ويعرفه ويتذكر العلماء بحضرته وفي مجلسه ابن ابي زيد ٠ وهو ملقى عليهــــم ــ وابو القاسم بن شبلون وابو الحسن القابسي وسعيد بن ابراهيم وغيرهم كل من يعرف مسألة كان يحضر مجلسه وذلك لما منعوا من المواعيد والفتوى فاذا تنازعوا فصل بينهم بامر يرجعون كلهم اليه) (2) ٠

وبذلك تحولت داره الى معهد علم وملتقى للعلماء من ذلك ماورد من انه (استأذن عليه يوما صاحـــب الحرس فهرب كل من كان معه ــ ومنهم ابو محمد بن أبي زيد ــ ولم يبق معه غير القابسي فقال الشيخ من هذا ؟ فقال انا فلان قال ادخل ياشيطان مايريد الشيطان اخو الشيطان فلم يكلمه يومئذ الا بالشيطان فلما خرج رجع من هرب فقال لهم ماهذه حق الصحبة تهربون وتتركوني ؟ ولامهم على فعلهم " (3) ٠

وكان تلاميذه شديدي العناية بانفسهم عند ما يدخلون عليه خوفا من ملاحظاته الحادة الدقيقة فقد ورد عن ابي محمد عبد الله بن ابي زيد قوله (كنا اذا اردنا الدخول الى أبي اسحاق السبائي يقول بعضنا لبعض تعالوا نجدد التوبة قبل الدخول اليه خوفا ان ينطقه الله علينا " (4) ٠

ولهذا العلم والصلاح وصفاء الرؤية احبه التلاميذ وقلده الناس حتى جاء (لقد كان من بالقيروان من أهل الدين والعلم انما ينظرون اذا نزلت المعضلات الى ما يفعل / ؟ فان اغلق بابه فعلوا مثله وان فتح فتحوا وان نطق وتكلم تكلموا مثل كلامه لتقدمه عندهم ومكانه من الفضل والعلم) (5) ٠ وكان تلاميذه من اشد الناس حبا له واعترافا بعلمه وفضله وكان ابو محمد بن أبي زيد يصفه بكثرة العلم والعقل ويقول : ماهذا الذى نحن فيه الامن بركته (6) ٠ وقال ابو الحسن القابسي : ما انتفعت الا بدعاء ابي اسحاق قال لي : اعلى الله قدرك في الدنيا والآخرة (7) ٠ وقال احمد بن نصر : لا تعارضوا ابا اسحاق السبائي فلو وزن ايمانه بايمان اهل المغرب لرجحهم) (8) ٠

☼ ترجمته بـ : الديباج ص 85-86 ـ معالم الايمان 3/63-74 ـ المدارك 3/376-389

(1) الديباج ص 85 ـ المعالم 3/63
(2) المعالم 3/66 الديباج ص 85
(3) " 3/73
(4) " 3/65
(5) الديباج ص 85 . المعالم 3/63
(6) المعالم 3/63 - 74
(7) " 3/67
(8) " "

وكانت علاقة ابن ابى زيد بشيخه ابى اسحاق علاقة الابن بالوالد حتى قيل ان ابا اسحاق هو الذى طلب من ابى محمد ان يضع كتاب الرسالة لما عرفه فيه من نبوغ علمى (1) . وسوف نخص هذا بفصل عند ما نتحدث عن الرسالة فى هذا البحث بحول الله (2) . وكان ابو اسحاق من اشد الفقهاء عداوة لبنى عبيد فقد كان ضمن جيش الفقهاء بموقعه الوادى المالح الا ان الله نجاه منهم على الرغم من عيونهم المبثوثة حول داره . والعادة عليه انفاسه (3) .

وكان من الزهاد المستجابين الدعاء وقد زخرت كتب التراجم بقصص كثيرة فى هذا الميدان (4) . بالاضافة الى هذا فقد كان لطيفا مع طلبته من ذلك ماورد فى ترجمة ابى حفص العسال من ان : ابا اسحاق السبائى كان يحبه ويعظمه ويقوم له دون غيره) (5) .

قال فيه الدباغ (كان واحد زمانه ورعا وزهدا وعقلا يوالي فى الله ويعادي فى الله قويا فى ايمانه جلدا فى نفسه نزيه النفس كثيرا الجد والاجتهاد سريع الفهم فيما ظهر من العلم له كرامات كثيرة استجابات) (6) . وروى صاحب الديباج انه (كان مشهورا بالعلم والصلاح والعبادة والاجتهاد كثير الورع وقافا عن الشبهات رقيق القلب غزير الدمعة مجاب الدعوة متواضعا حسن الاخلاق حميد الادب طلق الوجه مباينا لاهل البدع شديد الغلظة عليهم وكان خبزه السميد فقيل له فى ذلك فقال لوعلمت ان الجوهر يزيد عقلي وقدرت عليه لسحقته واكلته فانى لا أجد نفسى تصلح الا اذا اكلت طيبا) (7) .

وقد توفى يوم الثلاثاء النصف من رجب سنة 356هـ (8) ودفن ضحى الاربعاء (9) ومولد كان سنة 270هـ (10) وصلى عليه صاحبه ابو الحسن الدباغ ودفن بباب نافع (11) . تغمده الله برحمته ونفعنا ببركته .

---

(1) DEUX Juristes Kairouanais P. 133
(2) انظر ذلك فى الصفحة (322 - 345) من هذا البحث
(3) معالم الايمان 3 / 71
(4) " " 3 / 66 - 71
(5) " " 3 / 51
(6) " " 3 / 63
(7) الديباج ص 82 - 86
(8) المعالم 3 / 73
(9) " "
(10) الديباج ص 86
(11) المعالم 3 / 73

19) دراس الفاسي *(٠٠٠٠ 357 هـ / 967 م)

هو ابو ميمونه دراس بن اسطعيل الجراوى الفاسي تفقه بشيوخ بلده فاسه وارتحل الى الاندلس مجاهدا وطالبا ، ثم نزل القيروان وكان فى مدة اقامته ضيفا على ابن أبى زيد (1) سمع بالقيروان من ابن اللباد . وحدثت بينه وبين شيخه ابن اللباد خلاف فى تحقيق حديث كان الحق فيه مع دراس الا ان ابن اللباد اغتاظ فقال له : ياهذا فيك استقصاء وما اظنك تريد الا ان تكون ديكا فقال له ابو ميمونه : اكرمك الله لو شئت ان اكون ديكا فى غير بلدى كنت فقال له قم عنا ولا تغش لى مجلسا (2) وينتهى هذا الخلاف بعودة المياه الى مجاريها حتى غدا اذا دخل ابو ميمونه يترن له ابن اللباد : يا ابا ميمونة شركنا فى صالح دعائك (3) وسمع من ابن أبى مطر وبالاسكندرية سمع الموازيه وحدث بها فى القيروان وأخذ عنه جمع كثير من أهل القيروان منهم ابن ابى زيد والقابسي ومن الاندلس ابو الفرج بن عبدوس وخلف ابن ابى جعفر وغيرهما ومن المغرب : مثل ابى عبد الله محمد بن علي واخيه حسن وابن بكر القيسى والهمدانى وغيرهم (4) ، وهو أول من نشر المدونه بالمغرب (5) وكان دراس حافظا حتى قيل ليس فى وقته احفظ منه (6) . اذ كان يحفظ الواضحة والمستخرجة وغيرهما حتى اعجب به أهل القيروان غاية الاعجاب وانتشر صيته مما جعل الشيخ ابن اخى هشام يرى وهو أحد العلماء القيروان فطلب مناظرته فقد ورد ولما ورد دراس بن اسطعيل ابو ميمونه من مدينة فاس وعجب من حفظه سمع ابو سعيد تقصيره بعلماء القيروانيين واضافته قلة الحفظ اليهم فقال لأصحابه اعلموا على ان تجمعوا بينى وبينه لئلا يقول دخلت القيروان ولم اربها عالما فما زالوا حتى اتوا به الى أبى سعيد فى مجلسه فسلم عليه فالقى عليه ابو ميمونه نحوا من اربعين مسألة من المستخرجة والواضحة فاجاب عنها ابو سعيد ثم القى عليه أبو سعيد عشر مسائل من ديوان ابن سحنون فاخطأ فيها ابو ميمونة كلها فعطف عليه ابو سعيد لاتغفل عن الدراسة فانى أرى لك فهما فان واظبت كنت شيئا . فلما قام ابو ميمونه ليخرج لم يعرف الباب من الحيرة) (7) . يقول المالكى فيه كان ابو ميمونة من الحفاظ المعدودين والائمة المبرزين من الفضل والدين (8) . وقال ابن الفرضى كان ابو ميمونه فقيها حافظا للرأى على مذهب مالك (9) . وبعد سنوات من الدرس والتدريس بالقيروان يعود الى بلده فاس حيث يتوفاه ربه سنة 357هـ وقيل سنة 358هـ . وقبره بباب الفتوح الى جانب السور من خارج البلد وله بفاس مسجد يعرف به (10) .

---

* ترجمته بالمدارك 3/395 . 397 . الحلل السندسية ج ١ . ق 3 / 649

(1) ترتيب المدارك 3/395 .
(2) " " 3/396
(3) " " " "
(4) " " 3/395
(5) DEUA Juriste Kancaamais P. 134
(6) ترتيب المدارك 3/395
(7) معالم الايمان 3/١٦٥ . ١٦٧
(8) " 3/395
(9) " " 3/396
(10) " " 3/397

[261هـ - 361]

ابو العباس الابياني :*

هو ابو العباس عبد الله بن أحمد بن ابراهيم بن اسحاق التونسي المعروف بالابياني ولد سنة 261 هـ (1)

تفقه بيحي بن عمر واحمد بن سليمان وحمد يس القصان ويحي بن عبد العزيز وحماس بن مروان وغيرهم وصحب لقمان بن يوسف وذاكر ابا بكر بن اللباد (2) . وقد قال الابياني في هذه المذاكرة : انتفعت بصحبة ابي بكر بن اللباد ودرست معه عشرين سنة يعني - والله اعلم - قراءتهما معا على الاشياخ كيحي ابن عمر وايضا كان يجتمع معه بعد في فلتات (3) .

وتخرج على يديه الاصيلي وابو الحسن اللواتي وعمر بن محمد وسعيد بن ميمون وابو علي الغولي والقابسي وابن ابي زيد : الذي كان كثيرا ما يبعث له بالنوازل المشكلة ليبينها له (4) وكما كان لهذا التلميذ ثقة في شيخه كان هذا الشيخ معجبا بطالبه وقد ظهر ذلك عندما سئل على صحبه من القيروانيين فقال رأيت رجل كالبحر لا تكدره الدلاء يقال له ابو سعيد بن اخي هشام واما الثاني من الاثنين فاني رايت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له : عبد الله بن ابي زيد والثالث يقال له عبد الله بن التبان تكاد كل شعرة في جسده تنطق بالحكمة يكون لهما في الفقه باع (5) .

وكان كل يوم ينطلق من قريته مرناق بما وراء حمام الانف فينزل الى تونس الحاضرة لاداء مهنته التعليمية (6) وكانت الواضحة لابن حبيب من الكتب الفقهية التي اعتنى بتدريسها (7) . وذكر ابو الحسن اللواتي احد تلاميذه انه قرأ على ابي العباس الواضحة صدرا من كتاب البيوع فقال لم يبق من الكتاب حديث كذا مسألة كذا فنظرنا فلم نر شيئا ثم تأملنا فاذا ورقتان قد التصقتا فتجاوزنا هما فاذا فيهما كل ما ذكره فتعجبنا من حفظه وكان قليل الفتوى (8) وقد تركت رحلته الى المشرق اثرا طيبا في النفوس حيث تلقاه نحو من اربعين فقيها ولم يكن فيهم افقه منه وقال ابن شعبان ما يزال بالمغرب علم ما دام فيها ابو العباس ومن أراد ان ينظر الى فقيه فلينظر اليه ، وقال لا يزال اهل المغرب بخير ما دام بين اظهرهم ما عدى النيل منذ خمسين سنة اعلم منه (10) .

---

*) ترجمته بـ : الديباج ص 136 . الثريا عدد جويلية 1945 ص 11 . المعالم . تراجم المؤلفين ...
- الابياني بكسر الهمزة وتشديد الياء ... الديباج ص 136

(1) الثريا عدد جويلية 1945 ص 11

(2) الديباج ص 136

(3) المعالم 3/ 22

(4) الديباج ص 136

(5) المعالم 3/ 100

(6) DEUX Juristes Kairouanais P. 132

(7) الديباج ص 136

(8)

(9)

وكان ابو الحسن القابسي يقول : مارايت بالمشرق ولا بالمغرب مثل ابي العباس كان يفصل المسائل كما يفصل الجزار الحاذق اللحم وكان يحب المنكرة في المعلم ويقول دعونا من السماع القوا المسائل وكان يدرس كتاب ابن حبيب) (1) وكان كثير التواضع واذا قيل له الفقيه يقول لقب لقبناه (2) يقول الكعات بلغنا من تاليفه كتاب ترتيب السماسرة وقد نشرناه بمجلة العالم الادبي مع تعليق (3) .

قال فيه صاحب الديباج : كان عالم افريقيا غير مدافع من شيوخ اهل العلم وحفاظ مذهب مالك من اهل الخير والوجاهة ويميل الى مذهب الشافعي ... منقبضا حافظا ذا كرم في الفقه صالحا ثقة مامونا اماما فقيها حليما نبيلا فصيحا عالما بما في كتبه حسن الضبط حسن الخط جيد الاستنباط (4)

توفي سنة 352 هـ وقيل سنة 361 هـ وهو ابن مائة سنة الا اربعة شهور (5) ودفن بمرناق وقبره هنالك مشهور يعرف بسيدي الابياني (6) خلافا لما ذكره محمد الطالبي بانه مدفون بالقيروان (7) .

---

① الديباج ص 136

② .. " "

③ [illegible] 1945 [illegible]

④ [illegible] 136

⑤ [illegible]

⑥ [illegible]

⑦ [illegible] 136

(21) ابو اسحاق الجبنياني (279 ... 369 هـ)

هو ابو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن علي بن أسلم الجبنياني البكري من بكر بن وائل (1) سمع من شيوخ القيروان وكان جد ممن آصحاب سحنون وله اجازة من عيسى بن مسكين واخذ عن ابن سهلون (2) وتخرج على يديه علماء كثيرون امثال ابن ابي محمد بن ابي زيد ، وابي الحسن القابسي وابن التبان ، (3) وقد كتب في مناقبه كل من اللبيدي وابي بكر المالكي (4) قال فيه ابو الحسن القابسي : الجبنياني امام يقتدى به (5) وكان ابن ابي زيد يعظم شأنه • وقد اطلعه على مؤلفاته (٥)

ويذكر صاحب المعالم : قال ابو محمد بن التبان يوما : لاشيء افضل من العلم فبلغ خبره ابا اسحاق الجبنياني فقال العمل به أفضل فلما بلغه كلامه قال صدق : اذا لم يعمل به صاحبه فهو وبال عليه واذا عمل به كان حجة له ونورا يوم القيامة وروي انه سار لزيارة ابي اسحاق فلما قرب من جبنيانه هابه وقال أخشى ان يجري الله على لسانه شيئا يعزعلي فنكون ممن عادى وليا من اولياء الله تعالى فوجه اليه بالسلام وانصرف) (7) وكان لابي اسحاق سبعة أولاد من الصالحين الاتقياء (7) قال فيه صاحب الديباج (وكان من أعلم الناس باختلاف العلماء عالما بعبارة الرؤيا يعرف حظا من اللغة والعربية حسن القراءة للقرآن يحسن تفسيره واعرابه وناسخه ومنسوخه لم يترك حظه من دراسة العلم بالليل الا عند ضعفه قبل موته بقليل وكان لايفتي الا ان يسمع احدا يتكلم بما لا يجوز فيرد عليه اويرى من يخطيء في صلاته فيرد عليه) (٥) وقال ايضا (وكان ابو اسحاق قل ما يتغير على أحد فيغلظ وكان اذا ذكر الله تعالى من هيبته قد جف جلده على عظمه واسود لونه كثير الصمت قليل الكلام فاذا تكلم نطق بالحكمة وكان قلما يترك ثلاث كلمات جامعه للخير وهي اتبع لا تبتدع اتضع لا ترتفع • من ورع لم يتسع (٩) وبقي هذه حاله الى ان توفاه ربه سنة 369 هـ وسنة 0٤ وماوجد له من الدنيا قليل ولاكثير غير امداد شعير في قلة مكسورة (10)

م - ترجم له عياض بالمدارك 4/497 - 517 - وصاحب الديباج ص 86

(1) ترتيب المدارك 4/497

(2) " " 4/499

(3) " " 4/500

(4) الديباج ص 86

(5) ترتيب المدارك 4/500

(6) معالم الايمان 3/94

(7) ترتيب المدارك 4/516 - 517

(8) الديباج ص 86

(9) " "

(10) المدارك 4/516

هو ابو الازهر عبد الوارث بن حسن بن احمد بن اخي ابي الازهر عبد الوارث • من عائلة قيروانية تنتسب الى العلم وأهله اذ كان جده من اصحاب الامام سحنون (1) سمع ابو الازهر من ابي بكر ابن اللباد وكان عليه اعتماده لطول صحبته اياه • وكذلك سمع من النخبة من شيوخ عصره كابن عبد الله بن مسرور (2)

وسمع منه طلبة كثيرون امثال ابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القابسي وغيرهما قال ابن الحارث كان ممن يتحلق لجامع القيروان مع ابن ابي زيد وابن اخي هشام وغيرهما (3) •

وكان عيشه من كتابة الوثائق • وقد اراد عبد الله بن هاشم القاضي استكتابه فاستشار ابا محمد عبد الله بن ابي زيد فرده عنه • فبلغ ذلك ابا الازهر فجلس بالقرب من درب السكة فاذا خرجت مسألة من عند ابن ابي زيد كتب تحتها الجواب غير هذا فضاق من ذلك ابن ابي زيد ووجه اليه معتذرا له وقال انا فعلت ذلك أجلا لك اذ انت من شيوخنا) (4) وكان ابن ابي زيد معجبا بشيخه له ثقة في علمه حتى انه قال (ما بافريقية افقه من ابي الازهر بن معتب وانما قطع به قلة دنياه) (5) وصدق ابو محمد لان الشيوخ لم يكونوا يتقاضون أجورا على تدريسهم ، بل كانت لهم اعمالهم الخاصة التي يرتزقون منها • وقد بقت هذه السنة سارية المفعول الى اواسط القرن الماضي بالجامعة الزيتونية الوريثة الشرعية لجامعة القيروان • الا ان فقر ابي الازهر لم يحل دون تبوئه المكانة المحترمة بين علماء عصره من ذلك ما رواه ابو الحسن القابسي : حيث قال : اختلف اصحابنا فيمن صلى بامرأته المكتوبة هل يصلي تلك الصلاة في جماعة فقال ابو سعيد بن اخي هشام وغيره (لا يفعل وجعلوا صلاة الرجل مع زوجته جماعة وقال ابو الازهر لا بأس بذلك) (6) •

قال فيه الدباغ (كان من ائمة الدين والعلماء الراسخين ذا علم بارع ومعرفة بالاصول والفقه والقضاء والنوازل كثير التواضع حسن السمت) (7) وقال عياض (كان بيت معتب بيت علم بالقيروان وكان من الائمة الراسخين ذا فقه بارع وعلم بالاصول مجرد النوثائق والاحكام وعلم القضاء منور الوجه جميل الشيبة متواضعا) (8) •

وبقي هذا الفقيه الى أن توفاه الله سنة 371 هـ وقيل سنة 372 وقيل سنة 378 هـ والاول ارجح (9)

● ترجم له . معالم الايمان 3/98 . ترتيب المدارك 4/529

(1) ترتيب المدارك 4/529

(2) " " "

(3) " " 529 . 530

(4) ترتيب المدارك 4/529

(5) معالم الايمان ص 98

(6) ترتيب المدارك 4/529

(7) معالم الايمان 3/98

(8) ترتيب المدارك 4/529

(9) معالم الايمان 3/98

هو ابو سعيد خلف بن عمر • قال المالكي عثمان بن عمر قال ابو عبد الله الخوا ـ عثمان بن خلف • المعروف بابن اخي هشام الوديعي الحناص (1)

سمع من ابن نصر ومن ابن القاسم الصرزي والقصري وابن اللباد وغيرهم (2)

واخذ عنه جماعة من اهل القيروان كابي ابي زيد والقابسي ، وابن شبلون وابن الباان وخلف بن نعيم الهواري وغيرهم حتى عرف بين العلماء بمعلم الفقهاء (3)

وكان بادئ حياته يبيع الحنطة ثم رجع يكتب الوثائق وياخذ عليها الاجر (4) : ومع هذا فقد كان يجلس الى التلاميذ والاصحاب يذاكرهم بجامع القيروان زمن ثورة ابي زيد الخارجي ، فقد ورد انه كان يجتمع هو وابو الازهر ابن معتب وابو محمد بن ابي زيد وابن شبلون وابن التبان والقابسي وجماعة ذكرناهم ونذكرهم للتفقه في جامع القيروان عند ماظهر امر ابي يزيد على بني عبيد) (5) ثم يقول اخذ عنه جماعة ممن ذكرناهم وخلف ابن نعيم الهواري ((6) ومناظرته مع دارس القاسي لاكبر دليل على حفظه وعلمه اذ بلغه ان دراسا يضيف قلقا لحفظ الى علماء القيروان فقال ابو سعيد لأصحابه اعملوا على ان تجمعوا بيني وبينه لئلا يقول دخلت القيروان ولم ار بها عالما) (7) • وقد سبق ان اوردت ما دار في هذه المناظرة وكيف انتهت بفوز ابي سعيد (

وكان ايضا من جملة العلماء المضادين لبني عبيد (8) ويظهر ذلك في اجابته لاحمد بن القاضي النعمان الذي قال له : يا ابا سعيد لم تقولون ان من قذف عائشة يقتل وانما قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) وجلد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما اهل الافك ثمانين جلدة فلم تاخذ بالقرآن ولا بما فعل النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ؟ فقال ابو سعيد قال الله تعالى (اولئك مبرأون مما يقولون) وقال : (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فجلد من قذفها قبل البراءة بالقرآن وبعد القرآن من قذفها فقد رد القرآن ومن رد حرفا من القرآن فقد وجب قتله باجماع) (10)

(*) ترجم له كل من : المدارك 3/488 ـ 492 ـ المعالم 3/99 ـ 104 ـ الديباج ص 110 ـ 111 ـ شجرة النور الزكية ص 96 .

(1) المدارك ج 3 ـ ص 488

(2) الديباج ص 110 ـ 111 ـ المدارك 3/488 ـ المعالم 3/99

(3) المدارك 3/489

(4) المعالم 3/104

(5) الديباج ص 111

(6) المدارك 3/488

(7) المعالم 3/100 المدارك 3/489

(8) انظر ترجمة دراس سيدا ايضا ص = والمعالم 3/100 . المدارك 3/489

(9) المدارك 3/489

(10) المعالم 3/103 ـ 104

وكان لابي سعيد اجتهادات في نطاق المذهب خالف بها غيره من ذلك انه كان يمشي مع احد طلبته في فحوص صبرة فحضرتهم الصلاة فاراد الشيخ الصلاة فقال الطالب اصبر حتى نخرج من اراضي هذه المدينة السوء . فقال له ابو سعيد هذا جهل منك اي ضرر على هذه الارض من صلاتنا ولو لزم ترك الصلاة في الفحوص المغصوبة وجب للمصلي ان يستاذن من اربابها اذا كانت غير مغصوبة . قال ابو عبد الرحمن : وهو كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وان الصلاة في ارض المسلمين بغير اذنهم جائزة بلا خلاف وانما هذا امام الجزء الغاصب ببناء وتجوز على حالها بعد الغاصب كما كانت قبل (1) وقد خالفه في ذلك تلميذه ابن التبان حيث قال بعدم جواز ذلك الا مع خوف خروج الوقت وتبعا لذلك المرور بها حيث قال ابو سعيد بجوازه وقال ابن التبان بعدمه الا ساعة الضرورة (2)

بمثل هذه الآراء والمواقف كان ابو سعيد طيب الذكر وجزيل الثناء من تلاميذه واهل عصره .

فقد سال عبد الله صاحب القيروان ابا محمد بن ابي زيد رحمه الله من احفظ اصحابكم ؟ فقال ابو سعيد . فقال له فمن احفظهم بخلاف الناس ؟ قال ابو سعيد (3) وكان ابن ابي زيد يبجله ويقدره ايضا : ان ابا محمد بن ابي زيد دخل يوما على ابي سعيد بن اخي هشام يزوره فوجد مجلسه محتفلا فقال له : بلغني عنك انك الفت كتابا فقال له : نعم اصلحك الله فقال له اسمه مسألة ؟ فقال له ابو محمد اذكر اصلحك الله فان اصبت اخبرتنا وان أخطأت علمتنا فسكت ابو سعيد ولم يعاوده) (4) وقال ابن ابي زيد مرة اخرى (ان ابا سعيد ليس يلقى الله بمثل ذرة من رياء) (5) قال تلميذه ابن شبلون ما اخذ عن ابي سعيد مسألة خطأ قط) (6)

وقال المالكي (كان يعرف بمعلم الفقهاء . لم يكن في وقته احفظ منه اختلط علم الحلال والحرام بلحمه ودمه وما اختلف الناس فيه واتفقوا عليه عالما بنوازل الاحكام حافظا بارعا فراجا للكرب مع تواضع ورقة قلب وسرعة دمعة وخالص نية) (7) . قال عياض : قرأت في التعليق المنسوب الى خط ابي عمران الفقيه ذكره فقال كان شيخ الفقهاء وامام اهل زمانه في الفقه .

[illegible] ابن الدباغ : كان امام الزمان وواحد الفقهاء في عصره واعلمهم بمذاهب اهل المدينة ما اختلف فيه وما اتفق عليه (9) وقال ابن فرحون (وعنه تفقه اكثر القرويين وكان شيخ الفقهاء وامام اهل الفقه والورع ولم يكن عنده رياء ولا تصنع) (10)

---

(1) ترتيب المدارك 3/490
(2) معالم الايمان 3/102
(3) المدارك 3/489
(4) " 3/494
(5) الديباج ص 111
(6) المدارك 3/491 وقال فيه الابياني (فرايت رجلا كالبحر الذي لا تكدره الدلاء يقال له ابو سعيد بن اخي هشام) المعالم 3/
(7) المدارك 3/488 - 491 - والديباج ص 111 - المعالم 3/33
(8) " " 488
(9) المعالم 3/99
(10) الديباج ص 111

وكان ابو سعيد يقول من دارى الناس مات شهيدا وسئل عن الكرامات ؟ فقال ما ينكرها الا صاحب بدعة وصح انقلاب الاعيان فيها (1) ٠ حتى قالوا وكان ابو سعيد اذا قال اجمعنا الامة لم يوجد خرق لقوله (2)

واختلفوا في تاريخ وفاته كما اختلفوا في تاريخ مولده ٠ الا ان المالكي وهو اقرب المؤرخين الى عصره قال انه توفي يوم الجمعة السابع من صفر سنة 373 هـ (3) وهو نفس قول ابن الرقيق وقال غيره بن توفي سنة 371 هـ (4) اما مولده فقيل سنة 227 هـ وقيل سنة 22 هـ (5) وحضر للصلاة عليها هل جبرة القيروان يتقدمهم امير افريقية عبد الله بن زيري الصنهاجي المعروف ببلقين وكان الامام في الصلاة عليه ابن الكوفي القاضي (6) حيث تم دفنه بجوار القاضي عبد الله بن هاشم ورثي بمراث كثيرة منها قول ابن خاقان النعوي 7

فقل للواله الحرا ذيلـــــــــى بصوتك انه حسن قبيـــــــــح
وقل للمسعد يـــــن ابو سعيـــد ليبكوا وراء مصرعه ونـــــــوح
فقد هلكت بمهلكه علــــــوم وفضل الميس يبلغه المد يـــح

وقال ابن مازن 8

لقد فجع الورى شرقا وغربـــا ببحر من بحور العلم طامـــــى
بما قد كان من علم وديـــــن عن الاسلام والدنيا يحامـــــى
رأى الدنيا بعين النقص لمـــا رأى ما دام ليس بـــــذى دوام
وابصر كل مافيه حطــــاما فصان النفــــس عن جمع الحطام

---

(1) المعالم 3 / 101 - المدارك 3 / 492
(2) المدارك 3 / 489
(3) المعالم 3 / 104
(4) ترتيب المدارك 3 / 491
(5) انظر المدارك بانه ولد سنة 297 هـ والديباج سنة 299 هـ ص 111 - والاول ارجح
(6) المدارك ج3 / 491 - المعالم 3 / 104 - الديباج ص 111
(7) ترتيب المدارك 3 / 491 - 492
(8) الديباج ص 111 - 112

ابن حماد القاضي * [275 - 329]

هو ابوعثمان احمد بن ابراهيم بن حماد القاضي .

سمع من ابيه ابراهيم بن حماد (241 هـ - 323هـ) (1) ومن ابي جعفر الطحاوي ومن العمري ابي بكر بن عبد العزيز حدث عنه ابن ابي زيد وغيره (2) .

خلف اخاه علي ... مصر من سنة 314هـ - 316 فعزل ثم ولي قضاءها بعد ذلك ستمرات (3) واشتهر بالتقوى والحياء . ولم يمنعه منصبه من ان يتردد على حلقة ابي جعفر الطحاوي للاخذ عنه . قال بعضهم (حضرت مجلس ابي جعفر الطحاوي وعنده ابوعثمان بن حماد وهو يومئذ قاضي مصر فدخل اليه رجل فسأل ابا جعفر عن مسألة فقال له ابو جعفر : مذهب القاضي ايده الله كذا وكذا . فقال له السائل ماجئت الى القاضي انا جئت اليك فقال : ياهذا مذهب القاضي ماقلت لك فقال له السائل مثل ما قال له اولا . فقال ابوعثمان تفتيه ايدك الله . فقال ابو جعفر اذا اذن القاضي ايده الله افتيه ثم افتاه بعد ذلك) (4) .

ويقال انه مات فقيرا حتى قيل انه لما مات كفنه ابو بكر المدراني صاحب خراج مصر (5) ويذكر عياض ان مولده كان سنة 275 هـ وانه توفي بمصر سنة (329هـ (6) .

---

* ترجمته بـ : ترتيب المدارك 1/285-286 تحقيق د. احمد بكير - ط بيروت

(1) الديباج ص 85

(2) المدارك 1/285 - الديباج ص 137

(3) " 1/285

(4) " " "

(5) " " "

(6) " " "

هو ابو بكر محمد ابن احمد بن محمد بن الجهم بن جيش ويعرف بابن الوراق المروزي وقد سمي بالوراق لان جده كان وراقا للمعتضد (1)

سمع من ابن ابراهيم بن حماد ومحمد ابن عبدوس وابن محمد النيسابوري وعبد الله بن احمد بن حنبل والفريابي كما صحب اسماعيل القاضي وسمع منه وتفقه معه ومن كبار اصحاب ابن بكير .

وروى عنه ابو بكر الابهري وابو اسحاق الدينوري واجاز ابن ابي زيد . (2)

له مؤلفات كثيرة منها كتاب الرد على محمد بن الحسن الشيباني وكتاب بيان السنة خمسون كتابا وكتاب مسائل الخلاف والحجة لمذهب مالك وشرح مختصر ابن عبد الحكم الصغير (3) .

قال فيه ابن فرحون : كان صاحب حديث وسماع وفقه وتحقيق (4) وقال الخطيب : له مصنفات حسان محشوة بالآثار يحتج لمذهب مالك ويرد على مخالفه وكتب حديثا كثيرا وكتبه تنبئ عن مقدار علمه (5) .

وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة وقيل سنة 32هـ

☼ ترجمته بـ : الديباج ص 243 ـ 244

(1) الديباج ص 243

(2) ترتيب المدارك 4/493

(3) الديباج ص 243

(4) " " "

(5) " " 243 ـ 244

هو ابو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد بن محمد بن ربيعة ابن داود بن سليمان بن ايوب الصقيل بن عبيده بن محمد بن عمار بن ياسر • كذا حكى ابو القاسم بن سهل الحافظ وذكر انه نسب لنفسه كذا يقال ابن عمار بن عبس وعبس من مذحج ويعرف ايضا بابن القوطي (1) وقد أخذ عنه ابن ابي زيد اجازة (3)

واليه انتهت رئاسة مشيخة المالكية بمصر في وقته اذ كان احفظ فقهاء المالكية بمصر مع التدين والورع والتفنن في علوم كثيرة كالسنة والتاريخ والادب الا انه كان يلحن اذ لم يكن له بصر بالعربية قال ابن ابي زيد والعتكي فيه : هو شيخ التقوى وحافظ البلد (3) الا ان ابا الحسن القابسي الذي لاشك انه التقى به بمصر كان يقول فيه (انه لين الفقه) (4) من تاليفه : كتاب الزاهي الشعباني وهو كتاب مشهور في الفقه) وكتاب في احكام القرآن وكتاب مختصر ما ليس في المختصر وكتاب مناقب مالك • وكتاب شيوخ مالك وكتاب الرواة عن مالك وكتاب جماع النسوان وكتاب مواعظ ذي النون الاخميمي • وكتاب النوادر • وكتاب الاشراط وكتاب المناسك وكتاب سنن الوضوء) (5) ويقول ابن فرحون اما كتبه ففيها غرائب من قول مالك واقوال شاذة عن قوم لم يشتهروا بصحبته ليست مما رواه ثقات اصحابه واستقر من مذهبه) (6) •

وكان شديد البغض لبني عبيد ويقال انه كان يدعي على نفسه بالموت لما علم بتفكيرهم في الانتقال الى مصر حيث كان يقول : اللهم امتني قبل دخولهم مصر (7) •

وكان قد رفض قبول اعطياتهم اذ رد الصلة التي بعثها له المعز لدين الله الفاطمي قبل دخوله مصر • واحرق كتابه وقال لرسوله : لو لا ثبت عندي انك سني ما خرجت من هذه الدار ولجعلت من يقتلك (8) في حين كان يقبل اعطيات المستنصر الاندلسي وهي عبارة عن مائة مثقال تعطى لشيوخ المالكية بمصر وتضاعف لابن شعبان (9) وتوفي ابن شعبان يوم السبت لاربع عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة 355هـ ودفن يوم الاحد وقد جاوز ثمانين سنة وصلى عليه ابو علي الصيرفي (10) •

---

* ترجمته : بالمدارك 3/293 - 294 - الديباج 248 - 249

(1) ترتيب المدارك 3/293
(2) " " 4/493
(3) " " 3/293
(4) الديباج ص 248
(5) ترتيب المدارك 3/294
(6) الديباج ص 248
(7) ترتيب المدارك 3/293
(8) " "
(9) " " 294
" " "
(10) الديباج ص 248 - 249

ابو بكر الابهري 287 - 375 هـ

هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الابهري التميمي (1) من انفسهم بن عمر بن حفص بن عمر بن مصعب بن الزبير بن كعب بن مناة بن تميم (2) •

سكن بغداد وبها سمع من ابي عروبه الحراني والباغندي والاشناني وابن زيدان الكوفي وابن ابي داود والانطاكي الصابوني وابي بكر بن جهم الوراق والخياش وابن زيد المروزي وغيرهم (3)

واخذ عنه طلبة كثيرون كالبرقاني وابن المؤمن الانباري وابن مخلد وابي بكر الدارقطني والقاضي الباقلاني ومن الاندلس كالاصيلي • وابي محمد القلعي • وابي القاسم الزهري • ومن القيروان استجازه ابن ابي زيد فاجازه (4) • وهو اول عالم مالكي اهدى اليه بن ابي زيد باكورة انتاجه العلمي المعروفة • بالرسالة ففرح بها كثيرا وامر ان لاتباع الا بوزنها ذهبا كما سنعرفه في مكانه من هذا البحث بحول الله •

لقد مضى ابو بكر الابهري ستين سنة بجامع المنصور ببغداد وهو يفتي الناس ويعلمهم فقد ورد عنه قوله كتبت بخطي المبسوط والاحكام لاسماعيل واسمعة ابن القاسم واشهب وابن رهب وموطأ مالك وموطا ابن رهب ومن كتب الحديث والفقه ثلاثة الاف جزء بخطي ولم يكن قصلي شغل الا العلم ولي في هذا الجامع يعني جامع المنصور ببغداد — ستون سنة ادرس الناس وافتيهم واعلمهم سنن نبيهم صلى الله عليه وسلم : قرأت مختصر ابن عبد الحكم خمسمائة مرة والاسدية خمسا وسبعين مرة والموطا خمسا واربعين مرة ومختصر البرقي سبعين مرة (5) •

هذا التفرغ للعلم جعله مقصد الطلاب والعلماء بل كان مرجعا وشيخا يفض الخلافات بين شيوخ المذا[هب] الاخرى مع اتصافه بالكرم والعطف على طلبة العلم وشيوخهم اذا كان في ماله حق معلوم للسائل والمحروم •

وقد شاهد المذهب المالكي على يديه انتشارا عم الآفاق حتى قيل • ولم ينجب احد من الاصحاب بعد اسماعيل القاضي ما انجب ابو بكر الابهري كما انه لانظير لهما في المذهب بقصر من الاقطار الا سحنون بن سعيد في طبقته

---

* ترجمته في : المدارك 4/466 - 473 - طبقات الفقهاء للشيرازي ص 167 ط بيروت 1970 - الديباج ص 255 - 258 - الكامل لابن الاثير مجلد 9 / 47 - ط بيروت 1966 -

(1) طبقات الفقهاء للشيرازي ص 167
(2) المدارك 4 / 466
(3) الديباج ص 255
(4) المدارك 4 / 467
(5) " 4 / 468

بل هو اكثر الجمع اصحابا وافضلهم اتباعًا وانجحهم طلابا ثم ابو محمد ابن ابي زيد رضى الله عنه في هذه الطبقة ايضـــــــــــا (١)

ولابي بكر تآليف عديدة منها شرح المختصرين الكبير والصغير لابن عبد الحكم كتاب الرد على المزني كتاب الاصول - كتاب اجماع اهل المدينة - مسالة اثبات حكم القافة - كتاب فضل المدينة على مكة • ومسالة الجواد والدلائل والعلل ± ومن حديثه كتاب العوالي ، وكتاب الامالي وكان قد شرح المختصر الصغير سنة ٣٩ تـ

وشرح المختصر الكبير سنة ٤٠ ٣هـ وفيهما نحو من عشرين الف مسالة) (٢) •

ذكر ابو القاسم الوهراني ؟ ولم يعط احد من العلم والرئاسة فيه ما اعطى الابهري في عصره من الموافقين والمخالفين لقد رايت اصحاب الشافعي وابي حنيفة اذا اختلفوا في اقوال ائمتهم يسالونه فيرجعون الى قوله ويحفظ اقوال الفقهاء حفظا مشبعًا (٣) •

يقول ابن فرحون (وانتشر عنه مذهب مالك في البلاد وكان القيم برأى مالك في العراق في وقت معظما عند سائر علماء وقته (٤) •

وقد عرض عليه القضا فامتنع وبعد موت الابهري وكبار اصحابه لتلاحقهم به وخروج القضا عنهم الى غيرهم من مذهب الشافعي وابي حنيفة ضعف مذهب مالك بالعراق (٥) •

وتوفي ابوبكر ببغداد يوم السبت لسبع خلت من شهر شوال سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، (٦). مولد قبل تسعين ومائتين قال ابن الاثير ولد ٢٨٧هـ وسنة نيف وثمانون سنة (٧)

---

(١) ترتيب المدارك ٤/٤٧٠

(٢) الديباج ص ٢٥٥ - المدارك ٤/٤٧٠

(٣) المدارك ٤/٤٦٨

(٤) الديباج ص ٢٥٥ - ٢٥٦

(٥) ـ ـ ـ

(٦) هناك خطأ مطبعي بالديباج ص ٢٥٨ حيث تاريخ وفاته سنة ٣٩٥ - وقد تناقلته عنه مصادر حديثة مثل مجلة دعوة الحق المغربية - والصحيح ما ذكرته المدارك والكامل اي سنة ٣٧٥هـ.

(٧) الكامل مجلد ٩ ص ٤٧ ط بيروت 1966

ابـــن عبد المؤمـــــن *

هو ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد المؤمــن المكي السني الاشعري
وهو آخر آل حماد بن زيد من روى عنه العلم منهم .
سمع بالعراق من ابي عبد الله بن مجاهد البصري وغيره (١)
ثم وفد على القيروان حيث صحب ابن ابي زيد ومده بعلم الاشاعرة من المتكلمين قال الاجدابي
(كنتجالسا عند ابي محمد وعنده ابو القاسم بن عبد الرحمن المتكلم فسألهما انسان عن الخضرعليه السلام هل يقال انه باق في الدنيا مع هذه القرون؟ ثم يموت لقيام الساعة؟
او هل يرد هذا لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ؟فاجابا معًا؟ ان ذلك ممكن جائزالى النفخ فى الصور وان الخلود انما هو اتصال بقائه بدءًا ببقاء الآخرة وان البقاء الى النفخ ليس بخلود الاترى ان ابليس لعنه الله لايسمى خالدا وان كان من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) (٢)
واشهر تلاميذ ابن عبد المؤمن زيادة عن ابي محمد نجد ابا الحسين القابسي وغيره.
يقول عياض؟ وصحب ابا محمد بن ابي زيد وغيره من ائمتها بالقيروان ونا ظرهم.
وذاكروه واثنوا عليه . واخذوا عنه وله بها اخبار معروفة (٣) ــ
وقد استفاد ابو محمد ابن ابي زيد وغيره من ائمة القيروان من ابن عبد المؤمن وخاصة ان مجتمعه كانت تتجاذبه تيارات عقائديه متنوعه وكان اقوى هذه التيارات فى وقتهم التيار الباطني الشيعي .

---

* ترجمته بـ : ترتيب المدارك 4/465

① المدارك 4/465
② " 3/495 - 496
③ " 3/465

ج) الشيوخ الاندلسيون :

بحكم موقع القيروان الجغرافي كان اهل الاندلس يمرون بها سواء أكانوا مشرقين او مغربين حجاجا او صدبا اوتجارا ولا شك والحالة هذه ان يلتقي ابو محمد بن ابي زيد بالبعض منهم شيوخا كانوا او صدبا ، ومن ذلك ما ذكره عياض في ترجمة ابن العطار القرطبي (399 هـ) اذ التقى بابي محمد في القيروان ويحكي انه سأل ابا محمد بن ابي زيد رحمه الله بالقيروان يوما عن صلاة الناس بصلاة الامام على عليه علي وابي قبيس فاجابه بالجواب المنصوص في المسألة انه لا يجوز فسأله من قال هذا وكيف قال ؟ فاحتج له بنص المسألة في المدونة وكررها • فقال له انما وقعت مسألة المدونة اذا صلى المأموم هناك بصلاة الامام في الحرم ولم اسألك عن هذا وانا نسألك من مسألة اذا كان الامام والمأموم جميعا هناك وهذا مالا يخالف فيه احد ولا يمنعه فقص الشيخ لما أراد من تعنيته واضرب عن كرمه في المسألة اذ لم يرض هذا ولنها اجابة عن المسألة المعروفة) (1) وقد تجد من هؤلاء الشيوخ من كان من اترابه آلا انه قد ابا محمد بما كان للاندلسيين من فقهاء •

الاصيلي [... 392/1001م]

هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي اصله من الجزيرة الخضراء وكان جده من مسالمة اهل الذمة ورحل به الى اصيلا حيث نشأ وقيل انه ولد باصيلا (2) •

دخل قرطبة سنة 342هـ فاخذ عن شيخها اللؤلؤي وابي ابراهيم • وسمع ابن حزم وابن المشاط والقاضي ابن السليم وابان بن عيسى بن دينار الاصغر وغيرهم (3) وارتحل الى المشرق سنة (352هـ) فلقي شيوخ افريقية كالابياني وابي العرب وعلي بن مسرور وابن ابي زيد • وبمصر لقي القاضي ابا الطاهر البغدادي وابا اسحاق بن شعبان وغيرهما • وحج سنة 353 هـ فلقي بمكة ابا زيد المروزي الذي سمع منه البخاري • وبالمدينة لقي القاضي ابا مروان المالكي • وبالعراق لقي الابهري فاخذ عن بعضهما ولقي الدارقطني فاخذ عن بعضهما ايضا (4) • وقد استمرت رحلته هذه ثلاث عشرة سنة عاد بعدها الى قرطبة حيث سطع نجمه • ومما يذكر برحلته المشرقية صاحبه فيها كل من درار بن اسماعيل وابي الحسن القابسي (5) •

---

(1) المدارك 3/653

(2) ترجمته في : المدارك ج3/642-648 - جذوة المقتبس 257 ت542 الديباج 138 - 139

(3) المدارك 3/642

(4) ، ، 643

(4) الديباج ص 138

(5) جذوة المقتبس ص 257

اخذ عنه ابن ابى زيد فقه اهل الاندلس ، (1) واخذ عنه ايضا ابوعمران القابسى وغيرهما (2) كابى محمد بن أحمد والمهلب بن ابى صفرة (3) .

لقد تمكن بفضل طول بقائه بالمشرق وبكثرة من التقى بهم من العلماء من الاطلاع على طرق الفقهاء ومناهج المتكلمين هناك مما اهله للرد عن المخالفين لمنهاج العقيدة السنية او المناوئين لمدرسة الفقه المالكية وقد دفعه هذا الى تاليف تحليلى خصوصاً مالك سماه كتاب الدلائل مستعرضا فيه اقوال مالك مقارنا اياها باقوال ابى حنيفة والشافعى مرجحا من رأى عرضه اقوال امام دار الهجرة عن غيرها (4) .

ومع ذلك فقد تاثر بالبيئة العراقية من حيث تعويلها على الراى فلهذا تراه يرفض التقليد وشهر بالمغالاة فى التصوف وما فيه من اعتقاد فى كرامات الاولياء وانقلاب الاعيان (5) وهو نفس الموقف الذى وقفه ابن ابى زيد والذى سنتحدث عنه فى مكانه من هذا البحث ان شاء الله (6) .

وبالاضافة الى كتاب الدلائل له ايضا نوادر حديث خمسة اجزاء والانتصار ورسالة المواعد المنتجزة ورسالة الرد على من استحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالة الرد على ما شذ فيه الاندلسيون (7) .

وتذكر كتب التراجم انه ناظر ابن ابى زيد فى مسالة فاحمر مزاجه فقال له ابن ابى زيد : قال خلاف قولك فلان . فقال لو قالها فلان ما صدقته او لكان خطأ او نحو هذا من الكلام مما اسرف فيه وغلا بغرضه حرجه فانتدب له البرادعى وتولاه ووجد للكلام سبيلا وانكر عليه كل من حضر . ولكن تولى البرادعى ذلك بغرض حرن منه هوايضا فخص الاصيلى فكان ذلك سبب مقاصعته مجلس ابن ابى زيد ويقال ان ابن ابى زيد قال للبرادعى لقد حرمتنا فوائد الشيخ باسرافك فى الرد عليه (8)

وكان ابن ابى زيد حسن الظن بالاصيلى من ذلك ما ورد : قال ابو الوليد لما دخلت القيروان اتيت ابا محمد بن ابى زيد قال لى ما حاجتك ؟ قلت الاخذ عنك . فقال لى الم يقدم عليك الاصيلى ؟

---

(1) ترتيب المدارك 3/643

(2) " " 643 - 644

(3) جذوة المقتبس ص 258

(4) الديباج 139 بتصرف

(5) " " "

(6) للشيخ وكرامات الاولياء ص 243-275 من هذا البحث

(7) ترتيب المدارك 3/646

(8) " " ص 647

قلت : بلى قال لي : تركتوالله العلم وراءك · فكيف حاله من اهل بلده ؟ فاخبرته بظلمهم له قال : جهلوا ما اتى به واتيت القابسي فجرى لي معه مثل ذلك وقال لي مثل قوله (1) وصدق عالم القيروان فقد اصبح الاصيلي بعد موت ابن زرب عالم الاندلس وفقيهها بدون منازع حتى كان بالاندلس نظير ابن ابي زيد بالقيروان (2) وهما عالمان أخذا من بعضهما ·

قال فيه ابن الفرضي : كان عالما بالكلام والنظر منصرفا الى معرفة الحديث (3)

وقال ابن حبان : كان ابو محمد في حفظ الحديث ومعرفة الرجال والاتقان للنقل والتبصر بالنقد والخصال لرصول والحذق براي اهل المدينة والقيام بمذهب مالك والجدل فيه على أصول البغداديين فردا لانظير له في زمانه) (4) وقال فيه الحميدي (وكان متقنا للفقه والحديث الف كتابا كبيرا في الدلائل على المسائل فما قصر (5)

بقي هذا عمله وهذا نهجه ومسلكه الى ان توفاه ربه يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقت من ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (٥) ·

---

① ترتيب المدارك 3/645

② " " ص 647

③ " " ص 642

④ " " ص 643

⑤ جذوة المقتبس ص 258

⑥ الديباج ص 139

ـــــح •

لقد عرفنا سابقا المنهج الدراسي الذي كون الشخصية العلمية لهذا الطالب النفزاوي القيرواني والممنا بتراجم بعض من نفذوا هذا المنهج من الشيوخ العلماء ، وما تميزت به شخصية كل واحد منهم على كثرتهم وتنوع اختصاصاتهم من المامهم بعلوم أخرى على عادة التكوين العلمي للشيوخ في ذلك العصر • اذ كانوا يتمتعون بثقافة شاملة •

ولم يبق لنا الا ناحية واحدة وهامة جدا ولذ اعتقد انها تقتضي منا وقفة ولو عابرة • الا وهي علاقة هذا الطالب بهؤلاء الشيوخ العلماء داخل حلقة الدرس او خارجه • وذلك لانه على ضوء العلاقة تتمكن من معرفة مدى ما كان يتمتع به هذا الطالب من امكانات علمية ومناهي سلوكية جعلت منه طالبا محبوبا بالثقة واخلاقــــه •

ان ابرز شيخين ارتبط بهما ارتباطا قويا هما ابن اللباد (333هـ) وابو الفضل الممسي (333هـ) اذ كان عليهما معول له في الفقه (1) وهو العلم الذي جعل منه مالكا الاصغر (2) فيما بعد • وقد تعلم من هذين العالمين - زيادة على الفقه - كيف يجب على العالم ان يصبر وان يتأسى ويجاهد من أجل انتصار الحق على الباطل والعدل على الظلم • وظهر هذا التعلق بهما اساسا وبغيرهما تباعا في عدم تخلفه عن حضور اللقاءات التي كانت مشيخة القيروان تعقدها اسبوعيا بمسجد السبت وغيره اذ كان ابن اللباد يخوض الوحل من أجل الوصول الى هذا المسجد (3) • وكما انه لم يتخلف عن حضور هذه اللقاءات ، لم يفارقهما ايضا ولم يتخل عنهما ساعة محنتهما • اذ كان يأتي مع غيره الى دار ابن اللباد خفية ساعة وضعه تحت الاقامة الجبرية ومنعه من الفتوى والتدريس والزيارة ويدخل عليه ويجتمع به على الرغم من الحراسة المشددة وعيون السلطــة العبيدية المبثوثة حتى كان وغيره يخفون كتبهم تحت ثيابهم وربما ابتلت بالعرق (4) • ولما استشهد شيخه ابو الفضل الممسي رثاه بقصيدة ناطقة صدقا وباكية لوعة وحرقة (5) •

فعليت ابكي يا ابن عيسى ما بكت ... فقرية أوغردت تغريـــــــــدا

بالوعـــة صرفت فؤادي اذا نثى ... نثاء يخيب وقد قلا د شهيدا

---

(1) ترتيب المدارك 4/493

(2) شذرات الذهب 3/131 ط بيروت

(3) معالم الايمان 3/24

(4) ترتيب المدارك 3/310

(5) ترتيب المدارك 3/322



ومن شيوخه الذين لم اعثر لهم عن ترجمة

- ابو سعيد بن الاعرابي 341 هـ وهو شيخه بالاجازة
- ابو علي بن ابي هلال ....
- ابراهيم بن محمد بن المنذر ....

.. ولیدة المناسبة بل كانت تعبيرا صادقا على الرابطة القوية التي كانت تربط بين هذا الطالب وشيخه اذ كان ابن ابي زيد يعتبر ابا الفضل الامام القدوة ، وتروي لنا المصادر ان ابا الفضل كان شبيها في سلوكه وهيئته بعمر بن عبد العزيز (101 هـ) الخليفة الراشدي الخامس ، وكان ابن ابي زيد يحافظ محافظة دقيقة على تقليد شيخه في سلوكه وهيئته (1) قال الاجدابي وانما سلك ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله في هديه وهمته وسمته طريقهم (2) .

والغالب على ظني ان ابا محمد بن ابي زيد لم يتخلف عن الجمعة التي اعلن فيها الفقهاء عن بدء مسيرتهم الى المهدية لدك صرح الظلم واجتثاث جذور الكفر الباطني من ارض افريقية العذراء وما كان له ان يتخلف وفي المسيرة اعز شيوخه كالممسي وربيع القطان وابن اللباد وابو اسحاق السبائي وغيرهم (3) .

ورغم هذا الحضور المادي والمعنوي في مثل هذه اللقاءات الاسبوعية او الاجتماعات الظرفية فان ابا محمد لم يتورط في اي مصادمة مع العبيديين والتي من شأنها احداث ارتباك في سير حياته التعليمية وخاصة انه في هذا الوقت بصدد بناء شخصيته العلمية ، ومسلكه يدل عن ذكاء ومعرفة بالحيز الذي يشغله في مجتمعه (4) .

وكان من عاداته ان لا يدخل على شيوخه الا بعد الاستئذان وقد استعد لذلك نفسيا وماديا اذ كان يقول لاصحابه عند الدخول على ابي اسحاق السبائي [تعالوا نجدد التوبة قبل الدخول اليه خوفا من ان ينصفه اللعلينا] (5) .

وكان السبائي قد عامل ابن ابي زيد بنفس معاملته اذ كان يقدمه على غيره ويعاشره معاشرة الاصحاب (6) . ولم يرحرجا في العمل ببعض اقواله في الميدان الفقهي . وكان الابياني التونسي (361) (7) يهش للقائه ويصفه بكونه (عاقلا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها) (8) وما هذا الا بفضل ادبه مع شيوخه من ذلك انه دخل على ابي سعيد ابن اخي هشام وقد حفل مجلسه واكتظ بطلبه فهش له ابو سعيد وقال له : (بلغني انك الفت كتابا في قول مالك نعم اصلحك الله فقال له : اسمع مسألة ، قال له ابو محمد اذكر اصلحك الله فان اصبت اخبرتنا وان اخطأت علمتنا فسكت ابو سعيد ولم يعاود) (9) وكيف لا يسكت الشيخ بعد ان سمع هذه الاجابة الذكية المتأدبة التي تراعي حرمة العلماء وتعترف بفضلهم وقديما قيل رحم الله امرءا علمني حرفا ووصلت معاملة شيوخه وتقديرهم له الى حد ان اوصى لاحدهم وهو ابن الاجدابي له الجا بثلث مكتبته (10) وكانت وصيته في محلها اذ من هو اكثر اهلية من تلميذه ابي محمد في الاستفادة منها وافادة غيره ولم يكن هذا الثلث قليلا اذا ما علمنا ان زنة المكتبة كانت سبع قناطير على حد قول القابسي (11)

---

(1) معالم الايمان 3/27
(2) ترتيب المدارك 3/316
(3) " " 3/318 - 321 - معالم 3/32 - 33
(4) DEUX Juristes Kairouanais P 129
(5) معالم الايمان 3/65
(6) " " 3/64
(7) ترتيب المدارك 3/352
(8) معالم الايمان 3/100
(9) ترتيب المدارك 4/494
(10) " " 3/341

10) ترتيب المدارك 3/341
11) " " " "

لا يرضى المساس بها ذلك ان شيخه ابا الازهر عبد الوارث (371هـ)

اراد عبد الله بن هاشم القاضي استكتابه واستشار في ذلك ابا محمد فاشار عليه بعدم فعل ذلك لما فيه من امتهان لكرامة العلماء لان ابا الازهر هو من الفقه وهو لذلك جدير بما هو اعلى من وظيفة القاضي فكيف يمكن ان يكون تابعا في هذه الوظيفة له ولذلك قال ابن ابي زيد فيه : ما بافريقية افقه من ابي الازهر بن معتب وانما قصر به قلة دنياه ورغم موقفه هذا فان شيخه لم يعجبه منه لان فقره كان شديدا وحاجته كانت ملحة فجلس بالقرب من درب السكة فاذا اخرجت مسألة من ابي زيد كتب تحتها الجواب غير هذا . فضاق ابن ابي زيد ووجه اليه معتذرا له وقال انما فعلت ذلك لتأجر لك اذ انت من شيوخنا (1) عندئذ عادت الامور الى مجاريها بينهما وفهم الشيخ مقصد طالبه ولا شئ انما زاد اد له حبا وعليه عطفا . ولم يكن موقفه هذا خاصا بشيوخه القيروانيين فقط بل كان ايضا مع غيرهم ممن بعدت عنه امصارهم فقد كانت له مراسلات مع ابي بكر الابهري (2) ووصلت عطاياه الى بغداد فاثنوا عليه وعرفوا قدره واكبروا علمه وفضله (3) .

لقد برز التاثير العلمي والفكري لهؤلاء في شخصية ابي محمد بروزا واضحا اذ نجد ان الكثير من آرائه ومواقفه لم يكتسبها من مطالعته وحلقات الدرس بقدر ما اكتسبها من علاقاته الشخصية بشيوخه . فقد ثار على من الخائضين في التصوف من غير اهله وفي غير محله كادعاء البعض رؤية الله وكتب للرد عليهم كتبا وحاضر وجادل تدفعه في كتاباته ومحاضراته ومجادلاته عقيدة سنية راسخة تقوم على تنزيه الخالق سبحانه وتعالى عن مثل هذه الادعاءات ولم يكن في هذا مبتدعا بل كان طالبا مقتفيا آثار العلماء الصالحين من شيوخه مثل شيخه ابو ميسرة نزار (336هـ) الذي بصق في وجه ابليس عند ما برزله في شكل عمود من نور في المحراب اثناء صلاته قائلا له بانه ربه الاعلى . وقد انتبه ابو ميسرة الى هذه الحيلة الشيطانية لغوايته ففعل ما فعل اعتمادا منه على ان الاله جل شأنه لا يمكن ان تدركه الابصار وهو يدرك الابصار (4) ولعل مثل هذا الموقف ايضا اكتسبه ابو محمد من صحبته للاصيلي (392) الذي كان ينكر انقلاب الاعيان (5) وقائمة شيوخه الذين على شاكلة ابي ميسرة والاصيلي طويلة تخرج بنا على الهدف المرسوم لوقمنا باستعراضها . انما يكفي ان نشير الى موقف ابي بكر الباقلاني من مذهب ابي محمد في انكار مثل هذه الادعاءات الباطلة لما جاءه الوفد القيرواني المعارض لابي محمد . حيث ابان لهم الباقلاني القضية واثنى على ابي محمد ونبههم الى علمه وفضله اذ لم يكن مذهبه انكار سائرها (6) .

---

(1) معالم الايمان 3/ 98

(2) ترتيب المدارك 4/ 496

(3) معالم الايمان 3/ 113

(4) ترتيب المدارك 3/ 359

(5) " 4/ 646

(6) معالم الايمان 3/ 112- 113

ويرد على المعتزلة ويفند مزاعمهم انطلاقا من فكر سني اشعري صقلته مجالسة العلماء ودعمته ينابيع المعارف التي جناها سواء اثناء حجه او عن طريق صحبته لابن عبد المؤمن المتكلم السني الاشعري الذي فضل سكنى القيروان لما بلغه من رواج سوق العلم فيها ولما علمه من فضل فقيهها ابن ابي زيد وعطفه على الطلاب والعلماء ..

وكان كثيرا ما يغضب ساعة مشاهدته سلوكا من ضرب ازاء شيخ فيه مس بالشيخ او تطاول على حرمة الدرس وتجاوز لما تفرضه هذه العلاقة التربوية من الانظمة السلوكية المهذبة ازاء المعلم . مثل ذلك رفضه لما صدر عن تلميذه البرادعي (د 386هـ) من سلوك ازاء الاصيلي حيث قال له : (لقد حرمتنا فوائد الشيخ باسرافك الرد عليه (1) وقد يزداد اعجابنا بهذا السلوك من ابي محمد ازاء تلميذه اذا ما علمنا ان التلميذ في رده كان من المناصر لابي محمد الذي كان في جدال علمي مع الاصيلي (2) . ورغم ذلك رفض ابومحمد سلوك تلميذه البرادعي معتبرا اياه تجاوزا للياقة التي تفرضها هذه العلاقة التربوية التي تنظم وتمتن الصلات الرابطة بين الطلاب والشيوخ . بل نجده يقول لاحد التلاميذ الاندلسيين الذي وفد عليه لاخذ العلم عنه : ماحاجتك ؟

قلت لاخذ عنك فقال لي ألم يقدم عليكم الاصيلي؟ قلت بلى . قال لي : تركت والله العلم وراءك فكيف حاله مع اهل بلده ؟ فاخبرته بظلمهم له قال : جهلوا ما اتى به) (3) وهذا النص لاكبر دليل على ماكان يكنه ابن ابي زيد لكل من اخذ عنه علما من احترام واعتراف بالفضل الجميل فياليت شعري اين هذا المسلك من مسلك طلاب اليوم ازاء من يسهر الليالي من اجل اعداد مسألة لهم يمكن عرضها في خمس دقائق ..

ان ابداعنا في ان علم من العلوم يتوقف على مدى اقبالنا على مسائل ذلك العلم . وهذا الاقبال يتوقف على مقدار ما نملكه من ميول نحو ذلك العلم . وهذه الميول انما يبذرها الشيخ الذين كتب عليها ان تاخذ تلك المعارف في حلقاتهم . ومن هنا فابداع ابي محمد في مجموعة من هذه العلوم انما يعود اساسا الى عبقرية اولئك الذين درسوا له هذه المعارف . فقد اصبح الفقيه الاول وعالم المائة الرابعة لانه تفقه بابن اللباد الذي يقول عنه احد اهل التراجم (وكان لانظير له في علم القرآن قراءاته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصر باسماء الرواة ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابل (4) وقال غيره (وكان فقيها جليل القدر عالما باختلاف اهل المدينة واجتماعهم) (5)

---

(1) ترتيب المدارك 4/ 647

(2) " " "

(3) " " 645/4

(4) معالم الايمان 3/ 22

(5) المدارك 3/ 305.

وقد ذكر ابن ابي زيد هذا التبحر لشيخه في العلوم عامة وفي الفقه خاصة في القصيدة التي رثاه بها والتي منها (1)

الفقه خلته والعلم حلته — والدين زينته والله شاهدنا
اب لاصغرنا كهف لاكبرنا — وفي النوازل ملجانا ومفزعنا
يامن هو العلم مشهود منظره — ومن تأدب بالتقوى وادبنا

ومثل هذا الموقف نجده منه ازاء شيخه ابي الفضل الممسي (333هـ) شهيد الوادي المالح وقد تفقه عليه وتشبه به في مسلكه وهيأته وحتى نعرف ماكان يتحلى به ابو الفضل من علم علينا ان نقرأ شهادة احد تلاميذته حين قال : كان يتكلم في علم مالك كلاما عاليا ويفهم علم الوثائق فهما جيدا ويناظر في الجدل وفي مذاهب اهل النظر على رسم المتكلمين والفقهاء مناظرة حسنة وكان لسانه مبينا وقلمه بليغا مع حصافة العقل وذكاء الفهم وكان في المناظرة والفقه اجزل منه في الكلام (2)

وقد مدح فيه ابو محمد هذه الخصال عند مارثاه حيث قال (3)

يافاتق الرتق اتحفني بعلمه — ومبينا للمشكلات مفيدا
جمعت كل فضيلة ونقية — وحويت علما طارفا وتليدا
برعت بين أصوله وفروعه — فقهرت ماقد كان منه عنيدا

وقد يزداد اعجابنا بهذا الطالب القيرواني اذا ما علمنا انه ليس في السهل معاشرة هذين العالمين لما اتصفا به من حدة في الطبع وانقباض في الاخلاق اذ ورد في خصوص ذلك بالنسبة لابن اللباد (وكان الغالب على خلقه الحرج) (4) اما بالنسبة للممسي فقد قيل فيه وكان ظاهر المروءة والانقباض والصيانة) (5) وقال غيره (والناس فيه فرقتان فرقة تتبرأ منه وتشنعه حيث تمقت اخلاقه وفرقة تحبه وتواليه وتذب عنه) (6)

قلت على الرغم مما اتصف به ابن اللباد والممسي من شدة في السلوك ازاء التلاميذ . فقد نجح ابن ابي زيد في معاشرتهما وجنا من علمهما ماجعل منه عالم المائة الرابعة بدون منازع حتى ورد انه قال لما بلغته وفاة الممسي وددت ان القيروان سبيت ولم يقتل ابو الفضل) (8)

وكان قد تاثر ايضا بابي العرب التميمي حيث وجهه الى حفظ السنن الصحيحة والتثبت والضبط اثناء التحمل والاداء اذ كان ابو العرب (333هـ) حامل لواء التاريخ في افريقية من تقدمه في علم الاثار و بالفقه ومعاني الحديث (9) .

---

(1) ترتيب المدارك مج 3 ج 2 / 311
(2) " " " 313 القول لابن الحارث الخشني
(3) رياض النفوس نسخة مصورة عن نسخة باريس 2066 عدد بالمكتبة الوطنية ص 88
(4) ترتيب المدارك 3 / 305
(5) " " 3 / 313
(6) طبقات علماء افريقيا للخشني ج 2 / 175
(7) انظر معاملته لابي ميمونة دراس الفاسي بترتيب المدارك 4 / 396
(8) ترتيب المدارك 4 / 314
(9) معالم الايمان 3 / 36

ومثلما تاثر في الفقه بابن اللباد والممسي وفي السنة بابي العرب وفي الدراسات القرآنية بابن اللباد وغيره نجده تاثر في العربية شعرا ونثرا بجملة من الشيوخ من بينهم ربيع القطان (334هـ) وابو الحسن الكانشي . فقد ذكرت المصادر بالنسبة لاول الاثنين انه كان عالما بالقرآن وقراءته وتفسيره ومعانيه حافظا للحديث عالما بمعانيه وعلله ورجاله وغريبه معتنيا بمسائل الفقه كانت له بجامع القيروان حلقة)

(1) — وكان يؤلف الخطب والرسائل يقول الشعر وكان لسان افريقية في زمانه في الزهد والرقائق (2) .

ونجده بعد مقتل الممسي خمسة وثلاثين في رجب سنة 333هـ يعود الى القيروان وينتصب للتدريس وتضم حلقته فيمن تضم ابن ابي زيد وابن شبلون وغيرهما من طلبة وعلماء القيروان (3) وبذلك نرى مدى شجاعة ابن ابي زيد وحبه لشيوخه بحيث لم يمنعه خروج ربيع على السلطة من حضور مجلسه المراقب من طرف العبيديين وما يتبع هذا الحضور من تتبعات قد تكون نتائجها وخيمة العاقبة على مستقبله العلمي وحتى على حياته وقد رابط بالنفس هذا السلوك ازاء شيوخه الاخرين كابن اللباد والممسي وابي العرب .

وتاثر ايضا في ميدان اللغة وعلومها وآدابها بشيخه العابد ابي الحسن الكانشي (347هـ) الذي ورد في ترجمته مايلي (وكان يحسن العربية والنحو واللغة وشعر العرب (4) بل كان شاعرا قصر شعره على مناجاة خالقه من مثل قوله (5)

احببت نجواهم ثم بلوتهم	فاكثرت بلواهم كي يتضرعوا
واذا دعوك رفعت نحو دعائهم	حجبا لعزك دائما لا ترفع

اننا لو أردنا ان نحيط بخصائص هذه العلاقة التي ربطت بين هذا الطالب وهؤلاء الشيوخ لاقتضى منا ذلك وضع مؤلف خاص وذلك لما تميزت به هذه العلاقة من عطاء ولما اتصفت به من نبل ولما استمت به من معرفة بالحقوق والواجبات ولهذا كان تاثره بهم تاثرا تناول السلوك والمنهج وشمل المجتمع والاراء فيما يخص مسائل العلوم ونوازل الفقه ومشكلات علم الكلام .

انما يكفي ان نقول ان التزام ابي محمد بما تفرضه عليه واجبات التلميذ نحو المشيخة مع همته في التحصيل لا تعرف الكلل وذكاء بارع لا يعرف الكسل . فقد مكنته هذه الصفات من ان يتبوأ السويداء من

---

(1) ترتيب المدارك 3 / 323 - 324

(2) " " 3 / 324

(3) " " 3 / 321

(4) " " 3 / 367

(5) " " 3 / 370

تلاميذهم فكان درة عقد حلقاتهم فقدموه على غيره لكفاءته وجده واخدرقه وبذلك مكنوا له فى الازهر ودفعوا به الى مركز الصدارة فى مجتمعهم مما هيأله سبل النجاح بعد موتهم وبذلك كان خير خلف لخير سلـــف حيث نفخ اكسير الحياة فى الفكر الاسلامى مشرقيه ومغربيه على حد السواء مما كان له الاثر الايجابـــى والفعال على النهضة الفقهية التى شاهدتها مدرسة الفقه المالكى على يديه حتى غدا بحق عالم المائـــة الرابعة بلا منازع فعلا صيته وانتشرت كتبه وكثر شراحها ومختصروها مما جعل طلابها ومريديها يبذلون فى اقتنائه النفس والنفيس ولا يستكثرون ثمنها حتى ولو بلغ وزنها ذهبا ٠

الشيخ وزملاء الدراسة :

الانسان مدني بطبيعته اجتماعي بفطرته وعلى ضوء حركته الاجتماعية يتحدد دوره وتتضح معالم علاقاته بغيره من حيث كونه مؤثرا ومتأثرا مما يمكن الباحث من معرفة مميزات وخصائص نفسية من يضعه تحت مجهر البحث العلمي من خلال انشطته الاجتماعية وعلاقاته البشرية وعبد الله ابن ابي زيد هو هذه الشخصية الاجتماعية التي اريد ان أضيق عليها هذه المقولة حتى نتمكن من معرفته ومدى تأثيره بمن وفيمن حوله من المجموعات البشرية . ومدى قوة الرابطة التي تشده الى من عاشرهم واختلط بهم سواء اثناء دراسته او اثناء تدريسه .

ان تعرفنا على ذلك يمدنا بمفتاح شخصية ابي محمد عبد الله ابن ابي زيد غير انه يعسر علينا الالمام بكل الذين التقى بهم وارتبط معهم بصلة قد تكون عابرة وقد تبلغ حد التلازم . لذا ارى من الاجدى في تحقيق بغيتنا ان نركز انتباهنا على الخاصة من اصحابه الذين اشتهر ارتباطهم به وملازمته لهم واستمرت صحبته لبعضهم طوال حياته وحياتهم وكنموذج على هذا الصنف من اصحاب ابن ابي زيد وقع اختياري على اربعة من خيرة اصحابه هم على التوالي:

ابو محمد ابن التبان ـ(٣٧١م) (١) وابو القاسم ابن شبلون (٣٩١م) (٢) ابو الحسن القابسي (٤٠٣م) والمؤدب محرز ابن خلف(٤١٣م) (٤) وقبل استعراض حياة هؤلاء الاصحاب بما فيها من الصور عن علاقاتهم بابن ابي زيد ارى من الواجب العلمي ان اعرج ولو بايجاز على نوعية الروابط التي كانت تربط بينهم وبينه فاجد ان منها ما يصل الى حد الترابط العائلي كما هو الحال بينه وبين ابي الحسن القابسي والمؤدب محرز ابن خلف اذ ان هناك بعض الروايات تقول بأن ثلاثتهم هم ابناء الخالة على اساس ان آباءهم قد صاهروا عائلة واحدة لها ثلاث بنات فانجبت كل بنت ولدا من الثلاثة (٥)

هذا بالاضافة الى ما قلناه سابقا من ان ابا الحسن القابسي وابن ابي زيد النفزاوي القيرواني هما من منطقة واحدة وقد وفدت اسرتاهما على القيروان في وقت ما ولسبب ما (٦) .

---

(١) انظر ترجمته بالمدارك ٤/٥١٦ـ٥٢٤ ـ المعالم 3/88-96

(٢) " " " ٤/٥٢٦ " 3/123-125

(٣) " " " ٤/616-621 " 3/137-143

(٤) " " " ٤/712-715 فهرست ارماح ص ١٧٣-١٧٤

(٥)

(٦) انظر هذا البحث ص : 62

ولهذا لا استبعد تأثير هذه الرابطة العائلية في تمتين الصلة بين الثلاثة بالاضافة الى رابطة العلم والتنوين وقد برز ذلك واضحا في كثرة تردد محرز بن خلف على القيروان وزياراته المتتالية لابي محمد ولا استبعد ايضا ان ابا محمد كان يبادله التنقل وخاصة انه كان من تلاميذ الابياني شيخ تونس وفقيهها . وهو ما ينطبق على ابي الحسن القابسي الذي كادت لوعته لوفاة ابن ابي زيد ان تاتي على حياته وقد بادله ابو محمد نفس المشاعر والاحاسيس اذ كان عليه حادبا ومعه لطيفا وسمحا ولا ادل على ذلك من تجهيزه بنت ابي الحسن اثناء زواجها . اما علاقته بالصاحبين الاخرين فهي علاقة دراسة ومساكنة اذ اخذ ثلاثتهم على نفس الشيوخ وكان ثلاثتهم من اصيلي مدينة عقبة ، وكان ثلاثتهم موالك من اهل السنة . هذه الخصائص التي سوف تثبتها لنا تراجم الصحب الاخيار .

(١) ابو محمد ابن التبان: [311 هـ - 371]

هو ابو محمد عبد الله بن اسحاق المعروف بابن التبان(١) كان فقيها عالما ومناظرا كفء او مجادلا مبدعا . انفرد بآراء فقهية وعرف باقوال عقائدية تجمع بينه وبين ابن ابي زيد خصائص كثيرة منها وحدة السن اذ كل منهما ولد في العقد الاول من القرن الرابع كما اشتركا في الشيوخ الذين درسا عليهم . اذ كان اعتماد كل منهما على ابن اللباد وكانا يزوران الابياني معا من ذلك ما ورد انه قيل لابي العباس الابياني الفقيه من اجل من رايت بالقيروان بعد ابن اللباد وابن العسال . قال دخل على نفر احدهم اكبر من الاثنين ... يقال له ابو سعيد ابن اخي هشام واما الثاني من الاثنين فاني رايت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له عبد الله بن ابي زيد والثالث يقال له عبد الله ابن التبان تكاد كل شعرة في جسده تنطق بالحكمة يكون لهما في الفقه باع)

وكما كانا متلازمين في طلب العلم خارج القيروان كانا ايضا متلازمين في طلبه داخلها حتى في الايام الصعبة التي مرت بها وعلى شيوخها من ذلك ما ورد ان العبيديين قد سجنوا ابن اللباد بداره ومنعوه من التدريس والافتاء فكان ابو محمد ابن ابي زيد وابو محمد ابن التبان ياتيان اليه خفية وربما جعل الكتب في اوسطهما وحجزتهما حتى تبتل باعراقهما خوفا من بني عبيد ان ينالوهم بمكروه)(٣)

---

① المدارك ٤ /٥١١ - ٢٤ - المعالم ٣ /٨٨ /٩٦

② المعالم ٣ /١٠٠

③ " ٣ /٢٥

هذا الارتباط الدائم بين الناحيين دفع بني عبيد الى مراقبتهما ودعوتهما متى رأت في لقائهما مع غيرهما ما يهدد امنها ووجودها. فكانت تعهد الى استدعائهما محاولة منها في احتوائهما وغيرهما وكسب الجميع الى صفها.. لكن محاولاتها باءت بالفشل الذريع. ولهذا عمدت الى بث العيون حول اماكن تجمع العلماء وخاصة بمسجد السبت حيث كانت مجالسهم الاسبوعية العامرة بابن أبي زيد وابي محمد بن التبان وغيرهما من الطلاب والشيوخ.

من ذلك ماورد من أن (عبد الله المختار صاحب القيروان شدد في طلب اهل العلم ليشرقهم فطلب الشيخ اباسعيد بن أخي هشام وابا محمد بن التبان وابا القاسم بن شبلون وابا محمد بن أبي زيد وابا الحسن القابسي رضي الله عنهم فاجتمعوا في مسجد ابن اللجام واتفقوا على الفرار فقال لهم ابن التبان انا أمضي اليه واكفيكم مؤونة الاجتماع ويكون كل واحد منكم في داره. ويقال أنهم ارادوا السير الى عبد الله - المختار - فقال لهم - ابن التبان - انا امضي اليه ابيع روحي من الله دونكم لانكم أن أتي عليكم وقع على الاسلام وهن) ٥٢١ (١). وقيل ان هذا الاجتماع كان بدار ابي محمد بن أبي زيد (٢). وعلى كل فقد ذهب ابن التبان الى صاحب القيروان وجادل دعاة الروافض ثم عاد الى صحبه غانما منصورا. ومع هذه الثقة المتبادلة وهذه الوحدة الفكرية وهذا التلازم السرمدي نجدهما يختلفان في بعض المسائل. وليس ذلك بغريب من عالمين يمثلان بتكاملهما الوحدة المنهجية الفكرية للمدرسة الفقهية بالقيروان. غير أن هذا الخلاف يقع عند الفروع والجزئيات أما الجوهر فلا يصل اليه. من ذلك اختلافهما حول جواز اوعدم جواز قول المسلم انا مؤمن عند الله فقد جوز ذلك ابن التبان ومنعه ابن أبي زيد وقال انما يقال ان كانت سريرتك مثل علانيتك فأنت مؤمن وقد وافقه على قوله اغلب أهل القيروان. وهذه مسألة قديمة وقع الحديث فيها منذ عهد محمد بن سحنون (٢٥٦). ومحمد ابن عبدوس (٣) (٢٦٠). وقد ذكر عياض هذه القصة أقوم بإيرادها هنا كما أذكرها تعميقا للمعرفة بما كان يدور بين العلماء ونوعية الروابط التي كانت تربط بينهم.

قال الداودي

---

(١) ترتيب المدارك ٤/٥٢١

(٢) معالم الايمان ٣/ ٣١

(٣) " ٣/ ٣٢

وكان ابن التبان [illegible] غيره هل يقول هو : مؤمن عند الله او يسكت • فكان يقول : هو مؤمن عند الله وقال بقوله جماعة من علماء القيروان وخالفه ابو محمد بن ابي زيد رحمه الله وانكر عليه ذلك وقال انما يقول ان كانت سريرتك مثل علانيتك فانت مؤمن عند الله وقال بمثل مقالته اكثر علماء القيروان ووقع بين الطائفتين في ذلك تهاجر وتقاطع • قال الداودي : فكلمنا ابن التبان في ذلك وقلت له : كيف نقضي على غيبة ؟ فقال : فان كانت سريرته مثل علانيته كان كذلك يقال هذا مؤمن في حكم الله تعالى مثل قوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار) فقال لي ابو محمد : ليس هذا أراد فقلت : كذلك قال) (1) •

ومن خلافهما ايضا تحريم الام بمس البنت وقيل ان لمسه وان التذ بذلك لا اثر له مع عدم وجود النية قال بذلك جماعة منهم ابن شبلون وابن ابي زيد في [illegible] وقال ابن التبان حرمت الام بهذا المس مطلقا وكان يفتي بذلك وهذا غاية الورع(2) •

كما كان الخلاف بين ابن التبان وابن ابي زيد كان ايضا الخلاف في احكام بعض المسائل بين ابن التبان وغيره من العلماء القيروانيين وهو ما دفعني الى القول بانه لابن التبان اقوالا فقهية انفرد بها عن غيره من الاصحاب من ذلك خلافه مع ابي سعيد ابن اخي هشام في الصلاة بالارض المغصوبة والمرور بها كطريق • فقد جوز ذلك ابو سعيد ومنعه ابن التبان الا ساعة الضرورة كمخافة خروج الوقت بالنسبة للصلاة أو انعدام امكانية المرور الا بالارض المغصوبة بالنسبة للمرور

وبالاضافة الى ما تقدم ذكره من مظاهر الترابط بين الصاحبين فان ميولاتهما العلمية قد دعمت هذه الرابطة وقوتها بمرور الايام اذ كل منهما كان شاعرا عالما بالعربية وفنونها ذابا عن مذهب مالك بقلمه ولسانه وسلوكه حتى ورد في التعريف بابن التبان قول القائل (الفقيه الامام كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ضربت له اكباد الابل من الامصار ولعلمه بالذب عن مذهب اهل الحجاز ومصر ومذهب مالك وكان من احفظ الناس بالقرآن والتفنن في علومه والكلام على اصول التوحيد مع فصاحة اللسان) (3) وقال غيره (كان من العلماء الراسخين - - - - - - - - - - - -

---

(1) ترتيب المدارك 4 / 623

(2) معالم الايمان 3 / 89

(3) ترتيب المدارك 4 / 517

والفقهاء المبرزين صرت لماكباد الابن من الامصار لعلمه بالذب على مذهب اهل السنة وكان فصيح اللسان رقيق القلب غزير الدمعة ولعلوم شتى منها علوم القرآن والفقه والرقائق والنحو واللغة والنجوم والطب والشعر الرقيق ولعمي ذلك ورشديد) (1)

وهذا ابو الحسن القابسي ثالث الاربعة وفاة يذكر صاحبه ابن التبان بعد موته قائلا (رحمك الله يا ابا محمد فلقد كنت تغار على المذهب وتذب عن الشريعة (2) ٠

واستمرت هذه الرابطة قوية بين ابن ابي زيد وابن التبان الى ان توفى ابن التبان يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الاخرة سنة احدى وسبعين وثلاثمائة اما مولده فكان في سنة احدى عشر وثلاثمائة ٠ حيث دفن بالرمادية من مدينة القيروان ٠ وقد عاش بعده صاحبه ابن ابي زيد خمسة عشر سنة ٠

(2) ابو القاسم ابن شبلون :

هو ابو القاسم عبد الخالق بن خلف بن شبلون (3) الفقيه المتبحر في فقه اهل السنة والجماعة مع معرفة جيدة بسنن الاحكام والنوازل والوثائق ولذلك كان الاعتماد عليه بالقيروان في الفتوى والتدريس بعد ابي محمد بن ابي زيد رحمهما الله (4) ٠

بالاضافة الى علمه فانه كان متصفا بالاخلاق الحميدة مع العقيدة الراسخة والسلوك الحسن ٠ وكان كما مر بنا من الشيوخ المثابرين على حضور لقاءات العلماء في اماكن اجتماعاتهم بمساجد القيروان او غيرها كمسجد السبت ومسجد اللجام ودار ابن ابي زيد ودار السبائي وغيرها ٠ وقد مر بنا ايضا انه كان حاضرا يوم ان بعث عبد الله المختار صاحب القيروان في طلب العلماء المجتمعين بالمسجد او بدار ابن ابي زيد لمجادلتهم وحملهم على التشيع ٠ ويقدر هذا التلازم بينه وبين ابن ابي زيد بقدر ما كانت لما قوال فقهية قد تتفق في بعض الاحيان مع اقوال اصحابه وقد يختلف احيانا أخرى غير ان اتفاقهما واختلافهما لا يزيد رابطتهما الا قوة ومتانة ٠ وذلك لان الاتفاق والاختلاف هو بسبب سعي كل منهما الى تحقيق المصلحة العامة ٠ التى هي القاسم المشترك الاكبر في البناء الفكري لمدرسة المالكية بالقيروان ٠

---

(1) معالم الايمان 3 / 89

(2) ترتيب المدارك 4 / 517 - 518

(3) ترجمته بالمدارك 4 / 528 - معالم الايمان ص 123 - 125

(4) ترتيب المدارك 4 / 529

بقا في مسامعهما البتة مانعدام نية التلذذ وقد رايناهما يغرلان بان لاأثر يترتب عن هذا اللمس مخالفين في ذلك راي صاحبهما ابن التبان القائل بالحرمة ورعًا

ومن اختلافاتهما وموقفهما من نصوص المدونة حيث كان ابن شبلون لايتاول مسائلها بل يحملها على ظاهرها في حين كان ابن ابي زيد يتاولها من ذلك قضية المسح على الخفين فقد جاء في المدونة قوله : ارانا مالك فوضع يده اليمنى على ظاهر اطراف اصابع رجله اليمنى واليسرى تحتها من باطن خفه فأمرّهما الى حذو الكعبين ولم يبين لهم صفة رجله اليسرى : فقال ابن شبلون صفة مسحهما كاليمنى ولو كانت مخالفة لها لبينها مالك وقال ابو محمد بل صفة مسحها على العكس لانه ممكن في التناول وانها لم يبينه مالك لوضوحه (1) .

لكن مع ذلك فقد كانت هذه الخلافات مقربة لهذين الصاحبين ناشرة لعلمهما مشيعة لتبحرهما فيه مما جعل الخاصة والعامة يضعونهما في صدارة علماء المدرسة الفقهية بالقيروان ولهذا كثر قاصدوهما من طلبة العلم والباحثين على الفتوى حتى قيل ان ابن شبلون كان يفتي كل يوم في مائة نازلة وحادثة (2) بل (وكان يفتي في اللازمة بحلقة واحدة) (3) 528 . وقد راينا مثل ذلك لابن ابي زيد في قصته مع شيخه ابي الازهر عبد العوام (371 هـ (4)) 113 . من حيث كثرة ماتصدر عنه من فتاوى .

ان جدية ابن شبلون واخلاقه العالية جعلت العلماء بما فيهم ابن ابي زيد يحبونه ويرتبطون به بروابط متينة حتى انهم قدموه في التدريس والفتوى بعد وفاة صاحبه ابن ابي زيد . ولا ادل على ذلك من حب الشيخ ابي اسحاق السبائي وتعظيمه له حتى قال مرة لو قاسمته في كل ما املكه فقال له خادمه ابو سعيد القرى وهل عندك غير مصحف وجلد صوف ؟ فقال له نعطيه نصف دعائي والنصف الآخر لسائر المسلمين (5)

وكان ابو محمد شديد العطف على صاحبه ابن شبلون حتى انه بعث له في مرضه بخمسين دينارا ذهبا (6)

لقد استمرت هذه الرابطة قوية متينه الى ان انتقل ابو محمد الى الرفيق الاعلى فورث ابن شبلون علمه وجاهه .

---

(1) معالم الايمان 3 / 124
(2) " " 3 / 124
(3) ترتيب المدارك 4 / 528
(4) معالم الايمان 3 / 113
(5) " " 3 / 124
(6) " " 3 / 113

حيث انتصب للتدريس والافتاء بالقيروان مكان ابن ابي زيد . ثم يتوفا مالله كصاحبه ليلة الاربعاء الثاني عشر من ربيع الاول سنة 403هـ . وقال عياض ولابن عمران في ربيع الاول سنة تسعين وثلثمائة (1) وقد روى انه لما احتضر شخص ببصره نحو الباب وقال هذا ملك الموت : ادخل ياملك الموت سألتك بالله الا ما رفقت بي ثم قبض . وقد رثي كصاحبه ابن ابي زيد بمراث كثيرة منها (2)

مالي ارى الدنيا تغير حالها ... والنور في افق النواظر يظلم
واري نفوس الخلق ذابت حسرة ... فجري بها دمع يمازجه دم
عج ببلدتنا ترى لفقدنا ... منعى له في كل دار مأتم
وانظر الى العلماء حول سريره ... تنظر الى شمس حوتها انجم
شقت عليه يد العلوم جيوبها ... وبكت بكاء مذلة لا يسأم
ذهب المحامي عن شريعة احمد ... وسراجها بحر العلوم المفعم
اودى بحفظ الخلق عود رعاية ... وانفل للاسلام سيف مخذم
سكن العلوم أصيب فهي ثواكل ... ركن المعالي انقدر فهي تهدم
يغشاه طلاب العلوم كانما ... بفنائه للحج عاد الموسم
في بردة تقوى وبين ضلوعه ... قلب معنى بالعبادة مغرم

(3) ابوالحسن القابسي : (323هـ - 403هـ)

هو ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القابسي (3) الفقيه المدرس المفتي يذهب ابن ناجي الى صحة انتسابه الى قابس حيث هناك قرية المعافرين وبها مسجد يسمى بمسجد علي متبرك به من عرف اهل قرية المعافرين (4) وهو عندي ارجح مما ذهب اليه عياض من حيث كون نسبته الى قابس هي نسبة مجازية لاحقيقية مرجعا ذلك الى تعمم والده على طريقة اهل قابس (5) .

وقد تفقه ابو الحسن ابن القابسي على جملة من الشيوخ الذين تفقه بهم ابن ابي زيد . وتتلمذ عليه جملة من تلاميذ ابن ابي زيد حتى ان الكثيرين من اصحاب التراجم ممن لم يدركوا ابا محمد اضافوا تلاميذه الى ابي الحسن القابسي وخصوهم به في حين ان الكثير منهم تفقه بابي محمد اولا ثم بابي الحسن ثانيا كابن القاسم اللبيدي والبرادعي وابي علي بن خلدون وغيرهم كثيرون وكان لابن الحسن رحلة الى الشرق بداية من سنة 352هـ (6) استمرت خمس سنوات الى سنة 357 هـ عاد بعدها الى القيروان لينكب على التدريس والتاليف حيث الف عدة تاليف منها المهمد في نحو ستين جزءا ولم يتممه ...

(1) ترتيب المدارك 4 / 528
(2) معالم الايمان 3 / 125
(3) ترجمته بترتيب المدارك 4 / 616 - 621 - معالم الايمان 3 / 134 - 143
(4) معالم الايمان 3 / 134
(5) ترتيب المدارك 4 / 621
(6) ترتيب المدارك 4 / 621

وقد بوبه على ابواب ... جامعا بين الحديث والآثار والفقه وقد اجاز روايته لبعض تلاميذه كابي عمر الداني ومنها ايضا رسالته المفصلة لاحوال المعلمين والمتعلمين • وقبل ارتحاله الى المشرق وبعده ايضا كانت له رحلات داخل افريقية الى جنبانه لزيارة الشيخ ابي اسحاق الجنباني والى تونس لزيارة الشيخ ابي العباس الابياني ولا شك انه زار قرية المؤدب محرز بن خلف اما اذا نظرنا الى العلاقة الرابطة بينه وبين ابي محمد ابن ابي زيد فاننا نجدها علاقة تتجاوز العلاقات العادية الى نوع من العلاقات الخاصة وخصوصيتها جاءت حسب اعتقادي من انتمائهما الى وسط اجتماعي واحد دعا متانه صلة دموية وبيئة جغرافية • بالاضافة الى ان فارق السن لم يكن كبيرا اذ ان ثلاث عشرة سنة لا تعتبر فارقا زمنيا كبيـرا • بدليل اشتراكهما في التلقي على بعض الشيوخ كالتجيبي والعسال والابياني والسبائي وكما اشتركا في التلقي اشتراك الطلاب في الاخذ عنهما كاللبيدي والبراذعي وابو علي بن خلدون وغيرهم كثيرون •

ولا شك ان مثل هذه الخصائص مما يساعدنا على فهم الاسباب الكامنة وراء متانة هذه الرابطة واستمراريتها وقد كان كل منهما وفيا لهذه الرابطة عاملا على دعمها من ذلك ان ابا محمد قد جهز بنت ابي الحسن باربعمائة دينار وقال (كنت اعددتها من حين املاكها لئلا يشغل قلب أبيها من قبلها) (1) ان تفكير ابي محمد في أمر جهاز بنت صاحبه ابي الحسن منذ يوم املاكها يتجاوز في حد ذاته مجال العلاقات العادية الى مجال الرابطة القوية المتينة • وفي هذا المجال يروى ايضا ان الشيخ ابا محمد بن ابي زيد اتـاه راعي غنمه بشاة فامر ببعثها الى الشيخ ابي الحسن فامر بذبحها فلما ذبحت وسلخت رمى بجرب منها الى قصته فشمتها ولم تاكلها فامر بردها الى ابي محمد فسأل ابن ابي زيد الراعي فقال لانها اختلطت على غنم • ولم يات لها طالب فتعجب ابو محمد وقال أفي غنمي الحرام قصة ابي الحسن القابسي اورع منك يا ابن ابي زيد (2) •

هذان النصان يدلان على مدى عناية كل منهما بصاحبه عناية تجاوزت الحاجز المعهود حتـى ادت باحدهما الى التفكير في جهاز بنت الآخر سعيا منه وراء اسعادهما وصيانة قلب ابيها كما ادت بالثاني الى رد الشاة لاحساسه بان مصدرها غير شرعي حماية لدين صاحبه وحفظا لماله من ان يدخله حـرام •

---

(1) معالم الايمان 3 / 113

(2) " " 3 / 139

بين في الله والمتاخين تبعا لتعاليم دينه ·

وتشتد لوعة ابي الحسن حين سماعه خبر وفاة صاحبه حيث سقط على الارض باكيا · قائلا (الآن انكشفت عورتي لما كان ينوب عنه في الفتوى (1)

وبذلك نلمس مدى عمق ماكان يربط بينهما من اواصر ومدى صدق ماكان يشد بينهما من روابط ·

هذا هو ابوالحسن بن القابسي الفقيه الاصولي المتكلم صاحب التآليف المجيدة والخل الوفي لمالك الصغير حيث يلبي داعي ربه ليلة الاربعاء ودفن ظهر الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة 403هـ بعد وفاة صاحبه بسبعة عشر سنة وكان مولده سنة 323هـ بالقيروان ·

(4) محرز بن خلــــف : (413هـ)

هو ابو محمد محرز بن خلف ابن ابي رزين التونسي المعروف بالعابد (2) والمشهور بين سكان الحاضرة : بسلطان المدينة : يرجع في نسبه الى ذرية ابي بكر الصديق · سمع من شيوخ تونس والقيروان ودارس الابهري ابابكر (3) وروى عنه علماء تونس · وغيرها · وكان يعلم القرآن في بادئ حياته باريانــه ثم انتقل الى المرسى ثم قدم تونس الحاضرة حيث اشترى دارا بازاء باب السقائين · وهو الذي يقال انه طلب من ابن ابي زيد وضع كتاب الرسالة لتعليم ابناء المسلمين · وهو اول من أسس بتونس قراءة القرآن عقب صلاة الصبح · وكان الى جانب فضله وتقواه عالما حافظا وكان من افصح الناس كلاما واحسنهم لفظا وانه كان مطبوعا على الاعراب لا ينطق الا بالصواب · ولهذه الخصال مجتمعة احبه اهل عصره وانزلوه السويداء من قلوبهم ومركز الصدارة في مجتمعهم واستمر نضاله العلمي وجهاده المادي والمعنوي الى ان توفاه ربــه سنة ثلاث عشرة واربعمائة وقد جاوز السبعين وقيل انه اغتيل من طرف احد الاشقياء وقيل مات مسموما · ودفن بمسجده بمنطقة باب سويقه من حاضرة تونس لقد قلنا سابقا ان هناك رابطة عائلية تربط بين المؤدب وابن ابي زيد وقد زادت من متانتها اتحاد مشاربهما إذ كل منهما كان مالكيا سنيا وكل منهما كان ميالا الى العربية وعلومها عاشقا للقرآن متشبثا بالسنة قولا وعملا وكل منهما كان معلما · ولهذه الاسباب مجتمعة كثــر تزاورهما واذ كانت المصادر قد اشارت الى ذلك بالنسبة لسيدي ...

---

(1) معالم الإيمان 3 / 118

(2) ترجمته بترتيب المدارك 4/712 - 715 - فهرست الرصاع ص 173 - 174

(3) ترتيب المدارك 4 /712

... محمد بن ابي زيد كان يزور قريته وخاصة لما يفد على شيخه الابياني مدرس تونس وفقيهها اما وفود المؤدب محرز بن خلف على ابي محمد بالقيروان فقد تكرر العديد من المرات وماذلك الا بسبب كون القيروان بمثابة العاصمة السياسية والعلمية لافريقية والمغرب في القرن الرابع وكانت زياراته هذه مما تثير في نفس ابي محمد وعائلته الفرحة والبهجة لبركة الزائر وصلاحه - فهو يزور مريضها ويجري الله على يديه كرامات ينتشر خبرها بمدينة القيروان من ذلك ما روي (ان الشيخ محرز ابن خلف زار الشيخ ابا محمد بالقيروان على عادته فبات عنده ليلة فلما كان بعد ذهاب النصف الاول من الليل قام الشيخ محرز لحزبه فطلب الماء فلم يجده فقال لابي محمد قل للخادم تكنس السطح وتفتح الميزاب ففعل وروى الشيخ محرز السطح ودعا بما شاء الله فاقبلت سحابة بماء غزير وامتلأ ماجول الدار ثم نزل محرز واستقى الماء وتوضأ جميعا وقضيا وردهما فلما اصبح خرج ابو محمد لمجلسه فاخبر أصحابه بما نزل من المطر فقالوا ما نزل عندنا منها شيء ولم يكن المطر الا بمقدار دار الشيخ ابي محمد ولم ينزل بالدار الملاصقة لها شيء ⓵ هذا الذي وغيره مما تركناه تحقيقا لشرط الاختصار يوضح لنا قوة الرابطة بين هذين العالمين والذين يمثل كل واحد منهما حاضرة من حواضر افريقية • انها رابطة دعامتها ثقة متبادلة ونظرة صائبة الى القضايا الحياتية التي يعيشها مجتمعهما الافريقي تحت حكم الروافض من الشيعة • وتعاون مثمر مراحل تكوين جيل متعلم ومتمسك بكتاب الله وسنة رسوله • ولهذا يلتجئ المؤدب الى هذا المفتي ليدون له كتابا يعلم على هديه ابناء المسلمين ما يصلح به امر دينهم ودنياهم •

تلك صورة لنوعية الروابط التي كانت قائمة بين ابي محمد بن ابي زيد ونخبة من العلماء والصالحين التزمت فيها الايجاز وابعدتها عن الاطناب • وقد لمسنا من خلال هذا العرض الموجز نوعية هذه العلاقة العميقة التي كانت تربط حياة مالك الصغير بحياة صحبة الكرام ممن قاسموه حلقة التكوين او شاركوه البحث والتثقيف والاخذ والعطاء • ساعة التحمل او اثناء الاداء • وناضلوا معه ووقفوا في صفهم وهم يتصدون للدعوة الشيعية •

⓵ معالم الايمان 3 / 116 - 117

فى هجومها الشرس على هذا المجتمع السنى الآمن • وقد ارتاد بمعيتهم الافاق ورحل الى الامصار للاخذ والعطاء والتحمل والاداء • فكان بالنسبة لهم اخا وكانوا بالنسبة لماخوة فى الدين والعقيدة فوحدت بينهم الرؤية والمعرفة السنية لحقائق الاشياء وصهرتهم الاحداث فى بوتقة واحدة حتى اصبحوا درعا لا تفلها سيوف ولا تخترقها رماح ولا تؤثر فيها سهام • ولا تفتتها قوة مهما كانت طاقتها ولما سعى المال والجاه الى ابى محمد ازداد بهم التصاقا وعليهم عطفا وحدبا وبهم تعلقا وتمسكا وعن احوالهم بحثا ولعائلاتهم راعيا يفكر فى اطفالهم قبل ان يفكروا ويهادى غافلهم ويعين محتاجهم بدون طلب ولا علم منه ويعود مريضهم ويزور من غاب منهم عنه فيمده بالرأى السديد وبالتوجيه الحسن • وقد اعترفوا له بذلك فبوؤه المكانة التى هو جدير بها وجعلوه مالكا الصغير فرووا كتبه ونشروا اقواله حتى عم صيته الشرق والغرب فكاتبه العلماء وهش لمقدمه الملوك والامراء تلك هى نتائج الروابط القائمة من اجل الله وبهدف تحقيق المصلحة العامة • وكانت هذه الاهداف من نتائج علاقة ابى محمد بصحب خاصة وبافراد مجتمعه عامة •

(1) المعلم الشـــــاب :

مما يلفت نظر الباحث وهو يدرس المراحل الحياتية التي مر بها ابن ابي زيد ساعة تحصيله العلمي يخامره الشك من السرعة الزمانية التي اجتاز بها ابن ابي زيد مراحل التحصيل ليتهيأ للاداء ما تعلمه من علوم شتى ومعارف متنوعة وبخاصة الفقه الذي يعتبر من ادق العلوم وأعوصها بل وصل في مرحلة مبكرة من عمره الى حد ان يطلب منه العلماء تدوين الكتب الدراسية لتعليم ابناء المسلمين ما يستقيم به دينهم وما تصلح به دنياهم ،ويزداد هذا الشك ضغطا على فكر الباحث المنصف عندما تكون باكورة الانتاج العلمي لهذا الشاب الذي لم يتجاوز بعد سن السابعة عشرة كتابا من مستوى كتاب الرسالة" والذي استقبله شيوخهم الطلاب بمثل ما استقبله من حيث تميزه بميزات قد لا توجد حتى في مؤلفات شيوخه فقد أحاط كتاب الرسالة بالجانبين العقائدي والعملي للشريعة الاسلامية مع وضوح في المنهج والسلاسة في اللغة وجمال في الاسلوب مع ثروة اثرية يزخر بها كل موضوع من مواضيعه وكل باب من ابوابه .

اني لم اجد لهذا الابداع من سبب سوى عمق ثقافة مؤلفه ومتانة زاده العلمي مع ذكاء وعبقرية تفتقت مبكرة على غير العادة المعروفة وليس هذا التفتق المبكر الا بسبب تلك الايادي الطاهرة والعقول الحكيمة والنفوس الطيبة التي قدر لها ان ترعى هذه النبة من حين بذرها الى بروزها على السطح ثم ازهارها واثمارها اذ كانت تعصيها بمقدار ما تحتاج اليه من ماء وسماد . مزيلة من امامها الطفيليات المعرقلة لحركة نموها متخيرة لها اجدى الطرق واقوم المسالك واوضح السبل وادق المناهج ... ولا استبعد ان يكون ابن ابي زيد قد جلس للاداء قبل ان يضع رسالته وقبل ان يدونها بدليل مادتها وكيفية عرضها الا يمكن ان تكون من غير شخص باشر

المهنة التعليمية ويعرف كيفية عرض المادة العلمية وما يحتاج اليه الصبيان من معلومات تتناسب تناسبا طرديا مع عقولهم • وهذا ماسوف نعرفه بالتفصيل عند الحديث عن كتاب الرسالة ضمن مؤلفات ابن ابي زيد ، بحول الله • فالرسالة اذن كتاب معلم عارف بمهنته بدأه بتوجيهه الى من طلب منه وضعه ، وهو توجيه في حقيقته لكل شخص تصدر للتعليم ونذر نفسه لابلاغ الامانة الى اهلها يقول ابن ابي زيد في مقدمة الرسالة • (اعاننا الله واياك على رعاية ودائعه وحفظ ما اودعنا من شرائعه فانك سألتني ان اكتب لك جملة مختصرة من واجب امور الديانة بما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها وشيء من الاداب منها وجمل من أصول الفقه وفنونه على مذهب الامام مالك بن انس رحمه الله تعالى وطريقته مع ما سهل سبيل ما أشكل من ذلك وتفسير الراسخين وبيان المتفقهين لما رغبت فيه من تعليم ذلك للولدان كما تعلمهم حروف القرآن ليتسبق الى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما ترجى لهم بركته وتحمد لهم عاقبته فاجبتك الى ذلك لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علم دين الله اودعا اليه)(1) •

وبالاضافة الى ذلك فاننا واجدون بين مؤلفاته ثلاثة كتب لها صلة بمهنة التعليم ولانكون مغالين اذا قلنا انه وضعها خصيصا لتطوير المهنة التعليمية والمنهج التربوي للمدرسة القيروانية وهي على التوالي : رسالة في طلب العلم(2) ــ رسالة فيما تأخذه عند قراءة القرآن (3) كتاب احكام المعلمين والمتعلمين (4) ، وقد ورد ذكره في مقدمة ابن خلدون متبعا ذلك بفقرة منه تتحدث عن الضرر الحاصل للتلميذ من وراء استعمال التاديب المادي معه جاء في تلك الفقرة مايلي : (لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئا (5) وان كان بعض الباحثين يزعمون ان هذا الكتاب هو لصاحبه ابي الحسن القابسي (6) لكن ايراده من طرف ابن خلدون العالم المتبحر في التاريخ ثم ايراده لفقرة منه لدليل تطمئن النفس•

---

(1) متن الرسالة ص : 2 ـ 3 . ط دار الفكر
(2) ترتيب المدارك 4/494
(3) ″ ″ ″ ″
(4) مقدمة ابن خلدون ص 1043
(5) ″ ″ ″
(6) دعوة الحق عدد 3 س 21 ص 57

الى صحة نسبته الى ابن ابى زيد اما كتاب ابن الحسن القابسى فهو يختلف عنه حتى فى العنوان اذ عنوانه (الرسالة المفصلة لاحوال المعلمين والمتعلمين) (1) ولما ذا لا يكون القابســـى قد سار فى رسالته هذه على هدى كتاب ابى محمد وخاصة اننا عرفنا سابقا وعلى لسانه انه كان كثير التعويل عليه فى الفتوى وما الفتوى باكثر سهولة من تاليف كتاب تربوى •

وخلاصة القول فى هذا الباب ان ابن ابى زيد الذى لم يتول القضاء قد وجه كل جهوده لنشر العلم حتى غدا كانـــه ولد معلما بفطرته وسليقته حتى انه بالرغم من انه كان فى مركز قاضى القضاة يستشار ويفزع اليه ساعة انغلاق النوازل وانعدام الحلول للقضايا المعروضة على القضاء ولا ادل على ذلك من قصته مع شيخه ابن ابى الازهر (2)

ان هذا الاختيار المهنى هو الذى جعل كتب ابن ابى زيد تتسم بسمة الوضوح والجـلاء وحسن التبويب ودقة الترتيب مما مكنها من سعة الانتشار فى دور العلم وبين ايدى العلماء • انما حظيت به هذه الكتب من عناية الا بسبب كتابتها من طرف من كان مربيا بسليقته امتلك بعد مران كل عناصر ملكة التبليغ • وذلك ان الكتاب فى واقعه هو معلم ياخذ بايدينا برفق ليثير امامنا السبل ويوسع قدامنا الآفاق وبقدر وضوح اسلوبه وجلاء الفاظه ودقة بنائه بقدر ما تكون الاستفادة منه عميم نفعها جزيلا عطاؤها •

(2) منهج ابن ابى زيـــــــد :

يقول احد المربين ان التعليم فن اكثر منه امتلاك معلومات وكل فن يحتاج الى منهج اذ ما فائدة المعلومات والمعارف اذا كان الانسان عاجزا عن تصريفها وغير مؤهل لابلاغها الى غيره بطريقة سهلة وجذابة تستولى على المشاعر وتستقطب الانتباه فينبعث فى نفس الآخذ عنه دافع التلقى ويتحرك فى مشاعـــره حافز التكوين فتنشط ملكاته وتنطلق من كوامنها لتبنى الفرد القادر على التحمل ثم الاداء ، فيغدو هذا الفرد مثقفا اكثر منه متعلما وهذا اسمى ما بلغته الحضارة الانسانية فى ميدان التربية والتعليم •

---

(1) معالم الايمان 3/136

(2) انظر ترجمة ابن الازهر ص : 98 من هذا البحث

ذلك ان الثقافة هي كل ما يبقى للانسان من معارف بعد ان يكون قد نسي كل شيء ولذا نحن في حاجة الى مثقفين لبناء حضارة القيروان من جديد .

وابو محمد ابن ابي زيد في هذه الناحية هو عالم مثقف ولذلك ابدع في كل علم تحمله او درسه بل وترك بصماته العلمية بارزة على الفكر الاسلامي عامة والحياة العلمية بالمغرب والاندلس خاصة .

ان هذه الناحية العلمية والثقافية لابي محمد تعود الى جملة من المميزات ميزته عن غيره من العلماء سواء من الذين سابقوه او عاصروه او جاؤوا من بعده ولذلك فاني لما أطلقت عليه لقب الفقيه الاول لم اكن مجانبا للحقيقة ولم اكن بالمغالي المغرق في مغالاته . بل لم اقل الا الحقيقة في اوجز لفظ وادقه اذ تشهد لقولي هذا غزارة تاليفه وكثرة الراحلين اليه ووفرة الطالبين للاجازة منه والذين منهم من وصل الى اعلى مراكز الافتاء والتدريس . ونظرة الى تراجم تلاميذه تثبت لنا صحة ما ذهبت اليــــه .

اننا لو نظرنا بعمق في مؤلفاته لوجدنا انه بالاضافة الى جمال اسلوبه فيها وبلاغة لغته وجزالة الفاظه ذو منهج واضح يبتدئ من المسألة من اولها ثم لا يتركها الا بعد ان ينتهي منها الى نتيجة تقنع مطالعها مجتنبا في ذلك الاستطرادات والاعتراضات التي جعلت من كتب الفقهاء عبارة عن طلاسم يصعب حلها ويندر الوصول عن طريقها الى حكم يقنع الطالب ويشبع نهم الباحث . وسوف نرى بحول الله نماذج من كتاباته عند دراستنا لاثاره وخاصة الرسالة وكتاب النوادر والزيادات في مكانه من هذا البحث بحول الله . وعلاوة على هذا المنهج الجذاب الذي برزت عليه تواليفه فقد كان لطيفا مع طلبته اذ كان يزورهم في مساكنهم ويسامرهم في بيته ويراسلهم في امصارهم ويقف الى جانبهم عند ازماتهم كما فعل مع القراصيبي وابن ابي العباس الصقلي .

ان جملة هذه المسالك منه تجاه طلبته هي في الواقع تعتبر لبنات قوية في صرح هذا المنهج التربـــوي .

الجذاب الذى عرف به ابو محمد دون غيرمن معلمى عصره .

واذكر انني في شبابي درست على شيوخ كثيرين لكن القليل منهم احتفظت ذاكرتي بصورة واضحة عنه واحتفظ له القلب بالاحترام والحب ولم يكن سوى ذلك الشيخ الذى كان يمتلك القدرة على التعليم من ذلك ان احد شيوخ التاريخ بالصف السادس ثانوى كانت حصته تعتبر بالنسبة لمعاشر طلبته شيقة رائعة يلذ طول المقام بها بل هي شريط سينمائي مثير ذو مشاهد [illegible] نهاية [illegible] فيتمنى لو تستمر تلك الاحداث الساعات الطويلة ولذلك ما انتبهنا الى دق الجرس ابدا في ساعته بل كان الوحيد الذى ينتبه فيجمع مذكراته وينطلق في خفة ورشاقة وخطى سريعة عندئذ ينطلق بعضنا خلفه ليسأل عن بعض النقاط ، وماكان هدفه السؤال وانما كان هدفه الاستزادة ، على الرغم من أن مادة التاريخ في ذلك الوقت كانت من المواد التى لانخشى السقوط فيها لضعف ضاربها .

وهكذا كان شيخنا ابن ابى زيد وهكذا كان منهجه مما جعل طلابه نشيطين ساعة الاخذ عنه فتعظم حصيلتهم العلمية ، ويمتلكون منهجا سليما محببا الى النفوس مما يؤهلهم للابداع في كل مهنة يمتهنونها عقب انتهائهم من تحصيلهم العلمي على يديه . ولهذا كانوا رسل علم ودعاة اصلاح دعوا ابناء بواديهم وامصارهم وحواضرهم الى شد الرحال الى القيروان للاخذ عن ابى محمد والجلوس في حلقته وملازمة ميعاده . فكما كان مالك بن انس في القرن الثانى بالمدينة رمزا للعلم والصلاح والتقوى كان عبد الله ابن ابى زيد بالقيروان في القرن الرابعة رمزا لذلك وكما كان تلاميذ القرن الثانى يفتخرون بتتلمذهم على مالك كان طلاب القرن الرابع يباهون غيرهم باخذهم عن مالك الصغير .

وهكذا نصل الى نقطة يتعين علينا الاجابة عنها ، وهى : كيف كان عبد الله بن ابى زيد يبدأ دروسه ؟ وكيف كان ينجزها وكيف كان يسيرها ويختمها ؟ للاجابة عن كل هذه الاسئلة لابد من انعام النظر في النص الثانى (كان رحمه الله يفتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عن غوامض المسائل ودقائقها وربما قال حدثتني نفسي ان في هذا المجلس كذا وكذا سؤالا فايكم صاحب سؤال كذا ؟ فيقول بعض الحاضرين انا فيجيبه) (1)

---

(1) معالم الايمان 3/116

نرى ان هذا النص يوضح لنا طريقة شيخنا ابى محمد فهو بادىء ذى بدء يبدأ درسه بسؤال طلبته عما غمض عن افهامهم من مسائل الدرس السابق حيث يقوم بتقريب تلك الغوامض الى اذهانهم ، وهذا يؤدى به الى تعرفه على حقائق تربوية منها تعرفه على مدى ماحصل عليه طلابه من معارف لقنوا اياها اثناء الدرس السابق ومدى عمق فهمهم لدقائقها ومدى احاطتهم بلطائفها ؛ ومنها ايضا ربط مسائل الدرس الجديد بمسائل الدرس القديم وفى ذلك ربط وتقوية لدعائم العلم الذى يدرسه لهم . وخاصة اذا كان هذا العلم هو علم الفقه الذى ترتبط مسائله ببعضها ارتباط قواعد البناء بسقفه واركانه بقواعده على الرغم من كثرة ابوابه ووفرة تفريعاته ودقة مسائله وتشابكها .

ان يمثل هذه المنهجية الطلائعية ليصل الطالب بعد اتيانه دراسة - على مسائل العلم الى درجة العالم بها المثقف فيها لا الى درجة المتعلم الذى قد تخونه الذاكرة فينهدم البناء فى لحظة من لحظات النسيان وقد يعمد الشيخ ابو محمد فى درس آخر الى وسيلة جديدة لجلب انتباه الطلاب وتنشيط حوافز الاخذ فيهم وتحريك سواكن مداركهم وتسريح ملكاتهم من عقالها ولتحقيق هذا كله يقوم بالتركيز على ادق المسائل واخفاها ويصوغها فى شكل اسئلة ليقول بعد ذلك للتلاميذ فأيكم صاحب هذا السؤال ؟ وايهم يرفض ان يكون صاحبا لسؤال وجيه ؟ وعندئذ تتحرك الملكات وتنهض الهمم ويبدأ الدرس من سؤال لينتقل بعد ذلك الى تفريعات واستفسارات واخذ وعطاء كل يريد ان يشارك وكل يريد ان يبدع فى الفهم كما ابدع شيخه فى العطاء لدقة الاداء .

والى ان يكشف ذات يوم عما تركه ابو محمد ابن ابى زيد من اثار فى هذه المهنة فاننا

عندئذ سوف نجد صورة ادق واوضح واكمل على منهجه التعليمي الذى كان سببا في تجديد الفكر في مجال الفقه المالكي في المائة الرابعة • حتى عد ابو محمد اشهر فقيه عرفه القرن الرابع في رحاب الفقه الاسلامي ولذلك جعله بعض الباحثين في عصرنا الحديث مجدد المائة الرابعة ولهذا السبب ايضا اعتبرته الفقيه الاول في المدرسة المالكية القيروانية في عصـــــره اذ بلغ درجة الاجتهاد داخل المذهب وكان له ان يكون مجتهدا مستقلا لو تعلقت همته بوضع مبادئ خاصة به ليجتهد على ضوئها لكنه ابى مخالفة مالك امام دار الهجرة حيث اكتفى ابو محمد باثراء هذا المذهب وتوضيح احكامه وجمع شتاتها والترجيح بين اقوال العلماء فيها باسلوب سهل ممتع ومنهج سليم واضح مما اكتسبه حب الكل واحترام الجميع فاطلقوا عليه لقب مالك الصغير وهو اهل لهذا الاطلاق •

تمهيـــــد :

ومثلما تعدد شيوخه مع تنوع اختصاصاتهم وتمايز طرقهم ومناهجهم واختلاف امصارهم . كان ايضا تعدد تلاميذه واختلاف امصارهم وتعدد ميولاتهم العلمية كيف لا وفيهم البغدادي والمكي والمصري والافريقي والصقلي والاندلسي والسجلماسي . وبالاضافة الى تعدد البلدان فقد تعددت طرق اخذهم اذ منهم من ارتحل الى القيروان وسمع مباشرة ومنهم من استجازه فاجازه . وكانت النتيجة جدا مفرحة بالنسبة لهولهم وثريــــة بالنسبة للمدرسة المالكية خاصة والفقه الاسلامي عامة اذ كان يرى فيهم الامتداد الطبيعي لجهاده وجهاد شيوخه من قبل ويرون فيه القدرة الخيرة والنبع الذي لا يغيظ ماؤه ولا ينضب معينه الذي امدهم بالزاد العلمي الذي جعل منهم القضاة والمعلمين والعلماء الذين اثروا باقوالهم واجتهاداتهم هذا الحقل الخصب من التربة الخصبة للتشريع الاسلامي عامة وبذلك واصلوا حمل المشعل الحضاري الذي تسلموه من عالم المائة الرابعة وساروا على هديه وتخلقوا باخلاقه فكم قاضيا منهم اصبح مضرب المثل في عدله واستقامته وكم عالما منهم اصبح منهلا عذبا منزلا له يرتوي وعلى علمه يعول .

تلك هي نتائج مسيرة الخير التي بدأ مشوارها ابومحمد منذ أن خط خطوته الاولى الى الكتاب بمدينة عقبة بن نافع وسوف احاول ما وسعني الجهد ان استعرض كل ما امكنني الحصول عليه مما يخص حياة هؤلاء الطلبة مركزا بقدر الامكان على علاقتهم بشيخهم اولا وعلى مدى استفادتهم منه ثانيا مع اعطاء البارزين منهم اكثر قدرا ممكنا من هذه العناية .

كما ساعد ايضا الى توزيعهم على مجموعات بحسب امصارهم مرتبا لهم بحسب تواريخ وفاتهم . وذلك لان هذا المنهج سوف يساعدنا على معرفة مدى اشعاع شيخنا العلمي عند ما نضعه في الميزان وعندئذ نتحقق من مدى انطباق الاوصاف المنعوت بها عليه او عدم انطباقها .

9) ابو القاســم البراذعـــي • [ت... بعد 386 هـ]

هو أبو القاسم خلف بن ابي القاسم الاسدي ويكنى ايضا بابي سعيد سمع من القابسي وابن ابي زيد والذي به تفقه ، وكان من كبار صلابه ومن حفاظ المذهب المؤلفين فيه (2) وكان البراذعي (3) حاد الطبع جريئا ولهذا كثرت صداماته مع مشيخة القيروان وغيرهم من الوافدين عليها وقد مرت بنا صورة من هذه الصدمات مع الاصيلي الشيخ الاندلسي (4) • مما دفع هذا الاخير الى مغادرة حلقة المناظرة وشيخه ابو محمد نفسه لم يسلم من جرأة تلميذه ايضا اذ كان كثيرا ما ينبه بتحير الى اوهام شيخه من الاراء ببعض كلامه • حتى قيل ان ابا محمد عابه عقلية وكان ذلك سببا في لفظ القيروان له (5) • وذلك عندما علم اهل القيروان وشيوخها بتعامله المريب مع العبيديين (6) ولهذه الاسباب كلها لم تكن له رئاسة بالقيروان (7) فارتحل الى صقلية حيث وجد حظوة لدى اميرها • وفيها تفرغ للدرس والتاليف حيث وضع جل مؤلفاته (8) وقد اشتهر بعض هذه الكتب شهرة انست الناس في غيرها • على الرغم من التشنيع الذي قام به علماء القيروان على صاحبها ومنع الناس من تداول كتبه وكان اشهر هذه الكتب كتاب التهذيب : وهو عبارة عن مختصر للمدونة • فقد رفض علماء القيروان في استعماله لشهرة مسائله (9) • وقد لاقى هذا الكتاب قبولا لدى كل الطلبة من ذلك انه كان عليه المعول بالمغرب والاندلس (10) • وذكر ان المناظرة في جميع حلقات صقلية وبلدانها انما كانت بكتاب البراذعي التهذيب (11) •

وكتاب التهذيب هذا انما هو عبارة عن اختصار للمدونة على شاكلة مختصر المدونة لابن ابي زيد الا ان البراذعي حذف زيادات شيخه (12) •

• ترجمته في ترتيب المدارك 4/708 - 709 . معالم الايمان 3/146 - 150 - الديباج ص 112 - 113

(2) ترتيب المدارك ج4/708 - اما في المعالم والديباج فانهما يذكران بعدها الازدي -

(3) المدارك 4/708

(3) المعروف بالبراذعي وهو كذلك فيما ينقل عنه في كتب الفقه غير ان عيا في تسميه البرادعي بالدال اما المعالم والديباج فانهما يسميانه البراذعي بالذال .

(4) ترتيب المدارك 4/647

(5) الديباج ص 113

(6) ترتيب المدارك 4/709

(7) معالم الايمان 3/148 - المدارك 4/709

(8) الديباج ص 113

(9) ترتيب المدارك 4/709

(10) " " 4/ص 708

(11) الديباج ص 113

(12) ترتيب المدارك 4/708

ويقال ان البراذعي لما انتهى من تاليف كتابه هذا حمله الى شيخه واطلعه عليه فامر بحرقها ومحوه فعاد البراذعي ادراجه ثم عرضه عليه مرة ثانية وقد انشده :

خذ العلوم ولا تعبأ بناقلهـــــا واقصد بذلك وجه الخالق الباري

اصل الرواية كالاشجار مثمـــرة اجن الثمار وخل العود للنـــار

فتركه ابو محمد ولم يعرض له) (1) على ان ابا محمد عبد الحق الفعليه جزءا قيما وهم فيه على المدونة) (2) الا ان عياض يرد على الناقد بقوله : وانا اقول (ان البراذعي ما ادخل ما أخذ عليه فيه الا كما نقله ابو محمد بن ابي زيد) (3) ويظهر لي ان القاضي عياض معجب بالتهذيب حيث يقول فيه (وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه وتيمنوا بدرسه وحفظه وعليه معول اكثرهم بالمغرب والاندلس) (4) وقال الدباغ في المعالم لكتاب التهذيب في اختصار المدونة اتبع به اختصار ابي محمد ابن ابي زيد الا انه جاء به على نسق المدونة وحذف مازاده ابو محمد) (5) غير ان ابن ناجي يرد على هذا بقوله : (ماذكر من كونه تبعه غير صحيح وكثيرا ما يختصر خلاف ما في مختصر ابي محمد مما هو معروف وانما هو مبين لاختصاره الا ترى الى قوله وصححتها على ابي بكر بن عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون) (6) وهو ما لعفناه عندما قال في خطبة التهذيب انه منشيء مستقل لاتابع لغيره) (7) وقد ضرب ابن ناجي امثلة كثيرة لدعم ماذهب اليه من كون البراذعي في تهذيبه كان مستقلا لامقلدا (8) .

ويقال انه لما مات ابن ابي زيد حضر البراذعي جنازته فقال لبعض أصحابه ـ يشير الى راحتمنهـ فقال هيهات وان مات لي ابن ابي زيد فلم يمت كتابه لكتابي) غير ان كتاب التهذيب قد حقق ماتمناه صاحبه اذ لم يمر وقت طويل حتى استقطب انظار الطلبة العلماء فاقبلوا عليه وتركوا مختصر المدونة لابن ابي زيد وهذا ما عناه ابن سعيد بقوله (فضرب الدهر بضرباته الى ان هجر الناس مختصر ابن ابي زيد واقبلوا على مختصر البراذعي (9) .

وليس للبراذعي التهذيب فقط بل له تآليف اخرى منها : كتاب تمهيد مسائل المدونة على صفة اختصار ابي محمد وزياداته) (10) وقد اقبل عليه بعض الطلبة الا انهم رفضوه لانهم لم يجدوا فيه جديدا عما اصلعوا عليه في مختصر ابن ابي زيد .

---

(1) معالم الايمان 3/150
(2) المدارك 4/708
(3) " " "
(4) " " "
(5) معالم الايمان 3/146
(6) " " " 3/146-147
(7) " " " 3/147
(8) " " " 3/147-148
(9) " " " 3/149
(10) الديباج ص 112
(11) ترتيب المدارك 4/708-709

ويقال ان البراذعي لما تم كتاب التهذيب جاء بعض الطلبة ليسمعه عليه فلما أحس الصدر بالقراءة اغلق كتابه فقال له البراذعي اقرأ فقال قد سمعته على ابن ابي محمد وهو زدت في المختصر اكثر من الصدر (1) .

وله ايضا كتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة ادخل فيه كلام شيوخها المتاخرين على المسائل (2) وله ايضا كتاب اختصار الواضحة (3) . ويقال ايضا ان له ثلاث مختصرات على المدونة واحد هما اطول من التهذيب وثانيهما اصغر منه ولم تثبت فيه رواية الشيخ . قال شيخنا ابن عرفه وماذكر من الاختصار لم اره لغيره بعد البحث عنه وماذكره من كونه لم تثبت فيه رواية فاني من لقيت من عدول بلدنا المتشبهين قائل بثبوت روايته بالسند الصحيح (4) .

وتوفي ابو القاسم البراذعي بصقلية (5) الا ان ابن ناجي يذهب الى القول بانه مات بالقيروان اثناء احدى زياراته لها حيث دفن بها بمقبرة ابي الحسن القابسي قبلة قبر الشيخ ابي داود الرهداني حسب ماسمعه من شيخه البرزلي في احدى زياراته للقيروان (6) . اما تاريخ هذه الوفاة فلم يذكرها احد من المؤرخين والثابت انها وقعت بعد 386هـ وهو تاريخ وفاة شيخه ابن ابي زيد رحمهما الله .

---

(1) الديباج ص ١١٢

(2) " "

(3) ترتيب المدارك ٤/ 709

(4) معالم الايمان 3/ 148

(5) ترتيب المدارك ٤/ 709

(6) معالم الايمان 3/ 150

هو ابو الحسن علي بن عبد الله القصان المعروف بابن الخلاف سمع من ابي بكر اللباد ومن ابي محمد بن ابي زيد وغيرهما من علماء القيروان وكانت له ثقة كبيرة في ابن ابي زيد حتى روى عليه انه قال (ماقلدت ابا محمد بن ابي زيد حتى رايت السبائي يقلده) (1) والتقليد هنا بمعنى الاخذ عنه.

وقد عرفنا سابقا ان ابا محمد بن ابي زيد هو من تلاميذ ابي اسحاق ولذا فلابد ان الخلاف كان يحضر دروسه ومجالس المذاكرة التي كانت تعقد بدار السبائي وتحت نظره ويديرها ابو محمد بن ابي زيد وهو في الغالب يخرج منتصرا مما جعل السبائي نفسه يوافقه في الكثير من تخريجاته للمسائل.

ويذكر صاحب المعالم ان لابن الخلاف (سؤلات سأل عنها ابا محمد بن ابي زيد تدل على تحقيقه في الورع وتحفظه في دينه) (2)

وقال فيه ايضا (كان من اهل العلم والفضل والورع والزهد والعقل الرصين والتهجد بالقرآن وسرد الصيام فتاشا عن مطعمه ومشربه وملبسه مراعيا للفظه ولحظه متفقدا لخواصه وسرائره ووسواس نفسه عامل الله بالصدق وعرف الناس فانزوى عنهم ثم انبسط في اخر عمره لم ير في وقته اكبر همة ولا أصدق حالا منه (3)

وكان هذا حاله الى ان توفاه ربه يوم الاربعاء في ربيع الاول سنة 391 هـ وصلى عليه ابو الحسن القابسي ودفن بباب السلم بالقيروان (4).

---

* ترجم له صاحب المعالم 3 / 125

(1) الديباج ص 135

(2) المعالم 3 / 125

(3) المعالم 3 / 125

(4) المعالم 3 / 125

3 ابو علي بن خلدون * (.... 407 هـ)

هو ابو علي حسن ابن خلدون البلوى القيرواني سمع من ابي الحسن القابسي (1) ومن ابن ابي زيد . وليس من المستبعد ان يكون احد الاثنين اللذين بعثهما ابن ابي زيد الى العراق لايصال كتاب المختصر الى ابي بكر الابهرى وابن مجاهد الطائي فقد وردت في المدارك فقرة توضح ذلك :

(وان كتابين ممن عنى بهم توجها من مكة للقاء الشيخ - يعني ابن مجاهد ولقاء الابهرى - وهما محمد بن خلدون واسماعيل بن عذرة وبعث معهما المختصر صحيحا مقابلا) (2)

اما اختلاف الاسم بين المترجم له وحامل الرسالة قد يمكن ارجاعه الى سهو النساخ او المؤلف نفسه . ومما يجعلني اميل الى هذا ان الفارق الزمني بين موت ابن ابي زيد وابي علي بن خلدون هو فارق بسيط وذلك ان ابا علي بن خلدون قد توفى يوم الخميس الاثني عشرة ليلة خلت من شوال سنة 407هـ) (3) اثناء واقعة مجزرة الشيعة بالقيروان وكان عندئذ شيخ مشيخة اهل السنة بها . معنى ذلك انه توفى بعد ابن ابي زيد بواحد وعشرين سنة . فتلمذته ثابتة على ابن ابي زيد وان سكتت عنها كتب التراجم، واميل الى ان اغلب من اخذ عن ابي الحسن القابسي هو قد اخذ عن ابن ابي زيد وان لم يذكر ابن ابي زيد لوفاته قبل القابسي . فاضيف الكثير من الطلبة الى القابسي في حين قد اخذ ايضا عن ابن ابي زيد قبل موته وعلى كل فابو علي بن خلدون كان من مشيخة القيروان المعول على علمهم والموثوق في صلاحهم . وكانت قد دبرت مكيدة تتلخص خوفا من أمر اهل السنة عندما ثارت العامة فاراد المعز بن باديس تخفيف سوءة اهل السنة بالقيروان ودبر مكيدة ومؤامرة لقتل شيخ اهل السنة مما افقدهم عنصر القيادة (4)

وتذكر المصادر الكثير عن كرم ابي علي ونبل اخلاقه وزهده وفضله مما يجعله جديرا بالامامة بعد وفاة شيخه القابسي (403هـ) (5) قال عياض فيه (من فقهاء افريقيا وصلحائها هي اصحاب ابي الحسن القابسي كان نشأ بافريقية جليل القدر في فقهائها مطاعا وكانت العامة تتبعه وكان شديدا على اهل البدع والروافض مغريا بهم يشد منه اهل

---

1) معالم الايمان 3/ 151

2) ترتيب المدارك 4/ 473

3) " " " " " " " " 4/ 625-626

4) معالم الايمان 3/ 151 .

5) المدارك 4/ 624

السنة الى ملجأ (1) ووزر فضجر لذلك شاعر الرافضة المعروف بالباجوري في قصعة لموهي

عيني من التغمير ممنوعة ... ومهجتي بالنار ملذوعة

من حسن ظبي حسن وجهه ... صرفة بالمس مصنوعة

كانما ذكرى هوى عنده ... ذكر ابن خلدون لدى الشيعة

ويقول صاحب المعالم : كان ركنا من اركان اهل السنة من فقه كثير وصدقة ومعروف وهمة عالية واحسان الى العلماء والمعارف واخباره في ذلك كثيرة (2) .

والاهتمام غضب العامة على عامل القيروان برجلين وقال انهما اللذان قتلاه فقتلهما ودفن ابو علي بالليل (3) وفي ذلك يقول ابو اسحاق الحصري الاديب راثيا ابا علي (4) .

دفنوا صبحهم بليل وجاؤا ... حين لا صبح يطلبون الصباحا

ورثاه ابن الوراق : بقوله (5)

مضى بدم الاسلام مهجته ... من بين احشاء دين الله تنتزع

كما رثاه غير هؤلاء من شعراء القيروان .

---

(1) ترتيب المدارك 4/624

(2) معالم الايمان 3/151

(3) ترتيب المدارك 4/626

(4) " " "

(5) " " "

④ ابو بكر التجيبي : [.. 422 هـ] .. 1030 م

هو ابو بكر عتيق بن خلف التجيبي (1) الواعظ المؤرخ (2) تفقه بابي محمد بن ابي زيد وابي محمد بن التبان وابي سعيد بن اخي هشام وميسرة بن مسلم وابي العباس بن تميم وابي الحسن القابسي (3)

ثم ارتحل الى المشرق حيث أخذ عن العلماء هناك (4)

سمع منه ابنه عبد الملك التجيبي (5) وغيره

له تآليف كثيرة منها : كتاب الاختصار • وكتاب الطبقات (6)

توفي يوم الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة اثنتين وعشرين واربعمائة • ودفن بباب سلم بالقيروان (7)

---

* ترجم له صاحب المعالم 3 / 158 - 159

① اسماه عياض بابي بكر عتيق السوسي قيرواني من اصحاب القابسي رضي الله تعالى عنه المدارك 4 / 715

② معالم الايمان 3 / 158

③ " " 3 / 158 - 159

④ " " 3 / 159

⑤ " " " "

⑥ يقال له كتاب الافتخار في مناقب فقهاء القيروان : المعالم 3 / 158

⑦ المعالم 3 / 159

⑤ ابوعبد الله الخواص [... 428 هـ]

هو ابوعبد الله محمد بن عباس الانصاري المعروف بالخواص سمع من ابن ابي زيد وابي الحسن القابسي (1) وابي سعيد بن اخي هشام ومن اصحاب هؤلاء (2) كما أجازه سهل بن السودان (3) وتخرج على يديه جماعة منهم عبد الجليل الربعي وابن المرابط المري وابن سهل القروي (4) وسمع منه ايضا عبد الله بن محمد المالكي وعمر بن ابي محمد بن ابي زيد (5) .

توفي سنة ثمان وعشرين واربعمائة (6) ورثاه ابن رشيق بقصيد منها (7)

هذا محمد المحمود اجمعه — قد خلف الدهر فينا غير محمود

فأي حظ من المعروف منتقص — واي ركن من الاسلام مهدود

اودى ابن عباس الثاني ووارثه — دينا وعلما وفلا غير مجحود

م: ترجمته بـ: المدارك 4/ 710 - 711 - معالم الايمان 3/ 169

① معالم الايمان 3 / 169

② ترتيب المدارك 4 / 710

③ " " "

④ " " "

⑤ المعالم 3 / 169

⑥ ترتيب المدارك 4 / 711

⑦ " " 4 / 710 . 711

هو ابو زكريا يحي بن علي بن زكريا التوزري المعروف بالشقراصي نسبة الى قرية شقراصر (1) ولد ونشأ بتوزر ثم ارتحل الى القيروان (2)

تفقه بابن ابي زيد الذي كان يكن له تقديرا كبيرا وسمع ايضا من ابي الحسن القابسي • وغيرهما (2)

ثم ارتحل الى المشرق حيث ادى فريضة الحج وسمع الحديث من مشاهير علماء الرواية بالمشرق •

ثم عاد الى توزر حيث تصدر للتدريس والفتوى • وحدث ان وقع خلاف بينه وبين اهل توزر فرفع الى الشيخ ابن ابي زيد بالقيروان فما كان منه الا ان بعث برسالة الى اهل توزر جاء فيها (ولقد كان لكم فيما بين لكم من النصيحة صاحبنا ابو زكريا يحي بن علي حفظه الله كفاية بالغة فلا ينبغي لكم ان تتخذوا من ابي زكريا بدلا ولا تبغوا عنه حولا فلقد جعل الله لكم فيه الخير والفهم ما وسعكم واوسع فيكم اعاذكم الله من فتنة خفيت عنكم (4)

قال فيه ابن شباط (وكان اماما في العلم مقدما ورئيسا في الدين معظما) (5)

ولما توفي شيخه ابن ابي زيد رثاه بقصيدة رائعة يقول فيها (6)

خصب الم فعم السهل والجبـــــر ... وحادث جل ينسى الحادث الجلـــــل

ناع نعى ابن ابي زيد فقلت لــــه ... اشمسنا كسفـــت ام بدرنا افـــــلا

توفي سنة ٥42 ودفن بمدينة توزر •

✳ ترجمته د . صلة السمط لابن شباط مخطوط - مجلة الثريا جانفي 1945 ص 5 - مقال للمرحوم العلامة الكعاك

① شقراطس حصن قديم بالقرب من قفصه حسب ما ذكره ابن شباط

② مجلة الثريا عدد جانفي 1945 ص 5

③ " " " "

④ " " " "

⑤ " " " "

⑥ معالم الايمان 3/118

هو ابو بكر احمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الخولانى الفقيه الحافظ وشيخ افريقية والمغرب فى وقته مصاحبه ابى عمران الفاسي (1) .

سمع من ابى محمد بن ابى زيد وابى الحسن القابسى ، ومن الدوبلي والبادلى والحاتمي وبمصر من ابى بكر النعال وبالاندلس من ابن الاشج واحمد بن قاسم وابن عمر الباقى (2) . وكان اعتماده على ابي الحسن القابسى خاصة (3) وقد اجازه شيوخها لمصريون اجازة تامة وعامة (4) .

وبه تفقه علماء كثيرون كابى حفص العطار - والسيورى ، وابن بنت خلدون ، وابن اسحاق التونسى ، وابن محرز (5) وغيرهم وقد ذكر له طلبة كثيرون اشتهر منهم بالخصوص قرابة مائة وعشرين طالبا يعول على علمهم ويعتمد على فتواهم ويوثق بصلاحهم (6) وكان قد برع فى العلم منذ صغر سنه لفطنته وذكائه واجتهاده فى التحصيل حتى قيل ان ابا الحسن القابسى اباح له الفتوى فى حياته وهى اجازة لم يفز بها غيره من قبله او من بعده . حتى قال فيه ذات يوم (اذا ذكر العابدون فابو بكر بن عبد الرحمان اولهم واذا ذكر المجتهدون فابو بكر اولهم واذا ذكر المتفقهون فابو بكر اولهم) (7) .

وقد ساعده على ابلوغ هذا المستوى العلمى الرفيع اجتهاد متواصل وحافظة قوية وذاكرة لا يدركها الخلط ولا النسيان من ذلك ما ورد . ان اصحابه (تعجبوا من حفظه وذكره فى آخر عمره فقال بعضهم نراه يواظب على الدرس للميعاد او يتكلم على قديم حفظه فاتفقوا على اختباره - فلما كان من الغد اخذ وا غير الكتاب الذى كانوا يتذاكرون فيه . وكانت مذاكرتهم اذ ذاك فى كتاب محمد بن المواز فلما اخذوا الكتاب قال الشيخ لهم ليس كتابنا هذا فجمعوا له واروا لوهم وانه اذا حضر فالمذاكرة فيه اولا . ففطن الشيخ لمرادهم واخذ الكتاب ونظر فيه ثم طواه فالقاه عليهم من حفظه وقال : علمت ما اردتم لو عدم هذا الكتاب لامليته من حفظى) (8) ومما يذكر انه كان يدرس المدونة وكانت مواعيد تدريسه لها ايام الاثنين والاربعاء والجمعة (9) .

وكانت علاقته بالسلطة العبيدية مثل غيره من علماء اهل السنة - جدا متوترة حتى ان المعز العلوى كان يبعث له بالعيون للايقاع به ولما تنبه ابو بكر الى ذلك بعث لهم احد عيونه قائلا له (تتبع العلماء هذا التتبع وتستقصى عليهم والله لئن لم تتركنى لاعرضنك على الله عز وجل) (10) فلم يتعرض له بعد ذلك .

ترجمته في : المدارك 4/700 - 702 - الديباج ص 39 - معالم الايمان 3/165 - 169

(1) المدارك 4/700

(2) " 4/700 - 701

(3) المعالم 3/165

(4) " "

(5) ترتيب المدارك 4/701

(6) معالم الايمان 3/165

(7) " " 3/166

(8) المدارك 4/701

(9) " 4/702

(10) معالم الايمان ص 168

كان بينهما بين ابي عمران الفاسي (363هـ - 430هـ) تباعد في النهي وقد حاولت السلطة الايقاع بينهما بضرب الصف السني الا ان قوة ايمانهما ضعفت هذه السلطة وافشلت امرها المبيت بليل (1) .

وكان ابو بكر عابدا متبتلا حتى قيل انه كان يقضي رمضان بالمنستير كل سنة مرابطا لا ينام الليل بل قيل انه كان يصوم الدهر الا الايام التي يحرم فيها الصوم (2) .

قال عياض : وكان ابو بكر فقيها حافظا دينا كان تفقه بابي محمد وابي الحسن وسمع منهما ومن غيرهما من شيوخ افريقية) (3) وغيرهما .

وقال الدباغ : (كان احد الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين اجمع اهل عصره على انه لم يكن في وقته احفظ منه) (4) .

واستمر ابو بكر في عمله العلمي وفي عبادته الصادقة الى ان لبى داعي ربه يوم الاثنين لثلاث بقين من شوال سنة 432هـ (5) على ماذكره الشبيرازي وقيل 435هـ على ماذكره غيره (٥) وصلى عليه ابنه بالريحانية ودفن بباب تونس الى جانب والده عبد الرحمان (7) .

---

① ترتيب المدارك 4 / 701

② معالم الايمان 3 / 166

③ ترتيب المدارك 4 / 701

④ معالم الايمان 3 / 166

⑤ الديباج ص 39 - المدارك 4 / 701

⑥ ترتيب المدارك 4 / 701

⑦ معالم الايمان ج3 ص 169

⑧ عبد الله الاجدابي -؟-

هو ابو الحسين بن ابي العباس عبد الله بن عبد الرحمن الاجدابي المعروف بالمؤرخ (1) .
وكان ابوه ابو العباس (384هـ) من العلماء العارفين بالتاريخ (2) .
سمع من ابن ابي زيد وابي الحسن القابسي ومن ابن ابي عقبة وابن حيوان وتميم بن ابي العرب . ثم ارتحل الى المشرق فسمع من ابن ابي يعلى الحمادي وابن عرات وغيرهم (3)
واخذ عنه ابو محمد عبد الحق وابن سعدون وابن سبعين (4) وابو بكر المالكي (5)
والف مناقب ربيع القطان والممسي والسبائي وابن نضرون (6)
قال فيه صاحب المعالم (كان واحد زمانه علما وفضلا وكان ثقة ثبتا) (7)
قيل توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر اثنين وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم قرب البهلول بن راشد (8)

⑨ ابو الحسن الاجدابـــــي :

اخو السابق حدث عن تميم ابن ابي العرب وابي القاسم بن حيران واخذ عنه ابن سعد (9) واميل الى انه مع ابي الحسين اخيه هما المعروفان بابني الاجدابي اللذين اخذا عن ابن ابي زيد (10) وذلك لاشتراكهما في الشيوخ كما جاء في ترجمتهما . ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته .

⑩ ابو محمد الاجـــــذابـــي :

اخو السابقين وهو اصغر منهما سنا اذ اخذ عن اخيه ابن الحسين (432هـ) (11) وذكر انه كان مشهورا بالعلم والتقدم في الفهم وكثرة الرواية بافريقية والمشرق (12) . لم يعرف له تاريخ وفاة .

٭ ترجمته بالمدارك 3/621-622 - المعالم 3/170 . اما اخواه فترجمتهما بالمدارك 3/622
(1) معالم الايمان 3/170
(2) " " 3/106
(3) المدارك 4/621-622
(4) " 4/622
(5) معالم الايمان 3/170
(6) ترتيب المدارك 4/622
(7) معالم الايمان 3/170
(8) " " 3/170
(9) ترتيب المدارك 4/622
(10) " " 4/493
(11) " " 4/621، 622
(12) " " 4/622

هو ابو محمد مكي بن ابي طالب محمد بن مختار القيسي (1) ويقال حموش بن محمد بن مختار القيسي اللغوي النحوي (2) .

اصيل القيروان اندلسي المدفن ولذلك اعتبره عياض من الاندلسيين حيث ترجم له معهم (3) ، واعتبره الدباغ قيروانيا فترجم له في المعالم (4)

سمع من ابن ابي زيد وابي الحسن القابسي والقراء اللغوي (5) . ثم ارتحل الى الشرق سنة 355 لطلوع الشمس وعمره ثلاثة عشر سنة (6) حيث استقر بمصر واختلف فيها الى العارفين بالحساب وعلوم القرآن والاداب وبعد ان انهى دراسته هذه سنة حجج فلقي الادفوي وابن غلبون المصري حيث اخذ عنهم علم القراءات الى سنة 378 هـ رحل الى القيروان 37 ثم عاد الى مصر سنة 381 ثم حج من جديد وبقي بمكة الى سنة 390 هـ حيث لقي كثيرا من العلماء كالسقطي وابن عمران الهروي والبسري وغير هؤلاء . ثم مر بمصر وعاد منها الى القيروان سنة 392 هـ ثم ارتحل الى الاندلس فوصلها في رجب سنة 393 (7) . حيث دخل قرطبة ايام المظفر بن ابي عامر فتنبه لمقدمه ابن ذكوان القاضي فقدمه واجلسه في المسجد الجامع بقرطبة فاشتهر امره ورحل اليه الناس ثم ولي الخطبة والصلاة مدة الى ان اقعده عنهما الخوف ايام الفتنة (8) .

واخذ عنه علماء كثيرون . كابي عبد الله بن عتاب وابن فلان الباجي . وحاتم الطرابلسي وابي محمد بن سهل المقري وبعدهم ابو اصبغ بن سهل وآخرهم من حدث عنه بالاجازة ابو محمد بن عتاب شيخ عياض (9) .

له تاليف كثيرة اغلبها حول القرآن وعلومه حتى روى صاحب البغية عن بعض اشياخه ان مبلغ تواليفه خمسة وثمانون تاليفا (10)

ومن اشهر تاليفه واشرفها . كتاب الهداية في التفسير ، وكتاب الكشف في وجوه القراءات واختصار الحجة للفارسي وكتاب اعراب القرآن ، وكتاب الايضاح في ناسخه ومنسوخه وهو كتاب حسن (11) . يقول ابن خلكان ان كتاب: الهداية الى بلوغ النهاية في معاني القرآن الكريم وتفسيره وانواع علومه سبعون جزءا (12)

ان جملة ما اورد له ابن خلكان هو سبعة وثلاثون كتابا (13)

قال فيه ابن فرحون (كان فقيها مقرئا اديبا ولهرواية وغلب عليه علم القرآن وكان من الراسخين فيه (14) ومع ذلك كان نحويا لغويا (15) . فقيها . وتوفي صدر محرم سنة سبع وثلاثين واربعمائة وقد اناف على الثمانين (16)

ترجمته بترتيب المدارك 4/737-738 - معالم الايمان 3/171-172 - الديباج 346 - وفيات الاعيان 5/274-276 ط. بيروت 1977

(1) الديباج ص 346
(2) المعالم 3/171
(3) المدارك 4/737-738
(4) المعالم 3/171-172
(5) ترتيب المدارك 4/737
(6) وفيات الاعيان 5/274
(7) " " المدارك 4/738 - المعالم 3/171-172
(8) ترتيب المدارك 4/738
(9)
(10) تعليق المحقق ترتيب المدارك 4/738
(11)
(12) وفيات الاعيان 5/275-276
(13) " "
(14) الديباج ص 346
(15) ترتيب المدارك 4/738
(16) عياض اخطأ في تاريخ وفاته اذ جعلها (سنة 433) وهو وهم اذ الوفيات يوم السبت عند الفجر لليلتين خلتا من محرم سنة 437 انظر الوفيات 5/277

⑫ ابو سعيد الخولانـــــــى :*

هو ابو سعيد خلف بن محمد الخولاني الحافظ الخياط.

سمع من ابي محمد بن ابي زيد ومن زكريا بن يحيى بن عبد السلام (1)

كان يشتغل خياطا راس ماله مقص وحلقة وكان يتوقف عن عمله هذا بمجرد حصوله على درهمين لقوته ليتفرغ بعد ذلك للدراسة. وروى انه انصرف ذات يوم من مجلس شيخه ابي محمد بن ابي زيد وعليه اطمار بالية فسال عن الصلاح فقيل له : والله ما يلبس هذه الا ليتجمل بها في الميعاد. واما ما يقتص به فقرو يساوي درهمين. فبعث له ابو محمد بصرة فيها خمسون دينارا ذهبا فابى ان يقبلها على شدة فقره وحاجته (2) وقال انما قوتي كل يوم خروبتان (3) آخذ بهما خبزا تصب عليه الوالدة مرق بقل او ما تيسر ونحوهما.

قال فيه صاحب المعالم : جمع العلم والزهد والنزاهة وكتم الفاقة وكان حافظا) ونظرا لعدم اشتهاره بعلم من العلوم فان المصادر لم تذكر تاريخ وفاته.

---

* ترجمته بالمعالم 3 / 156

① معالم الايمان 3 / 156

② " " " "

③ يقول المحقق : مفهومه ان مصارفه الدرهم في ذلك العصر ست عشرة خروبة وكذلك كان الريال عندنا العهد قريب - التعليق ص 156 - المعالم الجزء الثالث

هو ابو القاسم عبد الرحمن الحضرمي المعروف باللبيدي ينسب الى قرية لبيده (2) وهي احدى قرى الساحل .

تفقه بالقيروان على ابي محمد عبد الله بن ابي زيد ، وأخذ فيها عن ابي الحسن القابسي وكان عليه معوله و(3) كما سمع من علماء الرباطات وصالحيها كابي اسحاق الجبنياني وابي الحسن اللواتي وابي اسحاق والساحلي والصرشي . (4) .

وتخرج على يديه علماء كثيرون من القيروان والمهدية والاندلس كابي عبد الله بن سعدون ، وقد بعث به شيخه القابسي الى المهدية لتعليم ابنائها فكان له هناك تلاميذ كثيرون منها ومن غيرها (5) وقد طال عمره الى ان بلغ رئاسة مشيخة القيروان (6) .

وللبيدي تاليف كثيرة منها : كتاب في الفقه كبير ازيد من مائتي جزء كبار (7) في مسائل المدونة مضيفا اليهما نوادر ابن ابي زيد وموطأ مالك . (8) وله ايضا زيادات الامهات . وكتاب نوادر الروايات . كما له كتاب في مناقب ابي اسحاق الجبنياني . وله كتاب الملخص وهو عبارة عن مختصر للمدونة (9) .

وبالاضافة الى علمه فقد كان شاعرا من ذلك قوله (10)

انت العلي وانت الخالق البـــــارى   انت العليم بما تخفيه اســــــرارى

انت العليم بما في الخلق مـــــقدرة   في وسع عيش وفي بؤس واقتـــــار

وتوفي بالقيروان سنة اربعين واربعمائة وذلك لليلتين بقيتا من شوال ، سنه ثمانون سنة (11) وصلى عليه ابنه ابوبكر وحضر جنازته صاحب افريقية وجميع رجاله ودفن بداره ورثي بمراث كثيرة (12)

---

* - ترجمته في : المدارك 4/707-708 - المعالم 3/175 - الديباج 152 - الثريا عدد ديسمبر 1945 - ص 26

(1) يذهب الدباغ الى انه ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد المصري - المعالم 3/175 وترتيب المدارك يقول الحضرمي : 4/707 ويرجح [illegible] لقب المصري اعتمادا منه على شجرة النور الزكية

(2) قرية من قرى الساحل التونسي قديما ولا وجود لها الآن - المعالم 3/175 - تعليق

(3) المعالم 3/175

(4) ترتيب المدارك 4/707

(5) " " 4/707

(6) معالم الايمان 3/175

(7) المدارك 4/707

(8) معالم الايمان 3/175

(9) المدارك 4/707

(10) الديباج ص 152

(11) المدارك 4/708

(12) معالم الايمان 3/175

[illegible] بن [illegible] ـــــــــدى :

هو ابو بكر اسماعيل بن اسحاق بن عذرة الايدى .

سمع بافريقية من ابن ابي زيد وغيره (1)

ثم ارتحل الى المشرق فاخذ عن ابن مجاهد الطائي المتكلم وابي بكر الابهري وابي بكر محمد بن احمد البغدادى

وتفقه به حاتم الطرابلسي وابو مروان الطبني (2)

وقد اثنى عليه ابن ابي زيد (3) وهو الذى بعثه مع ابي علي بن خلدون الى بغداد لايصال كتاب مختصر المدونة الى الابهري وابن مجاهد الطائي فقد ورد في المدارك قوله (وان شابين من عندهم توجها من مكة للقاء الشيخ يعني ابن مجاهد ولقاء الابهري وهما محمد بن خلدون واسماعيل بن عذرة وبعث معهما المختصر صحيحا مقابلا (4) .

قال فيه عياض (فقيه فاضل زاهد قيرواني وقال ايضا وكان الغالب عليه الزهـــد والعبادة (5)

---

* ترجم له عياض في مداركه 4 /718 - 719

(1) ترتيب المدارك 4 /718

(2) " " 4 /719

(3) " " " "

(4) " " 4 /478

(5) " " 4 /478

طلبتــــــه الطــرابلسيــــــون

) -) -) -) -) -) -) -)

(1) ابـو الحســن المنمـــر (348هـ ـ 432 هـ)

هو ابو الحسن علي بن محمد المنمر الطرابلسي الغزي يذهب عياض الى القول بانه المعروف بالمنمر من اهل طرابلس (1)

تفقه بطرابلس على بكرون ثم ارتحل الى المشرق فسمع بمصر من محمد بن عبيد الوفاء وابي القاسم الجوهري وبمكة من ابن رزين (2)

ثم عاد الى بلده وارتحل منها الى القيروان بصحبة ابن الخطاب حيث سمع بالقيروان من ابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القابسي وغيرهما (3) وسترد قصتهما معه (4)

ويذكر التيجاني ان ابن المنمر هو الذي اعاد لاهل السنة اعتبارهم بطرابلس خلال واقعة المشارقة سنة 407 هـ حيث نكل بالشيعة واعاد الاذان السني الى سالف عهده واحيا سنه قيام رمضان وقد كلف ابا مسلم مؤمن بن فرج بذلك حيث اقامها بالجامع الاكبر لاول مرة كما اعاد سنة صلاة الضحى بعد ان منعتها الشيعة وفي شهر ربيع الاول سنة 430 هـ اطرده المستنصرين خزرون من طرابلس وصادر املاكه واضطهد عددا كبيرا من افراد اسرته فاستقر ابن المنمر بغانيمه (احدى قرى مقاطعة وسلاته) حيث توفي بعد سنتين .

---

1) ترتيب المدارك 4/ 713

2) ....

3) رحلة التيجاني ص 255 ـ 257 ، 1 ... 1

4) .... 250 ـ 251 ....

القاضـــــي الخشـــاب

هو ابو عبدالله الخشاب سمع وابن المنمر من ابي محمد عبدالله بن ابي زيد وغيره بالقيروان .

جاء في رحلة التيجاني قوله (خرجت مع ابن الحسن ابن المنمر من طرابلس لزيارة الفقيه ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم عنه فبينما نحن عنده يوما اذ تحدث ابو الحسن فقال اراد الشيخ ابو عثمان الحساني مرة الحج فاتفق مع جماعة من اخوانه اهل الدين والفضل وكنت معهم فخرجنا على الوحدة وقطعنا صدرا من الطريق واقمنا ثلاثا لم نطعم فاتي الشيخ ابو عثمان الى ربوة فمسح وجهها بيده فجعل يأخذ من ترابها ويجعله في اناء كان معه ثم ثراه بشيء من الماء وقرأ عليه وسمي وقال لنا سموا الله وكلوا قال فجعلنا ناكل ونطعم طعم السويق قال : فاطرق الشيخ ابو محمد بن ابي زيد ثم رفع رأسه وقال هذا داخل في الامكان لاسيما وقد ذكرتم انكم اقمتم ثلاثة ايام لم تطعموا وقرأ قوله تعالى (امن يجيب المضطر اذا دعاه) (1)

---

1) رحلة التيجاني ص 250 ـ 251 المطبعة الرسمية 1958

طبقة المغاربة

=_=_=_=_=_=_=_=_=

ابو مروان الكوري * (... 407/1016)

هو ابو مروان عبد الملك الكوري (1) ارتحل الى القيروان حيث تفقه بابي محمد عبدالله بن ابي زيد وعنه اخذ عثمان بن مالك وغيره من الفاسيين يقول عياض فيه (من فقهاء فاس ومعظمها بعدوة الاندلس فيها) (2) توفي سنة سبع والاربعمائة .

ابن العجوز السبتي *** (::: 413 هـ/ 1022 م)

هو ابو عبدالرحمان بن عبدالرحيم بن احمد الكتامي المعروف بابن العجوز السبتي (3) وينسب الى قبيلة كتامة ويعود الى اكبر افخاذها واشرفها هو فخذ اجان وكانت له ولابيه فيهم وفي المغرب رئاسة وقد رحل الى القيروان مع عبدالله بن غالب سنة 380 هـ حيث تفقه بابن ابي زيد وبقي عنده خمس سنوات اخذ عنه كتاب المختصر وكتاب النوادر والزيادات وهو اول من نشرهما بارض المغرب (4) كما سمع من دراس الفاسي وابي محمد الاصيلي (392 هـ) وغيرهم . وسمع منه جماعة من اهل سبتة وفاس وقلعة بني حماد منهم ابن المأموني وابن خلف الله وابن يعقوب الكتامي هؤلاء كلهم من سبتة وابن ابي سوار من قلعة بني حماد وكان له اخوة لم يبلغوا درجته في العلم وهما عبد الحميد وعبد الملك وكان له ابناء نجباء مثل عبدالعزيز وعبد الرحمان اللذان جازا الرئاسة بعده واما ابنه عبد الكريم فقد طلب العلم وكان اكثر حياته متيما في كتامة و قد طال عمره ومات مقتولا .

وتوفي ابو عبدالرحمن ابن العجوز سنة ثلاثة عشر واربعمائة (5)

---

* لقد قسم IDRIS.H.R. المغاربة الى قسمين اهل سبتة واهل فاس

** ترجم له المدارك م2 ج 4 ص 630

*** " " " الديباج ص 153

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 630

2) ....

3) الديباج ص 153

4) ....

5) ....

ابــــو محمـــــد الهمذانــــــي (: ... 1042/434)

هو ابو محمد عبدالله بن غالب بن تمام بن محمد الهمذاني اصله من تكور وسكن سبتة ويذكر اصحاب التراجم ان اباه غالب بن تمام كان له علم بالحساب والفرائض والفقه والوثائق وله في ذلك تأليف (1)

ابتدأ ابو محمد تعليمه بسبتة من ارض المغرب ثم ارتحل الى الاندلس حيث اخذ عن الزبيدي (376 هـ) والاصيلي (392هـ) ثم ارتحل الى القيروان من ابن العجوز سنة 330 هـ حيث سمع من ابن ابي زيد مؤلفاته ثم انتقل الى مصر فاخذ فيها عن ابن المهندس والوشا واخذ عنه جماعة منهم ائمة ابوعبدالله القاضي واسماعيل بن حمزة وابو محمد المسيلي والقاضي ابن جماع وشاوره ابن زوين في حياته ثم آليه صارت الشورى الى ان ما توحدث ان رفع رجل من اهل سبتة مسألة الى القيروان فقيل له بالقيروان : اليس ابن غالب حيا قال : نعم فقيل له ماينبغي لبلدك فيه مثله ان يرفع منه سؤال (2)

وبالاضافة الى تبحره في العلوم الشرعية كان شاعرا مجيدا قال فيه ابن فرحون (وكان متفننا في علوم جمة قائما بمذهب المالكية نظارا حافظا بليغا اديبا شاعرا مجيدا) (3)

وبقي هذه حاله الى ان توفاه ربه في شهر صفر سنة اربع وثلاثين واربعمائة ..

خلــــف بــــــن ناصـــــر :

ابـــن امدكنـــــوا السجلماســــــي

---

* ترجمته بـ : الديباج ص 139
1) الديباج ص 139
2) ....
3) ....

الطلبـــــــة الصقليـــــــون

ابـــــو بكـــــر الصقلـــــي

هو ابو بكر بن العباس (1) الصقلي تفقه بابن ابي زيد وابي الحسن القابسي ، واخذ عنه ابن يونس الصقلي (451 هـ) والسمنطارى وعنه ايضا اهل صقلية وغيرها (2) وذكر ابو بكر الصقلي الشيخ ابا محمد بن ابي زيد يوما في مجلسه فقال كان اعطاني ايام طلبي عليه بالقيروان جارية وان ولدي هذا منها واشار الى ولده (3)

قال عياض فيه (فقيه صقلية فاضل راوية في القرآن والفرائض وتفقه عليه في المدونه وكان اماما في علم الفرائض) (4) .

ابـــو الحســـن بـــن الحصائـــرى

هو ابو الحسن احمد بن عبد الرحمان الخلفي المعروف بابن الحصائرى القاضي الصقلي سمع من ابن ابي زيد القيرواني وابي الحسن بن بكرون وابن يزيد القروي (5) سمع منه عتيق السمنطارى وابن عبد الجبار الربعي الفرضي وابو بكر ابن يونس الصقلي (451 هـ) وقد سلمه مؤلفات ابن ابي زيد وخاصة النوادر والزيادات (7)

يقول فيه عياض : من اهل الفقه والفضل والدين والرواية اخذ عنه الناس وتفقهوا به) (8)

---

* ترجمته ب : ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 716 شجرة النور ص 98 ت 236
1) اما الدباغ فيقول : ابو بكر ابن ابي العباس الصقلي : المعالم ج 3 ص 113
2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 716
3) المعالم ج 3 ص 113
4) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 716

** ترجمته : بترتيب المدارك م2 ج 4 ص 715 شجرة النور ص 93
5) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 715
6) ....
7) DEUX Juristes Kairouanais P 153
8) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 715

الطلبـــــة الاندلسيـــــون

1) ابـوعبـد اللـه ابـن رادع (313 هـ ـ 374 هـ)

هوابوعبدالله محمد بن رادع (1) بن محمد الضرير القرطبي له رحلة سمع فيها من القاضي المرواني بالمدينة ومن الخزاعي بمكة ومن العجيمي بالبصرة (2) وابي بكرالابهري ببغداد واخذعنه كتبه ثم عاد الى الاندلس حيث كف بصره (3) فقرئ عليه بعض كتب الابهري وابن ابي زيد (4) ومن الذين أخذ عنه ابن الفرضي (403 م) حيث يقول (وكتبت عنه (5) وتوفى ابن رادع سنة ثلاث وسبعين (6) وقيل اربع وسبعين وثلاثمائة (7) وهوابن ستين سنة .

ترجمته بـ : تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 38 ـ 39 المدارك م 2 ج 4 ص 661

1) ابن الفرضي يسميه ابن وازع تاريخ العلماء والرواه للعلم ج 2 ص 38 ـ المدارك م 4 ص 661 يسمع ابن رادع

2) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 661

3) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 39

4) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 661

5) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 39

6) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 661

7) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 2 ص 39

2) ابـو القاســم الخولانـــي : (.... 374 هـ)

هو ابو القاسم خلف بن محمد بن خلف الخولاني القرطبي المعروف بالمكتب (1)
سمع من اسلم بن عبد العزيز واحمد بن خالد وابن ايمن وفي مكة من ابن الاعرابي وبالمدينة من المرواني وبالاسكندرية من ابن ابي مطر وابنه وبمصر من العلاف (2)
وفي القيروان من ابن اللباد ومن ابن ابي زيد القيرواني (3)
اخذ عنه ابن الفرضي وغيره يقول ابن الفرضي (وكان معلما وكان عسرا في الاسماع ممتنعا الا من يسيره نكر الخلق حرج الصدر وكانت عنده فوائد وكان يصبر على الاختلاف اليه وسمعت منه وكان ضعيف الكتاب الا انه كان شيخا صالحا) (4)
توفي يوم الجمعة للنصف في شهر ربيع الاول سنة اربع وسبعين وثلاث مائة ودفن يوم السبت ضحى بمقبرة ام سلمة وصلى عليه محمد بن يبقى (5)

---

* ترجمته بـ : تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 1 ص 162 ــ 163 ترجمة عدد 415
1) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس تحقيق السيد عزت العطار الحسيني ط القاهرة 1373 ــ 1954 ج 1 ص 162
2) .... ص 162
3) ....
4) .... 162 ــ 163
5) 163

3) صالـــــح بــــن عمــــر (.... 397 هـ)

هو ابو مروان صالح بن عمر بن محمد القرطبي (1)

سمع من ابن مفرج ثم ارتحل الى المشرق مع ابن عابد 331 هـ فحج ولقي بالقيروان ابن ابي زيد كان ابو مروان معتنيا بالعلم وروايته وكان حسن الخط جيد التقييد توفي في منسلخ ربيـــع الاول سنة 397 هـ.

---

1) الصلة المجلد الاول ص 231 ترجمة عدد 537

4) ابو المطرف ابن وثيق (341 هـ - 390 هـ/ 999م)

هو ابو المطرف بن محمد بن يحي بن صاعد بن وثيق قرطبي تفقه بها بابن الاحمر وابن عيسى وبابن الجزار وغيرهم (1)

ثم ارتحل الى القيروان فسمع من ابي محمد بن ابي زيد والقابسي وغيرهما (2) ولما عاد الى قرطبة قدم الى الشورى ايام القاضي ابن زرب ثم ولي قضاء شذونه ثم استعفى (3) قال ابن حيان كان من اهل العلم والفقه والديانة (4) قال ابن مغيث كان فقيها فاضلا دينا فهما حافظا كثير الاخلاق حسن الصحبة ذا أدب بارع وجاه باذخ كثير الصلاة والصدقة والبكاء والخشية (5) كتب اليه بعض اخوانه (6)

ايا عالما فاق الانام بعلمه ... واربى عليهم بالسنى والفضائل
فديتك هل يجري الطلاق لذاهل ... فرد فانت اليوم قطب المسائل

فاجابه رحمه الله

اذا كان ذا فهم وطلق زوجته ... فقد لزم التطليق ياخير سائل
فان كان معتوها ولاعقل عنده ... يقينا فلا طلاق لذ اهل

توفي سنة تسعين وثلاثمائة وهو كهل ابن تسع واربعين سنة (7)

---

* ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 653 - 659
1) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 659
(2 ....
....
(3
(4 ....
(5 ....
(6 ....
(7) ....

6) ابو عبد الله ابن العطار (... 399 هـ)

هو ابو عبدالله محمد بن احمد بن عبدالله المعروف بابن العطار القرطبي (1) .
كان عارفا بعلوم كثيرة، متقدما على غيره من الفقهاء بعمق معرفته لعلوم اللغة فلذلك كان يزرى باصحابه من الفقهاء ويعجب بما عنده ومما هيج عليه احقادهم عجبه بعلمه وشكاسة في خلقه مما دفعهم الى ان يتحالوا عليه فحملوا قاضي الجماعة ابن زرب (331 هـ) الى اسقاطه من مجلس شوراهم، فاصابه من ذلك مكروه عظيم ولما تبين لابن ابي عامر تحالي الفقهاء عليه وخاصة بعد موت ابن زرب تلاطف ابن العطار ابن ابي عامر فانتصح له وأمر القاضي ابن برطال فاعاده الى حاله من مجلس الشورى واستقل من نكبته فلزم القضاء (2) وبالاضافة الى تبحره في العلوم الشرعية فقد كان شاعرا مجيدا .

كتب اليه ابو بكر الزبيدي (3) (379 هـ)

يا عليما لكل علم علا ناظرا	فيه عن عيان خفي،
هل تجوز الصلاة خلف امام	الكن او يجوز خلف الخصي،

فاجابة بن العطار

لاتجوز الصلاة خلف امام	الكن بالقرآن جذم عيي
وتجوز الصلاة في الطب مالم	يتصل منه ذاك خلف الخصي،
تسأل الله ان يوفق للحق	بفعل ومنطق مرضي،

ومن نوادره حباءته اليه جارية شاطرة ناشزعن زوجها فقالت : يا فقية الحب اذ اسقط كيف نقال : الهم من الالم وفي التعليل شفاء الغليل (4)
وكان المنصور امير الاندلس يلتقي وابن العطار كل يوم ثلاثاء للمذاكرة فحضر ابن العطار في احد ايام الثلاثاء فوجد الامير مشغولا فكتب اليه (5)

يامن حكى يهديه لنا السلف	عبدك بالباب ماثلا يقف
كل ثلاثا يوم زورتـــــه	وهي العلا والفخار والشرف
يدعولك الله في البقـــاء	وفي التأييد والتصرف يتصرف

قال ابن حيان كان هذا الرجل متفننا في علوم الاسلام وثابتا في الفقه لانظير له حاذقا بالشروط واملي فيها كتابا عليه اهل زماننا وكان يفضل فقهاء وقته بمعرفته بالنحو واللسان فكان لايزال يزرى باصحابه المفتين ويعجب بما عنده الى ان تمالؤا عليه بالعداوة وحملوا قاضيهم ابن زرب على اسقاطه وقد استفسده بعد ان كان مقدما في اصحابه وهو الذي رقاه الى الشورى اول ولايته فجرى لـــه مع الفقهاء اخبار كثيرة (6) ويقال انه ارتحل الى المشرق سنه 383 هـ والتقى بابن ابي زيد وحاوره . وتوفى ابن العطار عقب ذي الحجة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (8)

ترجمته بـ : المدارك م2 ج 4 ص 650 ــ 656 الديباج 269 مخلوف عدد 254
الصلة II ص 459 ــ 460 ت 1043
1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 650
2) الديباج ص 269
3) ترتيب المدارك م2 ج 4 656
4) 655
5) 656
6) 650
7) الـ ـة II ص 459 ــ 460
8) الديباج 269 الترتيب ج 4 ص 656

6) ابو جعفر بن ميمون (...... 400 هـ)

هو ابو جعفر احمد بن محمد الاموى المعروف بابن ميمون من اهل طليطلة (1)

وهو صاحب ابي اسحاق بن الشنطير ونظيره في الجمع والاكثار والملازمة معا والسماع جميعا تفقه بعلماء بلده ورحل الى المشرق سنة 380 هـ مع صاحبه ابن اسحاق وسمع بالقيروان من ابن ابي زيد ومن ابن الدمقلي وغيرهما .

قيل فيه كان من اهل العلم والفهم ورواية الحديث حافظا لرأى مالك واصحابه وكان قد جمع كتبا كثيرة في كل فن كلها بخطه .
توفي يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان سنة 400 هـ .

---

7) ابو سعيد السبتي (.... 400 هـ)

هو ابو سعيد خلف بن علي بن ناصر البلوى السبتي (2)
ارتحل الى المشرق حيث لقي بالقيروان ابا محمد بن ابي زيد الفقيه وغيره سمع منه الطلمنكي وابو عبد الله الخولاني .
توفي سنة 400 في فتنة البرابرة وكان قد عزم على الفرار منها الى مكة .

---

1) الصلة المجلد الاول ص 25 ـ 28 ترجمة عدد 37
2) الصلة المجلد الاول ص 174 ـ 175 ترجمة عدد 404

8) ابن عبد الله التاجر : (ت حوالي ..... 400 / 1009)

هو احمد بن فتح بن عبدالله التاجر اندلسي رحل الى القيروان فسمع من ابي محمد عبد الله بن ابي زيد ، وسمع بمصر من علماء كثيرين كالكتاني وابن عتبة الرازي وابن حيوية النيسابوري وابن هامان وابي الفضل صالح بن عبدالصمد بن معروف الصواف وابن سليمان البزاز وغير هؤلاء (1)

ثم رجع الى الاندلس فروى عنه جماعة من اهلها كالفقيه ابي عمر بن عبد البر

توفي قريبا من سنة اربعمائة (2)

ترجمة ب : جذوة المقتبس ص 141

1) جذوة المقتبس 141

2) ....

9) ابـو عبـد الله ابـن عمـرون (..... 400 هـ)

هو ابو عبدالله محمد بن عمرون بن العاص من اهل قرطبة روى عن ابن مفرج ثم رحل وحج ودخل العراق وروى عن الابهري سنة 369 وابي الحسن الدار قطني وغيرهما اما بالقيروان فقد تفقه بابن ابي زيد

كان ابن عمرون موسرا وقد تولى خطة احباس قرطبة روى عنه ابن عابد وابن عبد البر قال ابن حيان توفي سنة اربع مائة.

---

1) الصلة ص 463 ت

10) ابو المطرف ابن فطيس (343 هـ - 402)

هو ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس من مشاهير علماء قرطبة وقضاتها (1) وكاتبه ابن ابي زيد من القيروان (2)
سمع ابن الاحمر وابا عيسى وتفقه بهما ، اخذ عنه حاتم الطرابلسي (3)
وقد غلب عليه الحديث اذ كان يلقيه من حفظه ومن تدريسه للحديث كان قد ولي المظالم والاحكام لابن ابي عامر المنصور كما ولي القضاء للمظفر عندما صرف ابن ذكوان (4)
قال ابو محمد ابن حزم (وكان قد ولي القضاء والمظالم بقرطبة وكان واحد زمانه في جمع الحديث وروايته ولم يكن يجتهد المستنصر اجمع منه ولا اعرف بما يجمع ولم يكن بالاندلس من يملي الحديث من حفظه على رسم اهل المشرق بسواه احد من ائمة السنن) (5)
قال ابن الحذاء (كان من ابناء الدنيا فلما ولي القضاء ترك زي الرزارة ولزم زيا اخضر زي الفقهاء وكان عدلا شديدا في احكامه عالما بالحديث والتقييد (6)
ذكر انه لما ولي القضاء دخل عليه ابن العطار مهنئا وكان ابن ذكوان عدوه : فقال الحمد لله الذي سلمهما كسرى والبسهما سراقة وصرفهما عن اهل الكفر والجهل وجعلهما في اهل العلم والفضل ونحو هذا من الكلام فلم يمض الامدة حتى سئل ابن العطار فقال : عدو عاقل خير من صديق احمق (7) ولما رضي المظفر على ابن ذكوان (   ) صرف ابن فطيس عن قضاء الجماعة .
وتوفي سنة اثنين واربعمائة ومولده سنة ثماني واربعين وثلاثمائة .

ترجمته بـ : ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 671 - 672 الصلة عدد 682 ص 298 - 300
مخلوف عدد 259 ص 102

1) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 671
2) الصلة المجلد الاول ص 300 ترجمة عدد 682
3) ....
4) ....
5) ....
6) .... 671 - 672
7) 672
8) .... 671 تعليق للدكتور بكير انظر الصلة ص 298 - 300 ع 682

11) ابــن غلبــون الخولانـــــي (330 ـ 403)

هو ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن عبدالله بن غلبون الخولاني من اهل قرطبة (1)

روى عن علماء كثيرين منهم مسلمة بن القاسم وابن هلال العطار وابن عون الله ثم ارتحل الى الشرق سنة 371 هـ فسمع من ابن ابي زيد وابن دحمون بالقيروان وكتب بخطه اكثر من الف ورقة عاد بعدها الى الاندلس في ذي الحجة سنة 372 هـ.

حدث عنه ابنه ابو عبدالله محمد بن عبد الله الى ان توفي في صدر شوال سنة 403 هـ اما مولده فكان في سنة 330 هـ.

12) ابــو مطــرف الصدفـــــي (327 ـ 403)

هو ابو مطرف عبد الرحمن بن عثمان الصدفي من اهل طليطلة روى عن اهل بلده كمسلمه ابن القاسم وابي العباس بن تميم.

ثم ارتحل الى المشرق سنة 381 هـ ولقي العلماء هناك واخذ عنهم، وبالقيروان لقي ابن ابي زيد وابن دحون.

كان ابو مطرف حافظا ثبتا له تواليف منها عشرة النساء، وكتاب المناسك، وكتاب الامراض مولده سنة 327 هـ ووفاته في ذي القعدة سنة 403 هـ.

---

1) الصلة المجلد الاول ص 251 ترجمة عدد 572

2) الصلة المجلد الاول ص 301 ترجمة عدد 633

(1) ابو الوليد ابن الفرضي ([illegible]هـ ـ 40[illegible] هـ)

هو ابو الوليد القاضي (1) عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (2) المعروف بابن الفرضي (3)

سمع ببلده من علماء كثيرين كابي زكريا يحي بن مالك بن عابد ومن ابن مفرج القاضي ومن ابن الخراز وابن ابي الديلم وغيرهم (4)

وتفقه بافريقية على ابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القابسي (5)

واخذ بمصر عن ابن اسماعيل المهندس وابن ضرار وبمكة على ابن الدخيل الصيدلاني المكي وابن الزجاج وغيرهم سمع منه ابنه ابو بكر مصعب وابو عمر بن عبد البر وابو محمد بن حزم (6) له اثار كثيرة منها تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس (7) وكتاب كبير في المؤتلف والمختلف (8)

وبالاضافة الى التدريس فقد ولى قضاء بلنسية (9) وهو الى جانب التدريس والقضاء كان شاعرا مجيدا واديبا فمن ذلك قصيدته التي بعث بها الى اهله من بلاد الغربة ابان دراسته (10

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة	وما خلتني ابقى اذا غبتم شهرا
ومالي حياء بعدكم استلذ ها	ولو كان هذا لم اكن في الهوى حرا
ولم يسألني طول التنائي هواكم	بل زادني وجدا وجدد لي ذكرى

وقد روى كتاب تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس عن مؤلفه تلميذه ابو عمر بن عبد البر (11) وبالاضافة الى ذلك فقد درس ابن الفرضي لطلبته رسالة ابن ابي زيد : قال ابن عبد البر واخبرنا عن ابن ابي زيد كرسالته وعن ابي الحسن القابسي بكتاب المنية لذوى الفطن عن غوائل الفتن) (12) . يقول فيه الحميدي : (كان حافظا متقنا عالما ذا حظ من الادب وافر) (13) قال فيه ابن فرحون (كان فقيها عالما بجمع فنون العلم (14) وقال ابن مروان بن حيان (وممن قتل يوم فتح قرطبة الفقيه العالم الاديب الفصيح ابن الفرضي قتله البربر في داره وواروه من غير غسل ولاكفن ولاصلاة ولم يرمثله في سعة الرواية بقرطبة كان حافظا للحديث متقنا لعلومه اديبا بارعا ولي قضاء بلنسية وكان حسن البلاغة والخط توفى سنة ثلاث واربعمائة عن اثنين وخمسين سنة) (15) يقول الحميدي في وفاته: ومات مقتولا في الفتنة ايام دخول البرابرة قرطبة سنة اربعمائة) (16) ويقول في موضع آخر من الترجمة (وتوفى في حدود الاربعمائة مقتولا مظلوما في تلك الفتن) (17) ويقال ان استشهاده في هذه الفتن هي استجابة لدعوه دعاها وهو متعلق باستار الكعبة (8)

---

* ترجمته ب : جذوة المقتبس ص254ـ256 مقدمة المحقق لكتاب تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج الاول ص4ـ6 الديباج ص143 الصلة ص246 ـ 250 ترجمة 571

1) جذوة المقتبس ص254
2) مقدمة تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 1 ص4
3) الديباج ص 143
4) جذوة المقتبس 254
5) 255
6) ....
7) حققه عزت العطار الحسيني في سلسلة تراث الاندلس القاهرة 1373ـ1954 هـ
8) جذوة المقتبس 255
9) الديباج ص 143
10) تاريخ العلماء والرواه للعلم بالاندلس ج 1 ص
11) ....
12) جذوة المقتبس ص 255ـ256
13) 254
14) الديباج ص 143
15) ....
16) جذوة المقتبس 255
17) ....
13) جذوة المقتبس 255 روى القصة كاملة والحـ[illegible] المروى فيها

14) ابو عبد الله بن الجالطي (336 هـ ـ 403هـ/1012م)

ابو عبدالله محمد بن قاسم بن محمد القراء المعروف بابن الجالطي (1)
سمع بالاندلس الفرضي وابن الاحمر وطبقته بقرطبة ثم ارتحل الى الشرق مصاحبا في رحلته ابن الحذاء (2) وكان ذلك في سنة 370 هـ (3) حيث اخذ مثل غيره عن ابن ابي زيد ومدح شيخه ابن ابي زيد بكتاب رد الزبيدي عن ابن مسرة المارق ((4) ثم عاد الى الاندلس حيث ولي بقرطبة الحكم بالشرطة والصلاة والخطابة بالزهراء مدينة السلطان وقد قدم الى الشورى ايام المظفر. قال ابن الحصار كان ممن عني بالعلم وشهر بالفهم وكان نظارا معدودا في الحذاق (5)
سمع منه ابو عمر بن عبد البر وابن الحصار وغيرهما (6)
قال ابن حيان كان محمود الطريقة في حكمه رفيع المنزلة في علمه قتله البرابرة يوم دخولهم قرطبة في شوال سنة ثلاث واربعمائة حيث بقي مطروحا ثلاثة ايام الى ان اصطلح الناس فووري وفعل به ما يفعل بالشهداء (7) وكان مولده سنة 336 هـ
قال فيه صاحب الصلة : وكان حافظا للفقه ذاكرا للاخبار والشواهد بصيرا بالعقود والوثائق وكان حليما اديبا ظريفا ولي الشورى سنة 395 هـ وتقلد الصلاة بالمسجد الجامع بالزهراء (8)

---

* ترجم له المدارك ج 4 ص 633 الصلة II ص 465 ترجمة 1060
1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 633 الصلة II ص 465 ت 1060
2) ....
3) الصلة II ص 465
4) ....
5) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 633
6) 634
7) ....
3) الصلة II ص 466

15) ابـــو بكـــــــر الحنتمـــــــي، (345 هـ ـ 404 هـ)

هو ابو بكر وسيم بن احمد الاموي المعروف بالحنتمي من اهل قرطبة (1)
تفقه ببلده على الانطاكي ثم ارتحل فسمع بالقيروان من ابن ابي زيد وتوفى سنة 404هـ بقرطبة
مولده سنة 345 هـ حدث عنه ابن عبد البر والخولاني وغيرهما .

1) الصلة المجلد الثاني ص 610 ترجمة عدد 1415

16) ابـــو بكــر ابـــن وافـــد (..... 404هـ / 1013م)

ابو بكر يحي بن عبد الرحمان بن وافد اللخمي اليحصبي القرطبي قاضي القضاة

سمع بقرطبة من ابي عيسى وغيره من علماء قرطبة ثم ارتحل الى المشرق ولقي بالقيروان ابا محمد بن ابي زيد وصاحبه في رحلته للحج فناظره واعجب ابو محمد لحفظه ومعرفته (1) وبعد عودته الى الاندلس ولي القضاء والخطابة عندما صرف ابن ذكوان عن القضاء في الفتنة البربرية حيث لقب ابن وافد بقاضي القضاة (2) وكان ابن وافد من اشد علماء قرطبة على البرابرة وخليفتهم المستعين سليمان ولما تغلب المستعين سليمان على قرطبة وخلع اميرها هشام المؤيد طلب ابن وافد فاستخفى وجد في طلبه الى ان عثر عليه مستخفيا عند امرأة فاخذ مكشوف الراس مهانا ومنادي البرابرة ينادي عليه (هذا قاضي النصارى مسبب الفتنة وقائد الضلالة ..وكان ابن وافد يجيبه : كذبت يفيك الحجر بل والله ولي المؤمنين وعدو الملحدين فاتنتم والله شر مكانا والله اعلم بما تصفون) (3) وكان سليمان بن الحكم ان يقتل به لولا تدخل فقهاء الاندلس ونساكها فحكم عليه بالسجن (4) ومات بسجنه في منتصف ذي الحجة سنة اربع واربعمائة (5)

وكان ابن وافد شاعرا مجيدا من ذلك انه اهدى الزبيدي في طبق وردا كثيرا وكتب معه اليه (6)

اهديك شبهك منظرا	في العالمين ومخبرا
فتقبلن بدر الذي	يرجو رضاك وذا مرا

فاجابه الزبيدي

قد اتانا منك ماجانس	اخلاقك نوحـــــا
عبق الورد الذي اهديت	الى الارواح روحا
فانا دهري عليه اعتني	بالشكر مدحــــا
لم تزل في الحلم يا يحي	على الاطواد دوحا

قال فيه ابن حيان : كان احد من حاز كمال القضاء بالاندلس علما وهديا ورجاحة ودينا وجامعا لخلال الفضل تقلد الشورى بعهد العامرية فكان مبرزا في اهلها وتقلد الصلاة بالزهراء مدة الى ان استعفاها) (7)

---

* ترجمته ب : ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 663_671 الصلة 457 II ص 627

1) الصلة II ص 627 ترجمة 1457

2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 663

3) .... ص 663

4) 670

5) ....

6) 663

7) 663

17) ابـو بكـــر الحصـــار (.... 406 هـ)

هو ابو بكر محمد بن موهب التجيبي الحصار المعروف بالقبري (1) وهو والد الحاكم ابي شاكر عبد الواحد بن محمد وجد ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي لأمه (2) تفقه بالاندلس على ابن ثابت وابن قطن وابن هلال وابي محمد الباجي (3) ثم ارتحل الى القيروان فصحب ابا محمد عبدالله بن ابي زيد واختص به وحمل عنه تواليفه وغير ذلك (4) كما سمع من ابي الحسن القابسي (5) كما اخذ عن غيرهما من القيروانيين . ثم عاد الى الاندلس في الأيام الدولة العامرية (6) حيث تخرج عليه علماء كثيرون منهم ابو بكر بن الغراف واسماعيل بن حمزه السبتي الذي سلمه الحصار القبري كتبه وكتب شيخه ابي محمد بن ابي زيد (7) وكان القاضي ابن ذكوان يقدمه على فقهاء وقته وعلى نفسه ويرغب دعاءه وكان الاصيلي يعرف حقه ويثني عليه (7 مكرر) وقد غلب على اختصاصه علم الكلام والجدل دفاعا على مذهب اهل السنة، وكان من الذين ينكرون الغلو في الاعتقاد في كرامات الاولياء مثل شيخه ابي محمد بن ابي زيد (8) ولعله كان حاضرا لما حدث فيها من جدل بين ابي زيد وغيره من علماء القيروان وكان يقول بصحة نبوءة مريم وباستحالة بقاء الخضر عليه السلام ابد الآبدين وهي اراء شيخه ابن ابي زيد (9) الا ان هذه الاراء الجديدة لم تجد هوى في نفوس فقهاء الاندلس فحركوا العوام عليه ولم يكن الى جانبه من العلماء سوى الاصيلي وابن ذكوان يقول عياض وكان الاصيلي وابن ذكوان في طائفة من نحارير العلماء في حزب القبري وجماعة الفقهاء والمحدثين في الحزب الاخر) (10) وقد ادى هذا الانقسام الى وقوع فتنة بين الطائفتين وخاصة عند موت ابن عون الله تداركها ابن ابي عامر فسير جماعة من الطائفتين عن الاندلس الى العدوة فيهم ابو بكر القبري وطائفة من مدارسيه (11) وهما يذكران اباعمر الطلمنكي (12) كان في الطائفة المخالفة للقبري مثل ما كان معارضا في هذا الموضوع لابن ابي زيد الذي هو احد شيوخه (13) فخرج القبري الى العدوة ودرس بسبتة كتب ابن ابي زيد ثم رجع (14) الى الاندلس خفية حيث توسط له الاصيلي لدى ابن ابي عامر الذي عفا عنه ولزم قرطبة ممسكا لسانه بقية دولتهم (14) قال ابن حسان : كان شديد الورع والزهد مجتنبا للسلطان اشترى يوما تينا فلما عده عليه بائعه اقبل بشي عليه ان يضرب في ناعورة السلطان فترك التين عنده ورد اليه ثمنه وقال لبائعه امسكه الى ان اقضي حاجة فان ابطأت عليك فتصدق به رضى لسبيله) (15) وله في العقائد تواليف كثيرة مفيدة كما له شرح على رسالة شيخه ابن ابي زيد القيرواني (16) وتوفي سنة ست واربعمائة للهجرة (17)

---

* ترجمته بـ: جذوة المقتبس الحميدي (488هـ) ص92 ت146 ترتيب المدارك م2 ج4 ص674-676 الديباج ص271 الحلة III ص171 ترجمة عدد 1072

1) ترتيب المدارك م2 ج4 ص674
2) جذوة المقتبس ص92
3) ترتيب المدارك م2 ج4 ص675
4) ....
5) جذوة المقتبس ص92
6) ....
7) ترتيب المدارك م2 ج4 ص675
7مكرر) ترتيب المدارك م2 ج4 ص675
8) 676
9) 495-496
10) 675
11) ترتيب المدارك م2 ج4 ص676
12) ....
13) 495
14) الديباج ص271
14) ترتيب المدارك م2 ج4 ص676
15) ....
16) ....
17) الديباج 231 والمدارك ج4 ص676

13) ابـــن بـــرد الانصـــاري (327 هـ ـ 406 هـ)

هو ابو القاسم سلمه بن سعيد بن سلمة ابن برد الانصاري من اهل استجة (1)
ارتحل الى الشرق واقام هناك 23 سنة لقي اثناءها العلماء كابن شعبان والدار قطني ولقي بالقيروان ابن مسرور الدباغ وابن ابي زيد .
قال فيه الخولاني كان حافظا للحديث يملي من صدره يشبه المتقدمين من المحدثين
حدث عنه ابن عبد البر وابن شنظير
مولده سنة 327هـ ووفاته سنة 406هـ

---

1) الصلة المجلد الاول ص 219 ـ 220 ترجمة 512

19) ابـــن عائـــذ (..... 403 هـ)

هو احمد بن يحي بن مالك بن عائذ من اهل طرطوشة (1)
ارتحل الى المشرق صحبة ابن القوطي حيث اخذ عن ابن ابي زيد
توفي سنة 403 هـ.

---

1) التكملة I ص 17 ــ 18 ترجمة عدد 34

20) ابـــو القاســـم المقـــرى (......بعد 408 هـ)

هو ابو القاسم خلف المقرئ مولى جعفر الفتى من ساكني طلبيرة ((1) له رحلة الى المشرق وسمع فيها من علماء كثيرين منهم ابي محمد بن ابي زيد ولازمه ستين عديدة، ودامت رحلته الى المشرق 17 سنة طاف فيها كل الحواضر العلمية بالمشرق
وذكر ابو بكر المصحفي انه اخذ عنه سنة 408 هـ.

---

1) الصلة المجلد الاول ص 163 ترجمة عدد 373

21) ابن السعدي (٠٠٠ 410هـ/ 1019م)

هو ابو عمر احمد بن محمد السعدي اندلسي اشبيلي (1) ارتحل الى المشرق قبل الاربعمائة (2) حيث لقي ابا محمد بن ابي زيد بالقيروان ولازم ابا بكر الابهري ببغداد وسمع من غيرهما كالحمادي والجوهري وابن الوفاء والتمار والباقلاني (3) وفي سنة 381هـ (4) التقى به الحميدي بالقاهرة والراجح ان له رحلتين الى المشرق (5) ثم استقر بالمهدية وتخرج على يديه تلاميذ كثيرون منهم حاتم الطائي الطرابلسي وابو محمد بن الوليد وابو القاسم بن محرز (6) يقول عياض (ونزل المهدية وعليه دار الفتيا وكان فقيها صالحا) (7) وهذا الاستقرار بالمهدية انما كان بعد عودته ثانية من المشرق.

اما في عودته الاولى من المشرق فيذكر انه اجتمع بابي محمد بن ابي زيد حيث روى لشيخه مشاهده في حلقات الكلام ببغداد يقول الحميدي (سمعت ابا عبدالله بن الغني بن عبدالله الولي الانصاري يقول: سمعت ابا محمد عبد الله بن ابي زيد يسأل ابا عمر احمد بن محمد بن سعدي المالكي عند وصوله الى القيروان من ديار المشرق وكان ابو عمر دخل بغداد في حياة ابي بكر محمد بن عبدالله بن صالح الابهري فقال له يوما هل حضرت مجالس اهل الكلام ؟ فقال بل حضرتهم مرتين ثم تركت مجالسهم: ولم اعد اليها فقال له ابو محمد ولم ؟ فقال: اما اول مجلس حضرته فرأيت جليسا قد جمع الفرق كلها المسلمين من اهل السنة والبدعة والكفار من المجوس والدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر اجناس الكفر ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه ويجادل عنه فاذا جاء رئيس من اي فرقة كان قامت الجماعة اليه قياما على اقدامهم حتى يجلس فيجلسون بجلوسه فاذا غص المجلس باهله ورأوا انه

---

* ترجم له: جذوة المقتبس ج 2 ص 109 ــ 110 ترتيب المدارك ج 4 ص 624 الهادي ادريس ص 159 ــ 160 الصلة I ص 39 ترجمة 67 تحقيق السيد عزت العطار ط 1374 ــ 1955

1) ترتيب المدارك ج 4 ص 622
2) جذوة المقتبس ج 2 ص 109
3) ترتيب المدارك ج 4 ص 622
4) الهادي ادريس ص 159
5) جذوة المقتبس ج 2 ص 110
6) ترتيب المدارك ج 4 ص 622
7) ....

لم يبق لهم احد يناظرونه قال قائل من الكفار قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم فانا لانصدق بذلك ولانقر به وانما نتناظر بحجج العقل ومايحتمله النظر والقياس فيقولون نعم لك ذلك قال ابو عمر : فلما سمعت ذلك لم اعد الى ذلك المجلس ثم قيل لي ثم مجلس آخر للكلام فذهبت اليه فوجدتهم مثل سيرة اصحابهم سواء فقطعت مجالس اهل الكلام فلم اعد اليها فقال ابو محمد بن ابي زيد ورضي المسلمون بهذا من الفعل والقول قال ابو عمر هذا الذي شاهدته منهم فجعل ابو محمد يتعجب من ذلك وقال : ذهب العلماء وذهبت حرمة الاسلام وحقوقه وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين وبين الكفار ؟ وهذا لايجوز ان يفعل لاهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالاسلام وبمحمد عليه السلام وانما يدعي من كان على بدعة من منتحلي الاسلام الى الرجوع الى السنة والجماعة فان رجع قبل منه وان ابى ضربت عنقه اما الكفار فانما يدعون الى الاسلام فان قبلوا كف عنهم وان ابوا وبذلوا الجزية في موضع يجوز قبولها كف عنهم وقبل منهم واما ان يناظروا على ان لايحتج عليهم بكتابنا ولابنبينا فهذ لايجوز " فان لله وانا اليه راجعون " .

وبقي ابو عمر بن سعدي بعد الاربعمائة بمدة فحدثنا عنه ابو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان العمري وقد رأيت انا سماعه في بعض الكتب المصرية من ابي محمد عبدالرحمان بن عمر بن النحاس المصري سنة تسع واربعمائة بخط ابي محمد النحاس فدل على انه عاد الى مصر بعد تلك الرحلة القديمة ايام الفتن الدائنة بالمغرب (1) .

---

1) جذوة المقتبس ج 2 ص 109 ـ 110

ثم انه من هذا النص المأخوذ من كتاب جذوة المقتبس علمنا تتلمذ السعدي على ابن ابي زيد (1) كما لمسنا مدى تألم محمد على مايقع في مجالس الكلام من مروق على الدين ومن تحد لتعليمه (2) ولئن اشار عيا الى استقرار ابن سعدي بالمهدية كمدرس وفقيه فان صاحب الصلة يورد مايلي : حدث عنه الصاحبان وابوعمر الطلمنكي وابو محمد بن الوليد وابو عبد الله ابن عابد وقال لقيته بمصر سنة 381 منصرفا من العراق وكتب الي باجازة ماروا في المهدية سنة 410هـ" واما ابو القاسم حاتم بن محمد فقال لقيته بالمهدية وكان قد استوطنها وكان امرها يدور عليه في الفتوى حياته وفارقته حيا توفي بعد ذلك بالمهدية " قال الطبني اراني ابو بكر احمد بن محمد القرشي الزاهد قبر ابن سعدي بمقبرة المنستير (3)

---

1) جذوة المقتبس ج 2 ص 109

2) 110

3) الصلة المجلد الاول ص 39 ترجمة عدد 67

22) الحسين العتقي (..... 412 هـ)

هو الحسين بن اسماعيل بن الفضل العتقي من اهل مرسية (1)

له رحلة الى المشرق لقي فيها ابن ابي زيد وغيره

وكان عالما بالاخبار والاعراب والاشعار توفي سنة 412 هـ

1) الصلة المجلد الاول ص 140 ترجمة عدد 323

23) ابو المطرف القنازعي (341 ... 413هـ / 1022)

هو ابو مطرف عبد الرحمن بن مروان (1) بن عبد الرحمان الانصاري تفقه بالاندلس بالاصيلي وابن الكوي وغيرهما وسمع الحديث بها من ابن ابي عيسى والقلعي وابن عون الله وغيرهم وحج سنة 367 وسمع بمصر من المطرزي وابي الحسن بن شعبان وابن المؤمل وابي محمد القاسي وأجازه ابن رشيق كما التقى بالقيروان بابن ابي زيد واخذ عنه سماعا واجاز له جملة تواليفه وكان يقول : انه دخل مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط وفيه من مجالس المالكية في الفقه والحديث نحو عشرين حلقة) (3) ثم عاد الى الاندلس فاجبر نفسه اضطرارا في الامامة والتعليم على حد التحري وتسرح في ايام الخمسة والجمعات الى الاسماع والتفقه) (4) حيث سمع منه ابن عتاب وابن عبد البر وابن الطابني وعبد الرحمن القلعي والطرابلسي وغيرهم (5) من آثاره كتاب الشروط على مذهب مالك بن انس قال الحميدي اخبرنا به ابو شاكر أحمد بن حمدون القيسي (6) وله اختصار كتاب ابن سلام في تفسير القرآن (7) وكتاب اختصار وثائق ابن الهندي (8)

وقال ابن عتاب فيه كان خيرا فاضلا تقدمه القاضي ابن بشر الى الشورى فلم يلتفت الى ذلك واستحضره للشهادة فابى قال فيه ابن حيان : الفقيه المقرئ الراوية الحافظ الزاهد المخبت الورع المتقشف الفاضل العالم احد من شاهد فيه خلال الصلاح جنادية وعظمت به المنفعة ظاهرة باطنة وسلك سبيل السلف المتقدمين من هذه الامة في الزهد الدنيا والبعد عن الامراء والقناعة باليسر والحرص على التعليم والرضى عن الله والتذكير لبلائه وكان ممن امتحن بالبرابرة في الفتنة ايام ظهورهم على قرطبة محنة اودت بحاله وقرحت خاطره فراه طيف خيال خفية يغشاه ولا يؤذيه مما اضطره الى مزاجرة نفسه في الامامة والتعليم على حد التحري وتسرح في ايام الخمسة والجمعات الى الاسماع والتفقه) (9) ويقول عياض : وكان له حظ من علم العربية يشتغل به) (10)

مولده سنة احدى واربعين وثلاثمائة وتوفي في رجب سنة ثلاث عشرة واربعمائة (11)

---

* ترجمته ب : جذوة المقتبس 278 — 279 وترتيب المدارك م2 ج 4 ص 725 — 728 الديباج 152 الصلة I ترجمة 694 ص 309 — 311

1) بن مروان بالجذوة 273 وبالديباج 152 الترتيب يحيى بن هارون ص 726

2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 726 — 727 الصلة I ص 310

3) 727

4) ....

5) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 728

6) جذوة المقتبس ص 279

7) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 728

8) الديباج ص 152

9) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 727 — 728

10) 728

11) .... الديباج ص 152

24) ابو محمد ابن بنوش التميمي (330 هـ - 415 هـ)

ابو محمد عبدالله بن محمد بن ربيع بن بنوش التميمي من اهل قرطبة (1)

سمع من فقهاء بلده ثم ارتحل الى المشرق سنة 331 هـ مع ابن عابد فسمع من الاجله في بلدانه وبالقيروان من ابن ابي زيد

حدث عنه ابن عتاب وابن حزم والطبني وغيرهم

ولد في نصف شعبان سنة 330 هـ وتوفى يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة 415 هـ.

---

1) الصلة المجلد الاول ص 253 - 255 ترجمة عدد 530

25) ابو عبد الله ابن الحذاء (347 ـ 416)

هو ابو عبد الله محمد بن يحي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي هكذا نسبهم والحذاء بالذال المعجمة وحكى ابن عفيف انهم يأبون ذلك ويقولون هو بدال مهملة من حذا الابل وان جدهم الذي ينسبون اليه هو حادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ولكن لما سكن اولنا في ربض الحذائين بقرطبة تصحف الناس نسبنا لقرب الحرفيين. ينسبون الى بني امية وكان جدهم داود اميرا يوم مرج راهط فكان صدرا في موالي بني امية وهو الداخل الى الاندلس من الشام وكان بنوه ذوي وجاهة في اعمال السلطان بالاندلس من التقديم على مهم الاعمال والتصريف في الامور الجليلة (1) تلك هي عائلة ابن الحذاء التميمي (2) عائلة عريقة في مجدها واصيله في ارومتها ولاشك ان هذا المجد وهذه الاصالة سيكون لهما تأثير على نفسية هذا الطفل .

وقد بدأ يطلب العلم على القاضي ابن زرب (361 هـ) وكان عمره اربعة عشر سنة وكذلك جلس الى غيره من شيوخ الاندلس كابن برطال وابن سليم وابن ابي الدليم والانطاكي والزبيدي وابن عابد وغيرهم ثم ارتحل 372 هـ فلقي بالقيروان نفسه ابن ابي زيد واخذ عنه كتبه واجازها له (3) ولقي بمصر جماعة منهم الجوهري والذهلي الكبير وابن المهندس والادفوي ثم حج فسمع من ابي اسحاق الدينوري حتى قيل ان عدد شيوخه بلغ الستين ثم عاد الى الاندلس حيث لازم الاصيلي (392 هـ) (4) واخذ عنه علماء كثيرون منهم : الطرابلسي وابن الحمار القبري (456 هـ) (5)

وقد ولاه امير الاندلس خطة الوثائق والشورى والقضاء في اماكن متعددة من ارض الاندلس كاشبيلية وبجاية وقضاء تطيله ايام فتنة البربر ثم استوطن سرقسطه الى ان توفي (6)

له تآليف كثيرة منها : كتاب الاستنباط لمعاني السنن والاحكام وهو شرح لاحاديث الموطأ في ثمانين جزءا وكتاب التعريف برجال الموطأ اربعة اسفار (7)

---

* ترجمته ب : ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 733 ـ 734 الديباج ص 272 ـ 273 جذوة المقتبس ص 99 ت 946 الصلة II ص 473 ـ 430 ت 1103

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 733

2) الديباج ص 272

3) الصلة II ت 1103

4) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 733 ـ 734

5) 734

6) .... 734 الديباج 272 ـ 273

7) 734

وكتاب البشرى في عبارة الرؤيا وهو شرح لكتاب الكرماني خمسة عشر جزءا (1)
وكتاب الانباء على اسماء الله تعالى وكتاب خطب الخطباء في سفرين (2)
قال فيه ابن عفيف (كان ابو عبدالله هذا فقيها عالما حافظا متفننا في الادب حافظا للرأي مميزا للحديث ورجاله بصيرا بالوثائق مرسلا بليغا وكان خطيبا مجيدا ومعبرا من ابصر الناس بذلك له فيها نوادر مشهورة محسنا حسن المشاركة للناس ثم قال وغلب عليه الحديث فبفر في علوم اهل زمانه وكان ابن زرب قد استخصه من صغره وهو ابن اربعة عشر عاما وتفقه عندة ولقي غيره من شيوخ الاندلس رحمهم الله) (3) قال عياض : مولده سنة سبع واربعين وثلاثمائة في المحرم وتوفي سنة عشرة وقال ابنه ست عشرة واربعمائة وهو ابن سبعين سنة) (4)
وقال فيه الخولاني ابو عبدالله (كان من اهل العناية بالعلم متقدما في الفهم والنبل وكان من النقاد يشبه المتقدمين في حذقهم وسيرهم ...) (5)

---

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 734 .
2) الديباج ج ص 273
3) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 733
4) 744
5) ....

26) **ابن مورقاط الغافقي** (345 هـ - 413 هـ)

هو ابو عبد الملك مروان بن سليمان بن مورقاط الغافقي من اهل اشبيلية (1)
تفقه بشيوخ بلده كابيه وابي محمد الباجي : ودخل افريقية تاجرا فادرك ابن ابي زيد
ونظرائه وروى عنهم .
توفي في شهر رمضان سنة 413 هـ وكان مولده سنة 345 هـ
كان من اهل الفضل مع صدق في الرواية

---

1) الصلة المجلد الثاني ص 531 ترجمة عدد 1347

27) **ابو بكر الرحوي** (ت بـ ... 420 هـ)

ابو بكر خلف بن احمد بن خلف الرحوي الفقيه الطليطلي اخذ عن ابي محمد بن ابي زيد بالقيروان وحدث عنه بكتبه (1)

وسمع منه ابو الوليد الباجي وابو القاسم الطرابلسي وابو محمد الشارني وابو جعفر بن مغيث كما تفقه عنه عامة اهل طليطلة (2)

وحكى عنه تلميذه ابن مغيث انه كان يرى بالرأي (3) توفي بعد سنة عشرين واربعمائة (4)

28) **ابو محمد ابن الرحوي**

هو ابو محمد بن الرحوي احد عظماء طليطلة له رحلة تفقه فيها على ابي محمد بن ابي زيد القيرواني وروى عنه كتبه (5) سمع منه ابو الوليد الباجي واعمر بن المغيث (6)

يمكن ان يكون ولدا للسابق .

---

* ترجمته بـ ترتيب المدارك م2ج 4ص 761 الديباج ص 113 الدانة يسميه الرهوني الصلة I ص 164 ـ 165 ت 378

1) ترتيب المدارك م2ج 4 ص 760 الصلة I ت 378

2) الديباج ص 113

3) 760

4) تعليق للدكتور يكسر بها لصوحة ص 730 من المدارك ج 4 نقله عن الصلة

* ترجمته بالترتيب م2 ج 4 ص 733

5) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 733

6) ....

29) خلف بن عيسى (.... 421 هـ / 1030)

ابو الحزم خلف بن عيسى بن سعيد الخير المعروف بابن ابي درهم القاضي من اهل وشقة وقاضيها (1) محدث له رحلة (2) بدأها سنة 370هـ لقي فيها ابن ابي زيد وغيره سمع بالاندلس من ابي عيسى بن ابي عيسى بن يحي وابن عبد العزيز (3) وابن الابار وابن مطار (4) وبمصر من ابي محمد الحسن بن رشيق وطائفته (5)

اخذ عنه ابن شنظون الكاتب (7) وابن الحذاء وابنه ابي (3)

قال ابن الحذاء كان فاضل تلك الجهة وعاقلها (9) وقال الباجي فيه وفي ابنه ابن الحزم لا بأس بهما (10) توفي في رمضان سنة 421هـ وكان مولده سنة 336هـ (11)

* ترجمته : جذوة المقتبس ص 207 ـ 203 ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 690 الصلة I ص 163ـ 164 ترجمة 376

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 690
2) جذوة المقتبس ص 207
3) الصلة I ص 164
4) جذوة المقتبس 207
5) ترتيب المدارك م ج 4 ص 690
6) جذوة للمقتبس 203
7) ....
3) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 690
9) ....
10) ....
11) الصلة I ص 164 ت 376

30) ابـــو الحكـــم الكنانـــــــي (340 ـ 423)

هو ابو الحكم منذر بن منذر الكناني من اهل مدينة الفرج (1)

تفقه باهل بلده كابن مصلح وابن موسى والمديوني وغيرهم ثم رحل الى المشرق فلقي بالقيروان ابن ابي زيد وابي الحسن القابسي واخذ عنهما .

كان رجلا صالحا قديم الطلب كثير الكتب راويا لها موثقا فيها .

توفي سنة ثلاث وعشرين واربع مائة وكان مولده اربعين وثلاث مائة .

---

1) الصلة المجلد الثاني ص 590 ترجمة عدد 1373

31) ابـو محمـد الصدفـي (424هـ)

هو ابو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الصدفي وهو ولد المترجم له تحت عدد (٨٧)
سمع مع ابيه من نفر الشيوخ ثم ارتحل الى الشرق سنة 391 هـ وبالقيروان سمع من ابن
دحمون وابن ابي زيد الذي اسمعه تآليفه واجاز له سائرها كان ثبتا ورعا وكان الغالب عليه
التقييد والرواية وقراءة الاثار والعمل بها . وكان قد التزم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
له في ذلك كتاب الامر والنهي ، توفى سنة 424 هـ .

---

1) الصلة المجلد الاول ص 257 – 253 ترجمة عدد 585

32) ابـوعمـرابـن الحجـال (363 هـ ـ 428 هـ)

هو ابو عمر احمد بن سعيد بن علي الانصاري القناطري (1)

سمع اولا بقرطبة ثم ارتحل الى الشرق فلقى ابا محمد ابن ابي زيد والداودي واكثر من الرواية عنهما وكان كثير الانقباض توفى باشبيلية سنة ثمان وعشرين واربع مائة ومولـــده في حدود 363 هـ.

---

1) الصلة المجلد الاول ص 47 ترجمة عدد 33

33) ابو عمر الطلمنكي (340هـ - 429هـ/ 1037م)

هو ابو عمر احمد بن محمد بن عبدالله المقرى الطلمنكي (1) ابن ابي عيسى - واسمه لب - ابن يحي بن محمد بن قزلمان المعافرى اصله من طلمنكه بثغر الاندلس الشرقي (2) وطلمنكه بفتح الطاء واللام والميم وسكون النون وفتح الكاف وهاء ساكنة (3) سمع بالاندلس ابن مفرج القاضي وبن عون الله وابن ناصر السبتي وابن زرب والانطاكي والزبيدى وغيرهم ثم ارتحل الى المشرق فسمع بالقيروان من ابن ابي زيد وطبقته (4) وبمصر والحجاز من ابن غلبون والادفوى وابن ابي غالب وابن سجر وابن المهندس وابن عراك وغيرهم (5)

روى عنه ابو محمد بن حزم وابو عمر بن عبد البر (6) وحاتم الطرابلسي وابن عتاب وابن مرابط وابن فورين والمونشي وابن الخراز (7) سكن قرطبة ودرس بها ثم سكن المدية ثم مرسية ثم سرقسطة ثم رجع الى بلده طلمنكه فبقي بها الى ان مات (8) وقد غلبت عليه علوم القران والحديث (9) وكان من الذين انكروا على ابن ابي زيد موقفه المتمثل في رفضه الغلو في الاعتقاد في كرامات الاولياء اذ ورد قوله عقب انتهاء هذه القضية (كانت تلك من ابي محمد نادرة لها اسباب اوجبها التناظر الذى يقع بين العلماء) (10) وقد وقف نفس الموقف المعارض من القبرى عندما قال مثل قول شيخه ابن ابي زيد في كرامات الاولياء بحيث كان الطلمنكي في صف الفقهاء والمحدثين الذى شنعوا على القبرى موقفه المعلن والرافض الاغراق في الاعتقاد في كرامات الاولياء في حين كان الاصيلي وابن ذكوان القاضي مع القبرى كما سبق ان عرفنا ذلك (11) وما دمنا في مجال العقائد فقد الف ردا على ابن مسرة المارق (12) مقتفيا اثر شيخه ابن ابي زيد (13) والزبيدى من قبله (14) (379هـ) ويقال ان ابا الحجاج الطلمنكي هو الذى امد شيخه ابي ابي زيد بكتاب الزبيدى في هذا الموضوع (15) ولا يستبعد ان يكون رد الطلمنكي هو اجترار (مباشرة) الشيخ ابن ابي زيد القيرواني (16) ومن تآليفه كتاب الدليل الى معرفة الجليل نحو مائة جزء وكتابه في تفسير القرآن نحو هذا وكتاب البيان في اعراب القرآن وكتاب فضائل مالك ورجال الموطأ وكتاب الوصول الى معرفة الاصول (17)

ترجمته بـ: جذوة المقتبس ص 114 ترتيب م2 ج 4 ص 749-750 الديباج ص 39 الصلة I ص 49-50 ترجمة عدد 92

1) جذوة المقتبس ص 114
2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 749
3) الديباج ص 39
4) جذوة المقتبس ص 114
5) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 749-750
6) جذوة المقتبس 114
7) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 750
8) الديباج ص 39
9) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 750
10) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 495
11) ترجمة القبرى بهذا البحث
12) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص ...
14) ....
15) البادى ادريس ... Essai ... P. 145
16) ... deux juristes Karouanais P. 159
17) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 750

قال فيه ابن الحصار الخولاني (كان من الفضلاء الصالحين على هدى وسنة قديم الطلب للعلم مقدما في الفهم مجوداً للقرآن حسن اللفظ فضائله جمة اكثر من ان تحصى (1)

قال ابن الحذاء (وكان فاضلا شديدا في كتاب الله تعالى مسبقا على اهل البدع سكن قرطبة زائراً بها ثم سكن المدية ثم البرة ثم سرقسطة ثم عاد الى بلده بالمنكب مرابطا فتوفى بها صدر محرم سنة تسع وعشرين وقيل في ذي الحجة سنة ثمان وقد قارب التسعين وصحبه ذهنه مولد سنة اربعين وثلاثمائة (2)

---

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 750

2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 750

34) ابـو بكـر السبتـي (349 هـ ـ 429 هـ)

هو ابو بكر احمد بن محمد بن سعيد القيسي يعرف بالسبتي (1) سكن سبتة واصله من اشبيلية .

رحل الى سبتة سنة 370 هـ ورحل بعد سنة 370 هـ ابن الحذاء حيث التقى بابن ابي زيد بالقيروان واخذ عنه. كان من اهل الزهد والانقباض والعناية بالعلم ثم عاد الى اشبيلية ثم ارتحل منها من جديد الى سبتة حيث توفي بها سنة 429 هـ وله ثمانون سنة .

35) ابـو سعيد ابـن الجعفـري (.... 429 هـ)

هو ابو سعيد خلف مولى جعفر الفتى المقرئ المعروف بابن الجعفري (2)
سكن قرطبة وبها اخذ عن ابن عون الله وغيره ثم رحل الى المشرق فسمع بمكة من ابي القاسم السقطي وغيره وبمصر من الادفوي والجوهري وبالقيروان من ابن ابي زيد وغيره .
قال الخولاني كان من اهل العلم بالقرآن توفي في طرطوشة اثر الفتنة في ربيع الاخره سنة 429 هـ وقيل غير ذلك .

---

1) الصلة المجلد الاول ص 50 ترجمة عدد 93
2) الصلة المجلد الاول ص 164 ت 337

ابن الصفار (338 ـ 429 هـ)

هو ابو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث القرطبي المعروف بابن الصفار (1) سمع في بلده من علماء كثيرين كابن الاحمر وابن ابي بدر وابن زرب والزبيدي روى عنه علماء اجلة كثيرون أمثال ابي الوليد الباجي وابن عتاب والعقيلي والطرابلسي وابي مطرف الشعبي وولى قضاء الجماعة ايام المعتمد وفي تلك الاثناء راسله بن ابي زيد (2) وقد بقي بخطته هذه تسع سنوات ونصفا له تآليف كثيرة "كتاب الموعب في تفسير الموطأ وجمع مسائل ابن زرب (3) قال فيه ابن حيان كان يونس من اكبر اصحاب ابن زرب المتقدمين في بسط العلم وسعة الرواية وجودة الخطابة وبراعة الشعر آخر الخطباء المعدودين واسند من بقي في المحدثين واوسعهم جمعا واعلاهم سندا وكان خاتمة قضاة بني امية في الفتنة) (4)

وانشد له ابن حيان (5)

ادافع ايام بقصد وبلغة   والزم نفسي الصبر عند الشدائد

واعلم اني في مكايده الباغ   بعين الذي يرجوه كل مكايد

وتوفي في رجب سنة تسع وعشرين واربعمائة (6) وقد نيف عن تسعين سنة مولده سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (7) .

---

* ترجمته بالمدارك م2ج 4ص739 ـ 741 الصلة 1512 II ص644 ـ 647 مخلوف 307 I ص113 ـ 114

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص739

2) الصلة II ت 1512

3) " " " " 741

4) " " " " 739 ـ 740

5) " " " " 740

6) " " " " 741

7) الصلة II ص644 ت 1512

37) احمد ابن الصقلي (360هـ ... بعد 429 هـ)

هو احمد بن محمد القرشي الاموي الزاهد يعرف بابن الصقلي سكن القيروان كان منقطعا للعمل الصالح اخذ عن شيوخ كثيرين منهم ابن ابي زيد (1) ولد سنة 350 وبقي حيا الى ما بعد 429 هـ.

---

1) الصلة المجلد الاول ص 93 ترجمة عدد 137

33) الربـــــــاحـــي (.... 432 هـ)

هو عبدالله بن سعيد بن ابي عون العاملي الرباحي قدم طليطلة واستوطنها (1)

سمع من ابن زمنين ثم حج وسمع من ابي زيد .

كان فاضلا دينا توفي سنة 432 هـ .

---

(1) الصلة I ص 260 ـ 261 ت عدد 591

39) ابو محمد بن عمار (...... 432 هـ / 1040 م)

هو ابو محمد حماد بن عمار الزاهد قرطبي من العلماء الزهاد جمع الى العلم الادب والفقه مع تفرغ للعبادة خرج بعد الفتنة الى طليطلة وقد طلب الى قضاء قرطبة فرفض والتقى بابن ابي زيد واخذ عنه (1) حدث عنه الطرابلسي وغيره.

قال فيه عياض كان منقطع القرين في فضله جمع الى العلم الادب والفقه والبلاغة (2)

توفي بطليطلة سنة اثنين وثلاثين واربعمائة وسنه ازيد من مائة سنة وهو متمتع بجوارحه وبوفاته ختم زهاد الاندلس من طبقته (3)

---

* ترجمته بالمدارك م2 ج 4 ص 730 الصلة I ص 153 - 154 ترجمة 351

1) الصلة I ص 154

2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 730

3) ....

40) ابو القاسم ابن دنبل) 347 ـ 435 هـ)

هو القاسم احمد بن سعيد بن دنبل الاموي (1) من اصحاب ابن الشقاق وابن دحون وصديقا لهما (2)
تفقه باهل بلده كابن زرب (381) وابن عون والقلعي وابن الخراز وابن مفرج ويقال انه التقى بابن ابي زيد بالقيروان فسلمه عددا من مؤلفاته وخاصة مختصر المدونة (4)
اخذ عنه الكثيرون منهم ابو عبدالله الخولاني وابنه احمد (5)
من مؤلفاته مختصر في وثائق ابن الهندي (6) قال عياض فيه (كان ثقة حليما معلما) (7)
وقال الخولاني (كان من اهل العلم والفهم والعدالة) (3)
مولده سنة سبع واربعين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين واربعمائة (9) من صدر رجب (10)

---

* ترجمته ب : ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 737 الصلة عدد 101 ص 53 ـ 54
1) في الصلة هو : احمد بن سعيد بن دينال : تعليق للدكتور بكير في الترتيب ج 4 ص 737
2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 737
3) ....
4) الصلة ا ص 53 ـ 54 ترجمة 101
5) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 737
6) ....
7) ....
3) ....
9) ....
10) الصلة ص 54 ترجمة عدد 101

41) ابو عبد الله ابن عابد (353 ـ 439/1047م)

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري القرطبي سمع من فقهاء بلده كابي محمد الاصيلي وابن حسين وعباس بن اصبغ وابن الاثني وابي القاسم الوهراني وغيرهم (1) ثم ارتحل الى المشرق سنة 381 هـ فلقي بالقيروان ابن ابي زيد فسمع منه بعض مؤلفاته ثم انتقل الى مصر فسمع من ابي بكر المهندس وابن الحسين البصري وغيرهما ثم حج ورجع الى القيروان فاخذ من جديد عن ابي محمد عبد الله بن ابي زيد (2)
وتقول المصادر ان ابن ابي زيد قد ذكر لابن عابد بعض مؤلفاته كالرسالة وكتاب الذب عن مذهب مالك وكتاب الاستظهار ـ كتاب التلبيس (3)
ثم عاد الى قرطبة حيث دعي الى الشورى فرفض حيث تفرغ للتدريس والتحديث فاخذ عنه جماعة من العلماء منهم ابو عبد الله بن عتاب وغيره (4)
قال فيه ابن فرحون (وكان معتنيا بالاجازة والاثار ثقة فيما رواه وعني به وكان خيرا فاضلا)
مولده سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وتوفي سنة تسع وثلاثين واربعمائة (6)

---

* الديباج ص 330 ـ 331 المشرق نشر القاهرة 1949 ج III ص 3 ـ 9 الصلة ترجمة بن الفرادي عدد 472 ص II 107 ـ 108

1) الديباج ص 331 يقول ابن عابد بالباء الموحدة في المدارك م 2 ج 4 ص 493 كذلك واورده ضمن تلاميذ بن ابي زيد

2) .... ص 330

3) ....

4) . ـ ـ ـ

5) الديباج ص 330

6) 331

42) ابو عامر ابن سيد الخولاني (.... 440 هـ)

هو ابو عامر سيد بن ابان بن سيد الخولاني من اهل اشبيلية (1)
سمع من ابي محمد بن الباجي وابن الخراز وبالقيروان من ابن ابي زيد وغيره .
قيل فيه كان شيخا فاضلا متقدما في الفهم والحفظ .
توفى سنة 440 بعد ان كف بصره وهو ابن 37 وستة اشهر .

---

1) الصلة المجلد الاول ص 223 ترجمة عدد 519

43) ابـــو القاســـم الـــوراق (354 هـ ـ 440هـ)

هو ابو القاسم خلف بن مروان التميمي الوراق الدقاق القرطبي (1)
سكن اشبيلية اخذ عن علماء بلده كابن زرب وابن عون الله وابن مفرج والزبيدي والاصيلي
حج مع ابن الفرضي وشاركه في السماع غير انه انفرد بتلقين القرآن لقيه بالقيروان ابن
ابي زيد .

توفي في حدود سنة 440 هـ وله من العمر 86 سنة .

---

1) الصلة المجلد الاول ص 167 ترجمة عدد 337

44) ابـو القاسـم اللخمـي (...تقريبا من 440هـ / 1043م)

هو ابو القاسم اصبغ بن راشد بن اصبغ اللخمي من اهل اشبيلية رحل الى القيروان حيث تفقه بابن ابي زيد واخذ عنه : الرسالة ومختصر المدونة وكذلك (1) سمع من ابي الحسن القابسي ومن غيرهما ثم ارتحل الى الحجاز حيث التقى به الحميدي وسمع هو وغيره منه الرسالة والمختصر (2) يقول الحميدي وهو اول من سمعت منه سنه خمس وعشرين او نحوها (3) مات هنا لك تقريبا من الاربعين واربعمائة (4)

---

* ترجمته ب : جذوة المقتبس ص 173 ـ 174 ت عدد 324 الصلة I ترجمة 255 ص 109 ـ 10

1) جذوة المقتبس ص 173 ـ 174

2) 174

3) ....

4) ....

45) ابن عون الله (... 441 هـ)

هو عبد الرحمن بن ابراهيم بن عون الله من اهل قرطبة (1)

رحل الى المشرق سنة 373 هـ ولقي بمصر ابن غلبون وبالقيروان ابا محمد بن ابي زيد ثم عاد

الى الاندلس كان فاضلا ناسكا ... ورعا .

توفي يوم السبت لعشر بقين في جمادى الاولى سنة 441 هـ .

---

1) الصلة I ص 313 ترجمة 707

46) ابن وديع التجيبي (365 هـ - 442 هـ)

هو ابو القاسم سلمة بن امية بن وديع التجيبي الامام اصله من سنتره في الغرب سكن اشبيلية (1)

رحل الى المشرق سنة 393 ولقي ابن ابي زيد وابن غلبون والاذفوي اسرته الروم عند انصرافه من الشرق وبقي في الاسر سنوات عديدة ثم عاد الى اشبيلية حيث توفي في صفر سنة 442 هـ ولد سنة 365 هـ

---

1) الصلة المجلد الاول ص220 ترجمة 514

47) ابو القاسم الخزرجي (.... 446 هـ)

هو ابو القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد الخزرجي المقرئ من اهل قرطبة (1)

رحل الى المشرق سنة 380 هـ وبقي هناك عشرين سنة وبالقيروان اخذ عن ابن ابي زيد والقابسي ومحرز بن خلف العابد والحقلي ثم عاد الى الاندلس سنة 400 هـ فاقرأ الناس القرآن بقرطبة الى ان توفي في محرم لسبع او لست بقيت منه سنة 446 هـ

---

1) التكملة I ص 319 ـ 320 ترجمة عدد 710

43) ابـو العاصـي ابـن قرانـك (... 447 هـ)

هو ابو العاصي حكم بن محمد بن حكم الخدامي يعرف بابن قرانك من اهل قرطبة (1)
روى عن اهل بلده كالهمذاني وخلف بن القاسم الحافظ ثم ارتحل الى المشرق سنة 331 هـ ولقي
بمكة السقطي وبمصر ابن النحاس وغيرهما وبالقيروان ابن ابي زيد واخذ عنه واجازه كما لقي
ايضا بها ابن دحمون وروى عنه جماعة منهم الذهبي والغساني كان الحذاء في رجال الحا
وكان من المتهودين من اهل البدع .
توفى صدر ربيع الاول سنة 447 هـ عن سن عالية .

(1) الصلة المجلد الاول ص 147 ـ 143 ترجمة عدد 337

49) ابــو محمــد الانصاري (1056/443)

هو ابو محمد عبدالله بن الوليد بن سعد ابن بكر الانصاري (2) اندلسي اصله من قرمونه (3) سمع بالاندلس الطحان الحافظ وابن ثابت وابي جعفر ابن عون وابن السماك (4) ورحل قبل 330 هـ فتفقه بابن ابي زيد واخذ عنه كتبه (5) ولذلك سمع من القاسي والاجدابي ثم انتقل الى مصر فسمع عن علمائها ثم حج وسمع هناك من كثير من العلماء (6) ثم ذهب الى بيت المقدس التي تقول بعض الروايات انه مات هناك (7) ويقول بعضها الاخر انه عاد الى الاندلس ونشر كتب ابن ابي زيد (8) واما عياض فسكت عن هذا ويكتفي بالقول: ومكث بالقدس من نحو الاربعين ناقلا ذلك عن ابي الوليد الباجي (9) قال فيه: ابو عبدالله الرازي (ابو محمد بن الوليد الانصاري الفقيه على مذهب مالك من سادات المغاربة وفاضليهم سكن مصر واخذ عنه بها الناس) (10) قال ابو الوليد الباجي فيه (شيخ صالح ثقة مصحح لكتبه كثير الرواية) (11)

---

* ترجمته بـ: جذوة المقتبس ص 266 ترجمة 569 ترتيب المدارك م2 ج4 ص 700
1)
2) جذوة المقتبس ص 266
3) ترتيب المدارك م2 ج4 ص 700
4) ....
5) جذوة المقتبس ص 266
6) ترتيب المدارك م2 ج4 ص 700
7) جذوة المقتبس ص 266
8)
9) ترتيب المدارك م2 ج4 ص 700
10) ....
11) ....

50) ابـــن المأمـــــــونـــــي (: : 443هـ / 1056م)

هو القاسم بن محمد بن هشام الرعيني المعروف بابن المأموني السبتي من مشاهير اهلها (1)

تفقه ببلده بعبد الرحيم بن العجوز وابن الشيخ وابن يربوع وغيرهم ثم ارتحل الى الاندلس فسمع من ابن الدباغ وابي محمد الباجي (2)

ثم ارتحل الى الشرق : فلقي ابن ابي زيد بالقيروان (3) وبمصر سمع من ابن منير وابي محمد عبدالغني الحافظ وابن ابي يزيد . ثم عاد فسكن اشبيلية وحدث عنه جملة من الشيوخ كابن صاحب الاحباس والقاضي وابن محمد غانم المالقي الاديب وابنه حجاج (4)

له كتاب في المناسك رواه عنه ابنه وتوفي سنة 443 وقد نيف على السبعين (5)

---

* ترجمته بـ ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 784 الصلة عدد 1016 اا ص 446
1) ترتيب المدارك ج 4 ص 784
2) ترتيب المدارك ج 4 ص 784
3) الصلة اا ص 446 ت 1016
4) ترتيب المدارك ج 4 ص 785
5) الصلة اا ص 446 ت 1016

5) ابو الفضل بن عمروس (372 - 452)

هو ابو الفضل محمد بن عبدالله بن احمد بن عمروس البزاز بغدادي (1)
سمع ابا الحسن القصار والقاضي ابن نصر وحمل عنهما كتبهما كما حمل كتب ابي محمد بن ابي زيد عنه اجازة *(2) اخذ عنه ابو الوليد الباجي وابو بكر الخطيب وغيرهما (3)
ذكره عياض فقال كان ثقة دينا مشهورا واليه انتهت الفتوى في الفقه بمذهب مالك ببغداد (4)
وقال السمنطاري : فقيه شاطر جلد قيم بمسائل الخلاف صاحب حلقة المالكيين بجامع المنصور (5) له تعليق كبير مشهور في المذهب والخلاف ، ومقدمة حسنة في اصول الفقة (6)
توفي اول محرم سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وقد بلغ الثمانين مولده في رجب سنة 372هـ (7)

---

* ترجمته بترتيب المدارك م2 ج 4 ص 762 - 763
1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 762
2) نز 763
4) ....
5) ....
6) ....
(7) ....

52) ابو شاكر ابن القبري (377 هـ ـ 456 هـ)

هو ابو شاكر عبد الواحد بن محمد بن موهب بن محمد التجيبي اخذ عن ابيه محمد بن موهب القبري الذي كان احد تلامذة ابن ابي زيد (1) وعن ابي محمد الأصيلي وابي حفص بن نابل وغيرهما واجازه ابو محمد بن ابي زيد وابو الحسن القابسي (2) نشأ ابو شاكر بقرطبة حيث نما وتعلم اذ كان من اهل العلم بالحديث والفقه والعربية والكلام والنظر والجدل على مذهب اهل السنة والحذق يصوغ القريض والخطابة) (3)

ثم تولى القضاء بشاطبة والصلاة والحكم ببلنسية (4) وقد لقيه الحميدي هنا واورد له ابياتا سماعا من ابي محمد علي بن احمد (5)

ومنعم وسنان يحنى لحظة	قتل المحب وتارة يحييه
صار الصدا يوما عليه فجاءني	يشكو الي به لكي اشكيه

واخرج له الامام عياض ابيات من رثائه لقرطبة (6)

ياليت شعري والايام يجمعنا	ونأخذ البين مخلوبا فتصفعه
في صبة الارض اعني ارض قرطبة	فكل شيء بديع فهي تجمعه
استودع الله اهليها فانهم	كالمسك قد ملا الدنيا تضرعه

وقد تخرج على يده علماء كثيرون منهم ابن اخته القاضي ابو الوليد الباجي وشيخ عياض ابو علي الباجي الجياني وابن سهل وغيرهم (7) قال ابو علي الغساني الحافظ (كان من اهل النبل والذكاء سريا متواضعا) (3)

توفي في رجب سنة ست وخمسين واربعمائة وسنه نحو الثمانين سنة بشاطبة وحمل الى بلنسية فدفن بها ، مولده في ذي القعدة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . رحمه الله (9)

---

* ترجمته بـ : جذوة المقتبس ص 290 ـ 291 ت عدد 655 ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 818 ـ 819

(1

2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 818

3) ....

4) ....

5) جذوة المقتبس ص 291

6) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 818

7) 819

8) 819

تمهيد :

لم يفد على ابن ابى زيد بالقيروان من العلماء المشارقة غير ابن عبد المؤمن الذى كان أحد تلاميذ ابن مجاهد الاشعرى وقد قلنا ان ابن عبد المؤمن قد ابلغ ابا محمد نظريات علم الكلام وقضاياه فى المجتمع الشرقى ومواقف الاشاعرة منها ورايهم فيها وردودهم عن مخالفيهم وبذلك كان ابن عبد المؤمن المتكلم السنى الاشعرى بمثابة الشيخ فى هذا الميدان لابى محمد وغيره من القيروانيين وبمثابة التلميذ له فى غير هذا المجال من مجالات المعرفة •
اما بقية المالكية ممن كانت لهم علاقة علمية بابن ابى زيد فقد تتلمذوا عليه او تفقهوا به بعضهم عن طريق المراسلة او الاجازة • وكان من هؤلاء من تبادل معه الاجازة فى رواية كتبهما عن بعضهما كما هو حاله مع ابى بكر الابهرى • ولهذا كانا شيخين وتلميذين لبعضهما • ومنهم من أجازه ابن ابى زيد فقط فكان حاله معه حال الشيخ مع تلميذه وينطبق هذا على ابن مجاهد البصرى البغدادي ومن البغداديين من تولى شرح بعض كتب ابن ابى زيد وعمل على نشرها وهذا كالقاضى عبد الوهاب وحالة ابن ابى زيد معه حال الشيخ مع طالبه ايضا • ومنهم من درس كتبه عن طريق تلميذه بالاجازة فاعجب بعلم ابن ابى زيد واثنى عليه وعلى فضله وهذا كالباقلانى وحال ابن ابى زيد معه حالة الشيخ مع تلميذه ابن ابى زيد واثنى عليه وعلى فضله وهو مع تلميذه ايضا •

وحتى تكون لدينا صورة واضحة المعالم على مظاهر التبادل العلمى والانفتاح الفكرى بين الفرعين القيروانى والبغدادي للمدرسة المالكية ارتأيت من تمام الفائدة استعراض تراجم هؤلاء العلماء والتركيز خاصة على مظاهر هذا التبادل العلمى • لمعرفة مدى تأثير الآراء الفقهية المالكية القيروانية فى المشرق عامة وفى الفرع البغدادي للمدرسة المالكية خاصة ، والعكس ايضا مقصودا من هذا البحث •

(1) ابو بكر الابهري : [287هـ - 375هـ]

هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح الابهري (1) وقد مر ذكر ترجمته عند حديثي عن شيوخ ابن ابي زيد من هذا البحث (2) على أساس ان مالك الصغير قد استجاز ابى بكر الابهري وغيره فاجازوه • وقد اشرت ايضا الى مالاقاه كتاب الرسالة لابن ابي زيد من عناية فائقة من طرف ابي بكر الابهري وقلت اننا سنتعرض على مزيد التفاصيل عن مظاهر هذه العناية عند الحديث عن كتاب الرسالة فيما يستقبل من هذا البحث بحول الله (3) •

- وبالنظر الى هذه العناية الفائقة من طرف شيخ مشيخة المالكية ببغداد بكتاب الرسالة كثر الاقبال عليها وعلى غيرها من كتب ابن ابي زيد من طرف العلماء والطلاب المشارقة مما ساعد على انتشار اسم صاحبها وعلو صيته وارتفاع مركزه العلمي •فمتنت صلته بالبغداديين وخاصة بشيخهم ابي بكر الابهري مما جعل البريد لا ينقطع مدده بينه وبين شيخ فقهاء القيروانيين مما يجعلني اميل الى تصديق ما ورد من ان الابهري قد طلب في احدى هذه الرسائل المتبادلة من ابن ابي زيد اجازته في رواية وتدريس كتبه • وخاصة مختصر المدونة • ومما هو جدير بالملاحظة ان ابا بكر الابهري كانت له عناية دقيقة بامهات كتب المالكية وليس ذلك بغريب منه على أساس كونه احد اقطاب المدرسة المالكية من طبقة الامام سحنون في وقته وابي محمد بن ابي زيد في وقته حتى ورد انه (لم ينتسب احد من الاصحاب بعد اسماعيل القاضي ما انتسب ابو بكر الابهري كما انه لا قرين لهما في المذهب بقطر من الاقطار الا سحنون بن سعيد في طبقته بل هو اكثر منه اصحابا وافضلهم اتباعا وانجحهم طلابا ثم ابو محمد بن ابي زيد رضي الله عنه في هذه الطبقة ايضا) (4) • ولهذا كان ابو بكر كثير المطالعة لهذه الامهات والتي كانت من بينها المدونة والتي يقال انه قرأها خمسة وسبعين مرة (5) • ان هذا التعلق بالمدونة جعله يقبل بنفس الحماس على مختصرها وخاصة ان من اختصره هو عالم مالكي قيرواني جليل قد درس المدونة عن شيوخ تتلمذوا عن تلاميذ سحنون ذاته ولذا فاختصاره لها سوف يكون ادق اختصار خطه عالم تضاف الى هذه الخاصية العلاقة المتينة التي كانت بين ابي بكر وابي محمد الأمر الذي جعلها تتجاوز شكليات الصداقة الى بعد روحي وعلمي متين ووثيق •

---

(1) طبقات الفقهاء للشيرازي ص 167 - ط. بيروت 1970 . تحقيق احسان عباس

(2) هذا البحث ص : 102

(3) هذا البحث ص : 322 . 345

(4) ترتيب المدارك 4 / 470

(5) " " 4 / 468

وقد اورد ح ح عبد الوهاب اغلب نص رسالة ابن ابي زيد القيرواني الى ابي بكر الابهري حيث قال وكتب الى ابي بكر الابهري قاضي بغداد يجيزه في رواية تآليفه :

" انال الله القاضي افضل منال انا له الصالحين من عباده وعصمه ببدايته وعانه برعايته واعانه على مرضاته وزواره عن مساخطه والهمه مايرضاه من شكر نعمته والعمل لذاته وطاعته الحوالي - ايده الله القاضي - اذ كتبت اليك كتابي صالحة ونعم الله لدي مترادفة ونحن من مودته وموالاته بموضع نؤثره ونحافظ عليه لما بلغنا من صحة مذاهبه وجميل احواله وماثره انار الله بصيرته واصلح له علانيته وسريرته عرفني اكرمه الله (فلان) ما رغبت فيه من كتاب المختصر للمدونة الذي عملناه وجميل موقعه منك بارك الله فيما وهبك وقسم له من صحة المذهب وجميل المطالب والقلوب - ايدك الله لتواصل عن عرفان الحق والتواصل عليه وفيه جمع الله قلوبنا على التقوى وبارك لنا ولك فيما يسرنا اليه من ذلك وحقق علينا اكرمك الله لذلك ولغيره لما اجرى الله لسلفك الصالح من اقامة هذا المذهب واحيائه بالمحاماة على استعلائه رحمة الله عليهم اجزت ذلك لكل من رغب القاضي في اجازة ذلك له نفعنا الله ونفع بك والسلام على القاضي ورحمة له وعلى من يختص بك ومن في عنايتك) (1) وقد ورد ايضا في المدارك : ان ابن ابي زيد قد بعث تلميذيه محمد بن خلدون واسماعيل بن عذرة من مكة الى بغداد ومعهما كتاب المختصر صحيحا مقابلا وامرهما بتسليمه الى ابي بكر الابهري وابن مجاهد الطائي مجيزا روايته لهما ولمن رغب في ذلك من غيرهما ولاشك ان عهدا وثيق بعيد تلقيه رسالة من ابن مجاهد سنة 363 هـ بعد ان تم له تبييض الكتاب(2) وبذلك ترى ان ابا بكر الابهري كما كان شيخا بالمراسلة لابن ابي زيد كان له تلميذا بالمراسلة ايضا

---

1) مجمل تاريخ الادب التونسي ح ح عبد الوهاب ص 106 - 107 ط - المنار 1963

2) ترتيب المدارك 4/ 478

② ابوعبد الله الطائـــــــي *

هو ابوعبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي المتكلم الاشعري المعروف بابن مجاهد الطائي . من اهل البصرة وسكن بغداد (1)

سمع من ابي الحسن الاشعري (270 ـ 330هـ) وبه اختص وعليه اعتماده . حتى عد من اصحابه المغربيين واخذ عن سهل التستري وسمع صحيح البخاري من ابي زيد المروزي . واستجاز الشيخ ابا محمد بن ابي زيد في كتاب النوادر والزيادات وكتاب المختصر (2) فاجازه كما سياتي .

وتخرج على يده علماء كثيرون منهم ابو بكر الباقلاني وابو بكر بن الخطيب البغدادي وابو بكر بن عذرة وابو القاسم عبد المؤمن المكي المتكلم وغيرهم (3) .

وتذكر كتب التراجم انه بعث الى ابي محمد بن ابي زيد سنة 368هـ برسالة يطلب فيها منه اجازته في رواية كتابيه المختصر والنوادر والزيادات (4) واقوم هنا بنقل فقرات من هذه الرسالة حسب ورودها بالمدارك . يقول عياض ورايت له في ذلك رسالة يقول فيها (وقد وقع الينا من تصنيفه ـ ايده الله ـ قطع من المختصر وجدناه قد احسن في نظمه وألطف في جميع معانيه وكشف ماكانت النفوس تتوق اليه وكفى مؤنته الرحلة وطلب المصنفات بالكلام السهل والمعاني البينة التي تدل على حسن العناية وكثرة المعرفة والحرص على منافع الراغبين في العلم والمتعلقين به فاحسن الله اليه الشيخ جزاءه واجزل ثوابه) . ثم ذكر له بعد ان بلغه تصنيف النوادر ثم قال (وما يتصل بنا من فضل الشيخ ايده الله قد نشطني الى تعريف مابنا من حاجة الى هذين الكتابين . وتطلع من قبلي من الطالبين لها والشيخ ايده الله يتفضل في ذلك بما هو أهله ويمن علي بذلك فاني اليه وجماعتهم قبلي من اخوانه . والراغبين في مذهب الامام رضوان الله عليه يتطلعون اليه فان راى الشيخ ايده الله ان يتفضل بانفاذها بعد عرضها بحضرته واجازتها لي ولغيري من اصحابنا ممن آثر ذلك واحبه) (5) . ثم سال له الدعاء له وأرخ كتابه سنة ثمان وستين [

---

* ترجمته بـ المدارك 4/ 476 ـ 478 . الديباج ص 258

① الديباج ص 253

② المدارك 4/ 476 ـ 477 ـ

③ " " 478

⑤ " " 477

(4) Histoire de l'école Malikite. D BEKir Tunis 1962 P 112

ثم يورد عياض اجابة ابن ابي زيد بقوله : وجاوبه ابو محمد بجواب احسن منه :

(وعند نا من اخبار الشيخ الحسية ماتعم مسرته من نصره في هذا المذهب وذبه عنه ومحاماته عليه حماه الله عز وجل مكروهه من صحته " ثم يقول عياض : وشكر فيه ابتداء مخاطبته وسروره بذلك رمونته له واجازة كتبه له ولمن رغب من ذلك وانه وجه اليه بعض النوادر اذ لم يبيضها وان الوقت لم يتسع لكتب نسخة من المختصر ولا من النوادر وان شابين ممن عنى بهم توجها من مكة للقاء الشيخ يعني ابن مجاهد ولقاء الابهري وهما محمد بن خلدون واسماعيل بن عذرة وبعث معهما المختصر صحيحا مقابلا ووعده ان يوجه اليه مارغبه من الكتابين وسأله الدعاء له كما سأله رحمهم الله) (1) .

وانها ورد في هذا النص ليقدم دليلا على ماكان يتمتع به ابن ابي زيد من شهرة وماكانت تحظى به كتبه من عناية واقبال وفي هذا كله يكمن تاثير المدرسة الفقهية المالكية بالقيروان في غيرها من المدارس الفقهية وان كانت مالكية اوغير مالكية ان ماكان عليه الشيوخ الموالك ببغداد من علو جاه هو في قليله اذ لم يكن في كثيرة الى هذه الكتب الجامعة ذات العرض الدقيق والاسلوب السهل المقنع ، وكان لابي محمد في هذا كله الدور الطلائعي المثمر .

ولابن مجاهد الطائي تواليف كثيرة منها كتاب في الاصول الفقهية على المذهب المالكي والرسالة المشهورة في الاعتقادات على مذهب اهل السنة التي كتب بها الى اهل باب الابواب وكتاب نهاية المتبصر ومعونة المستنصر وتواليف اخرى (2) يقول عياض فيه (وكان ابن مجاهد هذا مالكي المذهب ، اماما فيه مقدما غلب عليه علم الكلام والاصول .) (3) وكان كثيرا ما ينشد (4)

ايها المقتدي ليطلب علما ... كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كي تصحح حكما ... ثم اغفلت منزل الاحكام

قال فيه ابن فرحون (وكان حسن الدين جميل الطريقة) (5)

---

(1) ترتيب المدارك 477/4 - 478

(2) " " 476/4 - 477

(3) " " 476/4

(4) الديباج ص 258

(5) " " "

③ ابو بكر الباقلانـــــــــــي :* [... 403 هـ]

هو ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني تفقه بابن مجاهد الطائي وابي بكر الابهري (1) وغيرهما من الائمة العلماء كالقبيصـــي وابن ماشا (2)

وتخرج على يده كثير من علماء القرن الخامس كالقاضي عبد الوهاب المالكي من البغداديين وكابي عمر بن سعد وابي عمران الفاسي من القيروانيين (3) قال فيه ابو عمران الفاسي : (سيف اهل السنة في زمانه وامام متكلمي اهل الحق في وقتنا) وقد ذكرته ضمن تلاميذ ابن ابي زيد لانـه وان لم يجلس اليه ولم يطلب منه اجازة لكنه اطلع على كتبه ودرسها على يدي ابن مجاهد الطائـــــي المجاز فيها من طرف ابن ابي زيد وبحكم معرفة الباقلاني بعلم ابن ابي زيد وفضله . فقد اثنـــى عليه عند ماحكمه اهل القيروان في الخلاف الذي جد بينهم وبين ابن ابي زيد حول قضية كرامات الاولياء ونفي ابن ابي زيد لقول بعض المتصوفة من امكانية رؤية الله في الدنيا بما اثارهم عليه فشنعوا عليــه موقفه هذا وانطلقوا الى بغداد لتحكيم الباقلاني لانه كان من المتبحرين في علم الكلام وقد كتـــب كتابا في هذا الموضوع اثر هذه الحادثة ذكر فيه ابا محمد واثنى عليه واعتذر فيما نسب اليـــــه من انكار الكرامات) اذ لم يكن مذهبه انكار سائرها وانما كان يبلغه عن ابن الصقلي اشياء اللـــه اعلم بها وبصحتها كانها عنده من جنس المحالات فكان ينكر ذلك) (5)

ولابي بكر الباقلاني تواليف كثيرة في الكلام واصول الفقه واعجاز القرآن تطلب أسماؤها في ترجمته بكتب التراجم (6)

توفي ابو بكر الباقلاني يوم السبت لتسع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث واربعمائة (7) .

---

* ترجمته : ترتيب المدارك 4/585-602 . الديباج 267-268

① ترتيب المدارك 4/586

② الديباج ص 268

③ ترتيب المدارك 4/586-587

④ " " 4/586

⑤ معالم الايمان 3/112-113

⑥ ترتيب المدارك 4/601-602

⑦ الديباج ص 268

القاضي عبد الوهاب * (349 ـ 422 هـ)

هو ابو محمد عبد الوهاب القاضي بن نصر البغدادي المالكي (1)

سمع من الابهري ابي بكر ومن كبار اصحابه كابن القصار وابن الجلاب ، كان اعتماده في الفقه والكلام على ابي بكر الباقلاني (403 هـ) قال القاضي عبد الوهاب لما سئل عن شيوخه (قال صحبت الابهري وتفقهت مع ابي الحسن بن القصار وابي القاسم بن الجلاب والذى فتح انواهنا وجعلنا نتكلم هو ابو بكر بن الطيب) (2) كما اخذ عن غير هؤلاء قال عياض من قال انه لم يسمع من الابهري ابي بكر فان قوله غير صحيح بل حدث عنه واجازه (3)

وبه تفقه علماء كثيرون منهم ابن عمروس، وابو الفضل مسلم الدمشقي ، وابن هارون الفقيه، وابو بكر الخطيب ومن الاندلس جماعة منهم القاضي ابن الشماخ الغافقي ومهدى بن يوسف صاحبه وغير هؤلاء (4) كما تولى القضاء بالعراق وكذلك بالدينور وباداريا وباكسايا وغيرهما كما ولي قضاء المالكية بمصر في آخر حياته (5) اما تآليفه فكثيرة منها كتابة التلقين وكتاب اوائل الادلة في مسائل الخلاف والافادة في اصول الفقه وكتاب التلخيص في اصول الفقه ايضا والاشراف على مسائل الخلاف وكتاب الفروق في مسائل الفقه (6)

وكانت له عناية خاصة بمؤلفات المدرسة القيروانية حيث له شرح المدونة وشرح مختصر ابن ابي زيد صنع فيه نحو نصفه وله شرح رسالة ابن ابي زيد (7)

وهو اول شارح لها بل مدحها بشعر جيد سنورده في مكانه من هذا البحث (8)

ويقال ان ابن ابي زيد لما بلغته اخبار حالة القاضي عبد الوهاب المادية السيئة بعث له بالف دينار عينا حتى قيل انه لما وصلته الاموال قال هذا رجل وجبت علي مكافاته فشرح الرسالة (9)

والذي اميل اليه ان شرحه للمختصر جاء بعد شرحه للرسالة اذ يمكن ان يكون بعد موت مولفه وذلك ان المختصر قد وصل الى بغداد مصحوبا مقابلا بعد سنة 368 وقيل سنة 375 وهي سنة وفاة ابي بكر الابهري فيكون عمر القاضي عبد الوهاب حينئذ تسعة عشر سنة وهي سن يستحيل فيها شرح كتاب المختصر.

---

1) الديباج ص 159 اما عياض فيذكر سلسلة نسبه على النحو التالي (عبد الوهاب بن علي بن نصر بن احمد بن الحسين بن هارون بن مالك ابو محمد الفقيه المالكي) المدارك 4/ 691

2) الديباج ص 159

3) المدارك 4/ 692

4) 4/ 693

5) الديباج ص 159

6) الديباج ص 159 ـ 160

7) ترتيب المدارك 4/ 692 Histoire de l'ecole Malikite jusqu'a la fin de moyen age
Ahmed Bekir _ Tunis 1962 - P 182

8) ....

113/ ...

واعتقد ان شرحه للمختصر هو الذي دعا ابني ابن ابي زيد الى توجيه هدية مالية الى القاضي الذي رفضهما ثم : وجها اليه دعوة لزيارة القيروان . فاعتذر عن ذلك في حين انه كان عازما على الذهاب الى المغرب لما خرج من بغداد يقول عياض : وخاطبه ابنا الشيخ ابي محمد بن ابي زيد وقد انعقد بينهما وصلة بسبب شرحه لتواليف ابيهما ووصلاه بمال لم يرضه واستدعياه للدخول الى المغرب فكتب اليهم .

انـا ذاك الصديـق لكـن تلبـى — عنـد تـرب الدينـار ليمس بقلـب

ماانتفعنـا بقربكـم ثـم لا لـوم — عليكـم وانمـا الذنـب ذنبـي

انـا فـي حطـة واسـأل ربـي — فـي خلاصـي مـن شـرها ثم حسبي

وكان خاطب فقهاء القيروان في الوصول اليها فرغبة في ذلك ابو عمران وكسره عنه ابو بكر بن عبد الرحمن وخاطبه ابا مجاهد الموفق صاحب دانية في الوصول الى الاندلس فيما ذكره) (1)

والقاضي عبد الوهاب بالاضافة الى تبحره في الكلام والاصول والفقه فقد كان شاعرا مجيدا ابان شعره عن الالام التي يقاسيها المثقفون والعلماء في مجتمع سهوده العامة والجهلة ممن ضحلت ثقافتهم وهزلت معارفهم مما جعله وغيره في حاجة الى كسرة رغيف يابسة في حين ينعم من هو في الحضيض بالذ الاطعمة وباجمل الالبسة وبوافر الاموال . قال لمودعيه عند خروجه من بغداد : والله لو وجدت في بلدكم كبجلتين من ذرة ماخرجت منها ...ثم انشد (2)

ولاتطلبيـن الـى المجبـوب اولادا — ولاالسـراب لتسقـى منـه ورادا

ومـن يـروم مـن الانـذال مكرمـة — كمـن يؤتـد فـي الاتبـان اوتادا

وانشد ايضا ابان هذا الخروج (3)

سـلام علـى بغـداد فـي كـل موطـن — وحولهـا مـن السـلام المضاعـف

لعمـرك مافارقتهـا عـن ملالـة — وانـي بشطـي جانبيهـا لعـارف

ولكنهـا ضاقـت علـى برحبهـا — ولـم تكـن الارزاق فيهـا تساعـف

فكانـت كخـل كنـت اهـوى دونـه — واخلاقـه تنـأى بـه وتجانـف

ويقول ايضا موضحا اسباب ارتحاله (4)

بغـداد دار لاهـل المـال واسعـة — وللصعاليـك دار الضنـك والضيـق

اصبحـت فيهـا مضاعفـا بيـن اظهرهـم — كانننـي مصحـف فـي بيـت زنديـق

---

1) المدارك 4/ 694
2) " " " " " 4/ 693
3) الديباج ص 159
4) المدارك 4/ 694

وقال ايضا (1)

وقائلة لو كان ودك صادقا ... لبغداد لم ترحل فكان جوابيا

يقيم الرجال الموسرون بارضهم ... وترمي النوى بالمغتربين المراسيا

وما هجروا اوطانهم عن ملالة ... ولكن حذارا من شمات الاعاديا

وقد اطلت في ترجمة القاضي عبد الوهاب لما كان له من دور في شرح وتوضيح اقوال فقهاء القيروان ونشرها بين موالك الشرق الاسلامي مما اكسبها سعة الذيوع وعظيم الانتشار فكان حق تلميذ ابن ابي زيد وان لم يجتمع به واستمر بعد موت ابي محمد في دراسة آثاره وشرحها ونشر اقواله في حلقات الدرس سواء بالعراق او بمصر.

واستمر في نضاله العلمي رغم فقره الى ان توفاه ربه بمصر سنة اثنين وعشرين واربعمائة من اكلة اشتهاها ويقال انه لما احتضر بالموت قال (لا اله الا الله لما عشنا متنا) (2) يقول عياض ورأيت في بعض التواريخ ان سنه كان حين مات ثلاثا وسبعين سنة (3) فيكون مولده حسب قوله سنة 349 هـ خلافا لما اورده الديباج من انه ولد سنة 362 هـ وتوفى سنة 422 هـ (4) لكن اميل الى تصديق عبارة المدارك لانه ما ذكر هذا التاريخ الا من مصدر من المصادر التي لم تتوفر لابن فرحون هذا من ناحية ومن اخرى ان نفي الشيرازى لتلمذة القاضي عبد الوهاب على ابي بكر مرده الى صغر سنه وعدم اشتهاره، مما جعل الشيرازى لاينتبه اليه فنفي هذه التلمذة في حين نجد عياض يثبتها بالملاقاة والاجازة وهذا ما وقع لكثير من صغار طلاب ابن ابي زيد اذ لم يذكروا من ضمن طلابه بل ذكروا من ضمن تلاميذ كبار اصحابه.

كابي علي بن خلدون واسماعيل بن عذرة وغيرهم (5)

---

1) ترتيب المدارك 4/ 694

2) " " " " " " " " 4/ 695

3) " " " " " " " " " " " " " "

4) الديباج ص 160

5) هذا البحث ص 142 ـ 143

لقد تعرفنا في بداية هذا الفصل على ابي محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني)(310-386هـ) كمعلم استطاع بفضل علمه وا خلاقه وامكانياته التربوية ان يحقق نجاحا باهرا في ميدان التربية والتعليم حتى عدت المدرسة القيروانية على يدية طليعة مدارس امصار العالم الاسلامي حيث طبقت شهرتها كامل الافاق مما جعل طلاب العلم يتوافدون عليها من الاندلس غربا الى بغداد شرقا ، ومن تعددت منهم به صحته او حالت دون التحاقه بها قلة ماله، عمد الى مراسلة مالك الصغير شيخها طالبا اجازته في رواية وتدريس تأليفه ولا ادل على ذلك من طلب ابن مجاهد الاشعرى من ابن ابي زيد اجازته في تدريسه المختصر والنوادر والزيادات وهو مافعله غيره من البغداديين والاندلسيين .

وكان ابن ابي زيد حريصا على نشر ارائه واراء شيوخه القيروانيين اذ لم نجده يرد طالبا ابتغي منه علما وطلب معرفة سواء حضر بذاته او لم يحضر بذاته ولا ادل على ذلك من قوله في رده على رسالة ابن مجاهد فقد ذكرعياض ان ابا محمد بن ابي زيد قد (اجازه كتبه ولمن يرغب في ذلك) (1) وهو بالاضافة الى هذه الاستجابة كان حريصا على سرعة بلوغ مؤلفاته الى من طلبها من ذلك انه وجه الى ابن مجاهد في اول الامر بعض ابواب من كتابه النوادر والزيادات اذ لم يتمكن من تبييضها ومقابلتها لان الوقت لم يسعه لهذا التبييض وهذه المقابلة ... ثم لما تمكن من ذلك وجه كتابيه مع طالبين من طلابه حيث ابلغا ماكلفا بتبليغه الى الابهري وابن مجاهد بقطع النظر على مايتطلبه ذلك من نفقة السفر ولا اظن ان المبعوثين قد اتفقا على البعثة من مالهما (2) شيئا بل ان حرص ابي محمد على نشر الانتاج الفقهي للمدرسة القيروانية هو الذى دفعه الى ان يبعث بباكورة انتاجه المتمثلة في كتاب الرسالة الى ابي بكر الابهرى ببغداد والى ابن زرب بالاندلس وهما قاضيا الجماعة كل في بلده ..بقدر مارئ بما لاقته الرسالة من عناية من طرف البغداديين بقدرما تألم مما لاقته من طرف الاندلسيين وستعرف تفصيل ذلك في محله من هذا البحث (3)

---

1) ترتيب المدارك م2ج 4 ص 473

2) ....

3) هذا البحث . ص 322-345

ولم يكن علاقته بطلابة تقف عند حدود اجازتهم او تنتهي لاخذهم عنه بل كانت علاقة سرمدية ابدية يراسلهم ويراسلونه لهم ويستفتونه، واعتقد ان احد تلاميذه السجلماسيين قد ابلغه حالة قومه وطريقتهم في تلاوة القرآن فما كان من ابن ابي زيد الا ان كتب رسالته المعروفة بـ (رسالة الى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن) (1)

وكان يتدخل بالحسنى بين طلابه الشيوخ واهل امصارهم اذا ماحدث مايعرقل سير انشطتهم التعليمية والقضائية ولادل على ذلك من رسالته الى اهل توزر عندما اختلفوا مع قاضيهم وشيخهم الشقراطسي فقد ورد في رسالته اليهم (ولقد كان لكم فيما بين لكم من النصيحة صاحبنا ابو زكريا يحي بن علي حفظه الله كفاية بالغة فلاينبغي لكم ان تتخذوا من ابي زكرياء بلالا ولاتبغوا عنه حولا فقد جعل فيه من الخير والفهم مايسعكم واوسع منكم اعاذكم الله من فتنة خفيت عنكم) (2)

وابو محمد عندما يكتب الى اهل الامصار في مثل هذه القضايا انما يكتب كمرب يعرف مابذرت يداه من علم في الصدور ومازرعته من قيم خيرية في النفوس ومانقشته من معارف عميقة في العقول وما طبعته من انمطة سلوكية مستمدة من الهدى القرآني والشمائل النبوية وماكان عليه السلف الصالح من شيوخ وعلماء وكان الى ذلك شديد المتابعة لاخبار طلابه القضاة اذ كانوا يستفتونه فيما يعترضهم من قضايا شائكة وحوادث قضائية معضلة وكتب التراجم مكتظة بمثل هذه المراسلات من ذلك مراسلته لابن الصفار القاضي الاندلسي وإجازته لغيره من الطلاب الاندلسيين (3)

فاذا كان هذا حاله من بعدت عنه امصارهم فمن باب اولى واحرى ان يكون اكثر حرصا على متابعة احوال طلابه وصحبه ممن جمعته واياهم مدينة عقبة وهذا ماعبّر عنه قول صاحبه ابي الحسن القابسي يوم ان بلغته وفاة ابن ابي زيد حيث قال : (الان انكشفت عورتي لما كان ينوب عليه في الفتوى وبكى عليه حتى كاد ان يغمى) (4) وما قال القابسي ذلك الا بسبب هذه العناية العلمية التي كان ابن ابي زيد يوليها لمن صاحبه او تتلمذ عليه .

---

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 494
2) الثريا عدد صفر الخير 1364 جانفي 1945 ص 5
3) الصلة ت 1397 ص 622 ترتيب المدارك م2ج 4 ص 763
4) معلم الايمان ج 3 ص 118

وبذلك ترى ان جهد ابن ابي زيد العلمي التربوي لم يقف عند حدود الدرس بل تجاوزه الى ميدان الحياة العامة اذ لم يكن الطالب عنده ربما ينتهي التعامل معه بنهاية الميعاد كما هو الحال في معاهدنا اليوم بل رأينا من خلال ما اوردناه وما سوف نورده ان شيخ المائة الرابعة كان يتابع طلابه خارج الميعاد وحتى بعد انتهاء اعوام تحصيلهم وعودتهم الى امصارهم، مما جعلهم ينقلبون بالنسبة اليه الى اصدقاء واصحاب، ولهذا كان الاخذ عنه مفيدا والتفقه به امنية صعبة المنال يجاهد طلاب القرن الرابع من اجل تحقيقها جهادا مضنيا .

هذا ما استطاعت اجابتنا عليه جملة من نصوص ارخت لعلاقات شيخنا ابن ابي زيد بتلاميذه خارج الفصل الدراسي وما كان لهذه العلاقات من تأثير في نشر اراء ابن ابي زيد خاصة واقوال المدرسة القيروانية عامة . لقد اجمعت كتب التراجم على ان الله قد من على ابي محمد عبدالله بن ابي زيد بسعة في العلم وحدة في الذكاء وبسطة في الرزق مع بركة في سني العمر وقد كان شيخنا معترفا بهذه النعم اذ لم يكنزها ولم يستثمرها لخاصة نفسه بل جعلها عونا لكل محتاج شيخا كان او طالبا او صاحبا او عابر سبيل حتى نجب تلاميذه وكثر اصحابه (1) من ذلك ما ثبت من استقباله للطلبة القراء الذين يفدون عليه للاخذ عنه والتفقه به حيث كان يوفر لهم كل ما من شأنه مساعدتهم على التحصيل والابداع فيه والتفرغ له وقد تتجاوز حد توفير الاقامة والاكل والادوات المدرسية الى حد التزويج وذلك عندما لاحظ الشيخ على احد طلبته ميلا الى النساء من ذلك ما ورده احد كتاب التراجم من (ان بعض طلبته من الاندلس وصل الى الفقيه ابي محمد للقراءة عليه فاكرمه وانزله واجرى عليه ما يحتاج اليه من نفقة وجعله امام مسجده فبينما هو ذات يوم خارج من داره الى الصلاة وكانت داره التي انزله فيها مجاورة للمسجد في قبالة حمام ابي محمد اذ نظر الى امرأة خارجة من الحمام وقد كشفت عن وجهها لما نالها من حر الحمام ولم تظن ان احدا ينظر اليها فلما رأته سترت وجهها وانصرفت فقيدت بصره واخذت من نفسه مأخذا

---

1) شذرات الذهب ج 3 ص 131 ط بيروت

عظيما نتبعها الى ان دخلت دار الفقيه ابي محمد بن ابي زيد والفقيه ابو محمد ينظر اليه في تلك الحالة فلما رآه ينظر اليه سقط في يده وداخله من الحياء والخجل ما لا يزيد عليه ورجع الى داره حزينا كئيبا فلما تأخر عن الصلاة اتاه المؤذن يؤذنه بما واعلمه ان الشيخ ابا محمد بعث اليه فاتى فصلى بالناس ثم اخذ الفقيه معه في المذاكرة والموانسة الى ان صلى العشاء الاخرة فقال له ابو محمد انصرف الى دارك حتى اصل اليك فلم يشك انه يقول له في ذلك فظن سوءا وعاد اليه حزنه وكآبته ولما وصل الى داره لم يجلس الا وابو محمد في اثره فقال له : يا بني انما جئتك معتذرا من تقصيري في حقك اذ لم اقم بجميع ما تحتاج اليه وذلك اني لم اتفقد انك تحتاج الى النساء فانك شاب وها انا شيخ احتاج الى الزيادة في ذلك فكيف انت ؟ واما الصبية التي رأيتها خارجة من الحمام فاني ربيتها صغيرة لنفسي وهي لك وما اخرتها لهذا الوقت الا انهم في الدار من ذلك الحين يصلحون من شأنها فلم يبق حتى وصلت الصبية بجميع ما تحتاج اليه من ثياب وحلي وفرش وتركها في منزله وانصرف (1)

وقد اعجبني تعليق ابن ناجي عن هذه الحادثة لانه تعليق كما ينطبق على عصره ينطبق على عصرنا يقول ابن ناجي (واعجباه هكذا كان خواص العلماء في اخلاقهم وانصافهم واعانتهم ولو وقع اليوم اقل من هذا لتلميذ مع شيخه لما نظر له في وجه ولا صلى وراءه ابدا ولا يقدمه في خطة شرعية ولا تقبل له توبة ابدا) (2) وهناك حادثة اغرب من هذه ينقلها ابن ناجي عن شيخه البرزلي تدل وقائعها على فائق العناية التي كان يلاقيها الطلاب من قبل ابن ابي زيد قال (ان ابنة الشيخ ابي محمد دخلت حماما في اول الليل فاطالت الاقامة وهي معتقدة ان اول الليل لم يزل فلما خرجت لم تجد احدا يمشي فخافت ان هي مشت الى دار ابيها قد يقع بها بل يؤذيها

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 114

2) " " " " " " " " " "

فضربت باب علو فخرج منه رجل فقال لها ماتريدين ...؟ فقالت كنت في الحمام واعتقادي ان اول الليل لم يزل وخفت ان مشيت الى داري يضرني من يجدني فاحببت ان ابيت عندكم حتى يطلع النهار فقال افعلي . فوجدت رجلا من طلبة العلم وكتبه بين يديه فاخذ ينظرها وليس معه في البيت احد فخافت منه فلما كان بعد ساعة وسوسة الشيطان - لعنه الله تعالى - وقال له هذه طفلة جميلة الصورة جاءت لمكانك . فقال لا افعل فان النار عاقبته ... فلما زادته الوسوسة اخذ يعظ نفسه بالنار ولم تنته فاخذ اصبعه فوضعها على ذبالة المصباح وقال لنفسه نار القيامة اعظم فهل لك الصبر عليها ...؟ وجعل ينقل اصابعه العشرة على الذبالة والجارية وهي تنظر ومازال كذلك الى ان طلع الفجر فقال لها : سترني الله واياك ان الفجر قد طلع فامشي الى دارك . فمشت فوجدت امها خلف الباب وهي تلتهب عليها فقالت لها يابنية لعلك باطلة؟ فقالت : سالمة واعلمتها كيف جرى لها .

واعلمت والدتها والدها ابا محمد فجعل الشيخ ينظر في طلبته لعله يعرف الرجل فما جاءت الدولة اليه اخذ الكتاب ليقرأ فيه بيديه مغطما تان في كمه فعلم انه هو فلما فرغ الميعاد واخذ الناس في الخروج واراد الرجل الخروج كغيره اشار اليه الشيخ بالجلوس فسأله عن كونه لم يخرج يديه ؟ فكلمه بكلام علم انه صاحبة فعرفه انها ابنته وزوجه اياها (1)

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 115

ان وقائع الحادثتين السابقتين لتدلان دلالة واضحة على ماتتصف به هذا الشيخ الجليل من صفات اخلاقية حميدة ورؤى تربوية واضحة حقيقة اشلته ان يكون شيخ المائة الرابعة بلا منازع ومعلمها بلا مزاحم فانظر اليه كيف كان سلوكه مع الطالب الاول زيد قال له (يابني انما جئتك معتذرا من تقصيري في حقك اذ لم اتم بجميع ماتحتاج اليه وذلك اني لم اتفقد انك تحتاج الى النساء فانك شاب وها انا شيخ احتاج الى الزيادة من ذلك فكيف انت ...؟) (1) ان كلاما مثل هذا الكلام لمن شأنه بازالة الرهبة وتعميق رابطة المحبة بين الشيخ والطالب حيث يصبح هذا الشيخ في نظر طلابه قدوة على حديثها بعيدا وكرها يمنع مما يرغب في الاخذ عنه والاستفادة من علمه والتخلق باخلاقه والتمسك بسلوكه وتصرفاته .. بهذا المنهج التربوي السليم غدا ابن ابي زيد وامثاله حديث المجالس في مشارق الارض الاسلامية ومغاربها .

ان يمثل هذه التصرفات لابي محمد ازاء طلابه جعلت هؤلاء الطلاب يجهشون بالبكاء في مجالسهم باصطبارهم اذا ورد ذكر اسم شيخهم في تلك المجالس وما اكثر ورود اسمه من ذلك ان ابا بكر بن ابي العباس الصقلي ذكر اسم شيخه ابي محمد في مجلس فتاويه فانخرط في البكاء ولما سئل عن ذلك قال : (كان اعطاني يوم طلبي عليه بالقيروان جارية وان زادني هذا منها واشار الى ولدة) (2)

وهذا ابو سعيد الخولاني يحضر درس شيخه ابن ابي زيد في اطار بالية وهي احسن ماعنده فيتألم الشيخ من ذلك اشد الالم ويبعث له بخمسين مثقالا ذهبا ، ومن ذلك السلوك الذى فعله مع القاضي ابي نصر البغدادي الذي بعث له بالف دينار ذهبا (3) مما جعل هذا الطالب ينشط في شرح كتب ابن ابي زيد ويعمل على نشر ارائه واقوال المدرسة القيروانية بالمشرق الاسلامي (4) بل ان احسان الشيخ له دفعه الى التفكير في الانتقال الى القيروان وهذا هو عزمه ...

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 114
2) " " " " " " 113
3) " " " " " " "
4) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 692

فادر بغداد ولولا وفاة الشيخ المفاجئة لكان القاضي عبد الوهاب من جملة التلاميذ الذين تميزوا به لإلقاء مالك الصغير (1)

ان الدارس لحياة تلاميذ الشيخ ابن ابي زيد على كثرتهم وانتشارهم في البلدان ليلمس مدى تأثرهم به تأثرا عميقا جعلهم يعرضون لنفس ما تعرض له بسبب مواقفه من بعض القضايا التي شغلت مجتمع القرن الرابع كقضية انكار الغلو في الاعتقاد في كرامات الاولياء فهذا القبري المعروف بالحصار (406هـ) يعمد الى نشر كتب ابن ابي زيد بالاندلس لمن يرى نشر ارائه في محاربة البدع التي تعارض المبادئ القطعية للشريعة السمحة مما يعرضه الى النفي والابعاد (2) وهذا ابن وافد (404هـ) يضيق الخناق على اهل البدع من البرابرة مثل تضييق شيخه على اهل البدع من الروافض (4) وهناك مئات من غير هؤلاء كانوا صورة طبق الاصل من شيخهم ابن ابي زيد من حيث تأثيرهم في تدريسهم وتأثرهم بقضاياه الحياتية كيف لا يكونون كذلك وقد كانوا في جملتهم قضاة واهل فتيا ومدرسين علماء (5)

ان تأثير ابن ابي زيد في تلاميذه وعلماء عصره هو الذي دفع الباقلاني تلميذ تلميذه الى الثناء عليه امام الزاهد القيرواني الذي جاء يستفتيه ويحكمه في قضية افكار الاشعري والاعتقاد في كرامات الاولياء (6) لم يكتسب ابن محمد هذه السمعة الطيبة بسبب جاه او سلطان بل مردها الى علم غزير وطريقة تربوية مثلى واخلاق عالية جعلته شيخا لطيفا سمحا حتى مع المشاكسين من طلبته بتغاضيه عن زلاتهم وبارتفاعه عن صبيانيات بعضهم حتى وان آلمته في حين صدورها عن بعضهم من ذلك ما حدث له مع طالبه البراذعي الذي كان يجد سقطات شيخه ابي محمد ويستهزئ بكلامه وقد مر بنا ان البراذعي لما ألف التهذيب عرضه على شيخه ابي محمد وطلب منه ان يأذن له في

---

1) ترتيب المدارك م2ج 4ص 694
2) انظر ترجمة القبري بهذا البحث
3) " " " ابن الفرضي " " ص169
4) " " ابن وافد " م2ج " ص 172
5) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 470
6) معالم الايمان ج 3 ص112 ـ 113
7) ترتيب المدارك م2ج 4 ص 703

نشره . فاطلع عليه الشيخ وامره بحرقة او محوه عندئذ سكت هذا الطالب ثم عاوده ثانية مردفا ذلك بابيات شعرية جاء فيها

خذ العلوم ولاتحفل بناقلها واقصد بذلك وجه الخالق الباري
اصل الرواية كالاشجار مثمرة اجن الثمار وخل العود للنار

فتأثر ابو محمد من هذا الاستعطاف فتركه ولم يعرض لكتابه (1)
ان مثل هذا السلوك وغيره هو الذي دفع بالطلاب الى مزيد التعلق بشيخهم تعلق الابناء بالاباء حتى نجد ان البرازلي في المدارك لما يسمي يونا تشيخه مانتخلف عن حضور جنازته وانما تألم بموته بل بكاه وكل من اخذ عليه حرفا ممن يحسن الشعر حتى وصل عدد القصائد التي رثي بها الى مايؤلف ديوانا لوجمعت ولذلك قال الدباغ ورثى بمراث كثيرة تركتها لشرط الاختصار (2)
اننا لو القينا نظرة فاحصة على تراجم تلاميذه والذين ذكرنا منهم عددا قليلا جدا لوجدنا ان هؤلاء الطلاب قد هيأ لهم مستواهم العلمي ان يتبوؤوا المراكز الحساسة في امصارهم كالامامة والقضاء والافتاء والتدريس حتى كان جل قضاة الاندلس والمغرب هم من طلبة ابن ابي زيد كابن الفخار واللخمي والحصار وابن قطين وخلف بن عيسى وابن العجوز وغيرهم ومثل مايقال بالنسبة للاندلس والمغرب يقال بالنسبة للقيروان وصقلية وطرابلس وبغداد .
وبذلك نكون قد اجبنا ولو باقتضاب على ماطرحناه من اسئلة في صدر هذا الفصل ولقد كان في مشايخنا بالجامع الاعظم من كان يشابه في العلم والثقافة والسلوك مارايناه لابي زيد ولقد كان لهم معنا مواقف ستبقى مكانها في التاريخ يوما ما وماذلك كله الا بسبب اتصال السند التربوي للمدرسة الفقهية بالقيروان والتي ورث تاريخها الجامع الاعظم بتونس حاضرة افريقية الحفصية .

---

1) معالم الايمان 3 ص 150
2) " " " " " " 113

1- مالك الصغير داخل اسرته

على الرغم من ندرة النصوص المؤرخة لحياة الشيخ داخل اسرته من حيث كيفية تعامله مع افرادها وكيفية اشرافه على تربيتهم الا انني بالتركيز على هذه الناحية فقد امكن لي ان اظفر ببعض نصوص كفيلة باعطاء فكرة عن هذا التعامل وهذه التربية.

من ذلك ما اورده الدباغ من (ان مؤدب أولاد الشيخ أبي محمد ضرب واحدا منهم بسيط فاخطأ السوط فجاء على عينه فسالت، فبادر ورد العين لموضعها ورد ببصرة الى السماء ودعا بدعاء خفي وازال يده فرد الله بقدرته العين كما كانت، وكان الشيخ ابو محمد ينظر من طاق وهو جالس في علوه مشارف على المكتب فوقع بصره على جميع ذلك فبادر الى دواة وقلم وورق واتى الى المؤدب فاخذ المؤدب يعتذر فقال ابو محمد : كل ذلك رأيته ولكن امل علي الدعاء والذي دعوت به لئلا تنساه لادعو به لنفسي فقال : ياشيخ لما رأيت مصيبتي عظمت دعوت الله تعالى فقلت اللهم ببركة والده رد عينه كما كانت.....) (1)

هذا النص بقطع النظر عن ثبوت كل جزئياته اوعدم ثبوتها فان الباحث يستطيع ان يستنتج منه شدة عناية هذا الوالد بالتكوين العلمي لاطفاله وتظهر هذه العناية في ناحيتين

اولاهما جلبهُ لمعلم خاص لتحفيظهم القرآن وتعليمهم اصول الكتابة وتلقينهم المبادئ الاولية للعلوم اعدادا لهم للجلوس في حلقات الشيوخ والعلماء بدور التعليم في عاصمة الاغالبة.

ثانيتهما مراقبة الشيخ لعملية التكوين العلمي هذه بنفسه من طرف في بيته وهو العالم الكفء الذي شدت لحلقته الرحال من كافة انحاء العالم الاسلامي.

وقد اثمرت هذه العناية واتت اكلها مرتين اذ كان ابناؤه من العلماء الاجلاء وكان احدهم قاضي قضاة القيروان (2) كما سيأتي ذلك في موضعه من هذا البحث بحول الله.

---

1) معالم ج 3 ص 116

2) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 717

وعنايته هذه نراها تتجاوز ابناءه من صلبه الى ان تشمل طلبته الغرباء الذين قصدوه للتعليم والتأديب ولذلك فليس من الغريب عنه ان تكون عنايته بتعليم اطفاله عناية فائقة لانه يعرف ولا شك ان تعليم الابناء وتربيتهم من الواجبات الدينية التي سيسأل عنها الاباء امام الله .

وقد رزق الشيخ[2] رحمه الله ذكورا واناثا لان هناك نصوصا كثيرة تتحدث عن لوعته عندما اصيبت[2] بناته الثلاث كل على انفراد وفي اوقات متعددة بعض مفاجيء افقدهن لذة النظر وفي هذا تبرز في شخصية ابن ابي زيد هذه اللفتة الابوية بكل عنفها فيوصي الى [illegible] في كل مرة بما يقاسيه بسبب مرض احدى بناته فهذا تربيبة المؤدب محرز بن خلف يأتي اباه مع زائرا لمرض ابنته بمجرد دخوله مما يثبت عاطفة هذا الاب الجياشة التي تغلبت على الاصول التي يجب ان يلاقي بها صاحبه الذي جاءه من مسيرة ثلاثة ايام فقد ورد ان المؤدب محرز بن خلف التونسي رحمه الله قصد الى زيارة ابي محمد فلما دخل داره اتوه بابنة الفقيه ابي محمد ليتولها وكانت قد اقعدت فدعا لها فقامت على قدميها ومشت من ساعتها) (1)

اما ابنته الثانية فقد اصابها مرض في احدى عينيها واحتار ابوها في امرها بين اخذها للطبيب وبين حملها الى احد شيوخه الاولياء .. فقد ورد على لسانه (كان السبائي مستجاب الدعاء وذلك انه كانت لي بنت اصابها في عينيها شيء فكرهت المشيء بها الى ابن اعين الطبيب[2] فقال لي اتركها وانا ارقيها من شاء الله فمازال يرقيها ويدعو في داره حتى ذهب ما كان في بصرها) .

اما ثالثة بناته فقد اعلمنا ابوها كانت فيه حالتها قال (وكانت عندي طفلة اعتراني وركبها [illegible] بها امرأة اتيه ـ السبائي ـ فرقاها فرجعت صحيحة (3)

هذه النصوص الاخيرة الثلاثة بقطع النظر عن انطباق نصوصها على وقائعها او عدم انطباقها انما تعبر في حقيقتها وابعادها عما يختلج في فؤاد هذا الاب من عاطفة جياشة ومشاعر نبيلة تجاه فلذات كبده الثلاث وخاصة انهن بنات واللاتي لا بد لهن من الجانب الاكثر على مستقبل حياتهن كربات بيوت ولذلك بادر بالتفكير في الطبيب لمعالجتهن واعادة الصحة اليهن .

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 116

2) ورقات المصحف الاول ج ص 305 . [اعين بن اعين وهو من الاطباء الذين تميزوا في العصر الفاطمي الطبيب الكحال (اعين بن اعين) ولا نعلم من اسمه اكثر مما ذكرنا وقد نقل المؤرخون عن العزيز به كان يجري بالذكر في الصناعة الطبية وخاصة بطب العيون وهي الكحالة - في مدة المعز لدين الله الفاطمي واشتهر بالمهارة في معالجة الرمد المزمن وشفي على يديه كثير من المصابين به مثل الشريف احمد بن عوانة وابنه وسمح [illegible] عبد الله [illegible] الفقيه [illegible] انتقل الى مصر مع المعز لدين الله [illegible] كان طبيبا متميزا وله ذكر جميل وحسن معالجته » وتوفي في شهر ذي القعدة سنة 385 ديسمبر 995م في ايام الخليفة العزيز بالله ابن المعز - ح ح عبد الوهاب - ورقات -

3) معالم الايمان 3/ 67

وقد يعترض معترض على هذا التصوير من حيث صحتها فنقول ان العبرة ليست في صحة النص او عدم صحته وانما يكفي الباحث ما يبرز فيها من عاطفة جياشة لهذا الاب بالاضافة الى اشارتها الى وسائل العلاج واهله بالقيروان في زمن ابن ابي زيد القيرواني وبالاضافة الى هذه العاطفة الابوية فقد كانت له ثقة في بناته وفي تصرفاتهن وكيف لا وهو المربي الكفء الذي يبذر كل يوم في نفوس الناشئة القيم الخيرة والاخلاق الحميدة ولا ادل على ذلك من تصديقه لما روته ابنته التي خرجت من الحمام بعد ان اقتربت طرق القيروان واسواقها فالتجأت الى احدى البيوت خوفا من ان يلحقها ا ونعلا نتذوق الشيخ في مقالها صدقا وفي حديثها حقا وفي روايتها صحة وذلك عندما اتى بعض آولما من طلبته وقد رأى ان الحسن مداراة لهذين الشابين عن عنتهما وطرحها امام انزلاقات الشيا وعقد قرانهما ليعيشا تحت شريعة الله (1)

ان هذه الثقة بين الشيخ وابنائه هي ثقة مبنية على اسس تربوية عميقة وقوية دعمتها عاطفة ابوية صادقة وجياشة نحو الابناء بشحنات ايجابية قوت من عزمهم على مواصلة الطريق الذي بدأه والدهم محافظة منهم على اسمه ووفاء منهم لتلك المبادئ التي رباهم عليها ولا ادل على ذلك من عمل ابنيه القاضي عبد الوهاب بعد وفاة والدهما (2) وهو ما ستراه في مكانه من هذا البحث.

ان من خلال متابعتي لتاريخ هذه الاسرة وافرادها تبين لي ان لابي محمد ابن ابي زيد ولدين هما ابو بكر احمد وابو حفص عمر (3) اما محمد الذي يكنى به فاني لم اعثر له على اثر اذ من الممكن ان يكون بكره الا انه توفى صغيرا فلم يبق من ذكراه سوى اشتهار عبد الله بن ابي زيد بكنيته به فقيل ابو محمد عبد الله بن ابي زيد ولمزيد تسليط الاضواء على هذه الاسرة الكريمة ارتأيت من الفائدة الترجمة لولدي ابي محمد ابي بكر احمد وابي حفص عمر (4) حتى تكتمل الصورة التي نريد رسمها للشيخ داخل اسرته.

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 115

2) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص

3) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 717

4) ترجمتهما بالترتيب م 2 ج 4 ص 717 ومعالم الايمان ج 3 ص 137 = 150

ابـــو بكـــر احمـــد بن ابي محمد عبدالله بن ابي زيد عبد الرحمان النفزاوي والقيرواني ادرك والده صغيرا وروى عنه كتبه اخذ عن شيوخ بلده القيروان وكان اعتماده على شيخه ابي القاسم البراذعي حيث روى عنه كتاب التهذيب وكان بينه وبين شيخه هذا ود صادق ولذلك كان البراذعي يرفع من قدره ويوالي الثناء عليه (1)

وكان ابو بكر على قدر كبير من العلم والصلاح والخيرة لما قاله عياض في مداركه من انه (لم يكن فيما بلغني محمود السيرة ... ولم يكن بالطائل الدراية) (2) وذلك لبعد القيروان عن سبتة هذا من ناحية ومن اخرى ان عياضا نفسه لم يكن متيقنا من هذا الوصف الذي اطلقه على ابي بكر احمد حيث قال : لم يكن فيما بلغني وما بلغه قد يكون ادعاء لبعض خصوم عائلة ابن ابي زيد وما اكثرهم وخاصة في زمن ابي بكر احمد اذ انقسمت القيروان الى فريقين حول قضية تولي القضاء فريق مع احمد بن ابي محمد بن ابي زيد وفريق مع ابن عبدالله بن هاشم (3) وكان ان وقع اختيار المعز بن باديس التريزي على ابي بكر احمد حيث ولاه خطة القضاء سنة 435 هـ (4) لكن خصوم ابي بكر احمد لم يهدا لهم قرار الا بعد ان توصلوا الى تنحيته عن القضاء بدسائس دسوها وبشباك نصبوها ولما تكاثرت هذه الدسائس وهذه الاحابيل رأى المعز ان الاحسن اعفاء ابي بكر بن ابي محمد من هذه الخطة فقال له : قد رأينا ان عزلك اروح لك في دينك ودنياك فاخترنا لك الجرحه وكان ذلك في رمضان سنة 436 هـ (5) وقد كان لابن شرف القيرواني دور مهم في تولية ابي بكر احمد القضاء (6) وكذلك فعل غيره من الشيوخ الاجلة فلو كان ابو بكر احمد كما زعم بالغ عياض لما وجد من النخبة القيروانية التشجيع والدعم وكان ابو بكر احمد كثير التمثل بهذه الابيات (7)

والعزبي لفراق قوم	هم الم ابيح والحصون
والاسد والمزن والرواسي	والامن والخفض والسكون
لم تتغير لنا الليالـــي	حتى توفتهم المنون
فكل نار لنا قلـــوب	وكل ماء لنا عيـــون

وتوفي رحمه الله بعد 450 هـ ودفن بالدار التي دفن بها والده (3)

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 137
2) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 717
3) معالم الايمان ج 3 ص 137
4) " " " " " " " " " " 137
5) " " " " " " " " " " " " 139
6) " " " " " " " " " " " " 139
7) " " " " " " " " " "
8) " " " " "

ابو حفص عمر : بن ابي محمد بن ابي زيد النفزاوي القيرواني سمع من ابي عبدالله محمد بن العباس الانصاري وتوفي سنة 460 هـ (1) وكان له ولدان هما ابو القاسم عبد الرحمان كان عالما له عناية خاصة بالحديث حافظا للمستنبا بالفقه ذابا عن مذهب مالك توفي بعد ابيه بخمسة عشر سنة اما ابنه الثاني فهو ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن ابي محمد بن ابي زيد القيرواني كان عالما صالحا تولى امامة جامع عقبة بالقيروان وهو خاتمة المنتسبين لابي زيد وهو آخرهم مات سنة [illegible] هـ (2)

ومثل ماوقف ابن شرف من قضية تولية ابي بكر احمد القراء نجد صاحبه ابن رشيق القيرواني يخاطبهما الاثنين معا قائلا (3)

يا موسى امل على التحقيق ... وسمي الصديق والفاروق
مازال رأيكما كراي ابيكمـــــا ... يجري على التسديد والتوفيق
لئن امتُّ اليكما دونها حرمة ... فسرقت امن بالكون فريقة
من اي وجه تقدران مخاصمي ... من بعد ما وجبت عليه حقوقي
وانا احق بها غير مدافع ... في كل ناحية وكل طريـــق
ان كان استاذا عنيه فانـــه ... فيما نالني لم يكن بشفيق
لاترغبا في برهان دومثلـه ... تلرب بو يرجس بحقـــوق
واذا الفتى لم يرض من خالقه ... لم تلقه يرضى عن المخلـــوق

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 190
2) معالم الايمان ج 3 ص 202
3) ترتيب المدارك ج 4 ص 717

تلك هي بعض الصور من داخل اسرة ماجدة لابائها واجدادها من سلالة العلم والصلاح بل بالعلم الذي بثه مؤسسها في صدور الرجال وبالفضل الذي عرف به واشتهرت به لابنائه التزمت بما بثه في وجدانها ومازرعه في ضميرها من قيم خيرة فهي تؤمن بالعطاء وتعتقد الصدق وتعمل من اجل الخير ولا ادل على ذلك من وفاء الابنين لاصدقاء الوالد حتى انهما وجها دعوة للقاضي عبد الوهاب لزيارة القيروان .

ان تأثير ابي محمد على افراد اسرته واضحة مع المداية ابيه ناته داخل اهل القيروان ينظرون الى هذه العائلة نظرتهم الى والدها حتى راينا ان ترجمة ابي بكر احمد بن ابي محمد القضاء فوصلت بنى شديد من العامة والخاصة مصداق ذلك مارصف به ابي بكر احمد من اوصاف تكاد تكون نفس الاوصاف التي وصف بها والده من قبل فقد قيل فيه (وكان فيها فاضلا ولاه المعز بن باديس قضاء القيروان وكان عدلا في الاحكام كثير السياسة مرجها للناس) (1)

فرحم الله ابا محمد وجزاه خيرا على حسن تربيته وسداد نظره .

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 137

2) الشيخ ومجتمعه

ان الدارس لحياة ابي محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني يلاحظ بوضوح جلاء مدى ماتتصف به الحياة الاجتماعية لهذا الرجل من حركية ونشاط ، من ذلك انه لم يتخلف عن اي نشاط يقع داخل هذا المجتمع ، ولا ادل على ذلك من حضوره المستمر لمجالس مسجد السبت الاسبوعية حيث كانت تعقد اللقاءات بين الشيوخ الكبار من اهل القيروان فيتدارسون اثناءها القضايا العلمية ويبحثون فيها اوضاعهم السياسية المتردية نتيجة للقطيعة الفكرية والسياسية بين مجتمعهم والسلطة الشيعية المتحكمة فيه ولذلك كان حضور هذه المجالس مما يثير حنق وغضب العبيديين ولذلك قال ابن ناجي (وقد تقدم ان مسجد السبت الذي يسمى عندنا بمسجد العربي لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد فيه شعر بني معدان في الزهد ويقرأ فيه ايات من كتاب الله تعالى وحكايات — وهو الذي يسمى عندنا اليوم الرقايق — فان جميع المشيخة يبيحون حضوره ويحضره من يحضره معهم من الصالحين والزهاد واهل الخير من يوم السبت الى يوم السبت الا ثلاثة يحي بن عمر في زمانه فكان لايحضره والف تأليفا في عدم حضوره لكونه يرى ذلك بدعة ، والى هذا اشار القائل — لابن اللباد يعز على يحي بن عمر لوراه ، وكان شيخه المعنى وانت تتكلف هذا (1) وكذلك القابسي وابن عمران في زمانهما وكان هذا المسجد يحضره الجمع الغفير من العلماء والصالحين كان حضورهم يغيظ بني عبيد لانهم يخافون من اجتماعهم ان يتفقوا على القيام عليهم) (2)

ولاشك عندي ان مسجدًا يذهب اليه شيخه ابن اللباد على الرغم من العيون المبثوثة حوله ولايمنعه من حضور مجالسه مطر ولا وحل ولا طين ان يتخلف طالبه ابن ابي زيد عن حضور مجالس يشارك فيها من عليه مدار الفتوى في ذلك الوقت (3) كيف لايحضر مجالسه العامة وهو الذي رايناه ايام منع السلطة الاتصال بابن اللباد كيف كان يجازف بنفسه ويذهب اليه وقد اخبأ دفاتره تحت ثيابه حتى تبلل بالعرق (4)

—

---

1) انظر القصة كاملة في ترجمة ابن اللباد بهذا البحث ص 73 ـ 77
2) معالم الايمان ج 3 ص 24 ـ 25
3) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 493
4) معالم الايمان ج 3 ص 25

ومن مسجد السبت كانت هناك مساجد اخرى قيل انها بلغت التسع (1) وفي كل مسجد من هذه المساجد كانت الحلقات منعقدة اثناء الليل واطراف النهار وماينتهي ميعاد حتى يبدأ ميعاد ثان محافظة من المشيخة على بقاء الصبغة السنية لمجتمع كادت القوى المعادية من الزوال ان تبلغه وتشييعه بدليل رد علماء القيروان على ابي جعفر بن نصير الداودي الاسدي (402هـ) (2) لما انكر على معاصرين من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاؤهم بين اظهرهم وانه قد كتب اليهم مرة بذلك فاجابوه اسكت لاشيخ لك اى لان درسه كان وحده ولم يتفقه في اكثر علمه عند امام مشهور وانما وصل الى ما وصل بادراكه ويشيرون انه لوكان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه، لعلم ان بقاءهم مع من هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الاسلام وبقية صالحة للايمان وانهم لوخرج العلماء عن افريقية لتشرق من بقي فيها من العامة الالف والالاف فرجحوا خير الشرين والله اعلم . (3)

---

1) معالم الايمان ج 1 ص 27-33

2) ابو جعفر بن نصر الداودي الاسدي من مالكية المغرب اصلهمن مسيلة وقيل من بسكرة درس بطرابلس حيث اعد كتابة شرح الموطأ بها ثم انتقل الى تلمسان حيث توفي سنة (402) له تآليف كثيرة منها الواعي في الفقه والنصيحة في شرح البخاري من تلاميذته " ابو عبدالله البوني وابو بكر احمد بن ابي زيد دفن بتلمسان عند باب العقبة " . انظر ترتيب المدارك ج 2ج 4ص 623

3) ترتيب المدارك م2 ج 4ص 623

وما دمنا بصدد الحديث عن هذه القضية التي كانت الشغل الشاغل لعلماء القيروان وائمتها فلا بد من الاشارة الى ما أورده عياض في ترجمة ابي محمد بن الكراني (1) من فقهاء القيروان : فقد سئل عن من اكرهه بنو عبيد على الدخول في دعوتهم أو يقتل ؟ قال نختار القتل ولا يعذر احد بهذا الامر كان اول دخولهم البلد فيسأل ان يعرف امرهم، واما بعد فقد وجب الفرار فلا يعذر احد بالخوف بعد اقامته لان المقام في موضع يطلب من اهله تعطيل الشرائع لا يجوز وانما اقام من هنا من العلماء والمتعبدين على المباينة لهم لئلا يخلو بالمسلمين عدوهم فيفتنوهم عن دينهم وعلى هذا كان حبيب بن سعدون وابراهيم القطان وابو القاسم الممسي ومروان بن نصرون والجبنياني والسبائي وبه يقولون ويفتون وقال ابو يوسف بن عبد الله الرعيني في كتابه : اجمع علماء القيروان ابو محمد وابو الحسن القابسي وابو القاسم بن شبلون وابو علي ابن خلدون وابو بكر الطبني وابو بكر ابن عذرة ان حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة بما اظهروه من خلاف الشريعة فلا يورثون بالاجماع وحال الزنادقة بما اخفوه من التعطيل فيقتلون الزندقة قالوا ولا يعذر احد على هذا الرأي اصحاب يفتون يفترون المسلمين قال ابو القاسم الدهان وهم بخلاف الكفار لان كفرهم خالطه سحر ومن اتصل بهم خالطه السحر ولما حمل اهل طرابلس الى بني عبيد اضطروا ان يدخلوا في دينهم عند الاكراه ثم ردوا في الطريق سالمين فقال ابن ابي زيد رضي الله عنه : هم كفار لاعتقادهم ذلك (1)

وقد اوردنا سابقا النص المتحدث عن الاجتماع الذي وقع بمسجد اللجام بمحضر ثلة من كبار علماء القيروان من ضمنهم ابن ابي زيد نفسه عندما بعث في طلبهم المختال صاحب القيروان لمن قبل العبيد بيين ليشرفهم ويحملهم على التشيع ثم كيف انابوا عنهم ابا محمد بن التبان حيث ناظر الدعاة وانتصر عليهم وقد اشرنا الى ان هناك رواية اخرى تقول بان هذا الاجتماع كان بدار ابي محمد بن ابي زيد ولا استبعد وقوع الاجتماعين في وقتين متلاحقين وذلك ان المجتمعين لما بلغ علمهم طلب

---

1) ترتيب المدارك م 2 ، ص 712 – 720

ابن المختار لهم اتفقوا على طريقة للخلاص من طلبه فبعثوا له بتائب عنهم وانتقلوا الى دار ابي محمد. ان اختيارهم لهذه الدار دون غيرها لدليل قاطع على انها كانت بمثابة نقطة اللقاء بين المفكرين والعلماء القيروانيين كانوا او غير قيروانيين، الم يقصدها ابو ميمونة دراس الفاسي ؟ أولم يأوي الى فنائها ابن عبد المؤمن البغدادي ؟. أولم يكن القاضي عبد الوهاب قد عزم على الشخوص اليها من بغداد ...؟ اولم تكن الدار التي يحن لزيارتها المؤدب محرز بن خلف التونسي ؟.

ان هذه الدار لم تصل الى ان تكون كعبة للقصاد ومحط رحالهم الا بفضل ما يتصف به صاحبها من سلوك اجتماعي حركتي نشاطه ذكية حركته جعلته مرشدا به مقبلا عليه محترما من الاصحاب والتلاميذ والعلماء .

ولاشك عندي والحالة كما وصفت من حضور ابي محمد ابن ابي زيد ذلك الاجتماع الخطير الذي انعقد بالمسجد الجامع بالقيروان وذلك يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (1) واما سبب هذا الاجتماع فهو كما يروي عياض (لان اهل السنة بالقيروان ايام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام والتستر كانهم ذمة تجري عليهم وفي كثرة الايام محن شديدة ولما اظهر بنو عبيد امرهم ونصبوا حسينا الاعمى السباب لعنة الله عليه في الاسواق للسب باسجاع لقنها يوصل منها الى سب النبي صلى الله عليه وسلم في الفاظ حفظها كقوله لعنة الله تعالى العنوا الغار وما وعى والكساء وما حوى وغير ذلك وعلقت رؤوس الاكباش والحمر على ابواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها اسماء الصحابة اشتد الامر على اهل السنة فمن تكلم او تحرك قتل او مثل به وذلك في ايام الثالث من بني عبيد وهو اسماعيل الملقب بالمنصور لعنه الله سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة) (2) وفي هذا الظرف الصعب يدخل ابو يزيد الخارجي الى القيروان يقـــول

---

1) ترتيب المدارك ج 2 ج 3 ص 319

2) " " " " " " " " " " " " " " 319

عياض (والناس يتمنون قائما عليهم فتحرك الناس لقيامه واستجابوا له وفتح البلاد ودخل القيروان وفر اسماعيل الى مدينة المهدية فنفر الناس مع ابي يزيد الى حربه وخرج بهم فقهاء القيروان وصلحاؤهم ورأوا ان الحرب معه متعين لكفر هؤلاء وهو من اهل القبلة) (1) وكان هدف علماء القيروان هو التخلص من العبيديين قبل كل شيء ثم بعد ذلك يتم التخلص من ابي يزيد الخارجي وقد اورد ابو بكر المالكي اسماء العلماء القيروانيين الذين خرجوا مع جيش ابي يزيد ضد العبيديين امثال الممسى وربيع القطان وابي العرب بن تميم والسبائي وابي منصور الزاهد والغسال والشقيقي في جماعة المدنيين وابن العشاء الحنفي وغيرهم ولم يتخلف الا ابو ميسرة لكونه ضريرا (2) وصادف ان كان ابو الفضل الممسى مريضا فبعثوا له ليستطلعوا رأيه لكنه تحامل على نفسه وحضر اجتماعهم الخطير وقال لهم (قد تعلمون انه يشق علي من المرض والوالدة اكثر مما ذكرتم وغير ذلك من علتي هذه الظاهرة ولكني لما بلغني من رد الناس الامر الي زالت العذر وان عزمتم رجلا واحدا فلا اظن عليكم لما وجب على من جهادهم) (3)
وبعد هذا اللقاء سارع الناس الى الخروج وذلك يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ومن الغد اجتمعوا بالمصلى وقد تقلدوا اسلحتهم في اعداد مهولة غاص بهم الفضاء من كثرتهم (4) ثم اجتمعوا يوم الاربعاء فانطلق قادتهم كربيع وابن اخي هشام وابي العرب وغيرهم شاقين القيروان منادين بالجهاد تالين القرآن مصلين على النبيء صلى الله عليه وسلم مستنهضين همم القيروانيين للذود عن الاسلام وحمايته من اباطيل وترهات الروافض ولما كان يوم الجمعة (ركبــوا بالسلاح التام والبنود والطبول واتوا حتى ركزوا بنودهم قبالة الجامع وكانت سبعة بنود بند احمر للممسى فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله لا حكم الا لله وهو خير الحاكمين وبندان اصفران لربيع في احدهما بسم الله الرحمان الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله وفي احدهما نصر من الله وفتح قريب على يد الشيخ ابي يزيد اللهم انصر وليك على من سب نبيك واصحاب نبيك . وبند اصفر لابي العرب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قاتلوا ائمة الكفر (5) وبند اخر لابي نصر الزاهد فيه لا اله الا الله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وبند ابيض للسبائي فيه بسم الله الرحمان الرحيم محمد رسول الله وابو بكر الصديق وعمر الفاروق وبند ابيض للعشاء وهو اكبرهم فيه مكتوب لا اله الا الله

---

1) ترتيب المدارك م 2 ج 3 ص 319
2) " " " " " " " "
3) " " " " " "
4) " " " " " " ص 31 - 32
5) سورة التوبة الاية 12

(1)

الا تنصروه فقد نصره الله وحضرت صلاة الجمعة فخطب خطيبهم احمد بن ابي الوليد خطبة بليغة رحـ الناس على الجهاد وسب بني عبيد ولعنهم واغرى بهم وتلا : لا يستوى القاعدون من المؤمنين .. الاية (2) واعلم الناس بالخروج من غدهم يوم السبت فخرج الناس مع ابي يزيد للجهاد هم نزلوا الظفر بهم وحصروهم في مدينة المهدية فلما رأى ابو يزيد ذلك ولم يشك في غلبته اظهر ما اكنه من الخارجية فقال لاصحابه اذا لقيتم القوم فانكشفوا عن علماء القيروان حتى يتمكن اعداؤهم منهم) (3 وعندئذ انكسر جيش الفقهاء ورزق الكثيرون منهم الشهادة حتى قيل ان عدد من استشهد منهم يومئذ بلغ خمسة وثلاثين (4) وقيل خمسة وثمانين فيما روي عن ابي الحسن القابسي (5) يذكر ايضا نقلا عن شيوخه الذين ادركهم قوله (ان الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية في حين دخل عبيد الله الى الآن اربعة الاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح ولذلك يقول سهل الوراق

واحل دار البحر في اغلاله   من كان ذا تقوى وذا صلوات (6)

ثم يقول عياض (وفي رجب من سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة نازل الناس ابا يزيد بالقيروان فكان لربيع حالة يجتمع اليه فيها للفقه من علماء المالكية ابو الازهر بن معتب ومحمد بن احمد السيوري وابن اخي هشام وعمر بن محمد الغسال وعبد الله بن عامر بن عبد الله الحداد وابو الليث مولى بن اللباد وابو محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى وعبد الله الاجدابي) (7) وهؤلاء هم بعض ممن نجا من الموت في واقعة الوادي المالح سنة 333 بالقرب من المهدية واعتقد انه هناك واقعة اخرى في السنة الموالية كان من ابرز الشهداء فيها ربيع القطان ويقال ان بين الموقعة التي استشهد فيها الممسي والتي استشهد فيها ربيع القطان ستة اشهر (8)

يقول عياض : وكان ربيع رحمه الله ممن عقد الخروج لغزو الروافض وجد حتى ذلك كما قدمناه في اخبار الممسي فقتل شهيدا رحمه الله في وادي المالح في حصار المهدية سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة (9) ولا استبعد ايضا انه شارك من جديد مع ابي يزيد في هجمة جديدة على المهدية وما اكثر ما هاجمها في سنتي 333 و 334 هـ .

---

1) سورة التوبة الاية 20
2) النساء الاية 94
3) ترتيب المدارك م2ج 3 ص 319 ــ 321
4) "
5) معالم الايمان ج 3 ص 34
6) "
7) ترتيب المدارك م2ج 3 ص 321
8) " 331
9) " 330

وقد عبّر استشهاد ربيع قريحة اخيه احمد فرثاه بمراث كثيرة منها قصيدة طويلة جاء فيها (1)

رزيت ربيعا كان للناس كلهم ربيعا ترى فيه التقلب راعيا
رزيت ابي واني وترتـــــــبي واخي واخواني فلم يبق باقيا
رثيتك منورها وان مصيبة بأخلاقي منك لا ارى لك راقيا

وهكذا يستشهد ربيع القطان (288هـ ـ 334هـ) دفاعا عما يؤمن بمن قيم ومثل عليا جاء القرآن اليها داعيا وعلى ما اعتقد ان ابا محمد بن ابي زيد لم يكن بمنأى عن مثل هذه التململات الاجتماعية والصراعات الطائفية والتحركات السياسية وخاصة انه كان مرتبطا بعلاقات متينة بزعماء هذه الانتفاضة اذ كانوا من احب الشيوخ لديه وافضلهم عنده كالتباني والممسي اللذين كان عليهما اعتماده في الفقه وربيع القطان وابي اسحاق السبائي وابي العرب وغيرهم كثيرون بل انه قد واصل تعلمه على من نجا منهم من الموقعة الاولى كالقطان وابي سعيد بن ابن اخي هشام الذي يقال انه لم يخرج لعجبن فيه متحججا من حضور الحرب (2) ولكنه لم يحف من مواصلة الدرس فقد روي انه (كان يجتمع هو وابن الازهر بن معتب وابو محمد بن ابي زيد وابن شبلون وابن التبان والقابسي وجماعة ذكرنا هم وذكرهم للتفقه في جامع القيروان عندما ظهر امرأ يزيد على بني عبيد) (3)

اذن نراه يواصل تعلمه على هؤلاء الثائرين على الرغم من الشيعيون المبثوثة حول اماكن العبادة والعلم بل لم يستطع ان يخفي لوعته وحرمته على من استشهد من شيوخه وخاصة الممسي اذ رثاه بقصيدة نورانية مؤثرة منها قوله :

فعليك ابك يا ابن عيسى ما بكت (4) تقرية اوغردت تغريدا
يالوعة طرقت فؤادي اذ اتى ناع ينعيك وقد وقعت شهيدا

ولاشك ان مثل هذا الشعر قد وصل اصداؤه الى السلطة الحاكمة التي لم تكن غافلة عن العلماء ولا عن طلبتهم ومع ذلك فلم اعثر بنص واحد يثبت تورطه في هذه المصادمات من قريب او من بعيد رغم ان ليس ذلك من ابن ابي زيد اذ كان يرى بعيني عقله وبفكره الثاقب ان عدم تكافؤ الطرفين سيؤدي حتما الى الانتحار الطرف الاضعف يقول احد الباحثين المعاصرين (وتجدر الملاحظة الى ان اندحار

---

1) ترتيب المدارك م2ج 3 ص 331
2) معالم الايمان ج 3 ص 37
3) ترتيب المدارك ج 4 ص 33
4) رياض النفوس ص 88 نسخة باريس عدد ... المكتبة الوطنية تونس

ابن ابي زيد البالغ من العمر انذاك خمسا وعشرين سنة ان يشارك في هذه المغامرة اذ فضل الاحجام لانه كان يعرف ان العملية كانت فاشلة منذ البداية) (1) الا ان الذي يمكن ان يجزم بوجوده كنوع من مشاركته في هذه الانتفاضات هي المشاركة الفكرية اذ لم يتخلف قط عن اي اجتماع عقد في هذا الموضوع الذي كان يعتبر الشغل الشاغل للمجتمع القيرواني في القرن الرابع والي سنة 407هـ عند حدوث مجزرة الشيعة بالقيروان وبقية حواضر افريقية ولم يقطع اتصالاته بمن اجبر على الاقامة الاجبارية من الشيوخ كما رثى من استشهد منهم وليس ذلك كله بعيب ما دام هناك من الشيوخ ممن اكتفى بمثل هذه المشاركة الفكرية ولم يتجاوز ذلك الى التطبيق خوفا من الحرب وجهلا بفنونها او نقص بدني يحول دون مشاركته المادية فيها فذلك ان كل انسان وما يسر له وابو محمد على هذا الاساس فلم يكن بالشخص الميال بالفطرة الى استعمال العنف بل كان مسالما يقدم العقل على السيف والدليل على ذلك مما ورد في ترجمة الدباغ (واستأذن عليه يوما صاحب المحرس فهرب كل من كان معه ومنهم ابو محمد ابن ابي زيد ولم يبق معه غير القابسي فقال الشيخ من هذا ؟ قال انا فلان . قال ادخل ياشيطان مايريد الشيطان اخو الشيطان فلم يكلمه يومئذ الا بالشيطان فلما خرج رجع من هرب فقال لهم ما هذا حتى الصحبة تهربون وتتركونني ؟ ولامهم عن فعلهم (2) وبالاضافة الى هذه الصفة الفطرية فيه هناك عامل السن الذي كان يدفعه الى الاستزادة من العلم والتبحر فيه استعدادا للمستقبل وهو ما فعله غيره من اترابه اذ لم اجد مشاركة هامة من الطلبة في مثل هذه الحوادث التي بدأت من سنة 331 الى سنة 335هـ وكان ابو محمد كلما تقدمت به السن ازداد التصاقا بمجتمعه وعناية بقضاياه ومشاركته افراحه واتراحه يحنو على ضعيفه ورحمته لصغيره واحترامه لكبيره وعطفه على الفقير وعيادة المريض والصلاة على الميت فكان يتألم لكل فرد نزلت به مصيبة ويفرح لكل فرد مسته مسرة او حل به خير من ذلك ما اخرجته المصادر عن ابي الحسن القابسي في قوله (دخلت على ابي عبد الله الحسال وابنه ابو جعفر في النزع وهو جالس وفي يده جزء من القرآن وفي المجلس ابو سعيد بن اخي هشام وابن التبان وابن ابي زيد والشيخ

---

1) Deux Juristes Kairouanais P 129

2) معالم الايمان ج 3 ص 73

على حاله يقرأ جزئه الحزب طاق في داره ثم يحول وجهه اليهم فيقول كيف رأيتم ابا حفص؟ فيقول الجماعة بخير انشاء الله الى ان مات فرحموا وسكتوا نحول الشيخ وجهه وقال مات ابو حفص قلنا نعم اعظم الله اجرك فثنى الجزء ولم يطبقه وحول وجهه اليه وهو جالس فقال رحمك الله يابني فلقد كنت صواما) (1)

ولم يخرج ابو محمد وصحبه الا بعد ان غسلوا ابن شيخه وجهزوه لاستقبال خالقه له ، اذ ماكان لابن ابي زيد الاجتماعي بفطرته ان لايشارك شيخه الغسال في ردائه الجلل بفقدانه ابنه ابي الحفص ان مثل هذا العمل لمن دلائل الوفاء والاعتراف بالجميل التي تعتبر من اهم ميزات شيخنا ابي محمد عبدالله بن ابي زيد في سلوكه الاجتماعي اذ لم تكن مشاركته هذه بمتوقفة على الشيوخ ووجهاء البلد بل كانت عامة من ذلك ماورد في ترجمة ابن تمرة الذي كان فقيها صالحا فقيرا فلما توفى لم يجدوا مايكفنونه به فكفنه ابو محمد ومن المصادفات الغريبة ان يموت ابو محمد بعد موت هذا الفقيه بثلاثة ايام (2) وبذلك تجحت اعماله الاجتماعية بعمل طيب مثل هذا العمل الذي فيه خير الدنيا ونعيم الاخرة كيف لايكون هذا من ابي محمد (وقد اعطاه الله بسطة في البدن وسعة في العلم والمال) (3) نعرف بذكائه كيف يشكر ربه وكيف يحمده على نعمه وقصته مع طالبيه وتزويجهما والانفاق عليهما لهي اكبر دليل واقواه على هذه الروح الاجتماعية المتمسكة بمفهوم الاثر الوارد "ارحم من في الارض يرحمك من في السماء" .

ولن اغالي اذا ماقلت ان ابا محمد قد طبق في سلوكه الاجتماعي بصدق معنى الاية الكريمة (وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (4) فهو لم يتأخر عن بعث الف دينار عينا الى القاضي عبد الوهاب المالكي لما بلغته شدة احتياجه، كما اعان ابن عبدالله المغربي حين وفوده على القيروان بمائة وخمسين دينارا ذهبا ليستعين بها في مدينة شرع يبعد عن اهلها وهو ايضا لم يتوان عن تجهيز بنت صاحبه ابي الحسن القابسي لعلمه بحالة ابيها المادية، وهو يمد

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 51–52
2) " " " " 108–109
3) حاشية العدوي على الرسالة ص6
4) الاية 19 من سورة الذاريات

صديقه ابن شيلون فى مرضه بخمسين دينارا ذهبا لينفقها على اهله وعلى علاجه هذه الافعال وغيرها مما يمثل قمه التضامن الاجتماعى يجمعها ابن ناجى بكلمة بليغة فى قوله(وله صنائع مشكورة) (1) وقال ايضا (فكان رحمه الله من الاجواد واهل الايثار والصدقة كثير البذل للفقراء والغرباء وطلبة العلم كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم) (2)

هذا الكرم والجود وهذا الايثار جعل النفوس تحن الى لقياه جعل القلوب تفرح بالاجتماع به جعل العقول تنفتح وتنشط للأخذ عنه ماجعل بيته كما قلنا كعبة القصاد اذ لايرد وارد على القيروان دون ان يؤدي زيارة لابى محمد ويجتمع به فيجد عنده علما وعونا وقبولا حسنا وبذلك ارتفع صيته وعمت شهرته كل ارجاء العالم الاسلامى وقد ورث عنه هذا المسلك اولاده من بعده فكانوا خير خلف لخير سلف .

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 113

2) 113

ليس من السهل ان يعطي ابن ابي زيد لقب : مالك الصغير : ويكون في الان نفسه رجلا مغمورا منكمشا على نفسه لاتربطه علاقات برجال عصره من اهل الفكر والسياسة ولذا فمن الثابت ان ابا محمد كانت له علاقات بمن عاصره من العلماء والادباء واهل السياسة ولاادل على ذلك من المواقف التي وقفها كثير من الادباء والعلماء واهل السياسة من اولاده من بعده وخاصة في قضية تولية ابي بكر احمد ابن ابي زيد القضاء (1)

ولو حفظ لنا التاريخ مؤلفاته ومؤلفات تلاميذه واصحابه لكنا الان نملك صورة اشمل وادق على نوعية هذه العلاقات التي ربطت ابا محمد بغيره من اهل عصره من العلماء والمفكرين واهل السياسة انما يكفينا دليلا على ان هذه العلاقات كانت جدا عميقة وجدا متينة هو ما اطلق على ابي محمد من القاب تشير الى علمه وفضله كمالك الصغير و" عالم المغرب" و" الذاب عن المذهب" الخ ...

ولتحديد هذه العلاقات وحصرها نجدها تتنوع الى نوعين :

1) علاقات عامة مع سكان الامصار الاسلامية بواسطة علمائها

2) علاقات خاصة وشخصية مع علماء وغيرهم من وجهاء المجتمع الاسلامي

اما النوع الاول في العلاقات العامة فتمثله الاسئلة التي كانت ترد عليه من الامصار الاسلامية تستوضحه رأى الدين حسب المذهب المالكي في القضايا والنوازل التي حدثت في تلك المجتمعات ذلك ان علماء الامصار وخاصة اذا كانوا من اهل مذهبه وبالاخص تلاميذه كانوا يحكمونه في القضايا التي تحدث في امصارهم اذا ما اشتد الخلاف حولها وكثر الجدال فيها ومن هذا القبيل رسالته الى اهل سجلماسة في تلاوة القرآن (2) وهي رسالة لو ظفر بها ذات يوم لاطلعتنا على سبب تأليفها ولامدتنا بخصائص الحياة الفكرية والاجتماعية التي كانت عليها عاصمة بني اليسع السنية

---

1) انظر ص 143 من هذا البحث

2) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 494

الصحراوية او قل ثاني مدينة بعد القيروان من حيث نشاطها التجاري كمركز تعجبه القوافل القادمة من جنوب الصحراء الافريقية او الداخلة اليها من الشمال والمحملة بانتاج امارات البحر المتوسط والشرق مرورا بالقيروان (1)

ومن قبيل هذه العلاقات العامة باهل الامصار رسالته الى اهل توزر لما اختلفوا وقاضيهم السقراطسي وقد مر ذكر نص هذه الرسالة في مكانه من هذا البحث (2)

اما النوع الثاني من هذه العلاقات الخاصة هي في الواقع علاقات شخصية كانت تربطه باشخاص باعينهم وقد تكون في بعض الحالات علاقات سخنة قائمة على الاختلاف في المفاهيم والمواقف من قضايا معينة واحسن مثال لهذه النوعية من العلاقات الشخصية السخنة علاقته بابي بكر الصقلي عندما انكر عليه ابن ابي زيد غلوه في قضية انقلاب الاعيان وادعائه امكانية مشاهدة الخالق من طرف المخلوق بالعيان وهذا ما ستراه مفصلا بحول الله في مكانه من هذا البحث (3) ومن هذا القبيل ايضا اختلافه مع علي بن اسماعيل البغدادي المعتزلي الذي كتب رسالة الى اهل القيروان يدعوهم فيها الى الاعتزال والقول بمبادئ اهله منكرا عليهم تمسكهم بالبدعة الاشعرية ...

وقد رد عليه ابو محمد في برسالته المعروفة (الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي) (4) ظهر فيها علمه وقدرته في الرد على المنحرفين واهل الملل والنحل من امثال المعتزلة .

كما هناك نوع آخر من العلاقات الخاصة الشخصية لكنها كانت طيبة ووثيقة قامت على وحدة النظرة الفكرية للحياة وقضاياها كالعلاقات التي قامت بينه وبين ابي بكر الابهري (375هـ) وابن مجاهد الطائي وابن عبد المؤمن والقاضي ابي بكر الباقلاني والقاضي عبد الوهاب المالكي وغيرهم من العلماء الذين اشرنا الى علاقتهم به اثناء استعراضنا لتراجمهم والذي تجدر ملاحظته ان علاقاته كفقيه مالكي قيرواني بفقهاء المالكية ببغداد كانت علاقات جد طيبة جدا حميمة وكان التراسل بينه وبينهم

---

1) انظر كتاب الاقتصاد الاسلامي في المغرب العربي في القرنين 3-4 لمحمد الحبيب الجنحاني ط 1

2) انظر ص 146 من هذا البحث

3) انظر ص 263 وما بعدها من هذا البحث -

4) ترتيب المدارك م2 ج4 ص 496 يقول الدكتور احمد بكير في هذه الرسالة ان علي بن احمد بن اسماعيل المعتزلي البغدادي كتب الى ابن ابي زيد القيرواني يدعوه الى اتباع آرائه ورد ابن ابي زيد على طلبه هذا برد يعتبر خلاصة للعقيدة الاشعرية بالمغرب (الذي دار مقدمة لكتاب الرسالة) مقدمة كتاب المدارك المجلد الاول ج 1 ص 15

لايتقاع منه ... فمدحوا كتبه ونشروا علمه ... وبادلهم صنيعهم بخير ماترى المبادلة وسوف نرى نماذج من هذه المراسلات الشعرية فيما يستقبل من البحث بعد ان راينا نماذج منها نثرية اثناء ترجمتنا لابن مجاهد الطائي تلميذه بالاجازة .

لقد تألم ابن ابي زيد من معاملة القاضي الاندلسي ابن زرب (381 هـ) لكتابه الرسالة ولم يجد غير صديقه ابي بكر الابهري فشكا له صنيع ابن زرب وكتب له هذه الابيات (1)

تأبى قلوب قلوب قوم   ومالها عندها ذنوب
وتصطفى انفس نفوسا   ومالها عندها نصيب
ماذاك الا لمضمرات   اضمرها الشاهد الرقيب

فكتب له ابو بكر مايلي (2)

اعجب مافى الامور عندى   اظهار ماتدعى القلوب
تأبى نفوس نفوس قوم   ومالهم عندهم ذنوب
وتصطفى انفس نفوسا   ومالها عندهم من عيوب
ماذاك الا لمضمرات   يعلمها الشاهد الرقيب

وسوف نرى المزيد من التفصيل على هذه العلاقة عندما نتحدث عن الرسالة في مكانه من هذا البحث (3) ان علاقة ابي محمد بابي بكر الابهري البغدادي كانت علاقة متينة وقد برزت خاصة فيما لقيه كتابه الرسالة على يدى الابهرى وفي حلقته من عناية حتى قيل ان ابا بكر قد طلب من ابي محمد اجازته في تدريس كتابيه المختصر والنوادر والزيادات ومثل مايقال في علاقته بابي بكر يقال في علاقته بابن مجاهد الطائي الذى بعث لابي محمد برسالة تفيض حبًا واحتراما لعلمه وفضله حيث طلب منه فيها اجازته في تدريس كتابيه المذكورين وقد مر بنا ذلك لما قلت آنفا ، وهو نفس الامر نجده يقع بين ابي بكر الباقلاني وابي محمد وخاصة لما حكم ابو بكر في الخلاف الذى جد بين ابي زيد وجماعة من علماء القيروان فقد حكم ابو بكر فيما حكموه فيه مثنيا على ابي محمد ومظهرا لعلمه ومعترفا بفضله .

---

1) المدارك م2ح 4 ص 496

2) معالم الايمان ح 3 ص 112

3) انظر ذلك بص ... في هذا البحث

اما الشخصية الرابعة من البغداديين التي ارتبطت بعلاقة حميمة مع ابي محمد فهو القاضي عبد الوهاب بن نصر المالكي ، والذى يعتبر اول من شرح الرسالة كما وضع شرحا آخر لكتاب ابي محمد المعروف بمختصر المدونة بلغ فيه الى النصف وما قاله في الرسالة من شعر يدل على ثقته في علم صاحبة القيرواني واحترامه له وهو ما سوف نتعرف عليه في مكانه من هذا البحث(1)

ومن مظاهر متانة هذه العلاقة ان القاضي عبد الوهاب كان قد اعتزم الشخوص الى القيروان عند خروجه من بغداد الا انه لم يفعل وقد جدد ابنا ابي محمد دعوته الا انه اعتذر عن ذلك بابيات شعرية اوردناها عندما ترجمنا له .

وكان من طبيعة ابي محمد اجتناب السياسة واهلها منذ ان كان شابا ابان ثورات شيوخه الفقهاء ولذلك قل ان نجد له علاقة مع احد من اهلها على الرغم من انه كان يعتبر من وجهاء المجتمع ومع ذلك فقد ارتبط بعلاقة ما ومن المحتمل ان تكون علاقة طيبة بمحمد بن الطاهر القائد وهو ابن عم الحاكم الفاطمي اسماعيل المنصور اذ وعظه برسالة ذكرت في قائمة مؤلفاته (2) ولو لم تكن هناك علاقات متينة بين هذا العالم ومحمد ابن الطاهر القائد لما وعظه ابو محمد وخاصة انه من عائلة حاكمة تعتقد مذهبا يخالف تماما المذهب السني لابي محمد عبدالله بن ابي زيد .

ومن خلال القاء نظرة فاحصة متأنية على تآليفه نجد ان اغلبها عبارة عن رسائل فيان مواضيع معينة فلا استبعد والحالة تلك ان هذه الرسائل لم تكن الا اجابات عن اسئلة وردت عليه من الامصار والاصدقاء او هي بيان موقف من قضايا جدت باماكن معينة ارتبط ابو محمد مع اهلها ارتباطا عاما او خاصا وعلى كل فعلى الرغم من النصوص القليلة في هذا الموضوع بالذات الا ان شيخنا كانت له

---

1) انظر ص 334 بهذا البحث

2) ترتيب المدارك م2ح 4 ص 494

له قدرة على ربط العلاقات الجيدة مع افراد مجتمعه بافريقية والمغرب والاندلس والمشرق الاسلامي ولهذا كثرت رسائله الى مختلف الانحاء وتعددت اتصالاته بهذه الامصار فكثر تبعا لذلك عدد تلاميذه وعظمت اعداد الوافدين عليه او الوفود التي بعثها شخصيا لايصال رسالة او كتاب الى عالم جليل باقصى المشرق او باقصى المغرب مما نشط حركة الارتحال اليه بالقيروان للاخذ عنه والالتقاء به حتى انني اميل الى ان تراجع القاضي عبد الوهاب عن عزمه لزيارة القيروان انما وقع حين بلغته وفاة ابن ابي زيد ولو بقي حيا لما تخلف ابن نصر البغدادي عن تنفيذ ما اعتزم عليه .

ان هذه الحركية النشطة التي بثها ابن ابي زيد في العالم الاسلامي عامة والمغرب منه خاصة لتعود في حقيقتها الى ما اتصفت به شخصية هذا الرجل من قدرة على ربط العلاقات ومن سلوك متزن ابعد صاحبه على الدخول في المهاترات وخاصة السياسية منها ولذا سلم من كل الاحابيل التي كانت السلطة العبيدية تنصبها له ولغيره من الشباب القادر على الفوز بثقة الناس والحصول على احترامهم على الرغم من ان ابا محمد لم يكن مجهولا لديها ولم تكن مقدرته العلمية ولا امكانياته الشخصية بغائبة عنها ولا عن غيرها من شيوخه وزملائه وابناء مجتمعه عامة دليل قول ابي العباس الابيانى فيه (واما الثاني من الاثنين فاني رأيت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له عبد الله بن ابي زيد) (1)

وبذلك نرى ان اتساع افقه العقلي وعمق مستواه العلمي هما وراء هذا النجاح وحسن القبول الذى يلقاه من مجتمعه خاصة ومن المجتمع الاسلامي ككل بل ما معقولا استبعد ان يكون لحجه دور مهم في انتشار اسمه كعالم القيروان بدون منازع ذلك ان الموسم كان يعتبر ملتقى سنويا يتدارس فيه علماء العالم الاسلامي القضايا العلمية وكل ما يمت بصلة لمجتمعهم وكان ايضا مناسبة للاخذ والعطاء والاطلاع والاطلاع من ذلك ان ابا محمد قد اطلع على مقولات المذهب الاشعرى اثناء حجه وعمقها عندما صاحبه بالقيروان ابن ابي عبد المؤمن بعد ذلك ليتمكن من الرد العميق على رسالة البغدادي المعتزلي ردا أعجب كل من قرأه من ابناء عصره ومن الذين جاؤوا من بعده وتمكنوا من قراءته .

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 100

ولا يسعني في خاتمة هذا الموضوع الا ان اشير الى نتائج هذه الحركية والمكاسب التي انجرت عنها للمذهب المالكي خاصة وللفكر الاسلامي عامة اذ وجود ذكر ابن ابي زيد في كل مكان وعلى كل لسان وفي كل حلقة علم اعطى دفعا جديدا ومتجددا للمذهب المالكي مما جعل الانظار تتجه غربا الى القيروان كعاصمة فكرية للمالكية تضاهي بغداد الحنفية الحنبلية والقاهرة الشافعية لقد اصبحت دور العلم بالقيروان في النصف الثاني من القرن الرابع مكتظة بالطلاب مزدانة الحلقات بالشيوخ العظام العلماء مترنمة بالشعر ومزهوة بالنثر الذي فاق في ابداعه وجماله ما كان معروفا في كتب المشارقة وهي الى ذلك فخوره بدار حكمتها وبمجامع الاداب الراقية فيها وبفطاحلة الطب والحساب والعلوم . ولم يكن ابن ابي زيد بغريب عن معالم هذه النهضة التي كان عليها مجتمعه وكانت عليها مدينته بل كان له في هذه النهضة ضلع وكان له فيها دور مهم . ولهذا قال فيه عياض (وكان ابو محمد امام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح اقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله ذابا عن مذهب مالك قائما بالحجة عليه بصيرا بالرد على اهل الاهواء يقول الشعر ويجيده ويجمع الى ذلك صلاحا تاما وورعا وعفة وحاز الدين والدنيا واليه كانت الرحلة من الاقطار ونجب اصحابه وكثر الاخذون عنه وهو الذي لخص المذهب وضم كسره وذب عنه وملات البلاد تواليفه عارضه كثير من الناس اكثرها فلم يبلغوا مداه مع فضل السبق وصعوبة المبتدأ ثم عرفها لاكابر) (1).

---

1) ترتيب المدارك ج 4 ص 492

مناقب شيخ المالكية الرابعة

ان الحديث عن مناقب شيخنا ابومحمد بن ابي زيد قد يكون من نوع الحديث المعاد خاصة بعد ان استعرضنا علاقاته بشيوخه واصحابه وتلامذه ورجال عصره وبعد ان عشنا معه في بيته وبين افراد اسرته وتنقلنا بصحبته في ارجاء القيروان وارتدنا معاهد العلمية ثم ارتحلنا معه الى الامصار التابعة لها كتونس وسوسة والمنستير وحضرنا وإياه الاحداث العادية اليومية وعشنا معه القارىء منها وغير اليوميةالتي اهتز لها مجتمعه اهتزازا فيه تمر تارة وفيه غليان اخرى .

لكن يبقى مع ذلك وحسب نظري تخصيص باب للحديث عن مناقبه وحصر شمائله بقدر الامكان حديثا لابد منه لانه سوف يكون خلاصة الخلاصة لهذا النشاط العلمي والاجتماعي الذي امتد على امتداد حياة شيخنا التي حبا الله صاحبها على حد قول العدوي (وصله الله بثلاثة اشياء صحة البدن والسعة في العلم والمال) (1)

ان هذه الصفات الثلاث هي المفتاح الذي يمكن ان نلج بواسطته الى نفسية ابومحمد حيث يمكن لنا ان نفسر بعد ذلك مايمكن ان نلاحظه من شمائل عطرة وصفات حميدة والتي ساعده التزامه بها التزاما قطريا على البروز على الرغم من اكتظاظ المحافل العلمية بالقيروان بالعلماء من اصحابه واترابه بل وكان البعض منهم من شيوخه الذين شاركوا في بناء شخصيته العلمية .

ان نظرة فاحصة متأنية في شمائل هذا الشيخ القيرواني من شأنها ان تسهل على الباحث فهم اثار ابن ابي زيد وما زخرت به هذه التواليف من اراء قد يكون الكثير منها سابقا لعصره ولا ادل على ذلك من موقفه من الاغراق والتطرف في الاعتقاد في كرامات الاولياء ان وقوف ابي محمد في وجه مثل هذه الادعاءات الباطلة ليبرز بوضوح مايتحلى به شيخنا من شجاعة معنوية مكنته من التعبير عن رائه على الرغم من الهالة التي احاط بها نفسه بعض ادعياء الصلاح مما جعله يعيش عالة على مجتمع لايعترف دينه بغير الله ربا وبغير العمل الصالح الجاد طريقا الى الكسب الحلال كما تبرز هذه الشجاعة في مواظبته المستمرة على حضور الاجتماعات الطارئة والاسبوعية بمساجد القيروان وخاصة بمسجد السبت منها الذي كان مراقبا من طرف السلطة العبيدية ولقد مرت بنا دعوة صاحب القيروان للمجتمعين طمعا في تشريفهم ولهذا كثيرا ماينتقل الصحب الى دار ابي محمد اجتنابا للعيون المبثوثة.ان رجلا يفتح داره لمثل هذه اللقاءات الممنوعة لهو عندي من الشجعان

---

1) حاشية العدوي على شرح الرسالة ص 6 ط بيروت دار الفكر

الذين يحول عليهم عندما ترتعد الفرائص وتخفق القلوب خوفا وترتعش الاطراف فزعا وتصفر الوجوه رعبا واذا اردنا ان نعرف الحالة التى كانت عليها القيروان فى هذا الوقت الذى يلتقى فيه ابو محمد وصحبه بالمساجد وبداره وبدار غيره من الشيوخ امثال السبائى علينا ان نمعن النظر فى النص التالى لنعرف مدى شجاعته ورباطة جأشه يقول عياض : (كان اهل السنة بالقيروان ايام بنى عبيد فى حالة شديدة من الاعتصام والتستر كانهم ذمة تجرى عليهم فى كثرة الايام محن شديدة ولما اظهر بنو عبيد امرهم ونصبوا حسينا الاعمى السباب لعنه الله تعالى فى الاسواق للسب باسجاع لقنها يوصل منها الى سب النبى صلى الله عليه وسلم فى الفاظ حفظها كقوله لعنه الله العنوا الغار وما وعى والكساء وما حوى وغير ذلك وعلقت رؤوس الاكباش والحمر على ابواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها اسماء الصحابة اشتد الامر على اهل السنة فمن تكلم او تحرك قتل ومثّل به وذلك فى ايام الثالث من بنى عبيد وهو اسماعيل الملقب بالمنصور لعنه الله تعالى سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة) (1)

غير ان شجاعة ابي محمد هى شجاعة العاقل الذى يزن الامور بميزان الفكر ويقيسها بمقياس العقل وهذا ما اشرت اليه سابقا عندما تحدثت عن سبب عدم مشاركته فى ثورة الفقهاء مشاركة محسوسة لان ابن ابى زيد كان ينظر بعقله الذى اوصله الى ان هذه الانتفاضة القائمة على العاطفة دون التنظيم المادى المحسوب سوف تكون نتيجتها لامحالة خسران المجتمع السني بالقيروان لنخبة مختارة من علمائه الاجلاء وهذا ما وقع اذ حصدت سيوف العبيد بين المدعمة بخيانة ابى يزيد رؤوسا ابكت اصحابها دعاة التشيع وكل المناظرات التى شاهدتها القيروان مما جعل العبيديين يتيقنون ان القيروان ليست لهم بمقام فغادروها الى المهدية ليجعلوا بينهم وبين مدينة عقبة الدنية سورا بالغوا فى ارتفاعه وانفقوا الاموال الطائلة على تقويته ...لقد حقق السيف لله بيد بين ما عجز عنه الفكر والنظر وتلك مشيئة الله وسنته ولن تجد لهما تبديلا. ان اقول ابن ابي زيد بردة من تشيّع ورثائه شهداء وادى المالح وحضوره المستمر لقاءات النخبة المنكرة ودخوله على شيوخه واخذه عنهم على الرغم من

---

1) ترتيب المدارك م 2 ج 3 ص 318

تحجير ذلك كل هذه المواقف والتصرفات تنم عن شجاعة فطرية مارسها ءاحبنا بعدق العلماء ويعقل المفكرين على الرغم من حالة الطوارئ المعلقة مصداق ذلك ماورد في ترجمة ابي اسحاق السبائي (قال بعض اصحابه كنت ليلة عند الشيخ ـ السبائي ـ فجعل يحدثني وتلذذت بحديثه حتى انقطع مشي الناس من الازقة وضرب البوق [بوق لحراسة المؤذن بمنع الجولان] فكرهت ان اقطع عليه حديثه وكان البوق اذا ضرب ومشى احد بعد ضربه ضربوا عنقه لانه لايمشي حينئذ الامن يسرق او يخرج ليضرب من الفساد فكان المعدد قد ثقف البلد تثقيفا شديدا بالعسس والحرس والرصد الشديد فلما فرغ الشيخ وسلمت عليه لاخرج قالت امرأته الى اين تخرج ؟ فقلت الى الدار، قالت البوق قد ضرب منذ ساعة فقال لي الشيخ اقعد تبيت عندنا الليلة فقلت له اصلحك الله تتحير تلك الوالدة وتظن اني قد اصبت أو دهيت بداهية فقال الشيخ اصبر يااخي ياابا سعيد فسبوتقفني بين يديه واقبل يشير عن شمالي وعن يميني فسمعته آخرا وهويقول (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الى اخر السورة) فاذا به قرأ علي وعوذني بيس ثم اخذ في الدعاء فدعا بدعاء عظيم ثم قال لي مر يااخي ياابا سعيد حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك قال فخرجت من داره فمررت برحبة ابي داود فاذا رابطة وعساسة وكلاب فما كلمني احد منهم ولانبح علي كلب فتماديت في طريقي فمررت بالسماط على دار ابي الاسود الداعي فوجدت عندها رابطة وعساسة وكلابا فما كلمني احد منهم ولانبح علي كلب فتماديت الى ناحية سوقها بن هشام وعنده رصد وكلاب فما كلمني احد منهم فلما وصلت الى بئر ام عياض وجدت ايضا عنده رابطة مثل ذلك فتماديت حتى انتهيت الى الدرب فداخلني الهم والفزع وقلت هم صلوا واغلقوا الابواب فمن يفتح لي فهززت الباب فانفتح لي فاصبت امي واقفة خلف الباب فلما رأتني قالت خلف ؟ قلت خلف؟ فدخلت وحمدت الله على السلامة) (1)

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 70ـ 71

لقد هدفت من وراء ايراد هذا النص على طوله الى المزيد من التعرف اكثر على حالة الرعب التي كان اهل القيروان يعيشونها والنص صريح في اشارته الى حالة الطوارئ ومنع التجولان ولهذا قلنا ان مواقف ابي محمد في مثل هذا الوضع هي عين الشجاعة ومثال الجرأة المحسوبة خطواتها المقننة مواقفها وبالاضافة الى شجاعته طيب معشره ونبل اخلاقه اذ كان يجتنب كل تصرف قد يترتب عنه تعكير صفو العلاقات مع من يعرفهم اولا يعرفهم ولهذا كان اصحابه لايطيقون التخلف عن زيارته والالتقاء به ولاادل على ذلك من زيارات المؤدب محرز بن خلف المتكررة والتي كان يستقبله فيها وعائلته بفرح لايعادله فرح ولاتحرج من رؤية مايقع فيها من كرامات ومايحدث فيها من نوادر عندما يلتقي صباحا بطلابه واصحابه ورد في ذلك (فلما اصبح ابو محمد لمجلسه فاخبر اصحابه بما نزل من المطر فقالوا مانزل عندنا منها شيء ولم يكن المطر الا بمقدار دار الشيخ ابي محمد ولم ينزل بالدار الملاصقة منها شيء) (1) ان هذه الحادثة تكشف لنا صفة اخرى من صفات ابي محمد الا وهي صفة الاعتراف بفضل اصحابه وبعلمهم وتقواهم مما جعل هؤلاء الاصحاب يبكونه بدموع حرى صادقة يوم وفاته ولاادل على ذلك من الاغماء الذي اصيب به القابسي منذ بلوغ خبر الوفاة اليه ان هذا الاعتراف بالفضل هو نوع من انواع الوفاء للصحبة وكثيرا ماكان يورد اراء اصحابه في كتابه النوادر والزيادات مفتتحًا بقوله: وقال بعض اصحابنا البغداديين (2) وقال اصحابنا الاندلسيين (3) فهو يثبت بهذا الايراد مصادره وفي هذا الاثبات اعتراف بفضل من نقل عنهم ومثل مااعترف به من فضل اصحابه اعترف ايضا بفضل شيوخه عليه اذ كان لايدخل على شيوخه الا بعد الاستئذان مع التزامه بما تفرضه واجبات التلمذة نحو المشيخة من مظاهر التقدير والاحترام اذ لم اجد في المصادر التي امكن لي الاطلاع عليها حادثة واحدة تجرأ فيها ابو محمد على اي شيخ من شيوخه وحتى حادثته مع شيخه ابي الازهر عبد الوارث انما كانت بدافع المحافظة على كرامة شيخه حيث قال له (انما فعلت ذلك اجلالا لك اذ انت من شيوخنا) ولهذا ايضا انتسب تلميذه البراذعي عندما هاجم امامه بعنف الاصيلي على الرغم من أنّ البراذعي انما رد على الاصيلي دفاعا على ابي محمد وعوضا ان يشكره قال له (لقد حرمتنا فوائد الشيخ باسرافك في الرد عليك) (4)

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 116 ــ 117

2) النوادر والزيادات المجلد الاول الورقة 52/ب.

3) " " " الورقة 60/ب

4) ترتيب المدارك ج 2 ج 4 ص 647

ومثل ماكان يحترم شيوخه ويعترف بفضلهم كان يحترم طلابه ويسعى للرفع من مستواهم العلمي مجنبا اياهم العقد النفسية الناتجة عن الحرمان لفقرهم وبعدهم عن امصارهم ولا أدل على ذلك من قوله لاحد طلبته من الاندلسيين فى حادثة خادمته (يابني انما جئتك معتذرا من تقصيري فى حقك اذ لم اقم بجميع ماتحتاج اليه وذلك انى لم اتفقد انك تحتاج الى النساء فانك شاب وها انا شيخ احتاج الى الزيادة من ذلك فكيف انت) (1) لاشك ان مثل هذا الحديث هو حديث المربي القدير الذى صفت نفسه وطهرت من الزيف والتظاهر الفارغ هدفه من مسلكه هذا ان يكون نتاجه طاهرا سالما من العقد لان ذلك يعتبر الشرط الاساسي فى بناء شخصية متكاملة قادرة على حمل المشعل الحضارى للاجيال اللاحقة وبقدر مايحقق تلاميذه من نجاح بقدر مايشتد فرحه ويعظم سروره فيقف لجانبهم فيما يعترضهم من مشكلات ويراسلهم ليعرف احوالهم مع مجتمعاتهم وبادلوه نفس المسلك رهين المشاعر والعواطف وبذلك كانوا أوفياء لما بذره فى نفوسهم من قيم خيرة مثلما كان هو وفيا لما يرجعه وما زرعوه فى نفسه من مثل وبادئ قيمة . ان صفة الوفاء للمعارف والاصدقاء والشيوخ هى من الصفات البارزة للعيان فى حياة ابن ابى زيد وقد جوزي بنفس صنيعه ولا ادل على ذلك من المراثي الكثيرة التى رثي بها من قبل كل من يحسن الشعر ممن التقى به او عرفه او جلس الى ميعاده حتى قلنا فى غير هذا المكان ان هذه القصائد لو جمعت لشكلت ديوان الوفاء وسجلا لرابطة قامت على الحب والاخلاص للعلم واهله وللمجتمع وقضاياه . ان من ينعم النظر فى هذه القصائد ليجدها صحيفة تاريخية سجلت عليها شمائل ومناقب ابى محمد باقلام مدادها من حب تنبض كلماتها صدقا وتعزفا وانبا لحنا قدسيا لن يخفت ايقاعه ولن تصمت ترانيمه ولن يتوقف الزمن على انشاد مراثيه ...فهو فى هذه القصائد كريم جواد لم يبخل بماله على من قصده فى طلب وقد دعته الحاجة الماسة الى ذلك .

بل قد لايترقب ان يأتي اليه فهو الذى تصله الانباء وتطرق مجالسه الاخبار فيتحرك فى الاتجاه الذى يجب ان يتحرك فيه فالبغدادى القاضي وابن شبلون الفقيه وابن القابسي الزاهد كل هؤلاء قد مسهم كرمه بدون ان يطلبوا منه جودا ولاكرما انما طلبوا منه علما ومعرفة فجاد بالاثنين وكان سخيا فى الاثنين .

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 114

وبالاضافة الى هذا الجود الفطري وهذا الكرم السليقي كان دوما حاضرا في الافراح والاتراح في الاجتماعات الساخنة وفي اللقاءات العلمية التي تجمع بين العلماء ولم يمنعه من هذا الحضور رقيب عتيدا وناقل اخبار خبيث وذلك لشعوره بانه جزء لايتجزأ من هذا الكيان كما دة وروح وقيم ومثل ولم يكن يقصر حضوره على مجالس العلماء وجنائز الفضلاء وافراح الوجهاء من ذوي اليسر بل كان كل الناس عنده سواء بسواء ولا ادل على ذلك من حضوره جنازة ابن تمرة الفقيه الفقير وتوليه تكفينه من ماله عندما عز وجود كفن لهذا الفقير وكان صنيعه هذا من خواتم اعماله الفاضلة اذ توفي بعد هذه الحادثة بثلاثة ايام فقط.

هذه نبذة من مناقب ابن ابي زيد سلكت فيه جانب الايجاز على اساس ورود كثير من شمائله في اماكن عديدة ومتعددة من هذا البحث، وانما تحدثت هنا عما هو بارز منها وعلى ماله اتصال بالاخير من قريب دون البعيد.

انها مناقب شيخ عمت شهرته الافاق فغدا علما به عرف القرن الرابع في تاريخ الفكر الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية.

وان قصرت هذه المناقب على الصنف المادي من سلوكه فانني خصصت جزءها المعنوي كمبحث خاص ابرزت فيه صفاته كمجدد وهي لاشك تتمم وتكمل الجانب المادي الذي تناولته بالبحث هنا، اننا سوف نجمع بين طرفي هذه المناقب عندما نضع شيخنا في الميزان حتى نعرف ثقله العلمي وعمق تجديده الفكري في رحاب المجتمع الاكبر لامة الاسلام والذي بدأت اطرافه تتساقط تحت ضربات الطموحات الهوجاء للمغامرين لكن رغم هذه الدسائس المدبرة بليل فقد امكن لهذا المجتمع ان يثبت وان يصارع المحن والاهوال مستمدا صموده هذا من صمود العلماء بما كانوا يبثونه فيه من قيم قد استمدوها من معين لاينضب عطاؤه ولا يغور ماؤه هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان ابو محمد هو احد هؤلاء المصلحين المجددين الذي ذب عن اهل السنة ودافع عن شعائر الاسلام يوم ان عز الذاب وندر المدافع وبالله التوفيق اولا وآخرا.

1) ثقافــة الشيــخ المجـــدد

ان الدارس لما هو موجود من تآليف ابن ابي زيد مخطوطا كان او مطبوعا، ولما تناقله عنه تلاميذه وما اوردته عنه كتب التاريخ والتراجم والطبقات من مواقف و آراء في بعض القضايا التي عاشها مجتمعه ليدل دلالة واضحة ويقينية على ان ابن ابي زيد لم يكن من الفقهاء العاديين الذين يكتفون بالنقل عمن سبقهم ويفتون به بدون اعمال فكر وشحذ نظر وعقل بل كان ابن ابي زيد من العلماء الذين لا يقبلون الاحكام على عواهنها والامور على ظواهرها وانما كانت طريقته تقوم على الالتزام بمنهج مالك في استخراج احكام الجزئيات من الكليات والفروع من الاصول سالكا في هذا الاستخراج منهجا يقوم على الاعتماد على ما صح من النص الشرعي من قرآن وسنة وقياس واجماع مرجحا لبعض الاحكام عن بعض تبعا للمصالح ما كان منها مرسلا وماسدت به الذرائع مع اعتباره للاعراف وماجرت عليه عادة القوم بالعصر ولهذا فابن ابي زيد يمكن اعتباره من المجتهدين داخل المذهب المالكي (1) مثله في ذلك مثل ابي يوسف القاضي داخل المذهب الحنفي (2) والبويطي (231 هـ) داخل المذهب الشافعي (3) وابن هانىء الاثرم داخل المذهب الحنبلي (4) وقد ساعده على هذه الحركية الحرة حفظ جيد للقرآن ومعرفة دقيقة بعلومه واستكناه للسنة وسعة اطلاع على نصوصها ولا ادل على ذلك من ايراده لاكثر من اربعة آلاف حديث في كتابه الرسالة (5) واضعاف اضعاف هذا العدد في كتابه النوادر والزيادات يضاف الى هذا كله تبحره في العربية وعلومها وممارسة مادية لمنظومها ومنثورها حتى غلب الاسلوب الادبي على كتبه الفقهية ورسائله العلمية في شتى مجالات المعرفة مصداق ذلك قول احدهم فيه (وكان رحمه الله متفننا في علوم كثيرة منها علوم القراءات وتفسير القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرفة رجاله واسانيده وغريبه والفقه البارع وآثار العلماء وكتب الرقائق والاداب)(6)

---

1) محاضرات الدورة التدريبية لخبيري الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات . 1971 الجزء الاول ص 66

2) ابو يوسف القاضي وكتابه الخراج ص 70 - 74 مخطوط

3) تاريخ التشريع الاسلامي للخضرى ص 189

4) " " " " " " " " 191

4) الجامع الصحيح للسنن ... ص 55 ... ط بيروت .

5) LA VIE LITTERAIRE EN AFRIQIYA SOUS LES ZIRIDES P 29

6) معالم الايمان ج 3 ص 113

ولقد ساعده على امتلاك هذه الثقافة العميقة ذكاء فطرى وعزيمة لا تتقاعس عن الاخذ وهمة لا تكل من البحث بالاضافة الى جهود الشيوخ النوابغ في شتى العلوم (فطاحل في مختلف المعارف امثال ابن اللباد والممسي وربيع القطان وابي العرب وابي سعيد بن اخي هشام وغيرهم ممن ذكرت في مكانه في هذا البحث . ان كل هذه المميزات وكل هذه المؤهلات قد تجمعت واتحدت وتعاونت في بناء شخصية ابي محمد العلمية مما جعلته بحق عالم المائة الرابعة ومجددها وقد لاحظ الحجوى ذلك في كتابه حيث قال (يعتبر – ابن ابي زيد – من الطبقة العالية من المؤلفين وعندي انه احق من يصدق عليه حديث « يبعث الله لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها)(1)

ان هذا الرأى هو عينهُ الذى اشرت اليه سابقا من ان ابن ابي زيد ليس مجدد المذهب المالكي فحسب بل كان مجددا للفكر الديني والمنهج الفقهي في عامة العالم الاسلامي باجمعه وكيف يُعترض على هذا وقد كان شيخنا سخيا في علمه نشطا في حركته الاصلاحية غزيرًا في انتاجه حتى قال احد الباحثين بعد ان اورد اسماء واحد واربعين كتابا من كتب ابن ابي زيد قال (ان مصادرنا – المدارك – والمعالم والديباج لاتدعي انها اعطت قائمة كاملة في مؤلفات مترجمنا وتشير من ناحية ثانية الى انه الف عددا كبيرا آخر لا يقل اهمية عن المذكور)(2)

وبذلك يثبت لنا ماللهذا المجدد من دور فعال في اثراء الفكر الاسلامي في القرن الرابع وتوجيهه الوجهة التي اعطته دعما على الصمود ، وخاصة بعد ان بدأت علامات الانحلال السياسي تدب في هياكل الدولة العباسية ببروز الدويلات وتعدد الامارات وتنوع الالقاب واختلاف المشارب والاهواء وتغاير الطموحات والاغراض وبذلك بدأ العد التنازلي لقوة الدولة العباسية السنية تتراجع امام القوى المتدفقة من المشرق الاعجمي ومن المغرب العبيدى .

ان بروز الفقه المالكي في ثوب جديد قشيب هو في الواقع اعلان عن حدوث شحنات حضارية جديدة

---

1) الفكر السامي ح 3 ص 120

2 Fux Juristes Kairouanais P149 . P149

اننا سوف نخرج عن المقصود بذاته لو استعرضنا جزئيات حركته التجديدية بما فيها من نضال مضن في هذا الميدان وقد اشرت فيما سبق الى ان رسائله التي كتبها انما هي في حقيقتها اجابة منه كتابية عن حوادث جدت او اسئلة طرحت عليه من طرف الافراد او من قبل اهل الامصار على السنة علمائها .

ان حديثنا عن الحركة التجديدية التي قادها ابو محمد في القرن الرابع يقتضي منا البحث المتأني والعرض المسهب لترهات الروافض وتمحلات المعتزلة وتمنطقهم وغلو بعض دعاة التصوف فيما يعارض العقل والدين الفطرى السليم .

ان عرضنا لمثل هذه القضايا الثلاث كنماذج لما حدث في المجتمع القيرواني في القرن الرابع لكفيل باعطائنا صورة صادقة عن هذه الحركة التجديدية لابن ابي زيد والتي كان قوامها عقيدة فطرية سمحة محورها قرآن كريم لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة شريفة طاهرة نقية من الاكاذيب وطهرت من الاراجيف وثبتت اسانيدها وصححت متونها .

ان دراستنا لهذه النماذج سيمكننا بحول الله من تكوين فكرة حقيقية على هذا المنزع التجديدى لمجدد المائة الرابعة متوخيا في ذلك عرض النصوص مناقشا لما جاء فيها تاركا لها المجال بقدر المستطاع على ان ترسم لنا بنفسها هذه الصورة التي ثبعث عنها وخاصة ان ثقافة صاحبنا المجدد هي ثقافة شاملة وعميقة تعاون الشيوخ وتآليفهم على ايجادها وتعب ابو محمد في السعي وراء تحصيلها متنقلا من اجل ذلك التحصيل بين القيروان والرباطات بالساحل ومرناق وتونس وبلاد المشرق اثناء حجه والتقائه بعلماء العالم الاسلامي ممن حضر منهم الموسم المبارك .

2) الشيخ واهل الكلام

تتجلى في هذا الميدان عبقرية ابي محمد ابن ابي زيد جلاء لا تشوبه غيوم ولا تعكر فضائه سحائب نقصان المعرفة في ميدان علم الكلام الذى يمثل بحق التراث الفلسفي العقلاني للفكر الاسلامي وخاصة بعد ان طعم بالمنطق الصورى وبالنتاج الفكرى للحضارة الانسانية في ميدان البحث الفكرى ومجال النظر العقلي، وكان اول صدام لابي محمد في هذا المجال مع البغدادي المعتزلي (1) الذى بعث برسالة الى علماء القيروان الذى يدعوهم فيها الى طرح المذهب الاشعرى السني والاخذ بالاعتزال كمنهاج لهم في مجال العقائد وقد احدثت هذه الرسالة ضجة واستنكارا في الوسط السني بالقيروان وكان ابو محمد هو الاول الذى جرد قلمه للرد على ماجاء في هذه الرسالة يقول عياض(وكتب الى فقهاء القيروان رسالة معروفة يدعوهم فيها الى الاعتزال والقول بالقدر والمخلوق وغير ذلك من مذاهبهم ويقول لهم : طريقة متكلمي اهل السنة ومذهب الاشعرى بدعة فجاوبوه – فقهاء القيروان – وردوا عليه وجاوبه ابو محمد ابن ابي زيد رحمه الله عن كتابه برسالة معروفة ظهر فيها علمه وقوته في الكلام بالرد على اهل الاهواء ونفي عن مالك واصحابه جميع مانسب اليه وجعل يحتج على نقض قوله في القدر من كلام مالك البديع في رسالته في القدر الى ابن وهب رحمه الله)(2) ان حديث عياض عن رد ابن ابي زيد له كاف في نظري على كل تعليق اذ جاءت رسالته المسماة ب (الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادى المعتزلي)(3) مثالا في موضوعها وسيفا قاطعا في مجالها وانموذجا في الاحاطة بالمقولات الكلامية في الخقيدتين الاعتزالية والاشعرية كيف لا تكون هذه خصائصها وهذه مميزاتها وصاحبها كان شيخا عالما في هذا المجال الحيوى من الفكر الاسلامي وخاصة

---

1) علي بن احمد بن اسماعيل البغدادى سكن مصر وكان ينتحل مذهب مالك بن انس ويقول بالاعتزال وكان داعية في ذلك وكتب الى اهل القيروان رسالة معروفة وهذا الرجل غير معروف في المالكية ولا معدود فيهم وانما سمي بمذهب مالك لينفق بدعته عند العامة) ترتيب المدارك م2ح 4 ص 486

2) ترتيب المدارك م2ح 4 ص 486 هذا الرد يقول فيه الدكتور بكير هومايلي الان الباب الاول من الرسالة ترتيب المدارك ح 1 ص 15

3) المدارك م2 ح 4 ص 494

بعد ان حج وسمع تلك المقولات من افواه شيوخها وحضر لقاءاتهم واقتنع عن عقيدة بان الحق مع الاشاعرة السنيين فاقبل على دراسة المذهب وماقام عليه من ركائز وما حفل به من الحجج التي يشد من ازرها كتاب الله وتثبت أقدامهما سنة نبية ولا استبعد - اطلاع ابي محمد على كتاب " مقالات الاسلاميين " لابي الحسن الاشعري وخاصة ان من تلاميذه من كان في الان نفسه تلميذا لابي الحسن الاشعري نفسه (1) ومنهم ايضا من تتلمذ على هذا التلميذ ثم ارتحل الى القيروان وصاحب فيها ابا محمد وجالس اصحابه من علماء اهل السنة وابلغه ما اخذ من علم في هذا المجال .(2)

فرد ابي محمد على المعتزلي البغدادي هو رد العالم الخبير والمثقف الذي جرد قلمه للدفاع عن العقيدة السنية سواء في مجالها العقائدي او في ميدانها العملي .

لقد اجمع كل الذين اطلعوا على رد ابي محمد بن ابي زيد على المعتزلي البغدادي على مابرز في هذا الرد من معرفة عميقة بعلم الكلام ودراية جيدة بمقولاته واطلاعا واسعا على قضاياه المطروحة وموقف كل الفرق الكلامية منها وبخاصة فرقة اهل السنة والجماعة التي تعتبر المصدر الذي استمد منه ابو محمد رده والذي يرجع كل مادعته الحاجة الى ذلك وبه وبمقولاته استطاع ان يفرغ فرضيات اهل الاعتزال من محتواها .

ان معنى التجديد هنا انما هو في الرجوع الى المنابع الاصلية للفكر الاسلامي من قرآن وسنة وماروي من آثار على السلف الصالح واى حركة او نهضة لا تعتمد ذلك لا تعتبر تجديدا بل هي تخريب للفكر وتحد لاصوله فاذا قبل في العصر الاول الاستفادة من النتاج الحضاري للحضارات السابقة من اجل تركيز اسس النهضة الاسلامية فلا ينبغي ابدا التشبث بذلك المأخوذ على اساس انه هو مقدس لا يمكن المساس به لانه من باب ليس في الامكان ابدع مما كان واذا كان لهذا الفكر الانساني دوره في وقت مافاته لم يعد كذلك بعد اربعة قرون من قيام الحضارة الإلهية الانسانية .

---

1) ابن مجاهد الطائي الاشعري انظر ترجمته ص 216

2) ابن عبد المؤمن انظر ترجمته ص 107

ذلك لانه في خلال هذه القرون الاربعة امكن لهذه الحضارة ان تستقل بمميزاتها وان تنفرد بخصائصها بحيث اصبحت هي نفسها مصدرا منه يستمد وعليه يعول ولهذا لم يعد هناك عذر لبقاء بعض المناهج الفكرية المترمتة والتي تعتبر دخيلة على الفكر الاسلامي من امثال المنطق الصوري وغيره مما احتيج له في العصر الاول .

ان هذه الحركة التي بدأها ابو الحسن الاشعري وواصلها من بعده علماء كثيرون كابن مجاهد الطائي وابي محمد بن ابي زيد وابي بكر الباقلاني وغيرهم كثيرون ثم يواصل مسيرتها طلابهم في القرن الخامس الى ان تستوى على سوقها في نهاية القرن الخامس وبداية السادس على يد ابي حامد الغزالي الذى دعا بحرارة وتصميم الى تجديد التفكير الديني بتجديد مناهجه وذلك عندما وضع كتابه "احياء علوم الدين" .

ومن ضمن هذا المجال رده على ابن مسرة (1) المارق في رسالة بعنوان (الرد على ابن مسرة المارق) (2) يقول الحميدى في ترجمة بن مسرة وله طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض الاشارات الصوفية وتواليف في المعاني نسبت اليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها) (3) وقد رد عليه الزبيدى (379 هـ) وحسب ما ذهب اليه الباحث الهادى روجي ادريس فان كتابه (هتك ستور الملحدين) للزبيدى قد وصل الى ابي محمد من طريق طالبين اندلسيين تتلمذا اولا للزبيدى ثم تفقها بابي محمد وهما الجالطي (403) والطلمنكي (429هـ) (4) لقد تكونت لابي محمد بن ابي زيد فكرة عن مزاعم ابن مسرة فحبر ردا تحت عنوان (الرد عن ابن مسرة المارق) واعتقد ان مزاعم ابن مسرة لاتختلف في عمومها على مزاعم جماعة ابي بكر الصقلي التي انبرى ابو محمد للرد عليها وهو ما سنفصل فيه القول فيما يستقبل من هذا البحث رد ابي محمد على ابن مسرة اعجب تلميذه الطلمنكي ودفعه الى كتابه رد. يقول فيه الهادى ادريس لايعدو ان يكون تحويرا لما كتبه ابن ابي زيد (5)

وما دمنا في المجال العقائدى فان ابا محمد لم يكتف بما حرره من ردود على المعتزلي البغدادى وعلى ابن مسرة بل له تاليف اخرى ركزها حول مقاومة الالحاد والمروق مثل ذلك "رسالة في اصول التوحيد" وكتاب المعرفة واليقين وكتاب الثقة بالله والتوكل عليه (6)

وبذلك ترى ان هذا المجدد لم يقتصر نشاطه العلمي على جانب الاحكام الفقهية بل تعداه الى

---

1) ابن مسرة : هو ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسرة كان على طريقة الزهد والعبادة يشق فيها وافتتن جماعة من اجلها وله طريقة في البلاغة وتحقيق غوامض الاشارات الصوفية وتواليف في المعاني نسبت اليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها والله اعلم مات سنة 319 هـ (جذوة المقتبس ص 63)

2) معالم الايمان ج 3 ص 111

3) جذوة المقتبس ص 63

4) DEUX JURISTES KAIROUANAIS P/45

5) " " " P 159

6) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 494

الفكر الاسلامي وذلك عن طريق تجديد وسائل العمل الفكرى ومناهج البحث العلمي لدى اهل السنة عامة بقطع النظر عن مذاهبهم الفقهية مما شكل في مضمونه اتحاد سني فكرى ومادى ضد الفكر الرافضي ومن معه ومن وراءه من المتسربلين بمسوح الدين من الحاقدين على الاسلام واهله .

ولا ادل على ذلك مما وقع في حلقات الجدل في الثلث الاول من القرن الرابع بين اهل السنة ودعاة الروافض من ذلك ماورد في ترجمة ربيع القطان على لسانه (وكيف لا افعل وقد سمعت الكفر باذني ؟ فمن ذلك اني حضرت اشهادا وكان فيه جمع كثير، اهل سنة ومشارقة وكان بالقرب مني ابو قضاعة الداعي فاتى رجل مشرقي من اهل المشرق فقام اليه رجل مشرقي وقال له هاهنا يا سيدى الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني ابا قضاعة الداعي ويشير بيده اليه — فما انكر احد شيئا من ذلك، فكيف ينبغي ان اترك القيام عليهم)(1)

وكتب التراجم مكتظة بمثل هذا المروق الديني والكفر الصريح مما حرك علماء اهل السنة للرد عليهم باللسان وبالقلم وبالسيف ومناظرات جبلة بن حمود ، وابن سعيد بن الحداد ، وابن التبان لشاهد، علما باقول مما عمق بين الطائفتين الخلاف حتى غدا حقدا وكان الروافض اشد حقدا واكثر تصميما على اجتثاث الاسلام واهله من افريقية المغرب بدليل مجزرة الفقهاء بالوادى المالح حيث وقعوا بين فكي الكماشة بين صفوية الخوارج ورافضية الشيعة ثم توج ذلك كله بهجمة بني هلال المسيرة من طرف الروافض بمصر والتي جاءت على الاخضر واليابس حيث خربت عاصمة اهل السنة بالمغرب وذهب الكثير من التراث العلمي الذى خطته انامل العلماء المجاهدين الاوائل دفاعا عن الاسلام كما جاء من رب لطيف رحيم .

ان تخريب الكيان الاجتماعي والفكرى والعقائدي للمجتمع السني بالقيروان هو الهدف الذى عملت من اجل تحقيقه صفوية الخوارج ورافضة الشيعة وهو نفسه الذى ركز عليه ابو محمد مقاومته وشحذ من اجل تحقيق النجاح لهذه المقاومة فكره وبرى قلمه واعد ذواته وحبره ومداده

1) معالم الايمان ج 3 ص 31 — 32

العقائدى مدافعا على مذهب أهل السنة والجماعة باعتباره مذهبا يرتكز على أرضية فكرية منبعها الاسلام وموردها الذى لا ينضب كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه السلف الصالح من صحابة وتابعين .

3) الشيخ ... وكرامات الأولياء

الاسلام كدين جاء آمرا بالعمل بنوعيه المادى والروحي جاعلا كلا منهما متمما[7] للآخر ومتكاملا معه بل ان بناء الانسان الكامل المتزن المملوء المطمئن النفس متوقف على وجود هذا التئام وتوفر هذا التكامل في المنزعين المادى والروحي للانسان .

ان التربية الاسلامية تهدف الى بناء الانسان الخالي من المركبات والعقد النفسية والسليم من الأمراض والعاهات الجسدية . ولهذا كانت العبادة في الاسلام هي دعوة للعمل الصالح الذى يقيم الحياة على أسس سليمة من العدالة والأخاء جامعة في دعوتها هذه بين المادة والروح مازجة بين الدنيا والآخرة مصداق ذلك الحكمة المعروفة المتداولة : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

ان هذه الحكمة المعروفة المتداولة حددت بايجاز المنهج السليم الذى أقيم على أساسه البناء التربوي لشخصية المسلم مما يجعل منه فردا قادرا على البناء الحضارى وما يقتضيه هذا البناء من ابداع في شتى العلوم والمعارف وما يوجبه من بروز وسبق في شتى مجالات الحياة الانسانية وقد سار الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتابعوهم البررة حسب هذا المنهاج السليم فكانوا يعملون وكانوا يجاهدون ويتعبدون مازجين غير فاصلين بين العبادة بمفهومها الروحي وبين العبادة بمفهومها المادى وذلك ان كل عمل هو عبادة وكل مسلك هو عبادة وكل تصرف هو تقوى وقوية من الله . وبفضل هذا المنهج التربوي الشامل حققوا العزة التي هي أهم شعار للمجتمع الاسلامي حيث قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ولا عزة الا بالعمل الجاد الذى يلتحم فيه الساعد بالقلب والمادة بالروح والكسب بالايمان . ولم يذكر لنا التاريخ أن أحدا من الرعيل الأول فر من الحياة الى كهوف الجبال أو الى الفيافي القفر متفرغا في هروبه هذا للعبادة بل كانت العبادة الحقيقية هي العبادة التي تحددها كلمة الله أكبر حيا على الصلاة حيا على الفلاح . فالله أكبر هي الشعار الذي رددته الجماهير المؤمنة حيث بعث في نفوسها الجد والعزم فدكت بعزمها الأكيد الأسوار العالية على الطغاة وفجرت بجدها

الصادق المصمم الخيرات وقسمتها بالقسط بين المؤمنين الذين هم في نظرها كأسنان المشط وما قصة الحطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلا أكبر دليل على أن العبادة الحقيقية هي العبادة التي تغير واقع الانسان من أسوأ الى حسن ومن الحسن الى الأحسن وتزرع في نفسه الشعور بالعزة والاحساس بالكرامة فلا سجود الا لله ولا ركوع لغيره .

ان للمؤمنين الأسوة الحسنة في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حيث كان يعمل بيديه حتّى يتصبّب منه العرق ويؤدى ما فرض عليه كغيره من المسلمين ويقبل على الحياة بمقدار بدون افراط ولا تقتير لأن خير الأمور أوسطها كما قال هو ذاته عليه صلاوات الله وسلامه . ذلك أن الخيرات هي نعم من الله ونعم الله لا ترد ولا يعزف عنها لأن في هذا الرد والعزوف رفضا لنعم ما خلقت الا للانسان . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في هذا المجال معجزة في سلوكه مثالا في أخلاقه داعيا الى التيسير رافضا للتعسير لأن دين الله يسر وسار صحابته على هديه وسنوا على منواله مع التحرّي في السلوك والممارسة لأنهم ليسوا مثله صلّى الله عليه وسلّم لفارق عصمته وعدم عصمتهم ولكنهم لم يتركوا المدن التي مصروها ومواقفها التي شيدوها الى المغاور والجبال بل رفضوا حتّى التفرغ للعبادة الروحية في المساجد حتّى قيل أن عمر أخرج جماعة انكبت على العبادة الروحية في المسجد النبوي وتركت العبادة العملية وما تقتضيه من طلب للرزق الحلال بكدّ الجبين وقال لهم قولته المشهورة (أما علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضّة) .

هكذا كان المجتمع الاسلامي الأول فطريا في عبادته فطريا في سلوكه ذا قلب مفعم بالإيمان حتّى كان الفرد منهم بيد يحمل المصحف وبالأخرى يحمل المعول ويعزف الأرض فتخرج خيراتها ليتوفر بهذه الخيرات أمن مجتمعها الغذائي وبالتالي تتحقق عزة المجتمع وتقدمه .

ثمّ بمرور الزمن واتساع حركات الفتوحات واختلاط المسلمين الأوائل بغيرهم من الأمم الأخرى واطلاعهم على الثقافات القديمة وطرق العيش ومناهج العبادة ثمّ دخول هذه الأمم الى حضيرة الاسلام حاملة معها عاداتها وتقاليدها وآراءها . ثمّ لمّا تقادم العهد عن عصر الرسالة بدأت تبرز في سماء المجتمع الاسلامي أنماط سلوكية جديدة نظرا لحالة الرخاء التي كان عليها المجتمع الاسلامي مما جعل

الداخلين الجدد الى الاسلام يعودون الى ممارسة عاداتهم وتقاليدهم الحياتية التي كانا عليها أجدادهم قبل انتشار الاسلام في أمصارهم واعتناقهم له ٠مما ترتّب عنه انحراف من الأهداف التي رسمتها التربية الاسلامية لبناء المجتمع الاسلامي ٠عندئذ برزت شريحة اجتماعية رفضت حياة البذخ وما ترتب عنه من ظلم اجتماعي ومن انحراف تربوي ولم يكن أمام هذه الشريحة سوى مجال المقاومة السلبية حيث فرت الى الكهوف والمغاني ولبست الصوف واكتفت من الحياة بما يقوم الأود ، ويحافظ على الرمق ، وليس هؤلاء في منزعهم هذا بمبدعين بل كانوا في ذلك من المقلدين وخاصة أن الكثيرين من هؤلاء كان أجدادهم من الذين أسلموا إبان الفتوحات الأولى ولا شك من بقاء بعض من رواسب الماضي في نفوسهم انحدرت اليهم من مجتمعهم القديم الذي كان يعتقد أن التقوى والصلاح هما في رفض زينة الحياة الدنيا والتفرغ للعبادة الروحية دون غيرها ثم تطور هذا المنزع حتى أصبح للصلاح شعار وهو لبس الصوف ومعاشرة وحوش الصحراء ورفض كل ما يمت للدنيا بصلة ٠ومما زاد الطين بلة كما يقولون ولوج هذا الميدان من طرف من لا يحمل من الصلاح والتقوى الا لباسه الصوفي بحيث وصل الحد الى عدم استطاعة الانسان التفريق بين التعبد الحقيقي والتعبد المزيف ٠وبين الحاقد وناقد الحق وبين الصادق والمدعي حتى أصبح أمر هذه النحلة مهددا للفكر الديني وبالتالي الحضارة الانسانية لأنه لا يمكن أن تقوم حضارة على الروح دون المادة أو العكس بل ان الحضارة هي مزيج من المادة والروح حسب تعاليم الاسلام خاصة وحسب المنطق الحضاري عامة ٠

وقد تفاقم هذا الأمر في عصر شيخنا ابن أبي زيد القيرواني حتى ادعى بعض المتصوفة رؤية الذات العلية وأضافوا الى أنفسهم خوارق ومعجزات لا تجد مثلها حتى للرسل والأنبياء صلاوات اللـه عليهم وسلامه ٠وكان هذا الادعاء الباطل وهذا الغلو الذي يرفضه الاسلام قبل العقل هو ما أنكره عليهم أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد أما ما دون ذلك من كرامات الأولياء الصالحين مما لا يصل الى هذه الادعاءات فان أبا محمّد لم ينكرها لاتفاق علماء الأمة على أنّ دعاء الصالحين مستجاب لصفاء أنفسهم وصدق عبادتهم وعمق ايمانهم وكان من هؤلاء الأولياء من يعرف حده

وكان من هؤلاء العلماء الاولياء من يعرف حده ومقامه ورتبته فلا يتطاول الى مافوقها واذا ماحدث له مايتجاوز حده اعتبرمن اغراءات ابليس فكان اول المكذبين لهذه الاغراءات من ذلك ماورد في ترجمة ابي ميسرة احمد بن نزار شيخ ابن ابي زيد مايلي (كان ابو ميسرة رجلا صالحا عالما مشهورا بالفقه ثقة حسن الاتباع لايخالف في فتواه ابن القاسم مجانبا لاهل الاهواء كثير الصلاة والذكر وكان يختم كل ليلةختمة في مسجده وروى انه كان ذات ليلة يتهجد ويبكي وقد اتى على صلاته واذا بنور عظيم قد خرج له من حايط البيت كانه محراب ثم قال له تملا من وجهي ياابا ميسرة فانا ربك الاعلى فبصق في وجهه وقال اذهب ياملعون نعليك لعنة الله فطفىء ذلك النور من ساعته كسراب بقيعة واذا به ابليس اراد ان يفتنه فنجاه الله منه) (1) فانظر الى هذا الولي الصالح الصادق في عبادته والعارف بمقامه والذي على الرغم من المفاجأة التي فاجأه بها ابليس لم يفقد توازنه الروحي ولم يغره بالله الغرور ولانه يعلم حق العلم ان الله تعالى لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار.

ان مثل هذه الواقعة لابد ان تكون قد بلغت ابن ابي زيد وخاصة انه كان طالبا في حلقة هذا الشيخ الولي ولما كثر الحديث عن كرامات الاولياء وانقلاب الاعيان فيها خاصة وبدأت بعض الشرائح الاجتماعية الساذجة في المجتمع القيرواني تصدق هذه الادعاءات وتبعا لتصديقها هذا كثر عدد المدعين لهذه الترهات مما يهدد الحياة الاجتماعية والفكرية للمجتمع القيرواني الناهض جرد ابو محمد قلمه كما عهدناه للرد عن بعض هؤلاء ممن الغوا في هذا الميدان تآليف كثيرة ولم يكن هذا الشخص سوى ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله البكرى الصقلي (2) الذى وصفه صاحب المعالم بامام الحقيقة وشيخ الطريقة رضي الله عنه) (3) وله كما هو موجود في ترجمته مؤلفات عديدة في التصوف غالى فيها المغالاة شديدة في قضية انقلاب الاعيان وهو ماينكره عليه ابن ابي زيد 4

---

1) معالم الايمان ح 3 ص 41

2) ابوالقاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبدالله البكرى الصقلي سمع بالقيروان من ابي الحسن على بن محمد بن مسرور الدباغ ومن حسن بن نصر وابي العرب واليحصي والسبائي وابن عبادة وابن سعدون صاحب ابي عقال ثم ارتحل الى المشرق فاخذ عن البلخي وابي الحسن الهاشمي وابن فندار القاضي وبمكة على الاخرى سنة 350 هـ . وجمع الحديث واصول الفقه والتصوف والصلاح والزهادة من تاليفه انوار الصقلي اتى فيه بانواع المعارف واسرار التصوف بما اوتي فيه من غيره وله كتاب صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفياء وله ايضا كتاب كرامات الاولياء والمطبعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان الا انه مات قتل ابن ابي زيد اما عياض فيسميه عبدالرحمن (ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 495) ترجمته بمعالم الايمان ح 3 ص 144 ـ 149

3) معالم الايمان ح 3 ص 144

4) 145

وهو ما اثار زوبعة وصلت اصداؤها الى بغداد شرقا. وحسب النتائج التي بانت لي من خلال استقرائي لعديد النصوص ان أبا محمد بن أبي زيد عندما كتب كتابيه حول هذه القضية وهما على التوالي : كتاب الاستظهار في الرّد على البكرية (1). وكتاب كشف التلبيس (2). لم يكن هدفه إنكار كرامات الأولياء عامة بل كان هدفه انكار المغالاة التي أدت ببعضهم الى القول برؤية الله جهرا وادعاء بعضهم قدرته على تغيير الأشياء من صفة الى صفة. الا أن القوم كانوا من الذكاء وسعة الحيلة ما جعلهم في النصف الأقوى وذلك بترويجهم أن أبا محمد ينكر كرامات الأولياء العادية الثابتة شرعا والمقبولة عقلا ولهذا تحزب لهم بعض الفقهاء حتّى من تلاميذ ابن أبي زيد أنفسهم وهو الطلمنكي. في حين أن الثابت تاريخيا أن أبا محمد ما أنكر من هذه القضية سوى ما يتعارض مع الدين الاسلامي والعقل السليم. اذ كيف ينكر أبو محمد كرامات الأولياء في حين أنه كان يلتجئ الى دعائهم في كثير من الحالات التي تعترضه أو تعترض بعض أفراد أسرته. كقضية رقي ابنته من طرف شيخه السبائي مرة ومن طرف قريبه محرز بن خلف اخرى (3). وقضية نزول المطر على بيته استجابة لدعوة المؤدب محرز والتي رواها هو الى أصحابه في ميعاده الصباحي معهم (4). لكن كما قلت أن بعض مشعوذي المتصوفة كان على درجة كبيرة من الذكاء عندما أشاع أن أبا محمد ينكر كرامات الأولياء حتى يمكن له اكتساب انصار وتمّ له ما أراد عندما شنّع بعض الفقهاء على أبي محمد موقفه ذلك بدون أن يتحققوا منه. فقد ذكر الامام عياض أن أبا محمد (لما ألف كتابه على البكرية (5) ونقض كتاب عبد الرحيم الصقلي (6) بتأليفه الكشف وكتاب الاستظهار ورد كثيرا مما تقلده من خارق العادات على ما قدره في كتابه شنع المتصوفة وكثير من أصحاب الحديث عليه ذلك وأشاعوا أنه نفى الكرامات وهو رضي الله عنه لم يفعل بل من طالع كتابه عرف مقصده فرد عليه جماعة من أهل الأندلس ومن أهل المشرق وألفوا عليه تواليف معروفة ككتاب أبي الحسن بن جهم الهمداني وكتاب أبي بكر الباقلاني وابن عبد الله ابن شق الليل وأبو عمر الطلمنكي في آخرين وكان أرشدهم في ذلك واعرفهم بغرضه ومقداره أمام وقته أبو بكر الباقلاني فانه بيّن مقصوده. قال الطلمنكي كانت تلك من أبي محمد نادرة لها أسباب

---

1) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 4 و 4 يقول عياض الرد على الفكرية وهو تصحيف والأصح البكرية نسبة الى أبي بكر الصقلي

2) // // // // //

3) انظر فصل الشيخ واهل أسرته من البحث ص: 228-229

4) معالم الايمان ج 3 ص 116-117

6) معالم الايمان : يسميه عبد الله خلوص عبد الرحيم

أوجبها انتشار الذي يقع بين العلماء صح عندنا رجوعه عنها ولم يزل في ظاهر أمرها لا محو السوء من ابن الأمير الا أن حمل الكرامات فيما بلغنا عن طبقات عندهم على مجالس لأكل أموال الناس ودرسوها بالمزاملة . وقد روى عنها رأى كثيرا) (1) فالقاضي عياض يقدم الذارين استمراره لأحداث هذه القضية فانه يميل الى أن الزوبعة قد أثارها بذكاء المتمعشون من الولاية والتصوف من أمثال ابن الأمير وغيره في حين أن الواقع الفكري لأبي محمد الذي أساسه التقوى والصلاح لا يرفض البتة كرامات الأولياء في الحدود المقبولة شرعا ونقلا وعقلا . وهذا الموقف من عياض نجد عكسه في معالم الايمان اذ ورد قوله (وكان أبو محمد بن أبي زيد كثيرا ما ينكر كرامات الأولياء لمعنى قلب الأعيان وذلك قصور منه رحمه الله عن ادراك ما وهب الله أولياءه من الكرامات . وما أفاض على قلوبهم من الأنوار والبركات ...! فلذلك كان يشير الشيخ أبو القاسم في كتبه الى تصور الفقهاء الذين ينكرون القدرة وما وهب الحق لأوليائه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) (2) ويعلق ابن ناجي على قول الدباغ بما يلي : (قلت سبب انكاره الكرامات وانكار ذلك عند أكثر المريدين في عصره من ادعائهم رؤية الله سبحانه في اليقظة قال ابن بزيزة : (3) وألف كتابا يقتضي انكار الكرامات وانكار الرؤية وسمعت الشيوخ يحكون ان علماء زماننا نكروا ذلك عليه وارسلوا الجواب من القيروان الى بغداد فوصلوا اليها على الصحراء بعد اربعين يوما فاجتمعوا بالقاضي أبي بكر بن الطيب ودفعوا له السؤال فاجابهم بجواز ذلك والف كتابا في ذكر جواز الكرامات وفيه فضل الشيخ ابي محمد بن ابي زيد ومعرفته بعلم الفقه

---

1) تركيب المدارك م2 ج 4 ص 495

2) معالم الايمان ج 3 ص 145 ــ 146

3) ابن بزيزة ؟ هو عبد العزيز بن ابراهيم القرشي التونسي التميمي المعروف بابي بزيزة (606 هـ ــ 673 هـ) فقيه متصوف اخذ عن السوسي والبرجيني والبراء له كتب كثيرة منهاج المعارف الى روح العوارف الحلل السندسية ج الاول ق 3 ص 661 ــ 662 .

ذكر هذا في تفسير قوله عز وجل (الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) (1)
وورد ايضا في موضع آخر من المعالم قوله (وذكر ان القاضي ابا بكر بن الطيب الباقلاني ذكر ابا
محمد في بعض تواليفه واعتذر عنه فيما نسب اليه من انكار الكرامات ولم يكن مذهبه انكار سائرها
وانما كان يبلغه عن ابن الصقلي اشياء الله اعلم بها وبصحتها كانها عنده من جنس المحالات
فكان ينكر ذلك وكيف وهو يحكي كثيرا من الكرامات عن ابي اسحاق السبائي ومنها ماجرى له
معه في قصة ابنته حيث مرضت عيناها فرقاها ابو اسحاق من داره وهي في دارها فبرئت من
حينها) (2) ... قال : ولابي محمد جزء في اثبات كرامات الاولياء) (3)

ونحن عندما تنعم النظر في النص الاول للدباغ وفي هذا النص نجد هناك تناقضا في
موقفه من هذه القضية اذ كان في نصه الاول مع من قال بان ابا محمد قد انكر الكرامات عامة
والا ادهي من ذلك ان نجد الدباغ يقول بعدم امكانية انقلاب الاعيان ونكران ابي محمد لها
يعتبر في نظره قصورا منه عن ادراك ماوهب الله لاوليائه من قدرات وماافاض على قلوبهم من
الانوار ... ثم نجده في هذا النص الاخير يبرئ ساحة ابي محمد من هذه ولذلك تناقضه هذا
يجعلنا نستبعد رأيه من ساحة مناقشة هذه القضية فيبقى امامنا تعليق ابن ناجي الذي جاء
دقيقا صريحا مثل ما كان عليه الحال بالنسبة لرأي عياض : فابن ناجي يقرر ان ابا محمد لم ينكر
كرامات الاولياء وانما انكر رؤية الله في اليقظة وماشابهها من انقلاب الاعيان وهذه الادعاءات
كانت شائعة في اوساط دعاة التصوف ومريديه في عصره، ومن هنا يكون ابو محمد على حق وصواب
عندما هاجم البكرية وامثالهم لخروجهم عن الشرع والعقل وهو مايجب عليه ان يفعله كمجدد مناط
بعهدته حماية العقيدة السمحة من الترهات والاباطيل وذلك عن طريق

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 145 ـ 146
2) 112ـ113
3) 113

حماية اهلها من الشطحات الفكرية التي تعارض المفهوم القطري للشريعة وهذا ما نلمسه في موقفه من الحوادث الخارقة للعادة التي قد يبلغها له تلاميذه في حلقة الدرس من ذلك ما ذكره له ابن المنمر الطرابلسي (من انه قصد الحج في جماعة منهم ابو عثمان الحساني فبقوا ثلاثة ايام بلا اكل فاقترب ابو عثمان من مرتفع صغير من الارض ومرر عليه يده ثم اخذ منه قطعة من التراب ووضعها في وعاء كان معه ثم خلطه بقليل من الماء وتلا بعض الايات وقال بسم الله ثم اطعمهم قائلا : اذكروا اسم الله ثم كلوا ففعلوا) (1) ويذكر ابن المنمر ان الشيخ ابا محمد بن ابي زيد لما سمع الحكاية طأطأ رأسه برهة ثم رفعه وقال قد يكون ذلك خاصة وقد يقيم ثلاثة ايام بلا اكل وتلا بعض الايات القرآنية وسكت. انه من المنطقي ان يكون هذا هو موقف عالم المائة الرابعة من مثل هذه الحكايات التي انتشرت في عصره منها ما يرفضه رفضا قاطعا كادعاء بعضهم رؤية الله ومنها ما يحيله الى علم الله بدون ان يعلق عليه وهو ما فعله لما اخبره به ابن المنمر اما اذا طلب منه ان يكون هو ذاته مصدرا للكرامات فانه يجيب الطالب بما هو معروف في الشريعة بان لا ضار ولا نافع الا الله وان ليس للانسان الا ما سعى من ذلك ما رواه تلميذه اللبيدي من قوله (اجتمع عيسى بن ثابت العابد بالشيخ ابي محمد فجرى بينهما بكاء عظيم وذكر فلما اراد فراقه قال له عيسى اريد ان تكتب اسمي في البساط الذي تحتك فاذ رأيته دعوت لي فبكى ابو محمد وقال : قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فهبني دعوت لك فاين عمل صالح يرفعه؟ (2)

---

1) انظر رحلة التيجاني ط 1958 ص 250 - 251

2) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 496

فاي اجابة صادقة لهذا الحالم الفقيه المصلح اذ لم يدم ان لدعائه دخلا في تحقيق مايتمناه طالبه بل ان مايتمنى لايدرك الا بالعمل الصالح حسب ماجاء في الاية الكريمة واين هذه الاجابة من ادعاءات المدعين بامتلاكهم مفاتيح الدنيا والآخرة اذا اردنا ان نعرف الفارق انما يجب ان نفرق بين العلماء المجددين الذين يقول فيهم ربهم (انما يخشى الله من عباده العلماء) (1) وبين المشعوذين الذين جعلوا من تزهدهم وسيلة لابتزاز اموال الناس وامتصاص خيراتهم بطرق غير شرعية يرفضها الدين الحنيف ويكذبها العقل السليم وتزدريها الاخلاق الحميدة .

يعلق احد الباحثين على هذه القضية بقوله (وقد شهر ابن ابي زيد بشدة هذه الترهات وطارد النظريات القائلة بان الاولياء يرون الله في حالات الصحو بينما يبرز الصقلي ان الفقهاء لايمكنهم فهم هذه الاسرار وقد اثارت عقلانية ابن ابي زيد ردود فعل في القيروان وخارجها) (2) حتى وصل الامر كما راينا الى الاحتكام وكانت نتيجة الاحتكام مخيبة لامال من اختلق القضية مناسبها لان الحكم قد فهم اللعبة وعوض ان ينتقد على ابن ابي زيد موقفه اثنى على علمه وابان فضله رافضا في الان نفسه مايحاول معارضوه الصاقه به في اتون المجادلات لانه كم ضاع من حق في حمى الاختلافات وفي لهيب المجادلات وكم الصقت بالافراد من مواقف وكم البست لهم من اراء في حين انها ليست لهم بمواقف وليست لهم باراء وانما اضيفت اليهم وحملت عليهم في حين انهم لم يقولوا بها دقيقة ولم يعتقدوا صحتها ثانية وهذا ماينطبق على قضيـــة الحال ذلك ان كل النصوص التي امكن لي الاطلاع عليها واستقرآتها تثبت ان ابا محمد كان ميالا لاستعمال عقله وشحذ فكره من اجل تجديد الفكر الديني والمنهج التربوي في مجتمعه الاسلامي اثر ما برز له في افقه من علامات تشير الى هجمة شرسة للفكر الغيبي الداعي الى التواكل والقائم على الشعوذة وعبادة الاصنام البشرية من دون الله تعالى وهذا كله مرجعه الى استيلاء الـــروافــــض علـــــى مقاليــــــد الامـــــور للمجتمـــــــع السنـــــــي

---

1) الاية 28 من سورة فاطر

2) DEUX Juristes Kairouanais P.246

سواء في القيروان او غيرها وبهذا الاستيلاء فرضوا على هذا المجتمع نوعا من التفكير الغيبي الذى يرفضه الاسلام الفطرى الذى لايقدس بشرا ولايعبد احدا غير الله مصداق ذلك قول ابي بكر الصديق يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مخاطبا الجموع الملتاعة : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت ثم تلا قوله تعالى (ومامحمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن (1) يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) .

اين هذا امام ما اصبح عليه الامر في النصف الاول من القرن الرابع من تاليه من هو ارذل من الشيطان في افعاله ...؟ وماذا نقول في قصيدة جاء فيها على لسان شاعر العبيديين ابن هاني (362 هـ) (2)

ماشئت لا ماشاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
كانما انت الرسول محمد وكانما انصارك الانصار

ويضاف الى هذا التاليه اباطيل اخرى لاارى فائدة من ذكرها .

ان تحقيق مثل هذه الاهداف السخيفة للحاكمين الحاقدين على الاسلام واهله يقتضي تغيير المنهاج الفكرى للمجتمع السنى من منهاج يقوم على العمل الجاد والمعرفة اليقينية الناتجة عن اعمال العقل وبحذف الفكر الى منهاج يقوم على الايمان بالكرامات والمعجزات على ايدى البسطاء مما يؤدى الى هيمنة الفكر الغيبي وبالتالي هيمنة الحاكم الضال المضلل اذن لا استبعد من وجود اصابع العبيديين وراء هذه القصة بعد ان منيت كل مساعيهم بالفشل لتشييع علماء السنة بالقيروان واكتسابهم الى صفهم .

اننا لو واصلنا سرد مثل هذه الضلالات الرافضية لاحتجنا الى المجلدات الضخمة وفي هذا تجاوز للهدف المرسوم لبحثنا وبقدر ما ازداد نشر العبيديين لمثل هذه الضلالات في الاوساط العامة

---

1) الاية 144 سورة آل عمران
2) الكامل لابن الاثير 8/622

بواسطة الترغيب تارة وبالترهيب الاخرى بقدر ما ازدادت مقاومة المجتمع القيرواني السني لهم وذلك بالكشف عن اباطيلهم واضاليلهم وكان ابو محمد عبد الله بن ابي زيد فارس الميدان في هذا المجال يقاوم الكفر واهله ويفضح المارقين ومروقهم واصحاب الاهواء وادعاءاتهم مصدره في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ومن هنا كان رفضه لادعاءات المتصوفة رفضا توجبه العقيدة الفطرية ولا استبعد ان يكون للروافض دخل في هذا الانقسام في المجتمع السني لان كل انقسام يؤدي حتما الى تغلغل الفكر الشيعي الرافضي الغيبي .

ولما احتدم النقاش وطال وفهم ... ابو محمد قصد السلطة وانتبه الى احبولة المشعوذين الف كتابا ثالثا : تحت عنوان (اثبات كرامات الاولياء) (1) حيث جعل للاقاويل وللاكاذيب حدا كشف به اللعبة الخبيثة وعرى به الاحابيل المنسوجة بليل . حيث اثبت فيه للاولياء الكرامات في الحد المقبول نقلا وعقلا يقول احد الباحثين في عصرنا هذا حول هذه النهضة "جزء في اثبات كرامات الاولياء" وهو كتاب انهى به ابن ابي زيد الجدال الذي اثاره كتاباه السابقان في هذا الموضوع) (2) ثم يقول (وعندما يذكر لنا ابن فرحون ان ابن ابي زيد كان مستعدا ان يتراجع ويرجع الى الحقيقة فانه يشير بذلك الى هذا التقلب ولكن ليس من المؤكد ان ابن ابي زيد قد تراجع في ارائه كلية . من المحتمل ان يكون هذا الكتاب محتويا على "تفسير" للكرامات التي تحدث عنها الطلمنكي ولكن ابن ابي زيد قد حاول التمييز بين الغث والسمين دون ان ينكر ... اراءه السابقة تماما ومن هنا تبين ان المسألة تتعلق فحسب بتوضيح لاراء ابن ابي زيد حول المسألة وهي آراء يبدو أنها لم تتغير كثيرا رغم ما اثارته موضجة جدال من طرف معارضيه) (3)

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 113

2) DEUX JURISTES KAIROUANAIS P.149

3) " " " " P.149

ان بهذا العرض الموجز لقضية لاابرئ العبيديين من المشاركة في نسج خيوطها في الخفاء يلمس مدى ما بذله عالم المغرب من جهد وما تعرض له من مضايقات وتشنيع تثبيطا لمسعاه من اجل حماية مجتمعه من افة التفكير الغيبي، التفكير القائم على الضلالات والاباطيل التي كانت السلطة العبيدية تغذيها وتقيم لها طقوسا ما انزل الله بها من سلطان حتى يسهل عليها ابتلاع المجمع السني واحتواؤه عقائديا وفكريا وسياسيا ولكن بقدر احابيلها بقدر تصميم اهل السنة على الافلات من الكمين وقد اتخذت هذه وتتهم لها اشكالا متعددة فكرية ومادية وكانت النتيجة خذلانا لهذه القوى الغيبية اذ غادرت القيروان الى مصر لما تحققت ان وجودها في القيروان اصبح وجودا غير مجد لها. وبخروجها عادت افريقية الى سنيتها شعيرة وممارسة، وقد عبرت عن رفضها للضلالات التي احتواها التفكير الغيبي عندما اجتثت بقايا المعتنقين للفكر الغيبي الرافضي من جذورهم وبذلك طهرت القيروان وسلمت من اباطيلهم وذلك سنة 407 هـ .

وارى انه من الفائدة ايراد نص من المدارك يؤرخ نهاية الفكر الرافضي الغيبي لنعرف مدى تصميم اهل السنة وعزمهم على التمسك بالفكر الاسلامي الفطري الاصيل : ولما قتلت الرافضة سنة سبع واربعمائة وكان ابتداء ذلك يوم الجمعة منتصف محرم مفتتحها وهو يوم كان وصول المعز بن باديس الى القيروان فيه بعد موت ابيه واستفتاح ولايته فقتلت العامة الرافضة ابو جقل بالقيروان وحرقوهم وانتهبوا اموالهم وهدموا دورهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجروهم بالارجل وكانت صيحة من الله سلطها عليهم وقال ان عامل القيروان منصور بن رشيق كان يمشي كانه يسكن الناس وهو يشير على العامة وأنفق الامر فلم يقدر السلطان على ضبطه وولى عاملا آخر فتعذر عليه شدده وخرج الامر من القيروان الى المهدية وسائر بلادهم فقتلوا حيث وجدوا واحرقوا بالنار فلم يترك احد منهم بمدن افريقية واعمالها الا من اختفى ولجأت الرافضة الى مساجد البادية فقتلوا فيها ابرح قتل وهدموا دار الامارة بالمنصورة وتعدت العامة ذلك الى جماعة من اهل السنة من غيرهم فلقد حكى ان العامة جاءت تتعلق برجل منهم اتهموه برأيهم نمروا



به على شيخ من العامة فسألهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به الى الفقيه ابي علي بن خلدون فنأخذ فيه بما يأمرنا به فقال لهم الشيخ العامي لم لاتقتلوه الان فان كان راعصيا اصبتم وان كان مُنيئا عجلتم بروحها الى الجنة من الان ؟ وكما قال وحكي انه رئي آخر يتبع واحدا منهم ليقتله فقيل له ماتصنع ؟ فقال هذا زنديق يعص على ابن الخطاب على عمر بن ابي طالب او كما قال بلفظ العامي فانتقم الله منهم على ايدي عامة المسلمين وقتلوهم كل مقتل فرعب المعز منهم واراد كسر شوكتهم وقتل زعيم السنة وشيخ هذه الدعوة) (1)

تلك هي النهاية الفجعة لقرغيبي حكم افريقية حكما مباشرا طيلة 65 سنة اى من سنة 297 هـ الى سنة 362 هـ عندما انتقل المعز لدين الفاطمي الى مصر حيث ابتنى القاهرة المعزية.

وبذلك تخلصت افريقية من الروافض فعادت الابتسامة الى صومعة جامع عقبة وعاد الصوت القدسي المجلل من فوق مئذنتها الى فطرته وصفاء نبراته وانطلقت الحياة فيها من جديد في مسيرة سنية مباركة طاهرة طهارة الاسلام صافية صفاء العقيدة القرآنية صادقة صدق الهدى النبوى الشريف.

---

1) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 625 ـ 626

3) الفقيه السني في مواجهة البدع الشيعية

لقد طفق العبيديون بمجرد ان ملكوا افريقية سنة 297 هـ الى التدخل في الحياة الاجتماعية للبيئة القيروانية السنية بكل الاساليب وفي شتى الميادين العقائدية والعملية على حد السواء . واذا كنا قد رأينا بعض اعمالهم في النطاق العقائدي فانه لاينقصنا الا التعرف على بعض صنيعهم في المجال العملي المتمثل في الاحكام الفقهية المنظمة لسير الحياة الدينية والمقننة لكيفية التعامل واداء العبادات العمليةمن صلاة وصوم واعتكاف الخ ...

لقد حاول الروافض عبدلة المجتمع السني القيرواني في مجال اقامة شعائره الدينية وذلك باحلال الشعائر الرافضية محل الشعائر السنية لكن علماء السنة بالقيروان لم يقفوا مكتوفي الايدى وملجمي اللسان امام هذا الصنيع حيث تصدّوا بعنف وبشجاعة فاقت حد التصور وكان اول ضحايا هذا التعبدل الجاهلي الفقيهين ابن البرذون وابا بكر ابن هذيل بسبب انكارهما البدع التى طفق العبيديون في نشرها وترويجها وحمل الناس عليها بالترغيب تارة وبالارهاب اخرى من ذلك ما اورده صاحب المعالم من قوله (وسعى القاضي محمد بن عمر المروذي بابن البرذون وبالفقيه ابي بكر بن هذيل الى ابي العباس الشيعي فامر حسن بن ابي خنزير عامل القيروان ان يقتلهما معا فضرب رقابهما وطيفا بهما مسحوبين على وجوهما قد ربطا الى سند بغل نجرهما من باب تونس الى باب ابي الربيع فصلبا هناك) (1) وكانا من اوائل ضحايا العبيديين اذا استشهد اسنة 297هـ على الراجح (2) وقد تكفل الله بالانتقام لهما اذ لم تمر مدة حتى قتل كل من ابي العباس واخيه ابي عبد الله الشيعي في شهر جمادى سنة 298هـ (3)

---

1) معالم الايمان ج II ص 262

2) انظر تعليق المحقق معالم الايمان ج 2 ص 263

3) الكامل ج 8 ص 50 ـ 53

لقد اطلق ابو العباس الشيعي يديه في القيروان عندما توجه اخوه عبد الله اثناء ذهابه الى سجلماسة لفك اسر عبيد الله المهدي وابنه فعاث ابو العباس في القيروان فسادا حيث اطلق يد قاضيه المروذي المتشيع فعذب بعض العلماء وقتل بعضهم الاخر لالشيء الا لعقيدتهم السنية كان بطريقة تادي طوابهم وابي القاسم الطرزي قاضي صقلية اذا قتل ابن البرذون وابن هذيل (1) ولم يكتف ابو العباس بهذا التعذيب وهذا القتل بل خطا الى ما اهم وهو المقصود بالذات من هذا الارهاب وذلك عندما امر بزيادة (حي على خير العمل في الاذان) ومنع الناس من الصلاة في رمضان بالمساجد (واخذ الاموال الاحباس والحصون واخذ الاسلحة التي في الرباطات وامر الفقهاء ان لايكتبوا وثيقة ولايفتوا الا من سوق اوكثر وامر ان تزال عن الحصون اسماء الذين بنوها اوامروا بها من السلاطين ويكتب اسم المهدي) (2)

لقد تم هذا كله قبيل سنة 298 هـ وهي السنة التي قتل فيها الشيعيان ابو عبدالله وابو العباس وعندما ينظر الباحث المنصف الى مثل هذه التغييرات وسرعة حدوثها ليتيقن ان هدف الروافض لم يكن استعمار الارض فقط بل يتجاوزه الى عبد له التفكير واجتثاث التراث السني من جذوره وطمس كل معلم يثبت سنية هذه البلاد وبذلك ترى ان خطر الروافض تجاوز الاستيلاء على الارض الى استرقاق العقول وطمس التراث وهو عمل يعتبر في حد ذاته اقوى حجة واوضح برهان على الروح العدائية التي كان العبيديون يحكمون بواسطتها البلاد ويستعبدون بها العباد وخاصة ان هذه الروح العدائية استهدفت في اول ما استهدفت النمط السني للحياة الدينية والاجتماعية الافريقية السنية لكن علماء السنة بحواضر افريقية وخاصة بالقيروان لم يرضخوا لسياسة الامر الواقع بل قاوموا بعنف تشييعهم وعبد لمجتمعهم واجابتهم عن رسالة ابي جعفر بن نصر الداودي الاسدي (3) الداعية اياهم لمغادرة القيروان لاقوى حجة على نضالهم المستميت ودفاعهم الصادق من اجل بقاء افريقيتهم سنية كما كانت منذ فتحها في العصر الاول ومن مظاهر هذه المقاومة مقاطعتهم

---

1) معالم الايمان ج II ص 291

2) " " " " " " 291 ـ 292

3) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 623

الجماعية للمساجد ولما يحدثه العبيديون من مراسيم وتنظيمات وجادلتهم والانتصار على دعاتهم في كل ظرف وفي كل مكان وابطالهم بالحجة الدامغة لما يزعمونه من اقاويل ما انزل الله بها من سلطان وكان اشدهم عليهم في هذه المناظرات جبلة بن حمود (1) وابن سعيد بن الحداد (2) ومما يروى عن جبلة بن حمود (انه لما بلغه ان عبيد الله المهدى لما دخل افريقية ونزل رقادة ترك جبلة سكنى الرباط ونزل القيروان فكلم في ذلك فقال كنا نحرس عدوا بيننا وبينه بحر – مشيرا الى مرابطته بالمنستير – والان حل هذا العدو بساحتنا وهو اشد علينا من ذلك فكان اذا اصبح صلى الصبح خرج الى طرف القيروان من ناحية رقادة معه سيفه وترسه وسهامه وجلس محاذيا لرقادة الى غروب الشمس ثم يرجع الى داره ويقول : احرس عورات المسلمين منهم فان رايت شيئا منهم حركت المسلمين عليهم) (3) ان هذه المجاهدة المبنية على مقاطعة هؤلاء نجدها تستمر كاختيار وطني وديني لكل شيوخ القيروان اذ مرت بنا مواقف مماثلة لها لابن اللباد وابي الفضل الممسي وابي العرب التميمي وربيع القطان وابي اسحاق السبائي بالخصوص (4)

وكان جبلة بن حمود ينكر الخروج من القيروان حتى ولو كان الداعي هو المرابطة لحماية المسلمين من الاعتداء الخارجي لانه كما قال (جهاد هؤلاء افضل من جهاد الشرك) (5)

واذا كان جبلة عاجزا عن ايقاف الزحف الرافضي بالسلاح الا انه لم يكن عاجزا عن مقاطعتهم ومقاطعة المساجد عندما غيروا معالمها وبدلوا سنة الاذان بالاقامة فيها ويذكر انه لما دخل عبيد الله المهدي القيروان وخطب اول خطبة له من علا منبر مسجدها الجامع في اول جمعة له بالقيروان وجبلة جالس عند المنبر فلما سمع كفرهم قام قائما وكشف عن رأسه حتى رآه الناس وخرج يمشي الى آخر الجامع وهو يقول : قطعوها قطعهم الله فما حضرها احد من اهل العلم بعد ذلك) (6)

---

1) جبلة بن حمود (212 هـ – 299) احد تلامذة سحنون كان مرابطا عالما فقيها انظر ترجمة معالم الايمان ج II ص 270 – 280

2) ابو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد سمي بذلك لحدة ذهنه سمع من سحنون وغيره كان عالما عارفا ذا مقدرة جيدة لمعرفة مذهب اهل العراق انظر ترجمته في معالم الايمان ج 1 ص 295 – 314

3) ترتيب المدارك م 2 ج 3 ص 251 – 252

4) انظر ترجمته ص 29 بهذا البحث

5) معالم الايمان ج 11 ص 273

6) ترتيب المدارك م 2 ج 3 ص 252

ولم تكن هذه المقاطعة يحتوتقه على علماء باعينهم بل كانت عامة من ذلك ما نقرأه في ترجمة ابي الحسن الدباغ (1) (359هـ) والذى نصه (كان رحمه الله تعالى اذا كان يوم الجمعة تطهر ولبس احسن ثيابه وتردى (2) وتطيب وراح الى الجامع فاذا انتهى الى باب الجامع رفع عينيه الى السماء وقال اللهم اشهد ورجع الى بيته) (3) وبالمقارنة بين وفاة جبلة والدباغ نجد ان الفارق الزمني يصل الى اكثر من ستين سنة مما يثبت لنا ان المقاطعة لم تتوقف طيلة بقاء الروافض بافريقية بل كانت من اهم ميزاتها هي الاستمرارية الابدية وهذا هو السر في فشل الروافض ونجاح اهل السنة . ويشتد غضب جبلة لما بلغه ان بعض اهل القيروان قد خرج لملاقاة ابي عبد الله الشيعي عند دخوله القيروان اثناء اسره فقال جبلة اللهم لاتسلم من خرج يسلم عليه واغتم لذلك غما شديدا فلما انتهوا الى وادي ابي كريب (4) جردوا واخذت ثيابهم فلما عرفوا جبلة بذلك قال ماغنمني منهم الا رجل واحد فيه خير لادنيا له والرجل هو حماس بن مروان القاضي (5)] (6)

بل وصلت مقاطعة علماء اهل السنة للروافض الى حد عدم الصلاة على الاموات المشارقة كما حدث بين جبلة وابن عبدون وبين ابن اللباد وابن عبدان وغيرهم كثيرون ويذكر صاحب المعالم ما حدث بين جبلة وابن عبدون فقال (وحضر جبلة جنازة رجل مدني وحضر ابن عبدون القاضي جنازة رجل عراقي

---

1) ابو الحسن الدباغ : (271 ـ 359هـ) هو ابو الحسن علي بن محمد بن مسرور الحمدى الدباغ سمع عن جبله وغيره وبدأ في التدريس سنة 333 الى سنة 356هـ سمع عنه طلبه القيروان كابى الحسن القابسي الذى كان عليه اعتماده وكانت له صحبة بالدباغ (معالم الايمان ج III ص 75 ـ 78

2) تردى بمعنى ارتدى

3) معالم الايمان ج II ص 77

4) واد بجوف القيروان على طريق تونس اسمي بذلك لموت القاضي ابي كريب فيه عندما خرج لمقاتلة الصفرية سنة 139 هـ انظر معالم الايمان ج II ص 225

5) حماس بن مروان القاضي : (222 ـ 304 هـ) اخذ عن سحنون وجبلة بن حمود ومحمد ابن ميدوس وتفقه على علماء القيروان تولى القضاء سنة 290 هـ واستعفى منذ سنة 294 هـ كان عالما زاهدا انظر ترجمته بمعالم الايمان ج II ص 320 ـ 330)

6) معالم الايمان ج II ص 273

جلس كل واحد منهما في اصحابه فتقدم جبلة فصلى عليها وصلى القاضي خلفه ثم جيء بجنازه العراقي فتقدم القاضي وقيل لجبلة الصلاة فقال كل حي ميت وانصرف من جهة القبلة فشق ذلك على ابن عبدون فارسل كاتبه اليه يقول: اني صليت وراءك اذ قدمت فلما قدمت انا انصرفت من ورائي ، اتظن اني اقول بخلق القرآن ؟ وما اقول به فقال له جبلة امرك عندي اشد ، الست الذي ضربت احمد بن معتب وابراهيم الدملي وفلانا بالسياط وقطعت بهم سماط القيروان وامرت ان ينادى عليهم هؤلاء حزب الشيطان وهم رجال كنون رضعلوني اخذ العلم عن رجال مالك ومالك عن التابعين والتابعين عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرك عندي اعظم من البدعة)(1)

كيف لا يقاطع جبلة وغيره الصلاة على جنائزهم والائتمام بقضاتهم بعد ان سمع كفرهم وتحقق من بدعهم وصلاتهم اذ ماصلى جمعة قط منذ دخول عبيد الله المهدي القيروان فقد ذكر الدباغ نقلا عن المالكي (انه لما ولى الصديني القضاء ايام ابي العباس كان جبلة يصلي في مسجده يوم الجمعة الظهر اربع ركعات باذان واقامة فقال له موذنه الوقت حان افترى ان اوذن واقيم داخل المسجد فقال له ان اذنت واقمت في الصحن والا فالزم نفسك ولو منعنا احد من الصلاة لضربناه بالنبل)(2)

وقد مر بنا سابقا ان العبيديين قد بثوا عيونهم يترصدون حركات الشيوخ وسكناتهم حتى كادوا ان يحسبوا عليهم انفاسهم وهذا ماوقع في قضية الحال وما ان صدر من الشيخ جبلة امر مقاطعة الجمعة بالمساجد الجامعة حتى وجه اليه احمد بن احمد بن سليمان (انه بلغني انك تصلي الظهر اربعا باذان واقامة كيف جاز لك والجامع يجمع فيه . !؟ فقال له يااحمد ألم يمر بك قول مالك في المسجونين انهم يجمعون في السجن لانهم منعوا من الجمعة ؟ ونحن قد منعنا من الجمعة فاقمنا انفسنا مقام

---

1) معالم الايمان ج-II ص 274
2) " " " " " " " " 276

المسجونين)(1) ولم تقف هذه القضية عند هذا الحد بل ابلغها القاضي الصديني الى ابي الاغلب بخبره بما فعل جبلة فاجابه (مد يدك الى من شئت واحذر جبلة) (2)

فما اشبه الجيل الثاني بالجيل الاول وما اشبه السبائي بجبلة من حيث الصمود على الحق على الرغم من الظلم والارهاب ومن مظاهر هذا التماثل في المواقف طرد السبائي لرسول الامير الشيعي ووصفه بالشيطان (3)وهو نفس الموقف الذى وقفه قبل ذلك جبلة عندما جاء مبعوث الامير وكان اسمه سحنون حيث قال له : يقرئ لك الامير كرر الاقامة وسلم اثنتين ولا تقنت في الصبح فقال له جبلة (مرحبا لعن سَكاك جدك سحنون وانت سحنون الامير لا تعلمنا امر ديننا وجاء بعد ذلك عن المروذى بقراءة باسم الله الرحمن الرحيم وزيادة حي على خير العمل في الاذان فقال له جبلة : مر قبح الله من ارسلك وقبحك فاخبر الرسول المروذى فسبه وقال له انا ما ارسلناك الى جبلة تأتي الى اولياء الله تعرض لي دعاءهم)4) ولم يكن جبلة يخشى سلطة العبيد يين ولا يهاب امراءهم ولا يخاف عيونهم حتى قيل ان صاحب المحرس تجسس عليه يوما فقبض عليه جبلة وادخله المسجد وضربه بالجريد حتى تاب ان لا يعود اليه) (5) وبقيت هذه مواقفه الى ان اختاره الله الى جواره سنة 299 هـ .

وعلى الرغم من وفاة جبلة بن حمود فان موقف الرفض للضلالات الشيعية لم يتبدل ولم يتزحزح عن مكانه قيد انملة ان لم يزد تصميما وثباتا بل انتقل الامر من المقاومة السلبية الى المقاومة الايجابية امام العموم وذلك عندما تحرك شيوخ اهل السنة بمناظرة الدعاة امام الجماهير وكان من اشهر شيوخ اهل السنة الذى عرى الفكر الرافضي وابكت السنة دعاته هو ابو عثمان سعيد بن الحداد (302) هذا الشيخ السني

---

1) معالم الايمان ح II ص 277
2) ترتيب المدارك م2 ح 3 ص 252
3) انظر معالم الايمان م2ح 3 ص 252
4) ترتيب المدارك م2ح 3 ص 252
5) معالم الايمان ح II ص 278

الذى اعطاه الله بسطة في العلم وسلاسة في التعبير وبلاغة في الاداء وقوة في الحجة مع الحفظ الجيد للقرآن والمعرفة العميقة بعلومه والاطلاع الواسع على السنة والاحاطة بصحيحها وحسنها وضعيفها يعتبر بحق درة عقد شيوخ القيروان في الجدل والمناظرة ولا استبعد ان يكون شيخنا ابن ابي زيد قد تأثر بمنهجه في الدفاع على اهل السنة والذب عن مذهبهم وخاصة اذا ما علمنا انه تتلمذ على ولده ولهذا قال احد الباحثين ان ابن ابي زيد يعتبر الطالب الروحي للشيخ ابي عثمان بن الحداد (1)

ان المناظرات التي جمعت بين ابن الحداد ودعاة الروافض وشيوخهم لتعتبر في نظرى بداية للرد العلمي والمقاومة الايجابية لعلماء اهل السنة لهذه الاباطيل والضلالات اذ كانوا كما رأيناهم سابقا يكتفون بمقاطعة كل مايصدر عن السلطة من مراسيم بدون ان يعلنوا في الناس ذلك اعلانا عاما وعلنيا واعتقد ان اهل السنة لما انتبهوا الى سلبيات هذه المقاطعة على نفوس العامة خرجوا عنها وتركوا ثوبها الى منهج يقوم على مقارعة الحجة بالحجة والدليل بالدليل في كل مجالات الفكر والشرع ان مطالعة نص احدى هذه المناظرات لتضع اصابعنا على طلائع النضج الفكرى الذى بدا يسرى في اوصال الفكر السني عامة والفقه المالكي خاصة وذلك في بداية القرن الرابع للهجرة ليقف بعد ذلك على سوقه قويا بادلته متينا بتخريجاته على يد فقهاء القرن الرابع عامة وابن ابي زيد فقيه المائة الرابعة خاصة وللتدليل على صحة ماذهبت اليه اورد نصا موجزا كانموذج لهذه المناظرات (ارسل عبد الله بن عمر المروذى في طلب العلماء مدنيهم وعراقيهم فقال انى امرت ان اناظركم في قيام رمضان فان وجبت لكم حجة رجعنا اليكم وان وجبت لنا رجعتم الينا فقال ابو عثمان (2) فقلت له ما تحتاج الى مناظرة فقال لي : لا بد منها فقلت له : شأنك وما تريد فقال : الستم تعلمون وتروون

---

1) DEUX Juristes Kairouanais P. 128

(2) انظر ما كتبه المرحوم ح ح عبد الوهاب في هذا الميدان بالورقات القسم الاول ص 152 - 266 . فصل بيت الحكمة التونسي -

ان النبي صلى الله عليه وسلم تسليمها لم يقم الا ليلة ثم قطع وان عمر بن الخطاب هو الذى استن القيام وجاء في الحديث تروونه ، تروّونه ان كل محدثه بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فقلت له هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها فقال : واين نجد في كتاب الله عزوجل ؟ قلت في قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها. فنحن نثابر على هذه البدعة التي هي رهبانية لئلا يذمنا الله عز وجل بما ذمهم فقال : من صلى القيام ضربت عنقه فقلت له قد قلت لك هذا اولا ماتحتاج الى المناظرة فلم تقبل)(1)

امثال هذه المناظرات في اوائل القرن الرابع هي التي جرأت الشيوخ وأخرجتهم من عزلتهم مواصلين طريق الرفض للوجود الرافضي حكما وعقيدة واحكاما وشعائر بل وصل بهم الامر الى معاضدة ثورة الخوارج لان الخوارج كما قال الممسى (من اهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام يرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم ماجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم)(2)

وكان ماكان من خيانة الخوارج لفقهاء القيروان عندما لاحت علائم النصر على العبيديين في الافق قرب اسوار المهدية فانقلب نصرهم الى هزيمة شنعاء ومجزرة اليمة ذهب ضحيتها جمع من هؤلاء الشيوخ الابرار الذين تحدوا الروافض بصمودهم وقوة مناظراتهم ، ومتانة حججهم .

وهكذا تكون قد اعطينا صورة موجزة عن الحوار الذى كان قائما بين الفقهين السني والشيعي في بداية الحكم الرافضي لافريقية والمغرب، ورأينا كيف ان علماء اهل السنة قد تطور صمودهم السلبي الى صمود ايجابي اتخذ في بعض الاحيان شكل التناظر وفي احيان اخرى شكل المقاومة المسلحة بالاضافة الى استمرارية المقاطعة الكلية لكل مايصدر عن السلطة من مراسيم هدفها تغيير ملامح المجتمع السني سواء بالقيروان أو بغيرها من حواضر بلاد افريقية والمغرب.

---

1) معالم الايمان ج II ص 301 ـ 302
2) معالم الايمان ج 3 ص 29

بقلنا كلما ازدادت محاولة الروافض للتغلغل في الحياة الدينية والاجتماعية لهذا المجتمع السني كلما قويت مقاومة هذا المجتمع لهذا التغلغل حتى وصل به الحد الى التحالف مع الخوارج لقطع دابر الروافض (1) وطوال هذه الفترة التي امتدت من سنة 297 هـ الى سنة 327 هـ وهي السنة التي برز فيها اول عمل علمي لشيخنا الشاب ابي محمد عبد الله بن ابي زيد القيرواني الذى لم يرد اسمه طيلة هذه الفترة وماذلك الا لكونه لايزال صغيرا منصرفا بكليته الى الاخذ والتحمل ولا شك عندى ان ابن ابي زيد كان يراقب هذه الاحداث عن كثب وكانت تصله اصداؤها عن قرب او من بعد وكلما تقدمت به السن ازداد بالاحداث التصاقا وتكنهها معرفة وما تأليفه لكتاب الرسالة الا تعبير منه كشاب سني مثقف يحسّ بواجبه نحو المجتمع الفاضل الذى ينتسب اليه ، ولم يكن هدفه من وراء وضع هذا الكتاب سوى حماية الناشئة السنية من البدع الشيعية وخاصة في ميدان العقيدة ولا استبعد ايضا ان يكون قد الف الجزء الاول من الرسالة وهو الجزء العقائدى في هذه الفترة بالذات ولا استبعد ايضا أن الذى اشار عليه بذلك هو شيخه المجاهد ابو اسحاق السبائي الذى كان من زعماء الفقهاء المناوين لبني عبيد ان لم يكن من اشدهم مناوأة على الاطلاق .

قلت بداية من 327 هـ بدأ ابن ابي زيد شيئا فشيئا في البروز واصبح اسمه يسجل حضورا في حلقات المشيخة وفي مواعيدهم وكانت سنوات الثلاثينات قد شاهدت كثيرا من تحركات ابن ابي زيد وتصميمه على مجابهة الهجمة الرافضية على مجتمعه وعلى شيوخه وقد رأينا سابقا هذا التصميم في وصوله الى شيخه ابن اللباد ورثائه للمشيخة ابي الفضل الممسي ثم رويدا رويدا بدأت مواقفه الفقهية تجد مكانها بجانب مواقف اصحابه وشيوخه من ذلك قوله بارتداد كل من اعتنق المذهب الرافضي ولو كان مكرها على ذلك مصداق ذلك ماأورده عياض من قوله (ولما حمل اهل طرابلس الى بني عبيد اضمروا ان يدخلوا في دينهم عند الاكراه ثم ردوا من الطريق سالمين فقال ابن ابي زيد

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 29

رضي الله عنه هم كفار لاعتقادهم ذلك) (1) ويذكر صاحب المعالم هذه القضية فيقول (قال يوسف بن عبد الله الرعيني في كتابه قال الشيوخ ابو محمد بن ابي زيد وابو القاسم بن شهلون وابو الحسن القابسي وابو علي بن خلدون وابو محمد الضبي وابو بكر بن عذرة لا يعذر واحد في ذلك لانه اقام بعد علمه بكفرهم وكفرهم ارتداد وزندقة بخلاف غيرهم) (2) وقال الشيخ ابو القاسم بن الدهان لان كفرهم سحر فمن اتصل بهم وخالطهم خالطه والسحر كفر) (3)

ويعلق ابن ناجي على قول الشيخ بن ابي زيد قائلا الاقرب انهم ليسوا بكفار وانما صرح ابو محمد بما ذكره مبالغة لتنفير العامة لان المطلوب سد هذا الباب) (4)

وبذلك نرى ان طلاب النصف الاول من القرن الرابع قد اصبحوا الان شيوخ مجتمعهم في النصف الثاني من القرن الرابع حيث تسلموا مشعل المقاومة من شيوخهم المناضلين وادوا الامانة بصدق واخلاص مستفيدين من تجارب شيوخهم في هذا الميدان ومعولين على اقوالهم وفتاويهم في هذا المجال الحيوي من الفكر الاسلامي وعلى الرغم من ازدياد الضغط الرافضي وعنفه وازدياد الصلف العبيدي وطغيانه تبعا لاستقرار الدولة واتساع مواردها وكبر مساحتها فان هؤلاء الشيوخ الشباب لم يتوانوا عن احباط كل مؤامرة تدبر ضد مجتمعهم طمعا في تغيير معالمه السنية بهدف إقلاعه وتشريقه على حد قولهم. هذا الصمود الايجابي اسقط في ايدي العبيديين مما جعلهم يفكرون في نقل عاصمتهم الى مصر بعد ان يئسوا من اهل المغرب وفعلا تم ذلك في سنة 362 هـ عندما ارتحل المعز لدين الله الفاطمي الى مصر وابتنى هناك القاهرة المعزية وبهذا الارتحال المرغوب فيه من طرف اهل السنة خف الضغط الرافضي وبدأ الاطمئنان يعود للنفوس شيئا فشيئا . والملفت للنظر ان ابن ابي زيد قد وضع اغلب مؤلفاته بداية

---

1) ترتيب المدارك م 2 ج 4 ص 720
2) معالم الايمان ج II ص 265
3) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 720
4) معالم الايمان ج II ص 265

من النصف الثانى من القرن الرابع وهى مؤلفات بلغت حوالي الاربعين او تزيد ونحن لو صنفناها لوجدناها صنفين صنف دون مناجل تطوير الفقه المالكي وجمع اقوال علمائه وتقريبه من الافهام ويشمل هذا الصنف كتاب الرسالة وكتاب مختصر المدونة وتهذيب العتبية والنوادر والزيادات بحيث كل هذه المصنفات هي مصادر هامة على ذمة الفقهاء السنيين يرجعون اليها ويستنجدون بها ساعة الحاجة سواء للمدرس او للرد .

اما الصنف الثانى فهو يشمل رسائل عديدة دونت لاسباب متعددة منها الرد على البدع الشيعية في ميدان الفقه الاسلامى ككتاب الاقتداء باهل السنة وكتاب الذب على مذهب مالك وكتاب التنبيه على القول في اولاد المرتدين وكتاب تفسير اوقات الصلاة وكتاب المناسك ورسالة اعطاء القرابة من الزكاة وكتاب فضل قيام رمضان (1) ومواضيع هذه الكتب كلها مواضيع وقع التناظر فيها بين اهل السنة واهل التشيع من ذلك ان كتاب فضل قيام رمضان هو في الواقع رد على البدعة الشيعية القائلة بعدم جواز قيام رمضان لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك وانما هو فعل امر به عمر وموقفهم من عمر وبقية الصحابة معروف. يقول الهادى الدريس في هذا الموضوع عندما اورد اسم الكتاب المذكور آنفا كان لمالكي افريقية عوائد خاصة في قيام رمضان حاول الشيع ابطال هذه العوائد) (2) مما ترتب عنه غضب شديد في الاوساط السنية مما دفع بعلمائهم الى الرد على هذه البدعة الشيعية والغوا في ذلك عديد الكتب منها كتاب ابي محمد هذا .

واعتقد ايضا ان كتابه : تفسير اوقات الصلاة ما هو الارد على الفقه الرافضي القائل بزيادة حي على خير العمل في الاذان والهاتف لنائلة الضحى والقائل بالبسملة والتسليمتين ولا ادل على ذلك مما ورد في ترجمة ابى الحسن الدباغ (359هـ) (وكان ايام بني عبيد لايؤمن الاعلى سنة الاذان ولايقول (حي على خير العمل) فحماه الله منهم ولقد كان اذن فخاطبته نفســـــه

---

1) ترتيب المدارك م2 ج 4 ص 494

2) DEUX Juristes Kairouanais P. 143

بقولها وان لم يقلها ، وقالها فلما فرغ اذ اسود ناصب حربته بين كتفيه ان لم يقلها طعنة بها فعافاه الله وكان يقول للناس : تعالوا على الاذان على سنة انفسكم فاذا فرغتم فقولوا حي على خير العمل فانما اراد بنو عبيد خلاء المساجد لفعلكم هذا وانتم معذرون خير من خلاء المساجد (1)

وكما تأثر ابن ابي زيد بشيوخه ووقف موقفهم فقد اثر في تلاميذه فوقفوا مواقفه سواء في مقاومة بدع المتصوفة كما فعل العطار القبرى بالاندلس او في ميدان الفقه كما فعل ابن النمر قاضي طرابلس الغرب والذى يعتبر اول من اعاد للسنة اعتبارها بالجزء الشرقي من بلاد افريقية والمغرب ابان وقعه المشارقة سنة 407 هـ اذ نكل بالروافض واعاد الاذان السني وحذف : حي على خير العمل — كما اعاد قيام رمضان واداء نافلة الضحى علانية وغير هذا من شعائر المجتمع السني (2)

ولاشك عندى بعد هذا العرض الموجز ان ابن ابى زيد كان فى حلقات الدرس وفى نشاطه الاجتماعي كغيره من علماء اهل السنة محللا للاحكام الفقهية مبينا لادلتها داعيا الى التمسك بها لان فى هذا التمسك تمسكا بحبل الله وتعلقا بشريعته السمحة التى ترفض عبودية الانسان لغير الله فرحمك الله ابا محمد ورحم الله شيوخك الذين علموك كيف تقف وكيف تدافع عن عزة الاسلام بصفاء تعاليمه وفطريتها حتى اصبحت تواليفك تغنى عن مدحك وتفصح عن فضلك وتدل على علمك .

---

1) معالم الايمان ج III ص 76 — 77

2) رحلة التيجانى ص 265 - 267

الشيـــخ ...والدراســـات الفقهيـــة

لاأعتقد ان هناك باحثين يختلفان في ايجابية الامر الذى تركه الشيخ ابي محمد عبدالله بن ابي زيد القيروانى في منهج الفقه المالكي خاصة وفي ر اب تاريخ التشريع الاسلامي عامة ويزداد اكبارنا لهذا المجهود الفكرى اذا ماوضعنا في عين الاعتبار الظروف السياسية والا تماعية التى كانت عليها بلاد افريقية والمغرب منذ نهاية القرن الثالث الى بداية القرن الخامس للهجرة ولايفوتنا ان نقول ان هذا الوضع السياسي كما كانت له مظاهر سلبية على الحياة العامة كان له ايضا تأثيرايجابي على مجال الدراسات العقائدية والفقهية ذلك ان عزيمة بني عبيد وتصميمهم على عبدلة المجتمع القيروانى السني اوجد في نفسية هذا المجتمع بخاصته وعامته خاصية التحدى فكانت المقاطعة والمناظرة والمجادلة وبدون ان يستكين احد الطرفيين للاخر وبدون ان يسلم له بصحة آرائه وبسلامة منهجه الفكرى ومكانة مذهبه الفقهى العملي ، وكانت هذه الاختلافات كثيرا ماتختم بالسجن او بالاقامة الجبرية في احسن الظروف اما في اسوئها فانها تختم بالضرب والقتل والصلب على ابواب القيروان وبقدر مايزداد هذا الوضع تعقيدا بقدر مايزداد اهل السنة وخاصة الموالك منهم اقبالا على البحث والتنقيب باستقراء النصوص وجمع اقوال الائمة معتبرين عملهم هذا من باب مقاومة الفكر الرافضي التي هي جهاد في حد ذاتها بل انها اعظم اجرا من جهاد الكفار على حد قول جبلة بن حمود مما دفع بعضهم الى ترك امكنتهم في الرباطات والعودة بسرعة الى القيروان لحماية الفكر السني من التلوث ولهذا قالوا لايجوز الخروج من القيروان بأية حالة من الاحوال وحتى لو ان يهدف الجهاد وحماية الوطن من العدوان الخارجي (1) اذن نرى مفهوما جديدا للجهاد برز الى حيز الفكر ومما رسة الا وهو الجهاد الفكرى في ميادين المناظرات وحلقات الدروس

---

1) معالم الايمان الجزء الثاني ص272 273

وان شيخنا ابن ابي زيد احد الشيوخ الذين رأوا ان هذا المنهج هو الاسلم في مواجهة هذه الهجمة الرافضية الشرسة، ولهذا تركز عمله اولا وبالذات على اعادة النظر في امهات الكتب في الفقه المالكي وازالة ماعلق بها من غبار السنيين الخوالي الى عصره، اذ كان الفقه المالكي هو الفقه الرشيد صاحب الاغلبية على الساحة الفكرية بالقيروان لكن تجديد وسائله وتنقية مصادره وتبويبها من جديد يقتضي من المجدد ثقافة عميقة وشاملة وهذا ما نعله ابن ابي زيد اذ اقبل على دراسة الفروع والتعمق في الاصول بالاحاطة بعلوم الوسائل وعلوم المقاصد مستفيدا في الان نفسه مما منحه الله من صفات تجمعت فيه وتفرقت في غيره هذا بالاضافة الى العباقرة الاكفاء من الشيوخ الذين اخذوا بيده وسهلوا امامه سبل التحصيل وبذلك عجلوا بتفتق امكاناته العلمية وسارعوا بانزاله الى ساحة البذل والعطاء في ظرف كان المجتمع القيرواني في اشد الحاجة الى امثاله وقد تحققت هذه الامنية عندما الف كتاب الرسالة والذى يقف على قمة التجديد المنهجي في ميدان التربية والتعليم الذى شاهدته مذاهب اهل السنة في القرن الرابع، ولا ادل على ذلك من موجة الفرح والاقبال المنقطع النظير الذى استقبل به هذا الكتاب من طرف الشيوخ والطلاب على حد السواء هذا النجاح يعود في حقيقته الى هذا المنهج الجديد الذى برز عليه الكتاب اذ صاحبه لم يعمد الى جمع المحفوظات وايراد الاقوال على عواهنها بل اختار عملية الاستقراء والاستنتاج لما بين يديه من نصوص امهات الكتب فهو لايأخذ نصوص المدونة علـــى علاتها بل كان يتفهمها ويستقرئها فيخرج منها بعد هذا الفهم وهذا الاستقراء مايعتبـــر خلاصة الخلاصة وزبدة الاقوال ولا ادل على ذلك من النص الذى اورده الدباغ والذى يقول فيه

(وكان ابو محمد يعتبرها على المعنى فقينا ولها) (1) اي المدونة وبذلك نلمس ان ابا محمد لم يكن من الناقلين الحافظين فحسب بل كان الناقل الحافظ الذى يعرض المنقول والمحفوظ على محك البحث ومنصة الاستنتاج .

ان هذه الدراسة الواعية الجادة للفقه المالكي هى التي جعلت الاصحاب يقدمونه عند المراجعة والمباحثة ويميلون الى رأيه عند المناظرة والمجادلة ولادل على ذلك من تلك المجالس العلمية التي كانت تعقد تحت اشراف شيخهم السبائى والتي كان فيها ابو محمد من الوجهاء ودرة عقدهم المنظوم حتى ان اراءه كانت تقلد من طرف شيوخه زيادة عن الاصحاب والطلبة وماذلك الا لقوة ادلتها وسلامة ترجيحاتها اننا قد اوردنا نصوصا كثيرة فى ثنايا هذا البحث تلهج بهذه الخصائص وتثني على هذه الصفات فى ابى محمد ولذلك لاارى فائدة في الاعادة ذكرها هنا .

وابو محمد عبدالله بن ابى زيد لم يكن من العلماء الذين يعيشون في برجهم العاجى بمعزل عن المجتمع واحداثه وطموحاته فى التحرر من الظلم والاستعباد بل كان يعيش في خضم هذا المجتمع ويتتبع بعين العالم البصير جميع الحوادث ويوجد لها بعلم الشيخ العلامة الحكم العادل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واذا مااعوزه ذلك فانه كان يقيس النظائر على اشباهها والحوادث على مثيلاتها مختارا اصح الاقوال بعد ان يرجح بعضها على بعض بدون ان يخرج على المنهاج العام للمذهب المالكي كمذهب من مذاهب اهل السنة والجماعة .

ولم يكن يقتصر في متابعته هذه على احداث القيروان وحواضرها القريبة بل كانت متابعة عامة وشاملة لما بعد وقرب من الامصار سواء ببلاد المغرب او ببلاد المشرق فهو يكتب رسالة الى اهل سجلماسة في تلاوة القرآن وهو يضع رسالة تبين منهاج الحياة لاهل المدينة وضرورة الاقتداء بهذا

---

1) معالم الايمان ج III ص 124

المنهاج وهو يتب عن تيام رمضان والاعتكاف فيه عندما حاولت الشيعةابطال ذلك وهو يرد على البغدادى المعتزلي وهو ينصح بعض شطحات مدعي الولاية والتصوف حتى قلت سابقا ان اغلب اثاره ما هي الا اجابات عن احداث حدثت في مجتمعه وحوادث طرأت في بيئته الاسلامية في القرن الرابع وهى لذلك عبارة عن وثائق تؤرخ لحركة تجديد الفقهى في القرن الرابع الهجرى وان اليوم الذى يكشف فيه عن هذه الوثائق وهذه الكتب وهذه الرسائل ودراستها دراسة واعية لكفيل بان يضع اصابعنا عن اصدق صورة للحياة الفكرية والاجتماعية لبلاد افريقية والمغرب في القرن الرابع الهجرى خاصة ولبقية اطراف العالم الاسلامى عامة بحكم تنوع مواضيعها وتعدد مواطن ورودها .

الا ان اثره البليغ في الدراسات الفقهية انما تمثله الامهات التي وضعها في امثال النوادر والزيادات والرسالة ومختصر المدونة ومختصر العتبية وان كنا الان لانملك الا الاثنين الاولين وبعضاً من الثالث (1) غير ان الذى تحت ايدينا كفيل ببيان هذا الاثر الذى تركه مجهود الشيخ العلمي في ميدان الدراسات الفقهية والاخص اذا ماركزنا بحثنا على كتاب النوادر والزيادات وهو ما سنقوم به بحول الله في الجزء الثاني من هذا البحث .

وينبغي ان نقول في هذا الموقع من بحثنا هذا ان كتاب النوادر والزيادات ما هو الا موسوعة فقهية جمعت اقوال وآراء الائمة والعلماء منذ عهد مالك الى عهد ابي محمد عبدالله بن ابي زيد جمعا منظما مرتبا مبوبا تبرز من خلال ذلك شخصية ابي محمد العلمية بروزا لامثيل له في مؤلفات غيره من العلماء السابقين واللاحقين منهم على حد السواء بالقيروان او بغيرها وعندما يهيئ الله تعالى الظرف المناسب للنخبة المثقفة المؤمنة باصالة تفكيرنا في هذه الربوع ستعمد ولاشك الى تحقيق هذه الموسوعة الفقهية وابرازها في ثوب قشيب يتناسب وقيمتها العلمية ويتماثل مع المجهودات التي بذلها شيخ المائة الرابعة في تدوينها وتأليفها وعندئذ ايضا سوف يتألم الباحثون والفقهاء

---

1) كتاب الجامع وهو آخر ابواب مختصر المدونة توجد منه مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقمها 1781 وراقها 53 مسطرتها 23 خطها مغربي ونسخة القرويين بفاس رقمها 40/ 645 وراقها 39 سطرتها 20 خطها اندلسي ثم نسخها 532 هـ . نشر اخيرا بتحقيق الاستاذ بن ابو الاجفان دار العرب بيروت 1982 انظر مختصر المدونة في هذا البحث ص 320 - 322

دعوة الحق عدد 3 س 21 ص 53 يقول احمد سحنون بعد ذكره لنسخة الرباط

وهو كتاب اضافة الى مختصر المدونة واقتبسه من السماعات عن مالك ومن الموطأ وغيره من الكتب

وبعد ذلك سوف يتساءل الباحثون والفقهاء وعلماء القانون على الزمن الطويل الذي سيحوه باعراسهم على تحقيق هذا الاثر الذي ماترك قضية من قضايا الحياة الا وأورد فيها حكما معتمدا في ذلك على مصادر التشريع الاسلامي واقوال العلماء والسلف الصالح ان دعوتي هذه من فوق هذا المنبر الكريم بعلمه الشريف وباحتواه فقهائه لاقدم جامعة في عالمنا الاسلامي هي دعوة مؤمن من بترات امته الاسلامية الحربية ... لان الوقت قد حان لازالة الغبار على هذا التراث وطي صفحاته واخراجه من دهاليز المكتبات العامة وانزاله من على رفوف المكتبات الخاصة وابرازه للورى حتى يستفيد منه الفكر الانساني وينهض بواسطة نشره الفكر الاسلامي من سباته ويترك التطفل على موائد الغرب ذات القوانين الوضعية والتي ماأنزل الله بها من سلطان لبشريتها الناقصة ولاهدافها التي تزيد القوي جبروتا والضعيف ظلما ومهانة في حين ان احكامنا الاسلامية ماهي الا شريعة الله ... ولن نستعيد عزتنا وامجاد القيروان الا اذا ربطنا حاضرنا بماضينا وغدنا بامسنا وذلك عن طريق العودة الى مصادرنا لانها ينبوع لن يجف معينه ومنهل لن يغور ماؤه مادامت الله اكبر شعارنا ومادام الاذان ميزة مدننا وقرانا .

تلك هي حقائق يلاحظها الباحث وهو يتجول بين صفحات هذه الموسوعة التراثية ذلك ان صاحبها لم يكن من الذين يقفون عند ظواهر النصوص لتكن موسوعته خاصة بعصره بل كان من العلماء الذين يستقرئون النصوص ويضعون الاحكام للحاضر والمستقبل لانه كان من الذين يقيسون الحوادث على اشباهها والنظائر على مثيلاتها من ذلك انه سئل (ايجوز البحث عن عمل الكيمياء والتفقه على ابها

على ان الاصابة فيها فى حكم النادر – وهل يؤجر على النفقة وعلى نصبه وتعبه ام لا ؟ وهل يسوغ اطلاق اللفظ بالكتابةعن فائدتها بالماء الالاهى ؟ ام هذا اللفظ موهم لايحل النطق به ؟ فاجاب الذى يظهر لي ان طلب ذلك من السفه والنفقة عليه من اضاعه المال لعدم الاصابة في ذلك والله اعلم) (1)

والذى يجب ملاحظته ان الكيمياء فى عصره ليست هى الكيمياء فى عصرنا وذلك لان فى عصره لم تكن هناك المعامل الكيميائية ولم يكن الانسان قد اكتشف كل العلاقات التى تربط بين الاشياء ولم تكن لديه امكانات التحليل الموجودة عندنا اليوم بل كانت الكيمياء في عصره نوعا من التنجيم الذى لايخضع للقانون العلمي ومنطقه فلو رجع ابو محمد الى عصرنا واطلع على ماوصل اليه الانسان فى هذا الميدان لكان رأيه غير الذى عرضنا عندما اصبحت الكيمياء علما مستقلا له نظرياته التي يمكن تطبيقها والاستفادة منها فى كل مجالات الحياة وعلى رغم ذلك فان اجابة ابي محمد اتسمت بامرين : اولاهما استقلاليته في الرأى حيث قال (الذى يظهر لي) وقوله هذا يشعرنا بانه في الامكان ان يكون هناك رأى لعالم آخر قد يكون مناقضا لرأيه وقد يكون مصيبا في هذه المناقضة.

ثانيهما : تركه للمجال مفتوحا في قوله في خاتمة رأيه (والله اعلم) وهذا يشعرنا بان ابا محمد نفسه غير مطمئن لما ذهب اليه لما ينقصه من ادلة وبراهين في حين نجده في غير هذا المكان يصرح برأيه قائلا : والذى أقول به والذى عليه اصحابنا ان الكثير من مثل هذه المواقف تصادفها

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 83

في فصول النوادر والزيادات وقد رأيت من تمام الفائدة ايراد نص يتحدث عن هذا الموضوع الذى كان احد معاصري ابي محمد من علماء القيروان من اهل الاختصاص فيه وهو ابو الحارث الخشني (1) (364) (قال ابن الفرضي وكان - الخشني - يتعاطى صناعة الكيمياء قلت وظاهر هذا يقضي انه ينفق من دارهمها ونقله عياض والعواني وسكتا واخذ بعضهم جواز فعلها من قول المدونة في كتاب الصرف وليس بصواب وانما قصد ذلك لاستعمال الناس له لرخصة وقيل لانه لا يأتي منه الصياغة بخلاف الابريز لانه لا ينكسر على مايزعم الصناع مع ان اصول المذهب تدل على تحريمها قال الشيخ ابو محمد في رسالته ولا يجوز في البيوع التدليس ولا الغش ولا الخلابة الا ان يتم في امر صنعته ما اذا ذكره كرهه المبتاع او كان ذكره ابخس له في الثمن فاخذ منه بعض المغاربة ان عملها لا يجوز لان من يدفع له من ذهبها شيء لو علمه ما قبله ولا يمكن ان يبينه لكونه يخاف على نفسه من السلطان) ويقول ايضا (وقد كان رجل من اصحاب المازرى يطلب تعليمها فسافر بقصد ذلك ثم جاء بدنيا وافرة واتى بشيء من صنعته فامر المازرى باستخباره فنظره اهل المعرفة فكل من رآه يقول طيب فقال : ابقى احد ممن يعرف الطيب ؟ فقالوا نعم فلان وقد لزم داره من كبر سنه فقال : اسألوه فعرفهم ما يختبره ذلك فآل الامر لتلاشيها فامر ان يتصدق بما اكتسبه من السلع وغيرها منها وفيما ذكره نظر، وقد وجد في تركة ابي عمران الفاسي الكبريت الاحمر واشتراه السلطان معز بن باديس امير افريقية فرده لبيت المال، فهذا مما يدل على ان ليس كل الكيمياء ترجع الى اصلها والله اعلم فلو كانت كل الكيمياء ترجع الى اصلها لما امر المازرى باختبار ما صنع منها وكذلك سمعت من شيخنا

---

1) ابن الحارث الخشني هو ابو عبدالله محمد بن حارث بن اسد الخشني تفقه بالقيروان وابي الفضل الممسي وغيرهما ثم ارتحل الى الاندلس سنة 311هـ - 312 هـ استوطن قرطبة وتولى الشورى بها له تآليف كثيرة منها تاريخ علماء افريقية بالاضافة الى علمه كان عارفا بصناعة الادهان عالما بالكيمياء توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة اربع وستين وثلاثمائة -
معالم الايمان ج III ص 31 - 33

ابي محمد عبد الله الشبيبي انه لما مات ابو محمد عبد الله بن ابي زيد وجد في تركته آلتها ولكن وجود ماذكر مما وجد في تركة ابي عمران عزيز الوجود فالصواب الجزم بحرمتها) (1)

ومن هذا النص تستطيع ان تستنتج ان المدونة لاترى مانعا من ممارسة الكيماء في حين رأينا ابا محمد يمنع ذلك لما فيه من غرور وذهاب للمال ولذلك اعتبر عملها من السفه وهذا ما اخذ به من جاء بعده من الفقهاء امثال ابي عمران الفاسي ، والمازري ولاشك ان هناك غير هذين ممن اخذ برأى ابي محمد لقوة حجته ومكانة ادلته ومخالفة ابي محمد لنص المدونة ليس هو بالاول ولا بالاخير اذ قلنا انه لم يكن من الحفاظ الناقلين الجامعين بل كان من الحفاظ المستثرئين ولهذا كانت آراؤه صائبة وترجيحاته مقنعة لانها انطلقت من استقراء للآراء وحوار مع النصوص فكانه كان يقيس ترجيحاته بميزان الذهب جاعلا نصب عينيه المصلحة العامة التي يحددها الشرع وتوضحها النصوص اذا ما وجدت الفكر الذكي والعقل الناضج والمستوى العلمي الرفيع الذى يغوص في اعماق الشريعة ليمسك بزمام مقاصدها ويمتلك حكمتها فيوجهها الى دعم الاحكام الاسلامية والى صـــلاح حالة المسلمين .

ان عبد الله بن ابي زيد لم يصل هذه المرتبة بسبب دراسته على الشيوخ فحسب بل وصلها بعد ان انهى دراسته الرسمية ليبدأ مسيرة دراسية جديدة هدفها البحث والتنقيب والاستقراء فقد درس المدونة ولخصها ودرس العتبية ولخصها ودرس الواضحة والموازية والسليمانية وحفظ الموطأ واطلع على آراء مالك الفقهية وتراث المصريين من تلاميذه ومن جاء بعدهم مطلعا في الوقت نفسه على نتاج مدارس الفقه المالكي ببغداد والاندلس وافريقية والمغرب ملما بالفقه الحنفي من خلال شيوخ الاحناف ومن خلال الاسدية التي لاشك انه اطلع عليها على الرغم من اعراض الطلاب على استعمالها وكانت تحوى بالاضافة الى اقوال المالكية اقوال الاحناف ولااعتقد انـــه كان بمعزل .

---

1) معالم الايمان ج III ص 82 ـ 83

عن احوال الشوافع والحنابلة وخاصة ان المعارك الفقهية كانت قائمة بين هذه المذاهب ومذهبه المالكي حتى سمي بالذاب عن مذهب مالك بل والف في ذلك كتابا هو كتاب الذب عن مذهب مالك بن انس هذا بالاضافة إلى انه قد التقى بالكثيرين من الفقهاء لما ادى فريضة الحج اذ من المحقق انه اثر وتأثر .

ان هذه الثقافة العميقة قد استثمر عمقها وثراءها عندما دون موسوعته الفقهية المسماة بالنوادر والزيادات اذ ان الاسم الذي اطلقه عليها ليشعرنا بالمنهج الذي اختاره لتصريف معلوماته الثرية فهي نوادر في منهجها وموضوعها وهي زيادات على ماكان معروفا ومتعارفا عليه في المدرسة القيروانية .

ان ما اضافه ابو محمد عبدالله ابن ابي زيد الى رحاب الدراسات الفقهية شيء لايمكن الاحاطة به اللهم الا بالعودة الى كل مذهب والاطلاع على كل مرجع مع تتبع مجادلات العلماء وارجاع الاراء الى اصولها والاقوال الى مصادرها .

ان هذا العمل الذي قام به ابو محمد في كتابه النوادر والزيادات ليعتبر من الاعمال التي قربت المذاهب السنية من بعضها بعض واوجدت بينها وحدة استطاعت ان تقاوم بها الفكر الرافضي في ميداني العقائد والتشريع ولهذا اجمع المترجمون له بانه مالك الصغير تارة وبانه قطب المذهب اخرى وبانه عالم المالكية وبانه الذاهب عن المذهب وبانه عالم المغرب .

ان شخصا قيلت فيه هذه الاقوال ولاقت تآليفه هذه العناية لهو شخص حيري بكل عناية وتقدير وذلك عن طريق دراسة آثاره وابراز ما طمر منها وتتبع اقواله وترجيحاته التي اكتظت بها كتب فقهاء اهل السنة عامة وفقهاء المالكية خاصة ولم تقف العناية باثاره عند حدود العالم الاسلامي بل تعدته الى العالم الغربي المسيحي اذ ترجمت رسالته الى الانجليزية والفرنسية وعلق عليها الكثيرون .

ان التفسير الوحيد لهذه العناية التي وجدها كشخص عالم ولاقتها كتبه تبعا له لهي اقوى دليل على تأثيره الايجابي والعميق في مجالات الدراسات الفقهية خاصة والفكر الاسلامي عامة وبالله التوفيق اولا واخرا .

لقد واكبنا جميعا السيرة الحياتية للشيخ ابي محمد عبدالله بن ابي زيد منذ نعومة اظافره الى ان سطع نجمه في الاوساط الطالبية فعامله شيوخه معاملة الصاحب لا الطالب حتى اخذ بعضهم بترجيحاته ومال الى ارائه، بل منهم من طلب منه ان يضع كتابا مختصرا في اعتقاد اهل السنة مع فقه واداب ليعلم ذلك لاولاد المسلمين ويقطع النظر عن نجاح التجربة الا انها في حد ذاتها تعتبر دليلا على تفتق ملكته الفقهية في سن مبكرة جدا فكأنما ولد ابو محمد فقيها بطبعه اذن كيف يمكن لابن السابعة عشرة ان يضع كتابا ينال بها اعجاب من اطلع عليه من الشيوخ .
ان دهشتنا سوف تزول اذا ما أخذنا في الاعتبار الذكاء الفطري لابي محمد والذاكرة الواعية، والبيئة الاجتماعية والعلمية التي كان يعيش فيها وماكان يجرى حواليه من احداث ذات صبغة دينية حيث تتبارى فيها المذاهب الفقهية وتتناظر فيها المذاهب العقائدية من سنة ومعتزلة وشيعة وخوارج بالاضافة الى ماكان بداخل المذهب السني العقائدي من جدال بين المالكية والحنفية وغيرهما من المذاهب التي تصل اصداؤها الى افريقية من المشرق العربي وان كان ينقصها في افريقية البعد الجماهيري .

ان وصفنا لافريقية بالمالكية انما يقصد به الاغلبية فقط وليس معناه عدم وجود غيرها بل العكس فقد عرفت في القديم المذهب الحنفي معرفة جيدة .قد برع فيه الكثيرون من الطلبة القيروانيون القدامى من امثال ابن فروخ الفارسي (176هـ) واسد بن الفرات (213 هـ) وغيرهما من الذين

كتب لهم ان يتفقهوا بفقه المدرستين الحجازية والعراقية بل منهم من اخذ مباشرة عن ابي حنيفة امثال ابن فروخ ومنهم من اخذ عن كبار اصحابه كاسد وغيره ولذلك قلت في غير هذا الموقع من البحث ان الاسدية تعتبر في نظرى اول اثر فقهي مقارن وسوف نرى المزيد من التفصيل حول هذا الموضوع عند الحديث عن الاسدية كمصدر من مصادر النوادر والزيارات وعلى كل فالبيئة التي عاش فيها ابو محمد كانت بيئة نشطة بعلمائها متحركة بالمذاهب المتناظرة في ساحتها والنحل المتصارعة في رحبات مساجدها ودور تعليمها . ولاشك عندى ايضا ان ابا محمد قد كان واعيا لما يدور حوله فاهما لما يقال امامه مطلعا على ماكتبه الاوائل مناقشا لما يلقي عليه في مواعيد شيوخه المباشرين لعملية تكوينه العلمي . ولاشك عندى ايضا في ان ابا محمد قد أطلع على الاسدية التي كانت تعرف بالمختلطة ولا ادل على ذلك من انه لما اراد ان يضع مختصرا في الفقه المالكي اعتمد في تأليفه هذا على اختصار المدونة والمختلطة فكانت نتيجة ذلك كتاب مختصر المدونة الذى حوى على خمسين الف مسألة مصداق ذلك قول ابن خلدون (ثم اختصر ابن ابي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر) (1)

ان هذه الدراسة الواعية للمدونة بنسختيها القديمة والجديدة مكنته من الاطلاع على اراء واقوال الاحناف الموجود بالاسدية وعمقت معرفته الفقهية بالمذهب المالكي الذى حقق مسائله الامام سحنون بن سعيد على يدى ابن القاسم ودعم مسائله بالاثار المروية والنصوص الشرعية ولم يقف في اطلاعه [illegible] ومطالعته على هذين المصدرين بل درس غيرهما مما كان معروفا في عصره من مؤلفات واقوال العلماء والفقهاء في عصره وقبل عصره من امثال الكتب التالية : كالواضحة والمستخرجة والموازية والسليمانية وغيرها كثير وقد عجلت هذه الدراسة الجادة وهذه المطالعة

---

1) المقدمة ص 807

العميقة المتأنية بامتلاكه ملكة قوية ومتينة في الميدان الفقهي ساعدتها على الابداع ذاكرة واعية وذكاء مفرط وقدرة على رواية الاقوال وادائها ونقدها ومناقشتها .

ان ابا محمد لم يصل الى هذه الدرجة من الفقه البارع الا بمثل هذه الخصائص التي تجمعت فيه وتفرقت في غيره .

اننا لو القينا نظرة فاحصة ناقدة على تواليفه لعرفنا مقدار هذا الابداع العلمي العميق وهذه الثقافة الرائدة وما كان ذلك الا بفضل فهمه الواعي وذكائه الفطري ومطالعته الجادة اذ كان يعامل مصادره معاملة الند للند فليس هو كالذى يحمل اسفارا بل كان مثله مثل جامع الزهور الذى لا يقطف الا ما جمله شكله ولونه وما فاح عطره وشذاه وهو ينظم هذا المجموع كله وينسقه كالفنان حيث يجعل من الاشياء البسيطة تحفة تأخذ بمجامع القلوب وتستولي على حنايا الافئدة حيث يقتنع العقل بروعتها ويسلم الحس الرهيف بفتنتها وكم كان ابو الحسن القابسي مصيبا عندما لخص لنا هذا كله في كلمة وجيزة حيث قال : امام موثوق في روايته ودرايته (1) ان تقديم لفظ الدراية على الرواية هو في حد ذاته دليل على ما قلناه في الكثير من المواضيع في هذا البحث بان ابا محمد لم يكن من الفقهاء الجماعين الذين يجمعون الاقوال والاراء ويؤدونها بدون غربلة ولا تمحيص بل كان لا يأخذ شيئا الا بعد ان يعرضه على فكرة الثاقب وعقله الواسع وعلمه الغزير ولهذا لم يخط السبائي عندما قدمه على غيره من طلبته وفيهم امثال ابن التبان وابن شبلون ولم يكن شيخه الابياني مخطئا عندما وصفه بقوله (واما الثاني من الاثنين فاني رأيت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له عبد الله بن ابي زيد) (2) وبالاضافة الى هذه الخصائص الذاتية التي جعلت منه شخصية فذة فان

---

1) ترتيب المدارك ح 4 ص 493

2) معالم الايمان ح 3 ص 100

لشيوخه الفضل ايضا في اكتمال هذه الشخصية وتوجيهها الوجهة الحسنة .

ان اخذه عن الجمهرة الفاضلة من العلماء والذين بدورهم اخذوا من المنابع الصافية جمعله ثريا في علمه عاليا في اخلاقه عزوفا عن المناصب والالقاب لطيفا بطلبته عطوفا على من قصده في معرفة او مال .

ان شخصية ابي محمد الفقيه لبارزة بروز الشمس في رابعة النهار وواضحة وضح القمر ليلة البدر في محافل العلماء ومجامع الفقهاء بشرعنا الاسلامي فشدت لقيروانه الرحال وتواردت عليه الرسائل طالبة الاجازة لاصحابها وتبارى الناس في شراء كتبه وتسابقوا الى اقتنائها وتفننوا في كتابتها بالمداد والحبر وحتى بالذهب وتباروا في شرحها والتعليق عليها ونظمها شعرا ليسهل حفظها والاحاطة بمسائلها ويكفيه اعترافا بعلمه وسبقه على غيره في هذا المضمار ان سمي بمالك الصغير (1) وبقطب المذهب وبعالم المغرب وغيرها من الالقاب والاوصاف والنعوت التي قد يضيق المقام عن ايرادها كلها مصداق ذلك نقول الامام عياض الذى ماذكره الا اعقبه ذكره بالترحم عليه يقول عياض (وهو الذى لخص المذهب وضم كسره وذب عنه وملات البلاد تواليفه عارض كثير من الناس اكثرها فلم يبلغوا مداه مع فضل السبق وصعوبة المبتدأ وعرف قدره الاكابر) (2) ويقول غيره (انتشرت امامته في العلم شرقا وغربا وظهرت فضائله وفواضله بعدا وقربا واحد الزمان جلالة وعلما فريد العصر عقلا ونهيا مع ورع حافز وحسن سمت ووقار وارتفاع همة وعذوبة الفاظ وملاحة ايراد وجزالة معان ضربت اليه الاكباد من سائر البلدان) (3) وقال غيره (وكان امام المالكية

---

1) طبقات الفقهاء للشيرازى ص 160

2) ترتيب المدارك ح 4 ص 493

3) معالم الايمان ح 3 ص 110

في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح اقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك) (1) بل هناك من المالكية من ارجع حفظ المذهب وانتشاره الى ستة علماء منهم مد داق ذلك ما ورد (ويقال لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب فالشيخان ابو محمد بن ابي زيد وابو بكر الابهري والمحمدان محمد بن سحنون ومحمد بن المواز والقاضيان ابو محمد عبد الوهاب وابو الحسن القصار) (2)

فاذا كانت هذه هي مواقف المالكية القدامى فاننا نجد مثيلها عند مالكية العصر الحديث فهذا الحجوي يقول (يعتبره من الطبقة العالية من المؤلفين وعندي انه احق من يصدق عليه حديث يبعث الله لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها) (3) ويقول الشيخ محمد النيفر (فبرع في علوم الشريعة وفاق الاقران فاشتهر علمه وانتفع الناس بعلومه وضربت له اكباد الابل من الاقاصي للاخذ عنه) (4)

ولم تكن هذه الاقوال المعبرة عن مواقف اصحابها من عبقرية ابي محمد العلمية عامة وابداعه في ميدان الفقه خاصة مقصورة على علماء الاسلام بل تجاوزتهم الى غيرهم ممن ليسوا على الاسلام ان من يطلع على ما كتبه الهادي روجي ادريس لشك انه سيتحقق من صدق الاراء وصحة المواقف التي استعرضنا بعضها في اماكن متعددة من هذا البحث لان شهادة المخالف عادة ما يكون منطلقها العقل دون العاطفة وخاصة اذا جاءت معترفة بما هو حق وبما هو صدق في المشهود عليه لان صاحبها سوف لا يوصف بالمذهبية الفقهية ولا غيرها لانه ليس بمسلم ولا ينتمي للمالكية بصلة وشهادة الهادي روجي ادريس من هذا القبيل لقد جاء في شهادته قوله (كان ابو محمد عبد اللـــه

1) الديباج ص 135
2) معالم الايمان ج III ص 110
3) الفكر السامي ج 3 ص 120
4) عنوان الاريب ص 34

ابن ابي زيد عبد الرحمان النفزي شخصية فذة اذ يبدو من المؤكد انه هو الذي ضمن الانتصار النهائي للمذهب المالكي بافريقية فقد جمع من جهة عناصر عمل الامام سحنون ومدرسته وكون منها بعد دراسة تمحيصية المبادئ العامة للمالكية القيروانية ولخص هذه المادة من جهة اخرى في كتاب صغير اشبه بالمختصر ليضمن لها انتشارا كبيرا في جميع الاوساط وقد كان هذا المنظر والمتبسط للمذهب المالكي بعد تنظيمه واعمال الفكر فيه ايضا فاعلا مفتيا نبيها ومسموع الكلمة وان فتاويه التي لاتحصى لتشهد على حصافة فكر قادر على النبوغ في كل من الامور المجردة والمحسوسة ان الاسباب التي تفسر شهرة ابن ابي زيد وعمق عمله واستمراره هي اساسا قيمة شيوخه وتنوعهم وغزارة انتاجه ومواهبه الكبيرة في الكتابة طول المدة التي قضاها في النشاط والتي وصلت الستين سنة خصوصية تفكيره) (1)

ان شهادة هذا الباحث وغيرها لكافية في انزال ابي محمد مكان الصدارة بعد مالك في رحاب مدرسة الفقه المالكي خاصة ومدرسة الفقه السني عامة .

يقول احد الباحثين عند تعريفه بابي محمد (فقيه مفسر مشارك في بعض العلوم) لكن نوضح مفهوم هذه المشاركة بانها لم تكن بمشاركة الهاوي بل كانت مشاركة العالم، اذ ان ابا محمد هو اول من بسط اصول الفقه في جلاء ووضوح واعتقد ان من يستطيع ان يبسط علما من العلوم انما مرد ذلك الى ما اكتسبه فيه من ملكة جعلته قادرا على هضم مسائله ولم شتات جزئيات مسائله، ان هذه الملكة الاصولية هي التي كانت وراء ابداعه الفقهي بما فيه من تخريجات ذكية ومتينة ثم التأليف فيه تأليف متميزة لايزال عليها المعول في الفقه المالكي الى عصرنا هذا .

وقد اشار الشيخ العميد المرحوم محمد الفاضل بن عاشور الى هذا النبوغ بقوله:
قد اعانه ذلك التكوين الممتاز على ان يرجع الفقه الى صفائه الحامي ويفكه من قيود الجدليات والعصبيات وان يسلك في خدمة المذهب المالكي مسلكا فريدا يضبط من تناثر من مصادره من الاقوال مما قاله مالك وخالفه فيه اصحابه او ما وافقوه فيه او ما انفرد اصحاب مالك ومن بعدهم تقريره من الاحكام فدرس الاقوال الفقهية وحقق الصور التي تتعلق بها حيث كانت صورة واحدة واختلفت فيها الانظار او صورا مختلفة يرجع كل قول الى واحد منها واهم يرجع كل حكم في نصابه وذلك بضبط الاركان والشروط التي تتحقق بها ماهية كل موضوع من مواضيع الاحكام الفقهية فكان بذلك عمادا متينا لدور التطبيق في المذهب المالكي) (3)

---

1) Deux juristes Kairouanais p 125
2) معجم المؤلفين ج 6 ص 73
3) اعلام الفكر الاسلامي ص 47

اما اذا غادرنا مجال علم الفقه الى ميادين علوم القرآن فاننا واجدون لامحالة شخصية ابن ابي زيد واضحة معالم بينة القسمات ولقد ساعده على الابداع في هذا الميدان الحفظ الجيد والفهم العميق والميل الفطري الى الاساليب البلاغية والقرآن قاموس للغة والمثال الاعلى في اساليب البلاغة فيها ، ويعبر عن ميله هذا ما خطه في ميدان الاعجاز القرآني عندما الف كتابه " البيان في اعجاز القرآن " والذي يستحسن ان يكتب في هذا الموضوع لاشك انه من الذين امسكوا بعنان لغة القرآن وغاصوا على اصدافها المتلالئة وفقهوا ايحاءاتها الخفية وعرفوا معانيها الدقيقة التي [illegible] تحولتها حروفها بمدها وكسرها وعلموا من خلال الاسلوب والصيغة المقصد الالهي من وراء الاشارة الخاطفة واللمحة الخفية .

ان هذا الاطلاع الواسع على القرآن والمعرفة الجيدة باسلوبه هو الذي ساعده على الفهم الجيد للقرآن مصداق ذلك ماجاء في فصل افكار كرامات الاولياء من هذا البحث اماما نضيفه في هذا الفرق فهو نص مروي يبين مدى قدرته على فهم هذه الاشارات القرآنية المنضوية تحت احكام عامة لاتتغير ولاتتبدل وان تبدل الاشخاص والاماكن وان تغير الزمن والظرف فقد ذكرت احدى كتب التراجم (انه توفيت امراة بالقيروان كانت مشهورة بالزنا فلما جاءت الغاسلة لتغسلها وهي ميتة ضربت بيدها على فرجها وقالت : قد طالما عصيت الله سبحانه وتعالى بهذا الفرج فالتصقت يد الغاسلة بفرج الزانية فجاء الناس الى ابي محمد بن ابي زيد فاخبروه بالقضية فامر بان يقام على الغاسلة حد القذف ففعل فزالت يدها) (1) ان مثل هذا الاجتهاد في الحكم انما هو نتيجة لوعيه بالقرآن .

---

1) معالم الايمان ج 3 ص 110

واخرج عياض عن اللبيدى تلميذ ابي محمد قوله (اجتمع عيسى بن ثابت بالشيخ ابي محمد بن ابي زيد فجرى بينهما بناء عظيم فلما اراد فراقه قال له عيسى احب ان تكتب اسمي على البساط الذى تحتك فان رأيته دعوت لي فبكى ابو محمد وقال له قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فهبني دعوت لك فاى عمل صالح يرفعه) (1)

ويذكر الاجدابي قال : كنت جالسا عند ابي محمد وعنده ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد المؤمن المتكلم فسألهما انسان عن الخضر عليه السلام هل يقال انه باق في الدنيا مع هذه القرون ثم يموت لقيام الساعة وهل يرد هذا لقوله تعالى (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد) ؟ فاجابا معا ان ذلك ممكن جائز وان يبقى الخضر عليه السلام الى النفخ في الصور وان الخلود هو اتصال بقائه ببقاء الاخرة وان البقاء الى النفخ ليس بخلود الاترى ان ابليس لعنة الله لايسمى خالدا وان كان من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) (2)

ولو تتبعنا مازخرت به تآليفه وما تناثر في كتب التراجم من هذا الفهم الجيد للاشارات القرآنية لامكن لنا ان نجمع سفرا عظيما منها .

وكما ابدع ابو محمد في معرفته القرآنية اتقن السنة دراية ورواية وتمسكا بما جاء فيها : ولا ادل على ذلك من قول ابي الحسن القابسي فيه اذ قال هو امام موثوق في درايته وروايته (3) كيف لا وقد جلس الى ابراهيم الابياد العالم بالسنة ورجالاتها والى ابي العرب التميمي العالم المحقق في علم الدراية ونقد الرجال والى غيرهما من شيوخ اهل السنة الذين منهم من كان من تلاميذ سحنون الذى اخذ عن ابن القاسم الاخذ عن مالك الآخذ عن التابعين الاخذين عن الصحابة الاخذين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ان عناية ابي محمد بهذا العلم الجليل تظهر في كل مؤلفاته وقد يقال انه عدد المرويات الاثرية بالرسالة فتبلغ اربعة الالف او تزيد (4) هذا بالاضافة الى ماخطه من كتب في ميدان هذا المصدر الاساسي الثاني من مصادر

---

1) ترتيب المدارك ج 4 ص 496

2) ترتيب المدارك ج 4 ص 493 – 496

3) 493

(4) انظر مقدمة كتاب الجامع تحقيق د. محمد ابو الاجفان . وعثمان بطيخ ط بيروت 1982 ص 55 . حيث جاء [ابو بكر الابهري افرد للرسالة كتابا سماه [مسلك الجلالة في مسند الرسالة] تتبع فيه جميع مسائلها التي تبلغ اربعة الاف ورفع لفظها ومعناها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الصحابة رضى الله عنهم .

التشريع الاسلامي فهو يكتب عن عمل اهل المدينة ووجوب الاقتداء به وما ذلك الا لاخذهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يكتب عن " فضل قيام رمضان " وهو يؤلف الجامع في السنن والاداب في الرقى" هذه بالاضافة الى مجموعة الحديث الموجود مخطوطها بالمتحف البريطاني (1) يضاف الى هذا التواليف التي لم تصلنا والتي لاشك ان من بينها الكثير من المؤلفات التي دونت في هذا الميدان من ميادين هذا العلم الشريف حتى قال فيه عياض (وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية) (2) يضاف الى هذه المعرفة الدقيقة بالفقه والفهم الجيد للقرآن والاحاطة الشاملة بالسنة اطلاع واسع وتفوق على العربية وعلومها وتمرس باساليبها وتمكن ببيانها حتى تكون كتبه الفقهية اقرب ماتكون من كتب الادب ولذلك يمكن ان نسمح لانفسنا بان نصفها بكتب ادب الفقهاء اذ تكفي نظرة متفحصة وصادقة الى كتاب الرسالة وغيره تكفي لاقناعنا بان اسلوبه ولغته وعرضه للقضايا هو ليس باسلوب ولالغة ولامنهج الفقهاء والذين عاصروه ولهذا اعتنى بعض العلماء بالرسالة حتى حيث الفاظها وتراكيبها حتى قال الاستاذ الكعاك: بل اهتموا بشرح الفاظها وجعلوا عليها سنة المعاجم اللغوية والاصطلاحية) (3)

كيف لايبدع في العربية وهو الشاعر الذى بكى شيوخه بدموع حرى وبلغة صادقة معبرة قد مرت بنا نماذج من شعره في هذا المجال .

ذلك هو ابو محمد عبدالله بن ابي زيد القيرواني الذى يعتبر بحق مجدد المائة الرابعة وعالمها الذى نفخ روحه العلمية في المذهب المالكي وذلك عن طريق تجديد مناهج البحث واساليبه ولغته وبذلك نفض عنه

---

1) برولكمان ح 3 ص 289

2) ترتيب المدارك ح 4 ص 492 ويذكر احمد بن نعيم النفزاوي من اعظم اوصافه علو سنده لانه كان يروى عن سحنون بواسطة وعن ابن القاسم بواسطتين وعن مالك بثلاث

3) الثريا عدد مارس سنة 1945 ص3

الفواكه الدواني : 1/8

غبار التمحل والتقليد فعاد هذا الفقه جديدا قادرا على الصمود والانتصار في ميادين المناظرة وعلى استقطاب المقلدين في ميادين الانتشار ولهذا نجح عندما تصدى للزحف الرافضي ٠

ان الصورة الحقيقية لاعمال هذا المجدد سوف تزداد وضوحا وجلاء عندما تبوح الخزائن الخاصة والعامة عن اسرارها وما تخفيه من تآليفه الكثيرة وعندئذ سوف نجد انفسنا وجها لوجه مع مالك الصغير الذى احي السنة ونفخ الحياة في مذهبها الذى كاد الرافض ان يجردوه من انصاره وان يبعدوا عنه مقلديه بالترغيب تارة وبالترهيب اخرى، وقد صدق المرحوم الشيخ الفاضل بن عاشور عندما قال فيه (قد زكى سمعته العلمية الذائعة ما زان سلوكه الشخصي من الزهد والورع مع العقل الراجح والادب البارع فكانت قوة عارضته وجزاته رأيه مع ما اوتي من فصاحة اللسانين الشفهي والكتابي ممكنة له مقدرة في خدمة الفقه تدريسا وتأليفا يعز ان تتاح لغيره حتى عرف في عصره بشيخ المذهب ولقب مالك الاصغر) (1)

---

1) اعلام الفكر الاسلامي ص 48

الفصل الثالث

وفاة ابي محمد بن ابي زيد القيرواني

بعد جهاد علمي مجيد شمل حلقات الدرس ومساجد القيروان وميادين المناظرة ومجالات التأليف ابى مالك الصغير داعي ربه وذلك مساء الاثنين ثلاثين شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة على سن بلغت ستا وسبعين سنة (1) وهو ما ذكره عياض ومن جاء بعده ممن ارخ لحياة مالك الصغير خلافا لما ذكره صاحب شذرات الذهب وكشف الظنون وغيرهما من اصحاب دوائر المعارف في العصر الحديث من حيث كونه توفي سنة 389 (2) .

وقد اعتمدت ما ذهب اليه عياض والدباغ وما نقلته عنهما دائرة المعارف الاسلامية وكارل بروكلمان على اساس ان الامام عياض هو اقرب من غيره لعصر ابي محمد بالاضافة الى كونه من آئمة المذهب المالكي الذين لهم الالمام بتراجم اعلام المالكية .

وقد دفن بداره بالقيروان خلافا لما زعم بروكلمان من كونه دفن بفاس وهو زعم باطل لم يقل به غيره (3) قال صاحب المعالم (توفى ابو محمد يوم الاثنين عند الزوال ثلاثين من شهر شعبان سنة 386 هـ) قلت وعاش 76 سنة . قال وصلى عليه الشيخ ابو الحسن القابسي بالريحانية عند باب اصرم يوم الثلاثاء في جمع لايحصون ودفن بداره وروى عنه انه لما سمع بوفاته سقط الى الارض وقال الان انكشفت عورتي لما كان ينوب عليه في الفتوى وبكى عليه حتى كان ان يغمى) (4) وذكر عياض (ان ابا محمد ابن ابي زيد رحمه الله رؤى في مجلسه تحت فكرة وكآبة فسئل عن سبب ذلك ؟ قال رأيت باب داري يسقط وقد قال فيه الكرماني انه يدل على موت صاحب الدار فقيل له الكرماني مالك في علمه قال نعم : هو مالك في علمه اوكانه مالك في علمه ولم يقم الا يسيرا ثم مات رحمه الله) (5)

---

1) ترتيب المدارك ج 7ص496 معالم الايمان ج III ص118

2) الشذرات ج 3 ص 131 كشف الظنون المجلد الاول ص 1 94

3) بروكلمان ج 3ص286

4) معالم الايمان ج III ص118

5) ترتيب المدارك ج 4 ص 497

لقد أثار موت هذا العالم الجليل حسرة في نفوس العلماء والطلبة والعامة على حد السواء حتى ان أبا الحسن القابسي كاد أن يغمى عليه كما مر بنا .

ان هوجة الاستياء والحزن هذه قد عبر عنها عشرات الشعراء الذين رثوه بقصائد خلدت ذكراه وبكت فيه فضائل العالم المجاهد بالفكر والقلم وبالتصرف والسلوك بكت فيه القدرة على الاتناع والعمق في الثقافة والاشعاع في العلم بكت فيه روح التجديد الذى جعلت منه عالم المائة الرابعة دون منازع وكما بكت مالكا في النصف الثاني من القرن الثاني بكت مالك الصغير في النصف الثاني من القرن الرابع ان ما ذكرته كتب التراجم من هذه القصائد لهوا لنزر اليسير مما قيل فيه ومما ألقي على جثمانه الطاهر ،حتى قال عياض (ورثاه كثير من أدباء القيروان بمراث مشجية (1)

ومما قاله ابن الخواص الكفيف (2)

هذا ,لعبيد الله أول مصرع — ترزأيه الدنيا وآخر مصرع
كادت تهيد الأرض خاشعة الربى — وتمور أفلاك النجوم الطلع
عجبا أيدى الحاملون لنعشه — كيف استطاعت حمل بحر مترع
علما وحكما كاملا وبراعة — ونفتى وحسن سكينة وتورع
وسعت فجاج الأرض سعيا حوله — من راغب في سعيه متبرع
يبكونه ولكل باك مفهم — ذل الأسير وحرقة المتوجع

وقال أبو علي بن سفيان (3)

غصت فجاج الأرض حتى ترى — أرض ولا علم ولا بطحاء
مازلت تقدم جمعهم هربالهم — في موكب خفت به النجباء

وقال الشقراطسي (4)

خطب ألم فعم السهل والجبلا — وحادث حل أنسى الحادث الجللا
ناع نعى ابن أبى زيد فقلت له — اشمسنا كسفت أم بدرنا افلا
أم مادت الأرض وارتجت بسكانها — ام الحمام بعبيد الله قد نزلا
فان يكن صدرنا حام الحمام به — فالصدر صاد ومن نار الأسى شعلا
رزية عظمت ارزاؤها افلا — ابكى ؟ وهل سلوة والبيد رقد أفلا
رجت لموقعها الأرجاء وارتجفت — وزلزلت لضجيج بالعويل علا

---

1) ترتيب المدارك ج 4 ص 496
2) // // // //
3) // // ص 497
4) معالم الايمان ج 3 ص 118

والناس من فرق سكرى على فرق ... وكلهم كلّهم خطب به نَ هلا

على الجليل الذى حلت هفا فرة ... ومن ما ثره أضحت كنا جملا

كل البسيطة بسط الحزن قد سطت ... وقبره سبنا أنواره ابتهلا

وكيف لا وولى الله حل به ... قطب المشايخ نور للهدى اكتملا

ما بالصلاة ولا بالصوم فاتهم ... لوكان هذا المكان الأمر قد سهلا

لكن بسر من الرحمان أوقره ... بصدره فليهن الصدر ما حملا

فرحم الله أبا محمد على ما قدمه للاسلام والمسلمين